



المفكر العربي

# نخوة فلسطين الجديدة

تأليف:

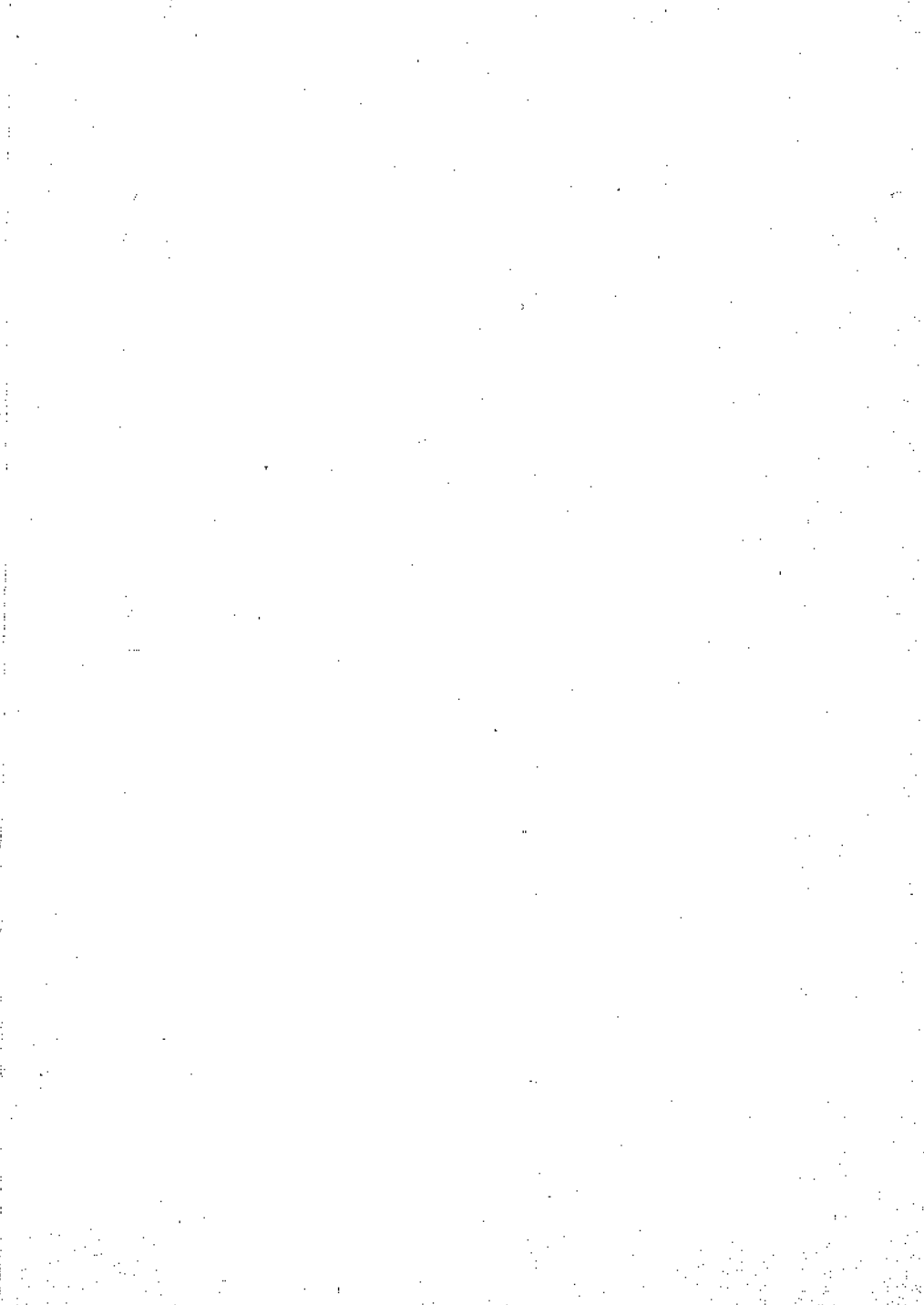
ساجي علوش

طبعة ثانية

دار الطليعة - بيروت

نحو

ثورة فلسطينية جديدة



ناجی علوش

نَحْو

نُورَ فِلِاسْطِينِيَّةِ جَدِيدَةٍ

دار الطبعاعة للطباعة والنشر

بيروت

حقوق الطبع محفوظة لدار الطبيعة

بيروت - ص ١١٣

الطبعة الاولى

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢

الطبعة الثانية

آب (أغسطس) ١٩٧٧

## مقدمة الطبعة الاولى

يضم هذا الكتاب دراسات ومقالات وملاحظات كتبت خلال خمس سنوات وأن كان القسم الأعظم منها قد كتب في السنوات الثلاث الأخيرة . وقد نشر قسم منها ، ولم ينشر القسم الآخر . كما ان بعض ما نشر منها نشر بدون اسم ، أو باسم مستعار . هذا علاوة عن ان ما نشر من هذه الدراسات والمقالات والملاحظات نشر في اوقات مختلفة وصحف متفرقة ، اذا وصلت بلدا فلا تصل آخر .

هذه الكتابات ليست كل كتاباتي عن القضية الفلسطينية ، خلال السنوات الخمس المذكورة ، إذ ان هناك كتابات ستصدر في كتاب آخر ، مثل دراساتي عن حرب حزيران ، وهناك كتب صدرت ، خلال هذه الفترة ، مثل : «الثورة الفلسطينية أبعادها وقضاياها» .

أذكر هذه الحقيقة لان في المجموعة «فراغات» زمنية لم تغط . هذا من جهة ، اما من الجهة الأخرى ، فان الكتابات غير المنشورة هنا ، تلقي أضواء على مضمون هذا الكتاب ، وتغني كثيرا من الجوانب فيه .

والحقيقة انني قررت نشر هذا الكتاب ، لانه يطرح العديد من القضايا الهامة ، التي ما زالت القضايا الأساسية للشورة

الفلسطينية ، ولأنه من جهة ثانية يمثل خط القتال ، ويكشف  
خط الاستسلام .

وبما أن المعركة ما زالت قائمة بين خط استمرار الثورة وخط  
التصفية ، فإن جمع هذه الموضوعات ونشرها يساهم في المعركة  
الدائرة ، ويوضح أبعادها وقضاياها ، ويكشف بعض أسرارها  
ومعانيها .

ناجي علوش

١٩ - ١٠ - ١٩٧٢

### مقدمة الطبعة الثانية

صدر هذا الكتاب أول مرة أواخر سنة ١٩٧٢ . وكان  
حين ذلك يسعى إلى كشف المخاطر المحيطة بالثورة الفلسطينية،  
ويطالب الثورة وجماعيتها بالعمل لتجديد نفسها . ولقد توالى  
الأحداث بعد ذلك ، وحدث للثورة الفلسطينية ما حدث . وهذا  
الجانب من الكتاب ما زال لازماً ، لأن المخاطر ما زالت محدقة ،  
ولأن المنطق الذي يحكمها واحد لم يتغير ، وإن كانت الأمور أكثر  
وضوحاً الآن من ذي قبل . أما القسم الآخر الذي يتعلق بتجديد  
الثورة نفسها ، وبالذعوة إلى ثورة فلسطينية جديدة ، فإنه الآن  
يغير عن مسعى لاستباق الزمن .

ولذلك أعيد نشر الكتاب ، كما هو . لم أغير فيه غير بضع  
كلمات وبعض أخطاء مطبعية . وكان يجب أن يطبع قبل هذا  
التاريخ ، ولكن أحداث لبنان حالت دون ذلك .

نعم . . نحو ثورة فلسطينية جديدة ، لأن القتال يجب أن  
يستمر والثورة يجب أن تندفع قدماً مهما كانت الصعوبات، ولأن  
هذه هي طريق الخروج من المأزق الخطر الحالي .

ن . ع

بيروت ٨-٧-١٩٧٧

## القسم الاول

المقاومة : وضعها الذاتي ومهامها





## المقاومة طريق التحرير الوحيد

« افتتاحية لمجلة دراسات عربية  
السنة الخامسة ، العدد ٤ ، شباط  
١٩٦٩ » .

تقف الجماهير العربية اليوم امام تحديات مصيرية كبرى ،  
أهمها في المرحلة الحاضرة ثلاثة :

١ - وجود دولة الاحتلال الصهيوني ، وغرورها المفرط ، بعد  
نصر حزيران خاصة . ويتجلى هذا الغرور المفرط في مظاهر عدة ،  
تبدأ بالتصريحات وتنتهي بالفارات على المدن والقري العربية .  
ولعل الحديث المستمر عن حرب رابعة ، وعن نصر مؤكد هو  
المضمون العملي والتعبير الاكمل عن هذا الغرور المفرط .

٢ - ازدياد النشاط الدولي من اجل تسوية سلمية ، تفرض  
تصفية تامة للقضية الفلسطينية ، تتمثل بالاعتراف بالاحتلال  
الصهيوني ، وبتركيس حدود «آمنة» ، وبضمان دولي لهذه  
الحدود . ولقد كان المشروع السوفياتي هو آخر محاولات التسوية  
هذه .

٣ - تطور حركة المقاومة الفلسطينية وازدياد مساندتها فسي

الوطن العربي ، نتيجة القناعة بأنها الطريق الوحيد للتحرير .  
ولا بد لنا من الوقوف امام هذه التحديات لكشف بعض  
ملاساتها وأبعادها ، وبعض ما يترتب عليها .

فاذا ما نظرنا للتحدي الاول وجدنا ان الوجود الصهيوني  
والفرور الصهيوني ليسا منفصلين عن حالة التفكك والعمالة  
والتخاذل التي تسود السياسة العربية الرسمية ، وعن حالة  
غياب الجماهير على الصعيد الشعبي . فقرة اسرائيل وغورها  
ناتجان عن تفكك العرب وعجزهم ، رسميا وشعبيا . ونتيجة هذا  
العجز تصبح اسرائيل الصغيرة سكانها الذين لا يبلغون مليونين  
ونصف المليون ، وبتكوينها المصطنع وكل تناقضاتها ، وعلى الرغم  
من ضيق رقعتها، اقوى من الوطن العربي كله، بملايينه التي تنوف  
على المائة والعشرين (١) وبسعة ارضه، ووفرة امكانياته . . . وليس غريبا  
في مثل هذا الوضع ان نجد حكومات عربية كبرى ، ترتعش امام  
قوة «اسرائيل» وجبروتها .

نحن هنا امام طرفين : الاول يستخدم قوته على الرغم من  
ضعفه الشديد نسبيا . والثاني ، لا يستخدم قوته ، على الرغم  
من ضخامتها . ونتيجة لهذه الحالة يفرض الاول الرعب على  
الثاني ، يحتل ارضه ويجليه ، ويحاول ان يفرض عليه الشروط  
السياسية التي يريد .

وبالطبع عندما نتحدث عن الطرف الاول : «اسرائيل» ، فمن  
الواجب الا ننسى انها لا تضرب بسيفها ، ولا تعتمد على قواها  
فحسب . واضح انها تضرب بسيف الامبريالية العالمية ، وعلى  
راسها الولايات المتحدة الاميركية ، وتعتمد على قواها . واذا كانت  
هذه الحقيقة صحيحة وواضحة ، فان زعماء «اسرائيل» ، من

اشكول الى دايان ، لم يفتنوا يؤكدونها منذ ازمة مضيق تيران حتى الآن . وتبيان هذه الحقيقة في هذا المجال ، ليس من قبيل الكشف ، وانما من قبيل وضع الامور في نصابها . ذلك ان اية معركة نخوضها مع «اسرائيل» ، ونحن لا نعرف سر قوتها وعوامل هذه القوة ستعود علينا بالشر الويل .

اذا عرفنا هاتين الحقيقتين : حقيقة ان ضعفنا ناتج عن عدم استخدامنا لقوتنا، وقوة العدو ناتجة عن استخدامه لقوته، وحقيقة ان «اسرائيل» لا تضرب بسيفها فحسب بل بسيف الاميرالية ايضا ، وجب علينا ان نتقل الى السؤال التالي : هل نستطيع نحن مجابهة هذه القوى ؟

ان الجواب لا بد ان يكون بنعم . لا لاننا نطلق من ايماننا بقضيتنا ، ومن عزمنا على الدفاع عن كرامتنا فحسب ، بل لان تجارب التاريخ القديم والحديث تدل دلالة قاطعة على ان الامة التي تهب للدفاع عن ارضها وحريتها ، وتحسن استخدام قواها لا بد من ان تنتصر .

صحيح ان هناك التكنيك والتكنولوجيا والعلم الحديث في جهة ، والجهل والبدائية والتخلف في جهة اخرى . ولكن تحليل القوى يدلنا على ان العوامل الاولى (التكنيك الخ ...) ليست عوامل تفوق حاسمة . ذلك ان هناك مجموعة من العوامل التي تجعل من الممكن قلب ميزان القوى لمصلحة الجهلة والبدائيين والمتخلفين . ويمكن ايجاز هذه العوامل فيما يلي :

اولا : تعبئة جماهيرية واسعة، تستفيد من كل القوى الشعبية استفادة تامة . وبينما تكون هذه التعبئة الشاملة عامل تشغيل وتحريك وتنظيم واحياء واعادة اعتبار لقوى عاطلة في المجتمع المتخلف ، فانها تكون عامل ارهاق اقتصادي واجتماعي وسياسي في مجتمع متقدم .

ثانيا : الاستفادة من المعسكر الاشتراكي ، ومن خلافات الدول

الإمبريالية ، ومن تجارة الاسلحة الدولية في الحصول على  
الاسلحة الاكثر فعالية للحرب النظامية والحرب الشعبية ، وفي  
تأمين التأييد السياسي الشعبي والرسمي .

ثالثا : استخدام القوى الجماهيرية استخداما مناسبا وفعالا ،  
اذ يجب ان تعبأ هذه القوى على اساس استراتيجية الحرب  
الطويلة المدى ، وتكتيكيا على اساس حرب العصابات ، والحرب  
المتحركة .

وبهذا فقط نضمن نمو قوى عسكرية وسياسية قادرة على  
مواجهة التحدي الصهيوني الامبريالي .

واذا ما تركنا التحدي الاول لندقق التحدي الثاني ، وجدنا  
ان اي حديث عن تسوية سلمية ، لا ينطلق من حساب دقيق للقوى  
في المنطقة ، ومن اعتبارات مصالحها القومية الماضية والحاضرة  
والمقبلة ، ولا ينطلق من اعتبارات تكتيكية تستهدف المناورة واعداد  
القوى ليوم منشود ، بل ينطلق من محاولة تكريس « واقع »  
موجود ، وان كان قائما على العدوان ، ويتضمن عدوانا دائما ،  
حاضرا او مقبلا ، ويستهدف فرض رقابة دولية على المنطقة ، في  
غير مصلحتها .

ولعل اهم ما يفضح الاسس التي تقوم عليها محاولة التسوية ،  
هذه : ١- انها محاولة لا تهتم باعتبارات المصلحة القومية لشعبنا ،  
وباعتبارات العدل الحقيقي والسلم الحقيقي ، ٢- انها محاولة  
تجاهل رغبة الجماهير العربية وارادتها .

وما دامت الجماهير تريد الحرب والمقاومة ، فمن السخف  
الحديث عن السلم والتسوية ، حتى لو انتصر العدو مرات ،  
وهزمت الحكومات والجيوش مرات ، وكانت خائفة من الحرب او  
مترددة وعاجزة . ولو كانت الجماهير الروسية سنة ١٩١٧ -  
١٩١٨ ، مستعدة نفسيا للاستمرار في الحرب ، لما قبل لينين عقد  
معاهدة برست ليتوفسك ، مع ان عقد هذه المعاهدة كان تكتيكا

ذكيا ، يقف وراءه حزب ثوري وقائد ثوري ، على نقيض التسوية السلمية المقترحة هنا .

ونحن مع احترامنا للاصدقساء السوفيات ، ولمساعدهاتهم ، وللاعتبارات التي تحدوهم للمطالبة بتسوية سلمية في المنطقة ، فاننا نعتقد ان محاولتهم «السلمية» لن تكون في النهاية الا في مصلحة وجود «الاحتلال الصهيوني» ، لان مشروع التسوية السلمية يتضمن ما يلي :

اولا : اعادة القضية الى الامم المتحدة ، والى مجلس الامن والى الدول الكبرى . وهذا يعيدنا الى الدوامه من جديد ، ويخرج مصيرنا من ايدينا ، ولا يعود علينا بشروي نكير . فنحن نعرف الامم المتحدة جيدا ، والقوى التي تتحكم بها . ولقد جربنا الامم المتحدة عشرين عاما ، فلم نر فيها محقا لحق ، او رادعا لعدوان . ومنذ سنة ١٩٤٧ والامم المتحدة تلعب دور القابله القانونية لماساتنا المتجددة ، ولا تقبل لهذا الوضع ان يستمر . وليس هناك ما يدل على ان الامم المتحدة ، القابله القانونية لماساتنا ، وبلاسي شعوب اخرى ، كشمب الكونغو مثلا ، قد تغيرت او تغير ميزان القوى فيها (١) .

ثانيا : لان «التسوية السلمية» تعني سحق حركة المقاومة المسلحة في فلسطين ، وضرب روح المقاومة التي اخذت تتأجج على الارض العربية . وبما ان حركة المقاومة والروح التي تأججت تجاوبا معها في الوطن العربي هي امل المنطقة العربية في الحرية الحقيقية ، والوحدة الحقيقية ، فان القبول بالتسوية يعني ضرب القوى الثورية ، قوى التقدم والسلام في بلادنا ، ما هو في مصلحة

---

١ - تغير ميزان القوى فيها من ذلك التاريخ نسبيا ، ولكن دور الولايات المتحدة الاميركية الدولي ظل رئيسيا .

قوى العبودية والتخلف والظلام .

لهذا كله تصبح المقاومة المسلحة في فلسطين تحديا للحكومات العربية والجماهير العربية . انها تحدى لانها تضع الجميع أمام مسؤولياتهم ، وتلزم الجميع بأن يختاروا بين الاستسلام والعبودية ، وهذا يعني ان بيروت كعمان كالقاهرة كبغداد ستكون مهددة بالاحتلال كل يوم ومطالبة كل يوم بالاستعداد لمجاهة العدوان ومقاومته ، ولتقديم التضحيات المترتبة على ذلك . وان اي تردد في دعم المقاومة ، او اي احجام عن تحمل اعبائها ، او تقديم التضحيات المترتبة عليها ، سيقود الى هزائم ومآسٍ ومتاعب بلا حدود .

ومن الواضح ان الجماهير اختارت مساندة المقاومة المسلحة ، ولكن هذا الاختيار يلزمها بتنظيم نفسها وتعبئة قواها وحشد كل امكانياتها من اجل خدمة القضية الكبرى : قضية التحرير . وهذا ما يجب ان يتم بسرعة وبفعالية ، تتناسب مع تحرك العدو ، وقدرته على البطش والفتك والتدمير .

المقاومة طريق التحرير ،  
ولا طريق غيرها .

## وقفة بعد معركة أيلول مباشرة

« مشروع تقرير كتب في عمان ،  
خلال النصف الاول من تشرين الاول  
سنة ١٩٧٠ . ولكنه لم يناقش ولم  
ينشر » .

خرجت الثورة الفلسطينية من معركة التصفية ظافرة . ولكن  
ظفرها في حرب الإبادة الاولى<sup>(١)</sup> لا بد من ان يفتح عيوننا على  
الحقائق التالية :

اولا : ان حرب الإبادة القادمة قريبة ، وانها قادمة على كل  
حال ، لان النظام في الاردن بات ، بعد المعركة الاخيرة ، اكثر  
خوفا من قوتنا واكثر تحسبا منها ، ولأن الامبريالية العالمية تعمل  
الآن على « اخراج » حل سلمي ، ولا بد من تصفية الثورة  
الفلسطينية لتحقيق هذا الحل .

ثانيا : ان العدو الذي خبر قوتنا في حرب الإبادة الاولى ، لا  
بد من ان يواجهنا بأسلوب جديد في المرة القادمة ، يتلافى فيه كل  
اخطائه ، محاولا الاستفادة من اخطائنا ونقائصنا ونواقصنا .

ثالثا : ان العدو سيعمل على مواجهتنا في المستقبل مؤمنا ما

---

١ - كان واضحا لي انها الاولى .



يلي :

أ - امكانية بشرية اكبر ، وهذا يعني ان عدد افراد الجيش سيزيد .

ب - امكانية مادية اكبر ، وهذا يعني ان حجم اسلحة الجيش سيزيد من حيث الكم .

د - تعبئة عسكرية اكثر حداثة ، وهذا يعني ان دور الآليات والطائرات سيزيد ، كما يعني ان هنالك نية لاستخدام الجيش بشكل اكثر مرونة يجعله قادرا على مواجهة قواتنا . ومما يشاع الآن ان نية الطغمة الحاكمة تتجه الى تحديث الجيش ، وتحويله الى جيش عصري آلي ، وتقسيمه الى وحدات صغيرة قادرة على الحركة .

رابعا : ان العدو سيختار ظروفًا عربية مناسبة تجعل امكانيات الضغط العربي الفعال غير متوافرة . وسيتيح له هذا حرية الحركة في حرب الإبادة الثانية .

خامسا : ان العدو سيلجأ الى كل وسائل التضليل وأساليبه، وسيستخدم كل وسائل الحرب النفسية ، وسيعمد الى تعبئة جماعات من المضللين والحاقدين والخونة والمرترقة ، ليواجه الجماهير بقوى من الجماهير .

ولذلك ، وبما أننا نضطلع بمسؤولية تاريخية كبيرة : هي مسؤولية قيادة جماهيرنا على طريق النصر ، فإنه لا بد لنا من ان نهتم اهتماما واعيا ومسؤولا بما يلي :

### اولا : النقد والتقييم والمراقبة والمحاسبة

ان اية حركة ثورية تخشى النقد والتقييم ، ولا تولي المراقبة والمحاسبة ما يستحقان من اهتمام لا بد سائرة الى هزيمة ،

وسيقود هذا الى ما يلي :

١ - فقدان الشعور بالعدالة . لان العضو الذي يحس بان قيادته تخشى النقد والتقييم . ولا تهتم بمراقبة الاعضاء ومحاسبتهم . سوف يفقد ايمانه بعدالة القضية التي يقاتل من اجلها . واذا تمزق العضو ، بسبب احساسه بفقدان العدالة داخل تنظيمه تحول الى عضو عاطل مثلول ممزق . وهناك كثير من الاعضاء ممزقون وعاطلون او فاقدو الحماسة فسي حركتنا بسبب مثل هذا الشعور .

٢ - التكتل والتجنح . وفي اللحظة التي يبدأ الاعضاء فيها بالشعور بفقدان العدالة يلجأ بعض منهم الى التكتل والتجنح . اما لان العضو يحس بأنه لا يستطيع ان يصلح الا عن طريق الجماعة ، او لانه يحس بأنه سيظل ضعيفا اذا ظل وحده .

٣ - الثروة والكولسة : ان الاعضاء الذين لا يرون تقييما واضحا وصریحا للامور ، ولا يلمسون ان هناك مراقبة ومحاسبة تتسمان بالحزم والدقة لا بد ان يتجهوا الى الثروة والى الكولسة ، لانهم بذلك ينفسون عما في صدورهم ، ويقومون بالتقييم والنقد وبالمحاسبة والمراقبة التي لا تقوم بها قياداتهم . . . . ولانهم يقومون بذلك خارج دائرة الشرعية التنظيمية فانهم يحسون بأنهم يردون على خرق قياداتهم للشرعية التنظيمية .

والثروة والكولسة تقودان الى التكتل والتجنح ، وتفرخان في ظلهما ، وهما من امراض الشيخوخة والعجز في الحركات الثورية . ومع ذلك فان علينا ان نعترف بان الثروة والكولسة مرضان ما انفكا ينتشران في حركتنا .

٤ - نقص فعالية الاعضاء والمنظمات والاجهزة ، لشعور الاعضاء والمنظمات بان الكسل كالنشاط والاستقامة كالانحراف والمثابرة كالتهاون والشجاعة كالجبن ، ولان الاعضاء المقصرين لا يحاسبون والاعضاء المجيدين لا يشنى على جهودهم ، ولا يتقدمون في السلم التنظيمي .

ان الروح السائدة في الحركة تبغض النقد وترفض التقييم وتجعل من المراقبة والمحاسبة مهزلة .

ولقد تملك قيادات الحركة النظرة الابوية والنظرة العشائرية .

وتتجسد النظرة الابوية في الآتي :

١ - النظرة المتعالية الى الاعضاء .

٢ - النظرة الواثقة المتبرئة من كل خطأ وكل تقصير .

٣ - اعتبار الآخرين بلا خبرة ولا معرفة على اساس ان الخبرة

والمعرفة محصورتان في الذات القائدة .

٤ - احتقار الحوار والناقشة وتسفيه وجهات نظر الآخرين ،

وتقديس وجهات النظر الذاتية .

٥ - مواجهة التساؤلات بالنظرات الشذراء او بالصراخ

والتهديد او بالابتسامات الساخرة .

وبما ان هذه هي صفات الابوة في المجتمعات المتخلفة . فلا

يمكن ان تكون اساس التعامل في حركات التقدم . ان ابوة من هذا

النوع لا يمكن ان تخرج الا ابناء اذلاء او ابناء مشاكسين عاقين .

والحركة الثورية لا تستطيع ان تكون عائلة من الاذلاء والمشاكسين

والعاقين .

ولذلك فلا بد من التخلص من هذه الروح اذا اردنا ان نقوم

علاقات صحيحة بين القيادات والقواعد وبين القيادات فيما

بينهما .

ولن يتم التخلص من هذه الروح الا بما يلي :

١ - اعتبار سلطة المؤتمرات فوق سلطة القيادات .

٢ - تشجيع النقد والتقييم وتعميم اسلوب المراقبة والمحاسبة

٣ - احترام وجهات نظر الآخرين - اعضاء وجماهير .

٤ - اعتماد الاقناع اسلوبا للتعامل والابتعاد عن كل الاساليب

غير الثورية .

٥ - اداة كل محاولة لتقديس الاشخاص او القيادات او

الافكار واضفاء صفة العصمة او الاطلاق او الوحدانية ، عليهم

او عليها .

وتجسدت النظرة العشائرية فيما يلي :

- ١ - عدم اعطاء الزمن الاهمية التي يستحقها .
- ٢ - الاهتمام بالمظهر دون الجوهر .
- ٣ - الاهتمام بالتفاصيل والانشغال بها عن القضايا الاساسية .
- ٤ - تغليب الاهتمام بالكم على الكيف .
- ٥ - تحكيم الامزجة بدل العقول .
- ٦ - تحويل العلاقات التنظيمية الى علاقات شخصية .
- ٧ - الخجل من المصارحة والمراقبة والمحاسبة .
- ٨ - الحساسية من النقد . واعتباره اساءة شخصية مقصودة تستهدف الذات والمركز او الموقع .
- ٩ - الاتجاه الى العمل الفردي واحتقار اللجان والعمل الجماعي .

وهذه الروح لا يمكن التخلص منها الا باعتبار الثورة علما يقوم على التحليل ، لا على المزاجية ، واعتبار الثورة صراعا يقوم على التسابق ، واعتبار الثورة عملا يحتاج الى التخطيط والمراقبة والمحاسبة ، واعتبار الثورة قضية جماهير وصنع جماهير ولذلك فهي تحتاج الى التخطيط الجماعي والمشاركة الجماعية ، واعتبار الثورة تطورا وتحولا وتقدما ، ولذلك فهي بحاجة الى الحسم والحزم والتوجيه والمرونة وعدم الجمود او التحجر الخ .

### ثانيا : مراجعة خطنا السياسي .

هل كان لنا خط سياسي في السنوات الماضية ؟  
كانت لدينا مجموعة من الشعارات السياسية ، ولكن هذه الشعارات لم تعط مدلولها ومضمونها استراتيجيا وتكتيكيا ، حتى

ان القياديين كانوا يختلفون عند شرحها او الحديث عنها . ومن الجدير بالذكر ان هذه القضية لم تحظ باهتمام احد . ولم تصبح محور الحوار والنقد .

الخط السياسي بالنسبة للحركة الثورية هو روحها . وبمقدار ما يزداد وضوح خطها السياسي تزداد قوتها ويزداد التحام الناس بها . وبما ان الخط السياسي هو حصيللة الظروف الموضوعية والذاتية للحركة الوطنية ، فانه بحاجة دائما للمراجعة والتصحيح والتطوير . كما انه بحاجة دائما لان يعبر عن متطلبات المرحلة التاريخية وعن المتطلبات الآتية .

ان هذا يقتضي فهم المرحلة ووعي الشروط الذاتية والموضوعية للحركة الوطنية . فاذا توافر هذا الفهم وهذا الوعي كان الوضوح وكان التحديد .

والوضوح والتحديد لازمان ، لانه بدونهما لا يمكن ان يكون ما

يلي :

١ - تحقيق وحدة الحركة الوطنية ، اذ ان الغموض يقود الى التناقض والتناقض يقود الى التكتل والتجنح والانقسام .

٢ - تحقيق فعالية الاعضاء والمنظمات والاجهزة . لان عدم التحديد والوضوح يقود الى البلبلة وعدم القدرة على توجيه الجهد الرئيسي نحو الهدف الرئيسي ، واضاعة الجهود في نشاطات ثانوية او غير ضرورية ، كما يقود الى الشلل احيانا ، لان شعور الاعضاء بانهم لا يعرفون ماذا يفعلون يجعلهم فريسة للضياع . وفيما يتعلق بالخط السياسي فان هنالك قضايا اربعا تستحق

الدراسة العاجلة :

اولها : قضية علاقتنا مع الجماهير . وهي قضية سوف

نتحدث عنها في باب خاص بها ، فيما بعد (١) .

---

١ - لم يكتب هذا الفصل فيما بعد .

ثانيها : قضية الوحدة الوطنية . ان الوحدة الوطنية عامل اساسي من عوامل النصر . ولقد رفعنا هذا الشعار منذ البدء ، وعملنا من اجله . ولكن عملنا كان يصطدم دائما بثلاث عقبات :

١ - عدم الوضوح ، لاننا لم تكن نحدد ماذا نريد في هذا المجال . ولم تكن نعرف ماذا نريد . هل نريد تنسيقا يقود الى وحدة ، هل نريد وحدة كاملة ؟ وما الذي كان يفرض التنسيق او الوحدة وما الذي كان يعرقلهما ؟

٢ - الدعوة الى الوحدة دون تحديد برنامج عام لها ، او حتى دون تحديد أسس عامة وبديهية ، كما حدث عند اصدار الميثاق في ايار من هذا العام .

٣ - وجود اتجاهات داخل حركتنا ، وداخل المنظمات الاخرى يسلك خطا انزاليا . ومثل هذه الاتجاهات في داخل حركتنا ما زالت تطالب بالخروج من منظمة التحرير ، وما زالت تتشنج عند الحديث عن المنظمات الاخرى . وما زالت هذه العقبات تقف في طريقنا .

وما دامت قضية الوحدة تزداد الحاحا كل يوم فان علينا ان نعترف بان تحقيق هذه الوحدة قد تأخر ، وبأن ما تم في هذا السبيل : خلق اللجنة المركزية وقرار توحيد القوات العسكرية ما زال أشبه بالحبر على الورق . وهناك الآن فرصة متاحة لعملية توحيد تامة يجب ان نسعى وراءها بكل ما أوتينا من قوة .

ولكن علينا اذا اردنا النجاح في هذه الخطوة ان نقوم بما يلي :

١ - تحديد برنامج واضح للوحدة (افضل ان يطرح بعد تحقيق الوحدة) .

٢ - تحديد هيكل تنظيمي مناسب ( افضل ان يطرح بعد تحقيق الوحدة التنظيمية ) .

٣ - مقاومة التيار الضيق الافق ، المتخلف داخل حركتنا ،

والذي يريد ان يحبط هذه المساعي .  
٤ - العمل بكل ما أوتينا من قوة وبالسعة الهائلة لاتمام عملية التوحيد دون افساح المجال للسفسطة والثرثرة ، على ان تضع الوحدة برنامجها السياسي وهيكلها التنظيمي (١) .

ولكن يجب ان يكون واضحا ان العمل من اجل الوحدة يستلزم الاهتمام بوجهات نظر المنظمات الاخرى وتقبلها بكل احتسرام او مناقشتها ونقدها باحترام . ولا يجوز لنا ان نفرض على الآخرين عناصر منا لا تستأثر باحترامهم ولا تستطيع ان تلعب دورا في دفع عملية التوحيد الى الامام . بل تكون عاملا في عرقلتها وتأخيرها . صحيح ان حركتنا اكبر المنظمات واقواها ، ولكن هذه الحقيقة لا تبيح لنا عملية تعال وتجاهل واستهتار بالآخرين ، ولا تبرر لنا ان نملي على الآخرين رغباتنا املاء ، او ان نعاملهم معاملة الشركاء الضعاف الصغار .

وهذا يعني ان عملية الوحدة يجب ان تتم في جو ديمقراطي حقيقي ، يفسح المجال لتفاهم حقيقي ، ولا يتعارض هذا مع ما تفرسه قضية التوحيد من الحاح ، وما تحتاجه من حسم وبتر ، فالحسم والبتر يستخدمان في تصفية الاصوات الشاذة والعناصر الشاذة فقط .

اننا بانجاز مشروع الوحدة الذي بداته عمان نحقق ما يلي :  
١ - وحدة كل قوى الثورة : وحدة الامكانيات البشرية والمادية والخبرات السياسية والعسكرية .

٢ - نقضي على اسباب الزيادة والمهاترة والمكابرة والبلبله .  
٣ - نحول بين الدول العربية وبين لعبة التوازن والتنافس

---

١ - كتب هذا الفصل والوحدة الوطنية تتحقق ، بعد معركة ايلول مباشرة .  
ولقد تم تحقيقها في عمان دون ميثاق مكتوب . ولكن نتيجة احساس غامسر بضرورتها . ولقد قضى على هذه الوحدة بعد قليل من تحقيقها .

التي تلعبها في الساحة الفلسطينية .

ولما كانت حركتنا اكبر المنظمات واقواها فان دورها يصبح اخطر ومسؤولياتها تصبح اكبر ، وهي ستكون المحور الاساسي للوحدة بمقدار ما تناضل من اجلها ، وبمقدار ما تثبت جدارتها بالقيادة ومقدرة على العمل وفعالية في مواجهة المهام السياسية .  
ثانيهما : قضية العلاقة مع الجماهير العربية . لقد طرح خلال السنتين الماضيتين شعار « الجبهة المساندة » ، ولكننا لم نستطع خلال السنتين الماضيتين ان نخلق اية « جبهة مساندة » في اي بلد عربي ، لاننا ناضلنا وقتلنا ، بل لاننا لم نحدد مفهوما واضحا للجبهة المساندة ، ولاننا لم نعمل ولم نبذل اي جهد لخلق مثل هذه الجبهة . وكنا في كثير من الاحيان نتدرع بحجة واهية هي ان اية صلة نقيمها مع الجماهير سوف تقود الى صدامات مع الحكومات .

وعلى الرغم من ان الانظمة العربية شوف لا تتسامح معنا ، اذا لمست اننا نبني جبهة مساندة حقيقية ، فان علينا ان نعمل .  
وعلينا ان نعمل دائما على مستويين :

الاول : رسمي

والثاني : شعبي

ولا بد لنا على الصعيد الرسمي من اقامة علاقات حسنة ، ومن الاستفادة الى ابعد الحدود من امكانيات التعاون الرسمي . وعلينا ان نستخدم كل الوسائل الممكنة للضغط على الحكومات ، ولانتراع المساعدات منها ، ولدفعها الى اتخاذ مواقف مؤيدة للثورة .  
اما على الصعيد الشعبي فيمكننا ان نعمل على صعيدين :  
اولهما صعيد المنظمات الشعبية القائمة ، وذلك بوضع برامج للتعاون معها ، وبادراج قضيتنا ضمن برامجها ، وباقامة علاقات وثيقة مع قياداتها وكوادرها . وثانيهما صعيد العلاقات مع الجماهير عامة . وهنا لا بد لنا من خلق رأي عام مساند لنا ، ومن تجنيد شبكات للعمل ضمن مخططاتنا .



ولا بد لنا في البلاد المجاورة للأرض المحتلة ، وخاصة سورية ولبنان ، من العمل على خلق حركة شعبية مقاتلة الى جانبنا .  
وإذا كان ممكنا فيما يتعلق بسورية اقناع الحزب بالانتقال الى الحرب الشعبية ، فانه فيما يتعلق بلبنان لا بد من الاتجاه الى التعاون مع العناصر الوطنية لخلق مثل هذه الحركة الشعبية المقاتلة .

اننا ، في هذا الوقت الذي نتعرض فيه لحرب ابادة لا بد لنا من انجاز ما يلي :

اولا : خلق حركة شعبية واسعة النطاق ، منظمة ومعبأة تقف الى جانبنا في البلاد العربية ، وتوفر لنا الحماية السياسية والدعم المادي والمشاركة البشرية . وتجبر الانظمة القائمة في كل بلد عربي على الوقوف الى جانبنا في المعارك التي نخوضها .  
ثانيا : خلق شبكات مناضلة تساعدنا على تحقيق هذه الاهداف .

ثالثا : تشكيل جيش من المتطوعين العرب يقاتل الى جانبنا ، ذلك لان زيادة حجم قواتنا المقاتلة لا يزيد فعاليتنا في الارض المحتلة فحسب ، بل يجعلنا اقدر على مجابهة اعدائنا الداخليين .  
ولسوف نجعل قضيتنا قضية كل قرية عربية ، وكل حي عربي ، عندما يقاتل الى جانبنا مقاتلون عرب ، من كل قطر عربي .  
وإذا كان من الضروري ان تظل الثورة فلسطينية تكتيكا ، فانه لا بد من تعريبها استراتيجيا باشتراك الجماهير العربية في القتال .  
ان العجز الذي ظهر في هذا المجال خلال السنوات الماضية لا بد من تلافيه عن طريق :

- ١ - اختيار ممثلين أكفاء وتعيين لجان اقاليم قادرة وكفؤة .
- ٢ - تحديد مدلول الجبهة المساندة والغرض من وجودها وتعميم ذلك على اللجان القيادية في كل الاقاليم .
- ٣ - مراقبة تطور علاقاتنا وعملنا في كل الاقطار العربية ومحاسبة المقصرين والفاشلين .

ويجب ان يمنع من العمل في البلاد العربية كل الذين لا يؤمنون  
بهذا الخط ، وكل ذوي النظرة الفلسطينية الضيقة المتخلفة ، وكل  
الذين لا يستطيعون انتزاع احترام الاوساط الوطنية والاساط  
المتقنة .

## الثورة الفلسطينية امام التحديات الكبرى

« مقالة كتبت في كانسون الاول  
سنة ١٩٧٠ ، من اجل مواجهة عملية  
التصفية التي كانت جارية فسي  
الاردن . ونشرت في مجلة دراسات  
عربية ، السنة السابعة ، العدد  
الثالث » .

من الجدير بالملاحظة ان الثورة الفلسطينية نشأت ونمت في  
وقت كانت فيه حركة الجماهير العربية تتراجع. فاذا كانت اواخر  
الخمسينات هي نقطة البدء بالنسبة للثورة الفلسطينية ، فان هذه  
الفترة بالذات ، هي نقطة التراجع بالنسبة للجماهير العربية .  
وعندما بدأت الثورة الفلسطينية عملياتها العسكرية، في اليوم  
الاول من كانون الثاني سنة ١٩٦٥ كانت حركة الجماهير العربية قد  
بعثت وأخمدت مؤقتا . . . .

وكان تراجع حركة الجماهير العربية على الخارطة السياسية  
في العالم الثالث جزءا من تراجع عام شهدته هذه البلدان . فعلى  
الرغم من انتصارات الثورة الكوبية ، والثورة الفيتنامية ، اخذت

كل القوى الوطنية في العالم الثالث تتراجع : في أمريكا اللاتينية ضربت كل التحركات الثورية وسحقت ، في أفريقيا ضربت التحركات الثورية واسقطت الانظمة شبه التقدمية ( غانا ، مالي ، النيجر ) ، في آسيا ، ضربت التحركات الثورية واسقطت الانظمة شبه التقدمية ( اندونيسيا ، كمبوديا ) . ويسود الان جو من التراجع على مجمل الحركة الثورية ، وان كانت تلك ظاهرة مؤقتة .

كان مقدرًا للثورة الفلسطينية اذن ان تتقدم في عهد تتراجع فيه حركة التحرر العربية وحركة التحرر الوطني في العالم الثالث عموماً . ولهذا السبب عينا اصبحت الثورة الفلسطينية حلم الجماهير العربية وأملاً ، وأثارت الكثير من الاهتمام والتعاطف ، لا في العالم الثالث فحسب ، بل في العالم أجمع .

ولكن تقدم هذه الثورة سريعاً ، وتطور قواها الضاربة ، والانتصارات التي حققتها في ميدان تعبئة الجماهير الفلسطينية ، واعداد القوى المسلحة وكسب المارك من اجل الوجود وحرية الحركة ( لبنان : نيسان و اكتوبر سنة ١٩٦٩ ، الاردن ٤ - ١١ - ٦٨ و ٢٢ - ٧ - ١٩٧٠ ) كان يثير في اوساط الدوائر الصهيونية والامبريالية وفي الدوائر الرجعية العربية اشد الخوف . ذلك ان نمو الحركة الجماهيرية وانتشارها ، وتنامي التعاطف العربي الشعبي ، وتحول المعركة الى معركة جماهير مسلحة ، بازدياد قوى الميليشيا ، كان يضع الجماهير المقاتلة امام اعدائها ، وكان يحوّل المعركة من معركة فلسطينية - صهيونية محدودة الى معركة عربية شاملة ضد الصهيونية والامبريالية .

وبينما كانت الثورة تتقدم ، كانت هنالك مجموعة من العوامل التي ساعدتها على التقدم . ويمكن تلخيص هذه العوامل فيما يلي :  
اولاً : كانت الدول المعنية بالحلول السلمية ، وعلى رأسها الاردن ، ترى في « المقاومة » وسيلة للضغط من اجل حل . وكان الحل المطلوب بالطبع هو « الحل السلمي » .

ثانياً : وكانت هذه الدول الخارجة من هزيمة حزيران مهزومة

ومدحورة لا تجرؤ على مواجهة « المقاومة » ، ما دامت المقاومة قد اصبحت حلما وأملا دون ان تقدم هذه الدول للجماهير حلا يرضي بعضها . وكان هذا الحل مرهونا بموافقة « اسرائيل » والولايات المتحدة . واسرائيل والولايات المتحدة تريدان حلا آخر .

ثالثا : وكانت الصهيونية والامبريالية والدول المعنية ، رجعية وغير رجعية ، ترى ان المقاومة ليست المشكلة التي تخشى ، وان تصفيتها مرهونة بارادة السادة الصهيونيين والامبرياليين والرجعيين .

رابعا : وكانت المقاومة تحظى بتعاطف شعبي كبير وعظيم في كل البلاد العربية ، وفي اوساط العسكريين ، كما في اوساط المدنيين ، ولم يكن من السهل في مثل هذا الجو ان تقام اية دولة بصدام دموي .

ولكن المقاومة تقدمت ، واخذت تشكل عبئا على الصهيونية في داخل الارض المحتلة ، وعلى الحدود ، كما اصبحت عبئا على الانظمة في الاردن ولبنان خاصة . وكانت هذه الانظمة تواجه ضغوطا مختلفة تمثلت فيما يلي :

أ - الهجمات الاسرائيلية على الحدود ، وقد هزت هذه الهجمات الانظمة المتداعية ، وسببت لها ارباكا وهلعا .  
ب - الضغط الامريكى الذي اخذ يتزايد نتيجة تطور عمليات الثورة .

ج - الضغط الجماهيري ، الذي اخذ يزداد ، والذي اخذ يتحول الى شعور بضرورة الاستعداد للمواجهة ، والى ازدياد للانظمة المتهاوية واحتقار لسادتها وسدنتها .  
د - ضغط المصالح ، هذه المصالح الطبقية التي اصبحت مهددة .

ومن هنا بدأ منذ بدء ١٩٦٩ الحديث عن تنفيذ قرار مجلس الامن . واخذ الامريكيون يلوحون للانظمة بأنهم عازمون على العمل من اجل تنفيذه ولكن مقابل ان تقف الحرب ، كل اشكال الحرب

اولا . وحتى يكون ضغطهم فعالا ، كانوا يلوحون ، ثم يقدمون للدولة الصهيونية المساعدات المالية والعسكرية . وكانت «اسرائيل» في الوقت عينه تخوض المعركة على المحاور التالية :

اولا : محور تصفية الثورة في الداخل وسحق قواعدها في الخارج .

ثانيا : محور خلق تناقضات بين الثورة الفلسطينية والانظمة والجماهير العربية عن طريق الاعتداءات المدروسة المستمرة .

ثالثا : محور رفض قبول اية تسوية سلمية لا تأتي عن طريق المفاوضات المباشرة .

رابعا : محور التهويل من خطر التفوق العربي على جبهة قناة السويس من اجل الحصول على المزيد من المساعدات المالية والعسكرية .

وكانت تستهدف من كل ذلك (1) زيادة قوتها العسكرية (2) دفع الانظمة العربية الى سحق حركة المقاومة (3) فرض الشروط التي تريد في اية تسوية مقبلة .

وازاء هذا كله بدأت الانظمة العربية تعد لعملية تصفية . وكانت الصدامات الدامية في لبنان والاردن ، الا ان كل صدام من هذه الصدامات كان يزيد الامبريالية والصهيونية والرجعية قناعة بخاطر الثورة وقوتها .

وبعد الانتصار الذي حققته الثورة في لبنان ، على مؤامرة اكتوبر - نوفمبر 1969 ، والانتصار الذي حققته على مؤامرة العاشر من شباط في الاردن ، اخذت الدوائر الامبريالية - الصهيونية - الرجعية تعمل ليل نهار من اجل تصفية الثورة ، ومن اجل هذه الغاية جرى العمل ضمن الخطوط التالية :

اولا : قامت الولايات المتحدة بالاعلان عن اهتمامها وقلقها لتطور الاوضاع في « الشرق الاوسط » . وعلى اثر ذلك بدأت تظهر جولات سيسكو وتصريحات روجرز التي كان اهمها مشروعه

الخطر .

ثانيا : اخذت الولايات المتحدة تطرح ، في الوقت ذاته ، ضرورة الاهتمام برأي الفلسطينيين ، وضرورة اعتبارهم عنصرا في اية تسوية .

وكان هدف الولايات المتحدة اشعار الانظمة العربية بأنها تريد ان تبدأ جولة حاسمة في المنطقة ، كما كان هدفها اشعار قسم من الفلسطينيين بأن لهم مكانا على مائدة المفاوضات ، وفي اية تسوية مقبلة .

ثالثا : بدأت السلطة في الاردن تهيء لضربة قاصمة فعمدت الى ما يلي :

أ - خلق الاجهزة الخاصة الضرورية للاجهاز على الثورة ، ومنها القوات الخاصة ، والاقسام الخاصة في المخابرات والاستخبارات العسكرية .

ب - زيادة عدد القوات العسكرية وزيادة فعاليتها ، وكان ان كوتت فرقة جديدة من البدو، بعد الغاء قانون التجنيد الاجباري، على اثر ازمة شباط .

ج - اغراق البلد بحملات التشكيك والتشويه والتضليل واختلاق الاكاذيب حول المقاومة ورجالها .

د - الاسترسال في سياسة تقسيم الشعب الى اردني وفلسطيني ، والعمل بكل الوسائل من اجل تحقيق هذه الغاية ، حتى ان السلطة اخذت بتسليح الاردنيين في الاحياء والمناطق تسليحا واسع النطاق ، مستثنية الفلسطينيين ، الا فيما ندر . هـ - العمل بكل الوسائل لخلق هوة ما بين الجيش الاردني والثورة .

رابعا : دفع الدول العربية للصدام مع الثورة الفلسطينية ، وكان مشروع روجرز الورقة الرابعة التي لعبتها الصهيونية والامبريالية الامريكية .

ولقد كانت الثورة مضطرة لخوض معركة ضد المشروع ، لانها

كانت تعلم ان الامبريالية والصهيونية تنويان ان تحققا في ظله  
تصفية الثورة الفلسطينية وتصفية القضية الفلسطينية . وخوض  
معركة مع المشروع كان يعني صداما مع الذين وافقوا عليه .

وعلى الرغم من ان الثورة كانت ترى ان اي صدام جانبي ،  
وخاصة مع الجمهورية العربية المتحدة ، سوف يحقق للامبريالية  
والصهيونية جزء من مآربهما ، الا ان الثورة كانت مجبرة على  
خوض هذه المعركة لاحباط مشروع التصفية ، ودفاعا عن النفس  
امام مؤامرة السحق الرهيبة .

وفي هذه الاثناء حدثت معركة ٧ - ٦ - ٧ في عمان ، وظهر  
العيان المفعول السحري لمشروع روجرز ...  
وهزمت المؤامرة في عمان ...

وبعد قليل انسحبت الدولة الفاصبة من المحادثات التي بدأت  
بعد موافقة اسرائيل ومصر والاردن على وقف اطلاق النار ، بحجة  
ان مصر قدمت مواقع مجموعة من الصواريخ على جبهة قناة السويس .  
ولكن ماذا حدث ؟

لقد حدث على اثر ذلك ما يلي :

١ - قامت السلطة في الاردن بهجمتها الشرسة الوحشية على  
جماهير شعبنا .

٢ - قدمت الولايات المتحدة صفقة اسلحة جديدة لاسرائيل . .

٣ - وافقت اسرائيل على العودة الى محادثات السلام .  
واتضح جليا من هذا كله ان الماطلة في الاستمرار بالمحادثات  
كانت تستهدف الانتظار : انتظار جولة السلطة في الاردن مع  
الثورة ... انتظار ان يثبت النظام حسن نيته واستعداده للمضي  
في مسيرة التصفية .

وكانت صفقة الاسلحة الامريكية وسيلة للضغط على الانظمة  
العربية من اجل الاندفاع في طريق تصفية الثورة . وقضية  
الصواريخ على قناة السويس كانت الرمز فقط . فالصواريخ التي  
كان مطلوبا تفجيرها او تعطيلها او رفعها وابعادها هي قوى الثورة .



وتقف الثورة الان وجها لوجه امام التحديات الكبرى: تحديات الصهيونية والامبريالية وتحديات الانظمة . فالنظام في الاردن ووراءه، من وراهه من الانظمة العربية، مستمر في عملية التصفية، وهو يعتبرها قضية مصرية ، لا تقبل تأجيلا . ولذلك فانه يقوم بعمليات مدروسة تتلخص فيما يلي :

أ - السيطرة على طرق المواصلات سيطرة تامة . ولهذا خاض النظام معركة الرمثا ، ثم معركة جرش . ولهذا طالب بتجريد مخيم سوف من الاسلحة ( يقع المخيم على مقربة من الطريق الرئيسي بين جرش واربد ) .

ب - السيطرة على مدينة عمان والمدن الاخرى عن طريق احتلال مواقع متعددة واستراتيجية في كل الجبال والاحياء تجعل السلطة قادرة على شل اي تحرك مضاد .

ج - توجيه ضربات جزئية فعالة وقاصمة ، تتيح للسلطة كسب مواقع ، وتحقق لها انتصارات معنوية دون ان يقود ذلك الى صدام واسع ، وهي خطة تستهدف على المدى الطويل تحويل بقايا الثورة الى بقايا عاجزة ومشلولة لا تملك قدرة على العمل او المواجهة .

د - زيادة قدرة الجيش عن طريق زيادة عدده وعن طريق تحويله الى جيش آلي ، مقسم الى وحدات قادرة على الحركة السريعة والضربات القاصمة ( طبعا ضد الجماهير وليس ضد اسرائيل ) .

ومع ذلك فان النظام في الاردن حريص على القيام بعملية التصفية هذه وهو يتظاهر بما يلي :

اولا : حرصه على عدم الانفراد بحل القضية الفلسطينية وحرصه على اقامة علاقات وثيقة مع الدول العربية عاممة ، و ج.ع.م. خاصة .

ثانيا : حرصه على استمرار الثورة لتأدية واجبها على خير ما يرام .

وهناك عاملان ييسران تنفيذ هذه المؤامرة .  
الاول : كون اكثر الانظمة العربية موافقة على الحل  
الاستسلامي « ، وكونها تحس الان بانها غير قادرة على الحرب ،  
وغير قادرة على المساهمة في الدفاع عن الثورة . ولقد كانت المبادرة  
السورية في احداث ايلول اكبر مما كنت انا شخصيا اتوقع .  
الثاني . كون الحرية الجماهيرية العربية في حالة انحسار ،  
وكونها مكبوتة ومخدرة وممزقة مؤقتا الى درجة ان احداثا مثل  
احداث ايلول في الاردن لم تحركها .  
والثورة الفلسطينية تدرك هذه الحقيقة . . .

انها تعرف ان الانظمة ستذهب لمساعدتها بمقدار ما تستطيع  
الصمود ، وهي تدرك ان الذي جعل وقف اطلاق النار ممكنا ليس  
مؤتمر القمة ، بل الصمود والثبات والقدرة على المواجهة . ان  
الذين خططوا للمؤامرة كانوا يعلمون ان الدول العربية ستتداعى  
الى مؤتمر . ولكنهم كانوا واثقون انهم سينهون كل شيء قبل ان  
يستطيع المؤتمر الوصول الى قرار . وهذا واضح في امر العمليات  
السري الصادر عن القيادة الاردنية العليا . وهذا ما كانت تعرفه  
قيادة الثورة .

ولعل تاخر الدعوة لمؤتمر قمة ، الى ما بعد اليوم الثالث من  
القتال ، واحباط مهمة النميري في المرة الاولى ، كانا مخططين :  
وذلك من اجل اعطاء الفرصة للنظام الاردني لسحق الثورة .  
والثورة في مثل هذه الحالة لا بد لها من التحرك على محاور  
مختلفة ، اهمها واولها :

١ - ان تقيم تجربة القتال خلال احداث ايلول وتجربة العمل  
خلال السنوات الماضية من اجل ان تكشف نقاط الضعف والقوة  
فيها ، ولكي تضع برامجها المقبلة على اساس تقييم علمي موضوعي  
لاوضاعها ولقواها .

٢ - ان تحدد برنامجها السياسي في المجالات التالية :

١ - علاقة الثورة بجماهيرها الفلسطينية .

ب - علاقتها ب جماهيرها في الأردن .

ج - علاقاتها ب جماهيرها العربية

وفي هذه المجالات لا بد من الانتقال من العفوية الى التخطيط ،  
ومن الارتجال الى الدراسة ، ومن التسبب الى التنظيم .

**فلسطينيا :** يجب ان تعبا كل الجماهير وتدرّب وتسلّح وتوضع  
قواها ضمن مخطط الثورة ، وان يجري التوسع الى الصيغة  
الاوثق في الوحدة . على اساس برنامج حد ادنى واضح ومحدد  
وتقدمي .

**اردنيا :** يجب ان توحد قوى الجماهير وطاقاتها ، وان تحرم  
السلطة من اية فرصة تستغلها للدس والتفرقة .

**عربيا :** يجب ان يجري العمل لخلق الجبهات المساندة للقتال  
والمشاركة فيه ، العاملة على حماية الثورة وتصعيدها . وهذا لن  
يكون الا بخلق صيغة من صيغ التلاحم والعمل مع المنظمات  
الطلائعية في البلاد العربية ومع الجماهير الوطنية فيها .

**واستراتيجيا :** يجب ان يرفع شعار السلطة الوطنية في  
الاردن وان يجري النضال من اجله بقوة وحزم وعنف .

٣ - ان تعيد الثورة النظر في بنائها التنظيمي وفي  
استراتيجيتها العسكرية والسياسية ، بما يضمن :

١ - قدرة اكبر على الفعالية والحركة والمواجهة .

ب - تصعيدها للعمل التنظيمي والسياسي والعسكري وتطويرا

للقوى في كل المجالات ...

فاذا ما استطاعت الثورة ان تتخلص من بعض عوامل قصورها  
الذاتي ، واستطاعت ان تمد الجسر فيما بينها وبين الجماهير  
العربية ، استطاعت ان تسير على طريق النصر .

ولكن هذا يحتاج الى ان تتحرك القوى الطلائعية والجماهير  
الوطنية في البلاد العربية للمساهمة في دحر عملية التصفية  
الجارية الان على قدم وساق . لان تصفية الحركة الوطنية  
الفلسطينية ضربة قاصمة لحركة التحرر الوطني العربية .

## لنكن اوفياء لعهد قطعناه

افتتاحية لمجلة « الثورة الفلسطينية » بمناسبة ذكرى انطلاقة الثورة كتبت في الوقت الذي كتبت فيه المقالة السابقة ، وتشرت في العدد ٢١ ، الصادر في اول يناير (كانون الثاني) ١٩٧١ .

اليوم تنقضي سنوات ست على بداية المسيرة . واننا لانضيف جديدا اذا قلنا بان السنوات الست الماضية كانت سنوات مجيدة ، سنوات انتصارات كبيرة ، ولكنها كانت سنوات شاقة وعسيرة ايضا .

لقد عرف شعبنا خلال هذه السنوات الانتصارات بعد الهزائم ، وتنفس الحرية بعد سنوات قمع واضطهاد وكتب عجاج ، واحس بالكرامة بعد سنوات من المدلة والهوان والخضوع رهيب . واذا كان شعبنا قد عرف هذا كله ، فلانه ناضل وقاتل ، ولانه ثابر وصابر ، مقدما التضحيات الكبار على طريق التحرير والعودة . وخلال السنوات الست الماضية اصبح الشعب الفلسطيني

طلیعة الجماهير العربية في الكفاح من اجل التحرير ، ويات القوة  
الانسانية في القتال ، لا ضد الاحتلال الصهيوني فحسب ، بل  
ضد مؤامرات التصفية والاستسلام ايضا .

ومن هنا كانت المؤامرات منذ بدء المسيرة تلاحق نضال شعبنا  
مستهدفة تصفيته وانهاؤه. ذلك ان الدولة الصهيونية كانت تحابه.  
ولاول مرة حركة جدية تستهدف التحرير . وكان هذا يقرب كل  
مقاييسها السياسية والعسكرية . وكانت الولايات المتحدة  
الاميركية ، حامية حمى الدولة الصهيونية الغاصبة ، وصاحبة  
المصالح الخيالية في الوطن العربي ، ترى في الحركة الجديدة  
عامل تثير للمنطقة وتوحيد لقواها المقاتلة الهائلة . وهذا ما كان  
يجعلها تراقب تطورها باهتمام بالغ . وترمي بثقلها كله في معركة  
مجاهبتها وتصفيتها . وكانت القوى المضادة العربية . والقوى  
الخائفة من الحرب : الميالة الى المهادنة ترى في الحركة الجديدة  
خطرا على « سيادتها » وقدرتها على التحرك . وكانت تفعل كل  
ما تستطيع من اجل سحقها سحقا ومحققا من الجذور .

التقت القوى الثلاث ، وكانت المؤامرة تلي المؤامرة ، والطعنة  
تلي الطعنة . ولكن هذه المؤامرات كانت تهزم الواحدة وراء الاخرى  
والطعنات كانت ترد الى صدور موجهيها . وما ذلك الا لان الثورة  
كانت تستند الى دعمتين :

الاولى : ايمان الجماهير . فلسطينية وعربية . وثقتها ومحبتها  
واستعدادها للدفاع عن الثورة وحماتها وامدادها بكل وسائل  
الدعم والقوة .

الثانية : اصرار الثورة على التمسك بينادقها واصرارها على  
مقاومة كل قيد يوضع امامها . مستهدفا ضربها او تقييد حرية  
حركتها .

وانطلاقا من هاتين الدعامتین استطاعت الثورة ان تهزم  
مؤامرة ٤-١١-١٩٦٨ ومؤامرات ١-٢ و٧-٦ سنة ١٩٧٠ في  
الاردن كما استطاعت هزيمة مؤامرة ٢-١١-٦٨ . ومؤامرات نيسان

وتشرين الاول في لبنان .

وكانت ثورتنا كلما خرجت بانتصار لفتت جماهير أوسع حولها ، وزادت من ثقة الناس بها ، وأرهبت القوى المعادية لها . ولهذا كان التحضير لمجزرة ايلول . ولقد استهدفت مجزرة ايلول ما يلي :

أولا : سحق قوى الثورة نهائيا ، في الاردن أولا ، ثم في لبنان .

ثانيا : تصفية الروح القتالية لدى الشعب الفلسطيني وسحق عزيمته الثورية وفرض المدلة والاستسلام عليه الى الابد .

ثالثا : تبيد المناخ الثوري الذي أخذ ينشأ ويتخمر من حول الثورة في البلاد العربية وفرض جو من اليأس والهزيمة على الجماهير العربية .

رابعا : فرض الحلول الاستسلامية التي تريدها الدولة الغازية

اسرائيل وحليفها الامبريالية العالمية .

خامسا : تصفية القضية الفلسطينية الى الابد وانهاء حكاية

الشعب المشرذ بتشريد آخر .

ولقد قاتل شعبنا وقاوتت جماهيرنا المنظمة والمسلحة قتالا

بطوليا لدحر المؤامرة وسحق المتآمرين . وفي سبيل ذلك دفع

شعبنا التضحيات الكبار ، وتحمل من الآلام والمصائب اكثر مما

تحمل من قبل .

واستطاعت قوى الثورة ان تسيطر على مدن الشمال وان تمنع

قوات السلطة من احتلال عمان .

وجاءت اتفاقية القاهرة بعد عشرة ايام من القتال الضاري ،

مستهدفة ايقاف القتال ، وانهاء الصراع الدموي ، مؤكدة ضرورة

استمرار الثورة وضرورة محافظتها على حرية الحركة .

ولكن السلطة التي عجزت عن ان تحقق ما تريده في القتال

تحاول اليوم ان تحقق عملية التصفية من خلال ما يلي :

أولا : بسط سيطرة السلطة وهيبتها بالدم والحديد والنار ،

مستخدمة كل وسائل الارهاب والقمع الوحشية .

ثانيا : خوض معارك جزئية تؤدي الى احتلال مواقع هامة ،

تحرم الثورة من القدرة على الحركة وتضع البلاد كلها تحت رحمة السلطة .

ثالثا : تغطية عمليات السحق والتصفية باكاذيب عن ضرورة استمرار المقاومة .

ان السلطة ماضية في عملية التصفية ، وهذا يفرض علينا ما يلي :

اولا : ان نهىء انفسنا لعملية مجابهة ، وان نعيد النظر في مخططاتنا وبرامجنا وتنظيمنا على هذا الاساس .

ثانيا : ان نكشف المؤامرة ونفضح القائمين عليها ، طالبين من الجماهير العربية ان تشارك في المعركة التي نخوضها ضد مؤامرة التصفية . واضعين الدول العربية امام مسؤولياتها التاريخية .

ثالثا : ان نعبئ جماهيرنا الفلسطينية تعبئة ثورية وان نعمل على تدريبها وتسليحها وتوعيتها لتزيد من مساهمتها في المعركة مع القوى المضادة .

رابعا : ان نتخلص من كل اخطائنا ونقائصنا لكي نكون التنظيم الاكثر فعالية وتماسكا والاكثر التصاقا بالجماهير والتحاما معها .  
خامسا : ان نعمل من اجل تحقيق الوحدة الوطنية التي توحد جماهير الشعب الفلسطيني من جهة ، والتي تضم كل فصائل الثورة ضمن خط واحد ، وعلى اساس برنامج موحد ، يلتزم به الجميع التزاما كاملا .

ومن هنا فان علينا ان نفي لشعبنا ما وعدنا به ، فنستمر في حمل الراية ، ونسير على طريق التحرير والعودة .  
واننا لا بد قادرين على تجاوز هذه الازمة المعقدة ، ما دمنا مصممين على استمرار القتال ، وما دمنا عازمين على الاستفادة من دروس الماضي وعبره ، وقادرين على ان تطور كل يوم قدراتنا القتالية وخبراتنا النضالية .

اليوم تبدأ سنة جديدة من حياة ثورتنا . وهي اذا كانت تبدأ وقوى الثورة المضادة ماضية في غيها ، فاننا واثقون ان جماهير

شعبنا التي أخرجت من الهزيمة نصرا ، ومن المذلة كرامة ، قادرة  
اليوم على ان تهزم اعداءها . ما دامت تملك السلاح والارادة  
والعزم على القتال . وما دامت تأبى ان تعود الى ظلمات المذلة  
والهوان .

اليوم تبدأ سنة جديدة ،

وفي هذا اليوم تطالبنا جماهير شعبنا ببنادق جديدة وبمقاتلين  
جدد ، وبعمليات جديدة ، وبانتصارات جديدة ..

فلنكن عند حسن ظن شعبنا ..

ولنكن أوفياء لعهد قطعناه ..



## نحو استراتيجية جديدة للثورة الفلسطينية

« دراسة نقدية شاملة لحركة  
المقاومة ، كتبت ما بين ١٨-٢١-١-  
١٩٧١ ، اي بعد بداية التراجعات  
في عمان . ونشرت في « دراسات  
عربية » و « الحرية » .

وتحل هذه الدراسة، فيما تحلل،  
خطورة «جمع» اسلحة الميليشيا في  
الاردن ، مع انها صدرت في نفس  
الشهر الذي اتخذ فيه القرار .

### ١ - مدخل

خاضت الثورة في ايلول معركة بطولية . ولقد استطاعت  
قواتها من المقاتلين والمليشيا ان تصمد عشرة ايام صمودا بطوليا ،  
ضد هجمة وحشية بربرية شرسة استخدم فيها العدو كل  
امكانياته واسلحته ، وكل اساليبه التضليلية .  
ولقد اثبتت الجماهير ، خلال المعركة وبعدها ، انها مع الثورة،

وانها مستعدة للقتال دفاعا عن انجازاتها ، ومستعدة للتضحية بكل شيء في سبيل احباط مؤامرات الامبريالية والسلطة الرجعية العميلة . ولا يقلل من اهمية هذه الحقيقة كون فئات من الجماهير قد صفت ضد الثورة ، او كون بعض المرتزقة والمضللين من ابناء شعبنا قد استخدموا سلاحهم ضد الثورة وقواتها .

ولكن الصمود الذي ابداه مقاتلونا والاصرار الذي ابدته جماهيرنا خلال القتال ، والتضحيات التي قدمها شعبنا دفاعا عن ثورته اخذت تتعرض بعد وقف القتال لخللان ومؤامرة . وقد استهدفت هذه المؤامرة ان تحقق بالناورات السياسية والهجمات الصغيرة ما عجزت عن تحقيقه بالمواجهة والصدام الكبير . انها تستهدف : انهاء الطابع السياسي الجماهيري للثورة ، مقدمة لتحويلها الى ذيل تابع للانظمة العربية ، ومن ثم تصفيتنا نهائيا عندما تحين الساعة .

كيف حدث ذلك ؟

ولماذا ؟

وكيف تستطيع الثورة ان تتجاوز مأزقها ؟  
هذا ما سأحاول الاجابة عليه .

## ٢ - الثورة واستراتيجية التعايش مع الانظمة .

منذ انطلقت الثورة ، يوم الاول من كانون الثاني سنة ١٩٦٥ ، رفعت شعارا واضحا لا لبس فيه : «عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية» . وظل هذا الشعار مرفوعا طيلة السنوات الست الماضية . وبينما كان بعضنا يظن انه تكتيك يستهدف حرمان الانظمة العربية من ميرر اضافي لضرب الثورة ، كان هنالك من يعتقد مخلصا وواقفا ان الانظمة العربية لن تتدخل في امورنا ، ان لم نتدخل في امورها .

وعلى هذا الاساس ، كانت الثورة تكسب مواقع جديدة في المخيمات والمدن والقرى وتبني القواعد الارتكازية على الحدود ، وتقيم المكاتب والمستودعات في المدن ، دون ان ترى في ذلك

«التراكم» السلطوي سببا لصدام مع الانظمة . ومع الايام نمت مظاهر هذه السلطة ، واصبحت الثورة تعتل وتسجن وتعاقب ، وتتدخل في شؤون الازواج والايارات ، وتتجاوز كل القوانين التي وضعتها الانظمة ، حتى انها الفت وظيفة اجهزة القمع في الاردن خلال عام ١٩٦٩ وعام ١٩٧٠ . ومع ذلك ، وعلى الرغم منه ، ظلت بعض اوساط الثورة الفلسطينية تفكر بإمكانية التعايش مع النظام ، وانعكس هذا في مواقفها بطريقتين :

الاولى : - ا عدم القيام بالتمبئة الشعبية اللازمة ، واتهام اية محاولات من هذا القبيل باستفزاز السلطات ، وافساد العلاقات .  
ب - عدم القيام بالعمل لخلق التنظيم المتماسك الفعال ، وعلى النقيض من ذلك تشجيع لامركزية التنظيم والعمل على خلق «الاجهزة المتنافسة» وتشجيع التناقضات داخل كل جهاز .  
ج - عدم اعتبار الوحدة الوطنية مطلبيا استراتيجيا ، واذا جرى الحديث عن الوحدة الوطنية نظريا ، كان مجمل العمل ، وكانت العقلية الهيمنة ضد الوحدة الوطنية . د - عدم ايلاء موضوع تسليح الجماهير وتدريبها اي اهتمام يذكر ، ومحاولة حرمان حتى الجماهير المنظمة من السلاح .

الثانية : اتخاذ موقف دفاعي من السلطة . اذا هاجمت السلطة ندافع ، اذا ضربت نضرب ، واذا توقفت نتوقف .  
وكان ما حدث في ايلول : عدم المقدرة على الاطاحة بالنظام ، وما حدث بعد ايلول : التراجع الاستراتيجي امام السلطة نتيجة حتمية لمثل هذه المواقف .

ان التعايش مع الانظمة ، ومع النظام في الاردن خاصة ، لا يجوز ان ينفصل عن استراتيجية الثورة ، وان يصبح استراتيجية بحد ذاته . لان شعار عدم التدخل هو شعار تكتيكي ، وهو شعار كان ممكنا تطبيقه ضمن ظروف تاريخية معينة ، ولاسباب ذاتية وموضوعية . ولقد كان رفع هذا الشعار في تلك الظروف ضروريا ، ولكن تغير الظروف ، كان يستلزم تجاوز الشعار ، وفي الاردن

خاصة .

ما هو التطور الذي حصل ؟

ان التطور الذي حصل يتلخص فيما يلي :

اولا : زادت قوى الثورة المقاتلة ، على صعيد القواعد المقاتلة والمليشيا الشعبية زيادة كبيرة خلال سنة ١٩٧٠ خاصة . وكان تطور المليشيا ، خلال هذا العام ، تسليحا وتدريبيا تطورا جذريا هاما .

وكان لا بد ان يعكس مثل هذا التطور اثره في موقف العدوين : دولة الاحتلال الصهيوني ، ونظام الحكم الرجعي العميل في الاردن .

ثانيا : تطورت المنظمات الشعبية الجماهيرية : اتحادات العمال والطلاب والمرأة والشبيبة والاشبال والزهرات تطورا كبيرا ، واخذت تمارس عملا يوميا في اوساط الجماهير . وما كان يمكن لنظام مثل نظام الحكم الرجعي في الاردن ، وللمخابرات الامريكية ان تتجاهل مثل هذا الوضع .

ثالثا : الفى هذا التحول الدولة الاردنية واجهتها القمعية ، وحتى المدنية ، وجعلها «بقايا نظام» ، وكان مثل هذا التحدي صاعقا بالنسبة للطغمة الحاكمة وحواشيها .

رابعا : في الوقت الذي كانت فيه بعض اوساط الثورة تتخذ موقفا دفاعيا ، كانت اوساط اخرى تتخذ موقفا هجوميا : لا سلطة فوق سلطة المقاومة ، كل السلطة للمقاومة وللجماهير المسلحة الخ . وكان هذا الموقف الهجومي من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية الديمقراطية يلتقي مع عملية التوسع العسكري والتنظيمي والجماهيري التي تقوم بها حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) . ذلك ان فتح تلقي النظام استراتيجيا ، بالسيطرة على الشارع والمدينة والمخيم ، وبالقاء اجهزة القمع الخ ، ولكنها تعلن انها تتخذ موقفا دفاعيا ، ولا تفتح النار اذا لم يفتح النظام النار . وهذا يعني ان فتح كانت تمارس : كسل السلطة

للمقاومة، بينما كانت الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية تعلنان الشعارات . وبمقدار ما كان سلوك الجبهة الشعبية والجبهة الشعبية الديمقراطية يثير النظام ويستفزه ، فان سلوك فتح كان يربعه ويرهبه .

### هل كانت «فتح» هادفة الى ذلك ؟

لم تكن في الواقع تخطط له ، وان كان فيها من يعمل له لوعيه بضرورته ، او من يعمل له بسبب المطامح والنزوع الى السلطة الذاتية . على الرغم من ذلك فاننا نستطيع ان نقول بان ما حصل من نمو ومن «تراكم سلطوي» كان نتيجة طبيعية لنمو حركة سياسية . فالحركات السياسية لها منطقتها ، والقوى السياسية تتسم بالنزوع نحو النمو والسيطرة والصراع مع القوى السياسية الاخرى .

ولكن هذا ما كانت «فتح» لا تدرك ابعاده جيدا . ولهذا فقد نمت نموا «برّيا» في البدء ، ثم اخذت تتراجع تراجعا عشوائيا فيما بعد .

وكانت المنظمات الاخرى بالمقابل اكثر ادراكا لهذه الحقيقة ، ولكنها عجزت عن ان تكون الجهاز القائد والجماهير المؤيدة ، واطلقت من الشعارات ما لا قبل لها بتحقيقه ، وما يطرحها بديلا للسلطة في وقت هي فيه قاصرة وعاجزة .

وكان هذا التناقض ، بين واقع فتح وشعاراتها ، وبين فتح والمنظمات الاخرى ، وعلى رأسها الجبهة الشعبية والجبهة الشعبية الديمقراطية يقود الى نوع من الشلل على صعيد الثورة الفلسطينية ، والى نوع من الفصام الثوري : شعارات مغالية ولفظ سياسي وجلبه عملية ، ولكن دون خطة ودون اتساق .

خامسا : اصبحت الثورة الفلسطينية ، بقواتها المقاتلة في الداخل وعلى الحدود ، وبقواها السياسية في البلاد العربية عقبة رئيسية امام الحل الاستسلامي . وفي الوقت عينه اصبحت

الانظمة ، وخاصة النظام الاردني والنظام اللبناني اكثر استعدادا من اي وقت مضى للموافقة على «الجل السلمي» . وبالإضافة الى ذلك باتت الاوساط الامريكية الحاكمة والاساطير الحاكمة في الكيان الصهيوني حريصة على انهاء «الجولة» بأسرع ما يمكن نتيجة تخوفها من تطور حركة الثورة ونموها .

وكان هناك عقبة كبيرة : قوى الثورة . هذه القوى التي تشكل شرارة القتال في هشيم المنطقة ، لانها لا تزعج العدو الصهيوني ولا ترهقه فحسب ، بل تضطره لممارسة الحرب على الحدود . وهذه الممارسة تدفع الجيوش العربية الى الرد ، وتنعش جو القتال في المنطقة . كما ان القوى الجماهيرية المنظمة والمسلحة تقف ثابتة وواعية امام المشاريع الاستسلامية، ولعل منع سيسكو من زيارة الاردن ، وفصح مشروع روجرز اعطيا الدليل الكافي على ضرورة استئصال هذه العقبة .

سادسا : وصلت بعض الانظمة الى قناعة بان تطور الثورة الفلسطينية ، اصبح يشكل خطرا على الوضع القائم في المنطقة . ولذلك فقد بدأت تعمل كل بأساليبها ، من اجل وضع حد لهذا التطور . بعضها عمل ما بوسعها لاقناع «فتح» بالتخلي عن المنظمات الاخرى ، وبعضهم حاول اقناع «فتح» بضرورة وحدة اداة الثورة الفلسطينية ، بقيادة «فتح» ، وبضرورة انهاء التشرذم والمزايدة بأي شكل كان ، حتى ولو بالعنف . وسعى بعضهم لاقناع فتح بانها يمين ويسار ، وكان هناك من يشجع «اليمين» على «اليسار» ، ومن يطالب اليمين ب«اليسار» .

ولقد كان رد الفعل على الموقف الذي اتخذته الثورة من مشروع روجرز عصبيا وعنيفا ، وكان الرئيس عبد الناصر اكبر الغاضبين واكثرهم غضبا ، حتى انه قال لوفد اللجنة المركزية الذي قابله ، بعد المشاحنة الاعلامية التي انفجرت على اثر اعلان القاهرة موافقتها على مشروع روجرز ، واعلانها للموافقة على وقف اطلاق النار : «لقد طلب مني الملك حسين عشرة آلاف كلاشنكوف

فوافقت على ذلك» .

لقد كانت هذه التطورات كلها جديرة بأن تؤخذ بعين الاعتبار، وأن يحسب لها الف حساب ، من وجهة نظر أن القوى السياسية تتصارع دون هوادة ، لاسيما اذا كان بينها تضارب في المصالح . ولقد حانت ساعة الصراع بالنسبة للثورة الفلسطينية ، لان القوى المعادية ارادت ان تحسم ، وأن تنهي خطرا يلجم قدرتها على الحركة مؤقتا ، ويتهدد وجودها مستقبلا .

لقد انتهت مرحلة التعايش اذن ، وحتى تكون هناك امكانية تعايش جديدة ، ومؤقتة ، كان لا بد ان يحدث تحول جديد في ميزان القوى . اي لا بد ان تنتصر حركة الثورة انتصارا جديدا ، لان الثورة فرضت التعايش فيما مضى بقوتها ، وبانتصاراتها المتلاحقة ، وبقوة جماهيرها ، فلسطينيا وعربيا : وليس برضى الحكام وقناعتهم ، ولا بقبول كل الانظمة واستعدادها .

وإذا عدنا الى الوراء ، وجدنا ان انتفاضة الجماهير - مع عوامل اخرى ، هي التي حمتنا في ١١-٦٨ ، وان مجابهتنا الفعالة في لبنان ، واندفاعنا الى المعركة بقوة ، هو الذي ، بالاضافة الى عوامل اخرى ايضا ، فرض التعايش المؤقت في لبنان . كما ان مبادرة ميليشيانا وصمودها في معركة ١٠-٢-٧٠ و٧-٦-٧٠ في الاردن ، هي التي فرضت التعايش حتى ايلول .

وكان لا بد كي يستمر هذا التعايش ، وكي نستطيع التقدم خطوة الى الامام ، من ان تكسب جولة جديدة . هذه الجولة هي اقامة سلطة وطنية في الاردن ، كخطوة لتحرير الاردن نهائيا .

وكان مثل هذا الانتصار يجعلنا اقدر على فرض التعايش مع الاعداء ، في الاردن وخارجه (١) ، وعلى تطوير المعركة ، وزيادة التحامها بالجماهير الفلسطينية والعربية ، كما ان مثل هذا الانتصار كان سيجعلنا اقدر على توجيه مجمل السياسة العربية

١ - المقصود هنا القوى الرجعية العربية المعادية .

نحو خط القتال .

فإذا فشلنا ، كما حدث ، فليس أمامنا الا ثلاث خيارات :  
الاول : ان نستسلم ونزول ، وهذا وارد في منطق الصراعات  
السياسية بين القوى السياسية المتطاحنة .

الثاني : ان نتعاش ضمن استراتيجية الانظمة ، والنظام  
الاردني خاصة ، وهذا يعني ان تقبل بأن نصبح ذبلا في استراتيجية  
اخرى . ومثل هذا يكون واردا بمقدار ما يكون النظام او الانظمة  
بحاجة الى ذلك . والخلافات التي تبدو حاليا ، بين بعض الدول  
العربية والاردن حول الموقف من الثورة الفلسطينية ، لا تعدو ان  
تكون خلافات حول هذه النقطة بالذات . فهناك من يريد بقايا قوى  
الثورة للضغط على العدو الصهيوني والولايات المتحدة في سبيل  
القبول بحل سلمي . اما النظام الاردني فهو يريد اكثر من ذلك :  
عملية تصفية نهائية ، وان كان يريد خطوة خطوة . وما حدث  
منذ ايلول حتى الآن دليل على ما نقول .

فالتعاش ليس مرفوضا اطلاقا .

ولكن التعاش يجب ان يكون :

أ - مؤقتا اي ليس موقفا ثابتا .

ب - تكتيكا اي ليس استراتيجية .

ج - يقظا : اي اننا نستعد لمواجهة العدو اذا هاجم ، ونعد

لاضعافه باستمرار حتى اذا لم يهاجم .

ان التعاش المرفوض اطلاقا هو «التعاش الغبي» الذي يريد  
ان يقنع العدو الشرس بإمكانية التعاش معه . التعاش المرفوض  
هو التعاش القائم على اساس إمكانية تلاقي الضدين وتعاقبهما ،  
في كل الظروف ، وعلى اساس حل الصراعات بين النقيضين حلا  
عشائريا . فليس في السياسة «وفاق ابدى» بمعزل عن المصالح  
والمطامح وتغير موازين القوى ، وبمعزل عن حاجة كل قوة الى  
امكانية البقاء اولا والتطور ثانيا والا اندثرت .

والتعاش ، بعد هذا ، وفوق هذا ، يحتاج الى ان يملك كل



فريق القوة التي يحمي بها نفسه . وفي حالة كحالتنا يحتاج الى الجماهير اولا ، والى الجماهير المنظمة تانيا . والى الجماهير المنظمة والمسلحة ثالثا . وما دامت المعركة قد وصلت حد الصراع المسلح ، فان السلاح ذو اهمية خاصة فيها .

### ٣ - التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي الداخل والخارج .

كان في العمل الفلسطيني اتجاهان رئيسيان فيما يتعلق بالنظرة الى التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي . وكان الاول ، يعتبر ان العدو الرئيسي : التناقض الرئيسي هو العدو الصهيوني ، وان ما عداه اعداء ثانويون . وكانت الرجعية العربية ، وقوى الثورة المضادة تعتبر من الاعداء الثانويين . وكان هناك الاتجاه الآخر الذي يرى العدو الصهيوني والامبريالية الامريكية والقوى الرجعية العربية ، واحيانا أنظمة البرجوازية الصغيرة ، العدو الرئيسي .

وكانت قضية العدو الرئيسي والتناقض الرئيسي والاعداء الثانويين والتناقضات الثانوية غير خاضعة لدراسة علمية . ولذلك فقد كان الاتجاه الاول : وعلى راسه عناصر قيادية في منظمة التحرير ، وقيادات كبيرة في حركتنا (فتح) ، يعتبر ان الاتجاه نحو العدو الرئيسي يقتضي وضع كل الامكانيات ضد العدو الصهيوني وعدم الانجرار الى معارك جانبية . بينما كان الاتجاه الثاني . وعلى راسه الجبهة الشعبية والجبهة الشعبية الديمقراطية يريد ان يخوض معركة ضد كل الاعداء مرة واحدة : ضد الصهيونية والامبريالية والبرجوازية الكبيرة والكمبرادور والاقطاع والمثابرة والبرجوازية الصغيرة والاصلاحية والتحريرية الخ ...

وكان للاتجاه الاول انطلاقا من نظرية التعايش . وحرصا على عدم الانجرار الى معارك جانبية . يحرص على التركيز على اهمية العمل في الداخل ، ضد العدو الرئيسي . ولهذا حاول هذا الاتجاه ان يفصل ، وان يعزل عمليا بين ما هو فلسطيني وما هو عربي . ومن هنا اخذت التنظيمات الفلسطينية تنمو ، دون ان ينمو الى

جانبا اي تنظيم عربي ، حتى جبهة مساندة فعالة .  
لماذا حصل ذلك ؟

لان القائمين على هذا الاتجاه كانوا يريدون ان يبرزوا «كيانا فلسطينيا» . وكانوا يحرصون على استقلاليته بشكل عام ، ولكنهم حتى وهم يقيمون هيكل هذا «الكيان» على اراض عربية كانوا يفرضون ان يروا العلاقة الحميمة بين الثورة الفلسطينية والجماهير العربية . وكانوا يريدون ان يكون الفلسطيني مقاتلا والعربي مساندا ، وكانوا يريدون عربا مقاتلين تحت الراية الفلسطينية ، ولكنهم لم يدركوا اهمية ان يقاتل العرب تحت راية عربية ضد العدو الصهيوني .

نحن الفلسطينيون نقاتل في الداخل ضد العدو الرئيسي . واذا ما قاتلنا اكتسبنا احترام الجماهير ، فلسطينية وعربية ، وفرضنا احترامنا على الجميع ، شريطة الا نتدخل ، وشريطة ان يبقى كل طرف من الاطراف العربية الحاكمة راضيا .

ولكن ماذا لو منعنا هذا النظام او ذاك من ممارسة عملنا في الداخل ؟ ندافع عن انفسنا ، نقاتل . وماذا بعد ؟ . . . !  
وكان الاتجاه الثاني ، بالمقابل ، يدرك ايجدية الصراع ، ولكنه لم يكن يدرك علمه ولا يعرف جدله . وكان يعبر عن ضعفه بالشعارات الكبيرة والمغامرات المثيرة . وكان مستعدا لافعال المعارك والانجرار الى المزالق دون ان يتساءل الى اين . وبمقدار ما كان هذا الاتجاه واثقا من قوته ، كان موقنا بالتفاف الجماهير حوله ، وبهزال النظام الذي يحاربه .

وليس غريبا بعد هذا ان نجد مؤتمر الجبهة الشعبية الديمقراطية يتخذ قرارا بتنظيم انتفاضة في آب سنة ١٩٧٠ ، اي قبل المجزرة بشهرا . ولكن استنادا الى اي القوى ؟ واعتمادا على ماذا ؟ هل كان الوضع ناضجا ؟ هل كانت السلطة متداعية ؟ هل كان الجيش مفككا ؟ هذا ما لم تجب عليه الجبهة الشعبية

الديمقراطية بعد (١) .

وكان دعاة الاتجاه الاول يطرحون فلسطينية الثورة نقيضا لعروبتها ، وحتى عندما كان يطرح شعار : ثورة فلسطينية الوجه عربية العمق ، فان هذا الشعار لم يكن يتحول الى واقع ، وكان مما يقال - وهذا ما فاله بعض دعاة هذا الاتجاه ، وبعد مجزرة ايلول - الفلسطيني غير العربي . ونتيجة لهذه الفلسطينية القاصرة لم تستطع الثورة ان تحول العلافه مع مدها الجماهيري العربي الى علاقه يومية وفعالة .

وكان الاتجاه الآخر ، بالمقابل ، يحاول ان يحمّل الثورة الفلسطينية كل مهمات الثورة العربية وكل مسؤولياتها ، ويحاول ان يضرب بسيفه الصغير هامات «الفراعة الكبار» .

وهكذا كان : الداخل نقيض الخارج ، الفلسطيني نقيض العربي ، التناقض الرئيسي مقابل التناقض الثانوي ، ولم تكن هنالك اية علاقة جدلية بين الداخل والخارج ، بين الفلسطيني والعربي ، بين الرئيسي والثانوي . وكانت الامور تبدو احادية ثابتة مستقرة . فالداخل لا يتفاعل مع الخارج ، والفلسطيني لا يتفاعل مع العربي ، والرئيسي لا يتفاعل مع الثانوي . ولقد كان عدم وعي هذه العلاقة الجدلية بين هذه المعطيات سببا رئيسيا في السياسة الجامدة او المغامرة ، «الدفغرية» او المتذبذبة التي انتهجتها فصائل الثورة الفلسطينية .

وبدهي ان الداخل والخارج ساحة واحدة ، وانه اذا كان لا بد لاسباب تكتيكية من التركيز على الداخل لاسباب عديدة ، فهذا لا يعني ان الخارج ثانوي . فالخارج بالنسبة للثورات الحديثة هو مؤخرة الجبهة ، والمؤخرة لا تقل اهمية عن الجبهة . لقد نظم

---

١ - تقول مصادر الجبهة الديمقراطية بانهم اتخذوا قرارا بالامداد لانتفاضة ، وهناك فرق بين تنظيم الانتفاضة والاعداد لها وبين القيام بها .

ماو تسي تونغ «المسيرة الكبرى» لكي يصل الى منطقة يكون ظهره آمنا فيها ، وانشأ الجزائريون معسكرات على الحدود في تونس ومراكش ليستطيعوا بناء القواعد الآمنة . وتلعب فياتنام الشمالية دورا اساسيا في تطوير ثورة فياتنام الجنوبية . ولهذا اعتبر المنظرون العسكريون ان وجود قواعد خارجية عامل اساسي من عوامل انتصار الثورات الحديثة (1) .

والخارج بالنسبة لنا هام جدا لسببين :

اولهما : لاننا لن نستطيع تحقيق الانتصار الكامل بمعركة الداخل وحدها ، لان عدد ابناء شعبنا في الداخل أقل من عدد المستعمرين الصهاينة ، ولأن وضع الداخل لا يساعد الآن على عمليات حرب تحرير شعبية ، وعلى بناء جيش شعبي كبير ، بل يساعد على عمليات تخريب وعمليات عصابات صغيرة ، ولانه لا يمكن تطوير قوات الداخل وتصعيد العمليات في الداخل دون الخارج . ثانيهما : لان قسما كبيرا من ابناء شعبنا الفلسطيني هم مشردون في الخارج ، ولأن الخارج أيضا هو الجماهير العربية ، المعادية للصهيونية والامبريالية .

ومن هنا لا بد ان يلعب الخارج دورا اساسيا في عملية التحرير . وهذا يعني : ١- ان يوفر الخارج التدريب والتموين والدخائر ، ٢- ان يوفر قواعد آمنة ، ٣- ان ينشئ جيشا شعبيا واسع النطاق يستطيع اقامة تماس يومي مع الداخل ، يقوم بعمليات الاغارة المستمرة على الحدود ، وفي العمق، ويقوم سورا مسلحا حول العدو .

هكذا يجب ان تفهم العلاقة بين الداخل والخارج ، وهكذا يجب ان نعمل حتى لا نقتل الداخل والخارج معا .  
ومن فهمنا لقضية الداخل والخارج يجب ان ينبع فهمنا لقضية

---

١ - بوفر، اندريه : مدخل الى الاستراتيجية الحديثة ، دار الطليعة .

الفلسطيني والعربي . وما دامت قضية فلسطين قضية عربية ، وما دامت الصهيوية والامبريالية تسعيان لالغاء الفلسطيني الثوري بالعربي الرجعي ، فانه لا بد من تعريب القضية نضاليا لافادها . والتعريب هنا يعني امرا واحدا : مشاركة الجماهير العربية مشاركة حقيقية في القتال لتحرير فلسطين ، وفي النضال لحماية الثورة . وهذا يستلزم ان نكون مع الجماهير العربية ، قبل الحكومات العربية ، وان نوثق العلاقة مع الجماهير اساسا ، وان نقيم مع الحكومات علاقات لا تشكل قيادا على تحركاتنا ، ولا تفرض على نشاطنا قيودا او حدودا .

وفيما يتعلق بالتناقض الرئيسي والتناقض الثانوي ، فانه مع كون التناقض الرئيسي ، في قضية كقضيتنا ، يبقى رئيسيا حتى يزول ، فان التناقضات الثانوية لا تظل على مستوى واحد من الخطورة . وهي تناقضات تصل خطورتها احيانا خطورة التناقض الرئيسي او تزيد . ومع ذلك فالنظام الاردني من الاعضاء الاساسيين ومن معسكر العدو الرئيسي ، وهو مصمم على تصفيتنا الان ، ولهذا فان خطورته الان قد ازدادت الى الدرجة التي تعطل مسيرة الثورة . وفي مثل هذه الحالة لا بد ان يحسم التناقض معه .

#### ٤ - فصائل منظمة التحرير :

#### وتشردم الوحدة الوطنية .

عندما بدأت فتح الانطلاقة طرحت شعار : الوحدة على ارض المعركة . ثم تطور الشعار فأصبح : وحدة المقاتلين ، ثم اصبح : الوحدة الوطنية ، وتبدل ليصبح وحدة فصائل الثورة الفلسطينية . ومنذ اليوم الاول من سنة ١٩٦٥ حتى الآن مرت ست سنوات . ولكن الوحدة لم تتحقق .

وعلى الرغم من انشاء الكفاح المسلح ، ثم القيادة الموحدة ، ثم

اللجنة المركزية ، فاننا نستطيع ان نقول بان ما تحقق شكلي وسطحي ، ولا يتعدى ان يكون جزءا يسيرا مما كان يجب ان يتحقق .

لماذا ؟

نتيجة الاسباب التالية :

اولا : لان الوحدة لا تتحقق الا على اساس برنامج واضح سياسي وعسكري وتنظيمي . ولم يكن هنالك استعداد لدى اية منظمة لتطوير مثل هذا البرنامج . ودات وجهات النظر التي طرح احيانا هي وجهات نظر بعض الفصائل ، محاولة فرضها على الجبهة . كانت العناصر اليمينية المتخلفة تريد ان تفرض تخلفها على الجبهة ، وترفض ان تقبل غيرها ، وكانت العناصر اليسارية المتخلفة ، ذات الممارسات الطفولية وفوق اليسارية تريد ان تفرض طفولتها ويساريتها المفرطة على الجبهة ، ولا تستطيع ان ترى غيرها . واذا اصبحت تلك امكانية للمعاملة ، بعد نشوء اللجنة المركزية في اوائل ايار سنة ١٩٧٠ ، اكبر من ذي قبل بين فصائل الثورة ، فان الواقع ظل كما هو .

ثانيا : لان الوحدة ، حتى تتحقق ، لا بد من ان تعتبر هدفا استراتيجيا ولا بد من ان يجري النضال في سبيلها على هذا الاساس . فاذا لم تعتبر هدفا استراتيجيا ، وضعت على الرف ، وكلما زاد الحديث عنها ، كلما ابتعدت منالا .

ولم تكن الوحدة الوطنية هدفا استراتيجيا ، بالنسبة لفصائل الثورة الفلسطينية ، بل كانت لعبة تكتيكية تناور بها فصيلة على اخرى ، وكتلة على اخرى .

ولهذا لم يجر النضال من اجلها . وكانت كل فصيلة تنتظر ان تحبط الفصيلة الاخرى مشروع الوحدة ، فاذا لم تجد الفصيلة الداعية او المؤيدة من يتولى القيام بهذه المهمة لم تتورع من ان تقوم بها بنفسها .

ولم يستطع اليمين المتخلف ، كما لم يستطع اليسار المتخلف ،

ان يدرك اهمية الوحدة الوطنية استراتيجيا .  
ثالثا : كانت هنالك ازدواجية بين الشعارات والممارسات .  
فالكل نظريا يدعو للوحدة ، ولكن لا احد يعمل من اجلها عمليا ،  
وكانت الممارسات دائما تقوم على اساس مصالح هذه او تلك من  
المنظمات ، وتنبثق من مطامح هذا او ذاك من القادة . وبدلا من ان  
تخضع هذه المصالح والمطامح لاستراتيجية الوحدة الوطنية خضعت  
الوحدة الوطنية لهما .

ولقد اضعفت الازدواجية بين الممارسات والشعارات قضية  
الوحدة الوطنية .

وكانت هنالك ازمة ثقة ، بسبب هذه الازدواجية . فما يقال  
في الجلسات غير ما يقال في الكواليس ، وما ينشر غير ما يضمن .  
وفوق هذا فما تقرره اللجان والمجالس غير قابل للتطبيق او  
التنفيذ .

رابعا : كانت اكثر الدول العربية ضد الوحدة الوطنية  
الحقيقية ، اما لان بعضها كان يشجع سياسة التوازن ، لمصلحة  
ابقاء القوة الفلسطينية مجزأة ومشتتة ، او لان بعضها كان يتبنى  
طرفا ، دون الاطراف الاخرى ، ويمده بأسباب البقاء ، فيحس انه  
في غير حاجة الى الوحدة . وكان هنالك من يضغط ، كما ذكرنا ،  
في اتجاه اذابة الفصائل كلها ضمن اطار المنظمة او فتح . وكان  
الطرح الاخير يبرر نفسه بضرورة انهاء الشرذمة في الساحة  
الفلسطينية ، وتنقية العمل الفلسطيني من الشوائب ، وتصفيته  
من العقيلة الحزبية والافكار الدخيلة .

وظلت فتح تتعرض لضغط هائل من اجل القيام بهذا الدور ،  
وكانت قبل ايلول ترفض ذلك باصرار ، فهل اصبحت بعد ايلول  
مستعدة له ؟ ان بعض التصريحات الاخيرة التي صدرت عن  
مسؤولين في فتح تاتي مؤكدة الاتجاه في هذا الطريق الذي كان  
يطرح نفسه بأشكال مختلفة ، سرية وعلنية ، فيما مضى .  
خامسا : كان هنالك اختلاف كبير حول موضوع الوحدة ،

واختلاف اكبر في اسلوب طرحها . وكان الحوار اشبه ما يكون «بحوار الطرشان» كل يعني على ليله . فبعضهم تعني الوحدة بالنسبة له وحدة الثورة مع الجماهير ، وطارحو هذا المفهوم من الذين لا يؤمنون بالجماهير ، وليس لديهم قليل او كثير من الروح الثورية . ولكن ما معنى وحدة الثورة مع الجماهير ، واية جماهير يقصدون ، وهل الثورة شيء والجماهير شيء آخر ؟ واين موقع المنظمات والاحزاب والآراء والاتجاهات في هذه الوحدة ؟ الجواب: لا منظمات ولا احزاب ولا آراء ولا اتجاهات ، هنالك فقط قضية التحرير والعودة من شاء فلينضم ، ومن لم يشأ عليه ان يقعد في بيته او ان يحسم امره .

وبالطبع فان مثل هذا الاتجاه المطلق الضيق الافق يريد الغاء كل تناقضات الوضع الفلسطيني ، وكل ما اختمر فيه من آراء وافكار بجرة قلم ، وهو لا يقدر حقيقة اوضاع الثورة الفلسطينية ، ولا يحسب ما سيجره مثل هذا الاتجاه على الثورة الفلسطينية . ومن الضروري ان نذكر ان فرانكو وتشان كاي تشك طرحا مثل هذه الآراء من قبل ، وواضح الى اين قادا بلديهما .

هذا الاتجاه تصفق له الانظمة العربية ، من عمان الى الرباط عبر الرياض ، لانه يحقق لها اهدافها ، ولانه يحسم الصراع في الساحة الفلسطينية لمصلحتها ، اذا ما قدر له ان ينجح او يحول دون امتداد شرارة الثورة الفلسطينية الى الهشيم العربي .

وكان هنالك ، بالمقابل ، تقيضا لهذه النظرة الطبقية المغلقة التي تريد بها شرائح البرجوازية (كبيرة ومتوسطة وصغيرة) الاشد تخلفا تحقيق سيطرتها الكاملة ، نظرية طبقية مغلقة اخرى ، وهي نظرية شرائح اخرى من البرجوازية (صغيرة ومتوسطة وكبيرة) لا ترى الا البروليتاريا قوة مخلصة وشجاعة . وبما انها لم تكن ممثلة للبروليتاريا ، ولا لايدولوجيتها العلمية ، فانها كانت تحاول ان تجعل من التشدد الصبنياني علما ، ومن «المراجل» الطفولية نضالا .



وأصطدمت نظرة طبقية مغلقة ، تنفرز من سماع كلمة ماركسية مثلا ، او طبقة او نضال طبقي ، بنظرة دوغمائية جعلت من الطبقة اسطورة وميثولوجيا وقابو ، وجعلت من البروليتاريا مهزلة مضحكة مبكية ، ومن نظريتها سيركا يلفظ فيه المهرجون .

وبين هاتين النظرتين المغلقتين راح الانتهازيون والمرتزقة يترنحون ذات اليمين وذات الشمال ، ويلعبون على كل الحبال .

سادسا : وكانت هنالك عقدة المنظمات الكبرى والمنظمات الصغرى . المنظمات الكبرى تنظر باستخفاف الى المنظمات الصغرى . الجبهة الشعبية تقول: نحن وفتح المنظمات الرئسيستان ، اذا اتفقنا حلت مشكلة الثورة الفلسطينية . واذا اباحت الجبهة الشعبية ان تعتبر نفسها منظمة كبرى ، فان «فتح» لا توافقها على ذلك ، فليس كبيرا الا فتح ، وما تبقى صغير . والمنظمات الصغيرة لا ترى ان حجم المنظمات الكبيرة يجب ان يسمح لها بالغاء الآخرين ، منطلقه من ان الصغير يكبر والكبير قابل لان يصغر ، ومن ان لثورات بالافكار وليست بالاعداد .

وكانت مشكلة «فتح» انها تعتبر نفسها ابا ، وتعتبر الآخرين «اولادا» . وكانت تنظر الى هؤلاء الاولاد نظرة الاب في المجتمعات المتخلفة الى «ابناؤه الاشقياء» . فهي تريد ان تضبط افكارهم وتصرفاتهم ، وهي تعتبر نفسها مسؤولة مسؤولية كاملة ، وهي تعتبر ان من مسؤوليتها الا تسمح لهؤلاء الاولاد بان «يعبثوا» ، فاذا ما خرجوا عن اطار التفكير الذي تمارسه ، او قاموا بعمليات لا ترضى عنها ، اثاروا السخط الشديد والنقمة العارمة .

وكانت الجبهة الشعبية خاصة والديمقراطية والمنظمات الاخرى ، تريد ان تثبت انها في الساحة ، وانها كبيرة وفعالة وقادرة على ان تفعل ، وعلى ان تنافس ، ولذلك كانت تقسوم «بالمفامرات» وتحاول كالصبيان في مرحلة معينة ، من ان تصطنع مظاهر الرجولة ، وتضرب بالعصي الكبيرة .

وكان طبيعيا ان يقود هذا الشعور بالنقص الى المهاترات

## والمكابرات والزائدات .

وكانت هذه المنظمات تأكيدا لاستقلاليتها ولشخصيتها ، وفي محاولة للانتفاخ المادي والمعنوي تحرص على سلوك سياسة استقلالية انغزالية ، ردا على استقلالية الاب المتخلف ، وانتقاما منها .

ان عقدة الصغر والكبير في ميدان الثورة الفلسطينية لعبت نفس الدور الذي تلعبه في المجتمعات المتخلفة الآخذة في الانحلال: تشنج وجمود واحتقار من جهة ، واستقلالية وتفرد واغتراب من جهة اخرى .

ولم يستطع الكبير ، المعتد بسنه وخبرته وابوته ومكانته ، ان يلم ابنائه ، ولا استطاع الابناء «الاشقياء» الفرديون المتمردون الحالون الواهمون ان يجدوا جسرا يجمعهم بأبيهم ، على الرغم من جلسات المجاملة العائلية ، والشجارات العائلية والترضييات العائلية .

سابعا : وكانت الممارسات الخاطئة ، بمختلف أشكالها : الفردية ، الارتجال ، ضيق الأفق ، احتقار وجهات نظر الآخرين ، اللامبالاة ، الانفلاق والتفوق ، العشائرية ، الخ ، تفسح المجال لكثير من الاشكالات ، وتؤدي الى تعقيد الامور الواضحة ، والى خلق حساسيات وحزازات ومواقف حدية .

لهذا كله واجهت الثورة مؤامرة السابع عشر من ايلول دون ان تكون قادرة على خلق قيادة موحدة تقود كل التنظيمات . وبدأ القتال ، دون ان تتمكن القيادات الموحدة التي عينت في اربسد وجرش وغيرها ، ودون ان تتمكن اللجنة المركزية في عمان ، من ان تجري تنسيقا بين القوى المختلفة .

وما حدث خلال القتال كان طبيعيا ، ولكنه كان اقرب الى التجمع المفوي ، منه الى الالتحام المنظم .

وحدثت بعد ايلول مباشرة وحدة ميليشية كاملة في عمان ، انطلقت من ايمان القواعد بضرورة الاستعداد للمعركة المقبلة سريعا ،

ومن ضرورة إنهاء التشرذم ، ومواجهة المؤامرة الشرسة بقسوة  
موحدة . ولكن عقلية القيادات قتلت هذه الوحدة. اليمين المتخلف  
اعتبرها انتصارا لليسار ، واليسار الفرّخاف ان تكون انتصارا  
لليمين . واخذ بعض القادة يحسبون اين سيكون مكانهم في هذه  
الوحدة ، وعلى هذا الاساس قرروا موقفهم منها .

وهكذا رأينا من كانوا على المنابر ماويين أصبحوا خائفين على  
اصالة الثورة الفلسطينية من روح اليسار النجسة ، ومن كانوا  
يقولون : وحدة كاملة تحت الرصاص والقنابل ، أصبحوا بعد ان  
توقف اطلاق النار ووصلوا دمشق او بيروت يقولون : لا بد من  
التريث .

وكان هنالك الماكرون الذين انتظروا ان يقول غيرهم : الوحدة  
بحاجة الى التريث والى الدراسة فصاحوا صيحة المنتصرين :  
المنظمات الاخرى لا تريد وحدة .

وكان هنالك في فتح من يقول : المنظمات الاخرى سقطت ،  
انتهت في معركة عمان . لم يبق منها شيء فعن اية وحدة  
يتحدثون ؟

وهكذا ما تزال فصائل منظمة التحرير شراذم الثورة  
الفلسطينية .

## ٥ - أفكار حائرة وممارسات «قراقوشية» .

الازدواجية والفصام في مجالي الفكر والممارسة كانا ظاهرة  
واضحة وملموسة . وبمقدار ما كانت الافكار حالمة وواهمة  
وفضفاضة وقاصرة ، كانت الممارسات فظة وعلبائية وعشوائية  
ومنفرة .

وكانت هذه الازدواجية تعود الى ما يلي :  
اولا : كان الفكر حلبة ستر ، وكان مجال مباحة واستقطاب .  
وهذا ما كان يجعله يتلون حسب المناسبات والحاجات . ولم يكن

الفكر نتيجة فئات عميقة ودراسات جادة .  
ولهذا كان «الفكر» وسيلة من وسائل المزايدة والمهاترة . وكان  
هناك من يظن بأنه يستطيع ان يناور بالافكار كما يناور في  
السياسة .

وما يروى عن نايف حواتمه ، انه في صيف سنة ١٩٦٩  
استقبل مجموعة من الاوروبيين ، الماويين والتروتسكيين . وكان  
قسم منهم يتكلم الفرنسية وقسم يتكلم الانجليزية . واخذ نايف  
يتحدث والى جانبه مترجمان : احدهما للفرنسية والآخر  
للانجليزية . وكان يطلب من المترجم الانجليزي الا يترجم بعض  
المقاطع ومن المترجم الفرنسي الا يترجم مقاطع اخرى ، لانه كان  
يريد ان يرضي الطرفين في وقت معا ، وعندما خرجت المجموعة  
كانت كلها غاضبة . والسبب ان بعض من في المجموعة الانجليزية  
يفهم الفرنسية وبعض من في المجموعة الفرنسية يفهم الانجليزية (١) .  
ومارس مثل هذا اللعب بالفكر عن طريق اطلاق التعميمات  
والجمل الانشائية ، وعن طريق «التحليلات العشوائية» والمساجلات  
الانتقائية

ووصلت الامور ببعضهم ان يسف الى حد السفسطة ، وان  
يبالغ في احتقار عقل قرائه وسامعيه . وفي «فتح» مثلا حاول  
احد هؤلاء المسفسطين ان يرد على الماركسيين والمتمرکسين فقرروا  
ابتداع تصور نظري يفحم فيه المنظمات جميعا . ولم يمر طويل  
وقت حتى سمعنا بالنظرية الجديدة : هنالك من يهرب الى اليمين  
وهناك من يهرب الى اليسار ، اما نحن فنهرب الى الامام .

---

١ - هذا ما رواه لي الاشخاص الذين حضروا الندوة . وقد رووه في اجتماع  
حضره نفر ليس بالتليل ..

وعليه فنحن لسنا يميناً ولا يساراً نحن التقدميين الجدد .  
نحن اذن لا يمين ولا يسار ، نحن فوق اليمين واليسار ، ولكننا  
مع ذلك تقدميون جدد ، « والتقدميون الجدد » ليسوا مثل  
التقدميين عموماً ، لان التقدميين من اليسار ونحن لسنا منه .  
ولكن كيف نكون لا يسار ولا يمين ؟ وهل تستطيع حركة وطنية ،  
حتى لو كان يقودها امير الافغان ، ان تكون لا يمين ولا يسار ؟  
انها لا تستطيع . لان الذي يحدد موقع اية حركة يميناً او يساراً ،  
هو الدور الذي تلعبه سياسياً ، فاذا كنا حركة تحرير فعلاً ، فنحن  
من قوى اليسار حتماً . اما اذا قيل ان هدف مثل هذه السقسطة ،  
مثلاً ، التمايز عن اليسار التقليدي او المفاخر ، فاننا نقول : ان  
رفضنا لليسر التقليدي والمفاخر ودحضنا لهما لا ينفي عنا اننا  
اليسار الحقيقي .

وكانت ترتبط بمثل هذا الموقف مواقف أخرى تقول تارة بأنه  
ليس هنالك طبقات في الشعب الفلسطيني ، وتقول طورا ان قضية  
التحرير تجمد كل شيء . ولكن هل صحيح انه ليس هنالك طبقات  
في صفوف الشعب الفلسطيني : اغنياء وفقراء ، برجوازية تجارية  
وبرجوازية صغيرة وعمال وفلاحون ؟ هنالك طبقات في صفوف  
الشعب الفلسطيني وهذه الطبقات لها مصلحة الآن ان تلتقي من  
اجل التحرير ، والتقاؤها لا « يجمد » تناقضاتها مؤقتاً ، لان  
التناقضات لا تجمد ، انما يوجه قواها ، ضمن برنامج وطني ،  
نحو العدو الرئيسي : الاحتلال الصهيوني .

وانطلاقاً من مثل هذه الافكار القاصرة كانت تطلق مثلاً تعميمات  
مثل : « الطبقي يفرق ، الوطني يوحد » ، وكان مثل هذا التعميم  
ينطلق من موقف يرفض الصراع الطبقي ، ويعتبره صراعاً غير  
وطني ، لا حرصاً على وحدة شعبنا من اجل تحرير فلسطين ، بل  
حرصاً على مصلحة طبقة مستغلة ، تريد ان تسحق الطبقات  
الآخري .

وإذا كانت هذه النظرة تمثل الاوضاع العربية القائمة ، وفكرها

الاشد تخلفا ، فان اليسار الفر ، في طرحه لقضية الطبقة والقضية  
الطبقية ، فد جعل الطبقة ضد الامة ، والطبقي غير الوطني . وكان  
في ذلك يضع الحب في طاحونة الاتجاه الاول .

الاتجاه الاول كان يقول : هنالك الامة . وليس هنالك طبقات ،  
اما الاتجاه الثاني فكان يقول : الطبقة فوق الامة .

ومن هذه الافكار العامة الفكرة التي تقول : «ثورة فلسطينية  
القلب عربية العمق والامتداد» ، وذلك في محاولة لتحديد علاقته  
الثورة الفلسطينية بالثورة العربية . ولكن ما معنى ذلك لا ماذا  
يعني هذا الكلام ؟ هل يستطيع هذا «الانشاء» ان يتشكل اي مفهوم  
واضح للثورة وعلاقاتها .

ولو عدنا الى «انشاء» الثورة الفلسطينية ، وهو كثير ، لوجدنا  
الكثير من مثل هذه التعميمات ، وهو ما سنعالجه بدراسة  
مستقلة .

ولكن عمومية الافكار وعشوائيتها في كثير من الاحيان ، وعدم  
علميتها ما كانت تلغي صحة قضيتين هما : قضية التحرير واتباع  
حرب الشعب الطويلة المدى طريقا اليه .

الا ان هذه الضبابية والتزوع نحو التعميم ، ومحاولات ايجاد  
التبريرات والتفسيرات السفسطائية ، وعدم الالتزام بمنهج في  
البحث ، كان لا بد من ان يؤثر على مسيرة التحرير . ذلك ان  
مسيرة التحرير تحتاج الى خط سياسي سليم وخط عسكري  
سليم وخط تنظيمي سليم ، وهذا لا يتوافر بالتعميمات والتبريرات  
والتفسيرات السفسطائية .

واذا كانت الافكار لا تخضع لمقياس غير الارتجال والمزاجية ،  
فان الممارسات كانت عفوية . ولما كانت الثورة ممارسات ، وكانت  
الممارسات في الثورة تحتاج الى المقاييس اولا ، والسى المراقبة  
والمحاسبة ثانيا ، حتى لا تنمو الاشجار البرية في حقنا ، وحتى  
نكون قادرين دائما على التفريق بين الخطأ والصواب ، فاننا  
نستطيع ان نقول بأن ثورتنا كانت بحاجة الى هذين الشرطين

الضروريين: المقاييس والمراقبة والمحاسبة .  
ولقد كان طبيعيا في ظل غياب هذين الشرطين ان يحدث ما يلي :

اولا : ان تكون الممارسات عشوائية ، مزاجية وشخصية ومنبثقة من وعي الاعضاء والقادة ، ومن اخلاقياتهم التقليدية او الشخصية .

ثانيا : ان تكون الممارسات في الثورة استمرارا للممارسات في الحياة الاجتماعية : الجاملة على حساب النقد ، الحساسة على حساب النقد الذاتي والنقد ، الماطلة على حساب الحسم والعمل والجد ، الذاتية على حساب الموضوعية ، الارتجال على حساب التخطيط ، الخ ، وهكذا كانت كل فظاظات الحياة اليومية وعبوها تنتقل الى داخل الثورة .

ثالثا : ان تكون الممارسات في الثورة عفوية ، مما اتاح المجال لنمو الكثير من الاشجار البرية والسامة في صفوفنا . وقد اتاحت هذه العفوية للمرتزقة والانتهازيين ان يتسللوا وان يتستروا باسم الثورة ، كما قادت الى فساد كثير من الطيبين المتحمسين .

رابعا : ان تكون الممارسات المتخلفة معرقة ومعطلة ، وأن تقود كثيرين الى الشعور بالظلم ، وكثيرين الى فقدان الحماسة ، وكثيرين من الكوادر الجيدة الى التوقف عن العمل في الثورة .

وفي مثل هذه الظروف نمت البيروقراطية وروح الارتزاق ، وسادت الروح الاستعراضية، وسيطرت عقلية الارتجال، وتفشت عقلية الاستزلام ، وانتهى المفهوم الثوري للديمقراطية ليصبح النقد جريمة ، ولتصبح المناقشة تهمة ، وليكون التهديد او السخرية المرة جواب الرأي الواضح السليم .

وكان طبيعيا ان يقود هذا كله الى انتشار التكتل والى تفشي مرض الكولسة والثرثرة والاعتياب .

#### ٦ - اخطاء بلا اخطاء ونقد بلا نقد .

ارتكبت الحركة الوطنية الفلسطينية عموما كثيرا من الاخطاء

الاستراتيجية والتكتيكية ، وكثيرا من المخالفات الهامة على صعيد  
الممارسة العملية . وكان ما حدث في ايلول ، وما بعد ايلول ،  
كافيا لاقتناع الجميع بأنه لا بد من النقد ، لا بد من كشف الأخطاء  
واسبابها ، لا بد من الاعتراف بالأخطاء اعترافا شجاعا ، وتجاوزها  
بوضع برنامج عمل ثوري ، واضح ومحدد ، يعبر عن ارادة شعبنا  
في التصميم على التحرر ، وينطلق من الظروف الواقعية للثورة  
الفلسطينية ، ومن الشروط والمبادئ التي تجعلها قادرة على  
الانتصار .

ومع ذلك فان شيئا من هذا القبيل لم يحدث .  
لماذا ؟

هنالك أربعة اسباب رئيسية :

الاول : ينبع من كون قيادات الحركة الوطنية الفلسطينية التي  
تعودت على الممارسات العفوية والتقييمات المزاجية غير قادرة  
على ما يبدو على اجراء تقييم جدي للوضع : لتجربة الماضي  
ولتجربة المستقبل .

الثاني : ينبع من كون هذه القيادات ، المؤسسة ، والتي تحظى  
باخترام لا حدود له تخشى النقد وتخافه ، وتعتبر انه يمسه في  
الصميم : يمسه شخصا .

الثالث : ينبع من كون الاكثرية من هذه القيادات تريد ان  
تمسك بمواقفها ، وان تحافظ على هذه المواقف ، وتعتبر بأن  
النقد او الاعتراف بالأخطاء يهددها .

الرابع : ينبع من كون هذه القيادات عموما لا تريد ان تعطي  
للأعضاء وللكوادر والمراتب القيادية الأدنى منها حق الانتقاد ، ولا  
تريد ان تسجل سابقة نقد وتخطئة ، لان مثل هذه السابقة ستقود  
حتما الى تشجيع القواعد والكوادر والمراتب القيادية المختلفة على  
ممارسة حقها الطبيعي ، وعلى ممارسة ضغط على القيادات ، وعلى  
محاسبتها وابعادها ان اقتضى الامر .

لهذه الاسباب جرى الحديث لما من الأخطاء ، ولكن لم يجر



التحليل العلمي والمناقشة الموضوعية في الداخل ، حيث المكان الطبيعي لمثل هذا الحديث والتحليل ، لان مثل هذا التحليل ومثل هذه المناقشة سيؤديان الى كشف اسباب الاخطاء الحقيقية . اما الحديث في الخارج لاما . فسوف لا يكشف شيئا ، ولا يحدد مسؤولية احد .

وكان مما يشير الانتباه ان فصائل الثورة لم تجرؤ على مواجهة الجماهير بالاخطاء ، ولا جرؤت على ممارسة اي نوع من النقد . وهناك تقرير من الجبهة الشعبية الديمقراطية نشرته الحرية ، لا يخرج عن اطار العموميات ، ولا يحدد الاخطاء واسبابها بدقة . وسوف يناقش هذا التقرير في دراسة اخرى .

الاعضاء والكواذر والقيادات ليس من حقهم ان ينتقدوا ، وليس من حقهم ان يقيّموا ، والجماهير ليس من حقها ان يقال لها ما الخطأ وما الصواب ، ولماذا هاجمنا او تراجعنا ، ولماذا انتصرنا او هزمنا . ولكي «تلفف» القضايا وتضيع يجري حديث عام عابر، احيانا ، عن اخطاء ، هي في الواقع غير الاخطاء الحقيقية ، ولكن حتى هذه «الاطياء الوهمية» يجري الحديث عنها تحت شعار : من يعمل يخطئ . وبالطبع من يعمل يخطئ وجل الذي لا يخطئ ، ولكن هنالك فرق بين الذي يعمل ويتخلل عمله اخطاء ، وبين من يعمل فيفقد الى هزيمة حزيران . ثم من الطبيعي ان يحدث خطأ ، ولكن الاخطاء اذا لم تحدد وتناقش وتعرف اسبابها الحقيقية ، واذا لم يجر العمل على بتر الجذور التي ولدتها ، فانها ستكون صغيرة وتكبر ، وسوف تؤدي الى انحرافات .

ولقد حان للثورة الفلسطينية ان تراجع مسيرتها من حرب حزيران حتى الآن ، وان تناقشها استراتيجيتها وتكتيكها : خطها السياسي والتنظيمي والعسكري ، وان تعيد النظر في اساليبها وممارساتها ، فاذا تلكات او امتنعت ، واصرت على اساليبها وممارساتها ، على استراتيجيتها وتكتيكها ، على خطها السياسي والعسكري والتنظيمي ، فانها لا بد سائرة على طريق التراجع ،

كما هو حادث حاليا .

ان محاولة استغلال الجماهير والاعضاء والكوادر والقيادات عملية ليس من السهل ان تتخذ احدا . والاخطاء التي يكشفها العمل اليومي والمارسات اليومية . وتفضحها الاحداث ليس من السهل اخفاؤها ، ولا من المصلحة اخفاؤها . والتنظيم الثوري المقاتل الذي يجب عن ان يكون شجاعا امام نفسه ، يجب عن مصارعة الاعداء : الداخليين والخارجيين . الاساسيين وغير الاساسيين ، الرئيسيين والثانويين .

### ٧ - الجبهة والمؤخرة .

#### المقاتلون والمليشيا .

قوة الجبهة من قوة المؤخرة . والجبهة التي لا مؤخرة لها تحميها جبهة معرضة للسقوط والانهيار . ولهذا السبب يركز الفيتناميون ، مثلا . على اهمية المؤخرة .

واذا كانت الجبهة هي المقاتلون في خطوط النار ، فان المؤخرة هي الجماهير المنظمة المسلحة القادرة على حمايتهم وحماية خطوط مواصلاتهم وامدادهم بالرجال والمال والمؤن والطمأنينة والتفوق المعنوي . ولئن كان هذا ينطبق على كل الثورات ، فانه اكثر اهمية بالنسبة لثورتنا ، وذلك لسببين :

الاول : لان الثورة لا تستطيع ان توجد جيشا متفرغا يضم الآلاف المؤلفة في وقت قصير ، لما يستلزمه ذلك من تكاليف ، بينما يمكن وضع اساس الجيش الشعبي بتدريب الجماهير وتسليحها .

الثاني : لان الثورة الفلسطينية ، ليست معرضة لهجمات جيش الاحتلال الصهيوني فحسب ، انها معرضة لهجمات الانظمة العربية . وما رايته في ايلول وبمد ايلول وقبله كاف لان يقنعا بخطورة الوضع الذي نعيشه ، وبضرورة تسليح الجماهير للدفاع عن الثورة ولحمايتها .

وفيما عدا ذلك ، فان تسليح الجماهير وخلق الميليشيا الشعبية يحقق غايتين مترابطتين : الاولى : مشاركة الجماهير

الواسع . والاشر تطورا في القتال . والثانية : توسيع الجبهة ضد العدو .

فالثورات الشعبية هي من عمل الجماهير الشعبية . والجماهير المسلحة (المليشيا) هي الشكل الاكثر تقدما للنضال الجماهيري والمساهمة الجماهيرية . والثورات تقوى وتنمو وتتقدم على طريق الانتصار بمقدار ما تستطيع توسيع هذه المساهمة الجماهيرية وتطويرها . ولهذا فاننا نجد الجنرال جياب يؤكد مرارا وتكرارا على دور المليشيا واهميتها . انه يقول : «علينا ان نبدي اهتماما بزيادة القوة القتالية والقوة العددية من مليشيا الدفاع الذاتي . لنجعل مليشيا الدفاع الذاتي تصبح قوات مسلحة قوية مستقرة ومنتشرة : وجاهزة لمحاربة العدو . ومحاربهه جيدا بكل الاسلحة ...» (1)

وبخلق مثل هذه القاعدة المقاتلة الواسعة نفتح جبهة واسعة جدا على العدو ، ولا نسمح له بالسيطرة على ارض المعركة ، ولا يكون من السهل عليه القيام باختراقات وضرب القرى والمدن وطرق المواصلات .

ولعل الدور الذي تلعبه اليوم المليشيا في جنوب لبنان ، والذي برز عند العدوان على الصرند ، ليدل دلالة قاطعة على اهمية دور المليشيا .

ولقد لعبت المليشيا في الاردن الدور الاساسي في اخباط مؤامرات النظام ، خلال كل الصدامات التي حدثت في السنوات الماضية ، وخاصة صدامات ٤-١١ و ١-٢ و ٧-٦ و ١٧-٩-١٩٧٠ . وكانت الجماهير المسلحة ، في هذه الصدامات ، هي الدرع الواقى للثورة ، وهي قوتها الضاربة ، جنبا الى جنب مع قوات الثورة الاخرى ، وعلى راسها قوات العاصفة .

١ - الجنرال جياب ، فونجوين : نصر كبير ومهمة عظيمة ، ص ١١٩ .

وكان مقرا للمليشيا ان تلعب دورا اكبر . في القتال ضد العدو . ولذلك فقد فرض على عناصر المليشيا ان تقوم بمشاركة المقاتلين في الاعوار . وفي القطاعات الاخرى . في القتال ضد العدو . كما ان مجموعات المليشيا كانت تتحرك كلما حدث اختراق او انزال . حدث هذا يوم معركة غور الصافي . وحدث عندما انزل العدو قوات في حمات معين . وكنا نعتقد بان تطوير قوة المليشيا وزيادة تدريجيا وتحسين تسليحها ضروري جدا . بمقدار زياده تامر السلطة . وبمقدار زيادة العدو لعمليات اختراقه ونزاله وراء خطوطنا .

ولكن عملية التطوير هذه كانت تصطدم بعقبتين :  
الاولى : عقبة الافكار والاتجاهات التي تهتم بالجبهة اكثر مما تهتم بالمؤخرة ، بالمقاتلين اكثر مما تهتم بالمليشيا . هذه الاتجاهات التي كانت تركز على بناء قوة ضاربة مقاتلة . من المقاتلين المتفرغين . دون ان تعير كبير اهتمام لبناء قوة شعبية مسلحة . وهكذا كان هنالك من يستغرب وجود مسلحين في المدن . وكان التفريق بين مقاتلي القواعد ومناضلي المدن . الذين سموا سياسيين ، مصدر تحقير للاخيرين . «الذي يريد ان يملك السلاح ليراه ابنة خاله او خالته فليس له سلاح عندنا» هذا ما كان يقال احيانا .

الثانية : عقبة عدم تقدير خطر الصدام مع السلطة على حقيقته ، قبل صدام ٦٧ . ولذلك ، وحتى في هذا التاريخ ، كانت اسلحة المليشيا محدودة جدا ، وكانت في الواقع غير كافية للمجابهة في صدام واسع النطاق .

وكانت هاتان العقبتان عقبتين اساسيتين اخرتا نمو المليشيا وتطورها ، وادتا في ايلول الى ما يلي :

١ - سقوط مواقع هامة كجنوب الاردن ، بيد السلطة . دون مقاومة تذكر ، وما ذلك الا لان المليشيا الشعبية لم تكن قد سلّحت جيدا ، وكانت مدينة الزرقاء التي قاتلت قتالا بطوليا ،

تستطيع ان تصمد اكثر لو كان تسليحها احسن .  
٢ - عدم الاستفادة من بعض الاسلحة الهامة . لان الظروف لم تتح للتدرب عليها جيدا .

٣ - عدم القدرة . في مدينة كعمان . على الانتقال من الدفاع الى الهجوم . وكان احد اسباب ذلك عدم التوازن بين القوات المهاجمة والقوات المدافعة . لقد كان الذين يهاجمون عمان . وبكل انواع الاسلحة . الثقيلة والخفيفة . يملكون عددا متفوقا اضعافا مضاعفة .

وإذا كان هناك . وقبل مجزرة ايلول . من لا يرى ضرورة لتعبئه الجماهير . ومن يرى بان تعبئتها ماديا ومعنويا قضية خطيرة . فانا سمعنا من يقول بعد ايلول : ما لنا وللمدن لنذهب الى القواعد .

ولقد لس كثير من نتيجة معارك ايلول مدى قوة الجماهير اذا سلحت . وعرفوا خطر قوات الميليشيا . ولذلك فليس غريبا ان نرى الملك حسين . يطالب . في مؤتمر القاهرة الذي عقد خلال القتال ، بنزع اسلحة الميليشيا . ولكن رد الاخ ياسر عرفات عليه كان واضحا ومقنعا : «تحمل جماهير شعبنا السلاح دفاعا عن ثورتها التي يهددها نظامك . ودفاعا عن اموالها واعراضها التي يفتصبها جيشك» . ويومها سلم الملك حسين بقاء اسلحة الميليشيا في ايديها . ولكن النظام كان قد قرر ان يصفى الثورة . وهو لا يستطيع تصفية الثورة ان لم تصف قواعدها الشعبية . ولهذا بدأ بهجماته المتكررة . بعد ايلول . وبعد كل صدام كان رؤوس النظام يطرحون في الاجتماعات التي تنظمها اللجنة العربية قضية سحب السلاح من الميليشيا .

ولقد جرت الموافقة اخيرا . على هذا الاجراء . وذهب المبررون في تبريره مذاهب شتى . فمنهم من قال : فرصة اخيرة نعطيها للنظام ، فاذا سمح لنا بان نقاتل في الداخل خير وكان به والا قاتلناه . ومنهم من قال : ان اسلحة الميليشيا لم تسحب وان

العملية عملية ضبط وتنظيم وسيطرة : وتبريرات كثيرة شتى .  
ولكن الواقع هو ان اسلحة الميليشيا جمعت ووضعت تحت تصرف  
اللجنة المرتزية ، في بيوت «محصنة» .  
فما الذي يعنيه مثل هذا الاجراء ؟  
انه يعني :

ا - تنازلا كبيرا امام السلطة ، وفي قضية مبدئية ، قضية  
تسليح الجماهير وحماية الثورة .

ب - تحطيما لمعنويات كوادر الميليشيا وعناصرها التسيبي  
ستعرض لعملية «سحق» بطينة منظمة .

ج - تدميرا لمعنويات الجماهير التي قاتلت وضحت وتحملت  
الكثير من الآلام من اجل ثورتها واسلحتها .

د - تسليم المدن والمواقع التي كنا نسيطر عليها للسلطة .

هـ - وضع قواتنا المقاتلة تحت رحمة النظام .

وهذا كله لن ينهي الصفة الشعبية الجماهيرية للثورة فحسب ،  
بل سينهيها كليا . ان السلطة في الاردن ، ضمن مخطط عربي  
ودولي ، مصممة على تصفية قضية فلسطين ، ومنذ ايلول ، وهي  
سائرة على هذه الطريق ، ولن تتوقف الا لاما ، ولاهداف تكتيكية .

### هل كنا مضطرين لمثل هذا التراجع ؟

اننا لم نكن مضطرين ، لاننا لم نهزم في معركة ايلول ، ولان  
الامكانيات التي كانت تتوافر لدينا بعد ايلول : تأييد الجماهير  
الواسعة ، النخلة على النظام بسبب همجيته وبربريته ، قوات  
الثورة الفلسطينية بما فيها الفارون من الجيش ، تضعف  
الجيش . اذ انه لم يفقد العدد الكبير من آلياته فحسب ، بل فقد  
سبعة عشر الفا ما بين قتيل وفار ، القناعة بضرورة الوحدة  
الوطنية بين قواعد المنظمات الخ .

ولكننا مع الأسف ، لم نحاول الاستفادة من هذا كله ، وبدانا  
تراجع بلا انتظام ، وبتنازل بلا حساب مراهنين على حسن نية  
السلطة وعلى امكانية تعايش جديدة .

ان هذا الخطأ سوف ندفع ثمنه غالبا . فالسلطة ما زالت ،  
كما تكشف جريدة «فتح» التي تصدر في عمان ، وكما يظهر من  
الاخبار ، سائرة في مخططها : فرض سيطرتها الكاملة في المدن  
والارياف ، ووضع قواعد المقاتلين تحت رحمتها ، وقصف قواعد  
المقاتلين ما بين الحين والآخر ، والتضييق عليهم في تنقلهم ، وفي  
وصول التموين اليهم من اجل ارهاقهم واستنزاف قواهم  
واجبارهم على الفرار .

والسلطة قادرة ، بوسائلها الاجرامية الوقحة ، وبوسائلها  
المتلوية على تحقيق ما تريد . انها تضرب ثم تعد بالأيتكرر ما  
حدث . وقبل ان ينتهي الاجتماع تضرب من جديد وهكذا . وهي  
تفرج عن معتقلين ولكنها تعتقل أناسا جددا ، وهي تعتقل كوادر  
المليشيا بتهم مختلفة تسميها جرائم عادية او مدنية . ومن السهل  
ان ينسب الى انسان انه خرب او اعتدى على الاملاك العامة او  
اعتدى على حريات الآخرين الخ ما دام ان عناصر المليشيا قامت  
خلال الصدامات باحتلال المباني العامة ، وما دام انها كانت تعتقل  
رجال الجيش والشرطة والمخابرات الخ ...

وان «حشر» اسلحة المليشيا في المكاتب «المحصنة» للجنة  
المركزية ، في هذا الوقت بالذات ، الذي يزداد فيه تأمر النظام  
الاردني ، وتقدم فيه مسيرة «التسوية الاستسلامية» ، الامر  
جد خطر .

وما دام خط اللجنة المركزية هو خطط تعايش مع النظام ،  
وخط النظام هو الهجوم المستمر ، فان النظام سيعزز سيطرته  
باستمرار ، وسيفرض شروطه باستمرار ، في الوقت الذي تكون  
فيه المليشيا تتمزق في بيوتها ، واسلحتها تصدأ في « المخازن  
المحصنة » .

والخروج من الازمة لن يكون الا بانتهاج خط الهجوم سياسيا ،  
بدلا من التراجع : وتوسيع القاعدة الجماهيرية المسلحة .

## ٨ - نحو استراتيجية جديدة : للثورة الفلسطينية

بعد مجزرة ابول ، وبعد الهجمة الامبريالية - الصهيونية  
الرجعية الشرسة ، اخذت ثورتنا بالتراجع غير المنظم . اتبع  
اسلوب الدفاع السلبي في الاردن ، مما قاد الى خسارة مواقع  
هامة ، اهمها مواقعنا في المدن ، وسيطرتنا على طرق المواصلات .  
كما انه قاد الى الموافقة على «حشر» اسلحة الميليشيا في الاردن  
والى اغلاق المكاتب في مخيمات لبنان .

ولقد جرت محاولات عديدة لتبرير «حشر» اسلحة الميليشيا  
في «اقبية اللجنة المركزية» ، مثل ضبط السلاح وتنظيم السلاح  
وجمع السلاح المكشوف الخ ، ولكن كل هذه التبريرات سقطت  
عندما اصرت السلطة ، بعد احداث عمان الاخيرة ، على ان تجمع  
اسلحة الميليشيا . وجمع اسلحة الميليشيا في ايد امينة موثوقة  
يستهدف حرماننا من قوة جماهيرنا المسلحة من جهة ، ويستهدف  
ضرب معنويات قواعدا من جهة اخرى والسيطرة الكاملة على  
الاردن ، ووضع قواعدا ومقاتلينا تحت رحمة النظام العميل .

اما اغلاق المكاتب في لبنان فقد برر بالعودة الى السريسة  
والتخلص من روح الاستعراضات الخ . . . ولكن هل نحن بحاجة  
الى العودة الى السرية ، وما هو مفهوم السرية ، هل تعني السرية  
ان تغلق المكاتب في المخيمات وتفتح في المدينة ؟ وهل ينهي اغلاق  
المكاتب في المخيمات الروح الاستعراضية؟ ان الروح الاستعراضية  
ظاهرة مرتبطة بمجموعة من الممارسات وبأسلوب تفكير ، وهي لا  
تنتهي باغلاق مكتب ، وهي تبرز بالمكاتب وبدونها .



وإذا كان «حشر» اسلحة الميليشيا ظاهرة تستحق الانتباه .  
فان اغلاق المكاتب في المخيمات ظاهرة هامة اخرى . والظاهران  
تدلان على محاولة لتقليص العمل الشعبي الجماهيري . وللانجاح  
نحو الداخل .

صحيح ان العمل الجماهيري لا يحتاج الى مكاتب . ولكن  
المكاتب مكسب من مكاسب ثورتنا . ولقد اصبحت تمثل سلطة  
الثورة في المخيمات . وغيابها لا يعني اننا عدنا الى العمل السري .  
فمن الممكن اذا اقتضى الامر ان نتخذ كل الاحتياطات اللازمة دون  
اغلاقها ، ولكنه يعني اننا قلصنا سلطتنا في المخيمات . وان حقنا  
المشروع في العلنية الذي كسبناه بالدم وبالمعارك قد تخلىنا عنه .  
لمصلحة من ؟ وهل كانت هناك ظروف موجبة ؟ اذا كانت القضية  
قضية الروح الاستعراضية فاننا نستطيع ان نعالجها والمكاتب  
مفتوحة . اذا اردنا . ولن نستطيع ان نعالجها . حتى لو اقلنا  
المكاتب . ان لم نقصد .

وهناك قضايا اخرى طرحت تبريرا للخط الجديد . طرح  
مثلا ان الاهتمام بقضايا عمال الفلافل ليس من شغلنا . وطرح  
اننا نريد ان نتوجه الى الداخل . وطرح فوق هذا اننا نريد ان  
نمارس مسؤوليتنا ، وان نمنع الانحراف .

لا بأس . هذا كله من واجبنا . من واجبنا ان نحدد علاقتنا  
ببياع الفلافل وبالدخل والخارج . بالسلطة في الاردن وبالمنظمات .  
ومن واجبنا ان نقيم تجربة الماضي لنعرف الذين اخطاوا والذين  
اصابوا . الذين اساءوا للوحدة الوطنية والذين اخلصوا لها . من  
واجبنا ان نفعل هذا كله من خلال تقييم موضوعي ، ودراسة معمقة  
شاملة ، اذا كنا نريد ان نصل الى الحقيقة ، وان نضع أسسا  
صحيحة للعمل في المستقبل .

واعتقد ان فيما طرحته ، آتفا ، صورة يمكن الاستناد اليها  
للانطلاق نحو المستقبل .

والانطلاق نحو المستقبل بحاجة الى استراتيجية جديدة ،

تناسب مع وضع الثورة ، ومع امكانياتها ، وتيسر لها امكانية التغلب على الصعوبات الذاتية والموضوعية ، ومواجهة الهجمة الامبريالية - الصهيونية - الرجعية الشرسة التي نشهدها في هذه الايام .

وهذه الاستراتيجية لا بد من ان تنطلق مما يلي :

اولا : ان الثورة هي ثورة الجماهير ، وانها كثورة شعبية تخوض حربا طويلة الامد . تحتاج الى الانطلاق من الجماهير والالتحام بها . واستغلال كل طاقاتها وقواها .

وهذا يتضمن ما يلي :

ا - اختيار كوادر ثورية لقيادة المنظمات الجماهيرية ، تستطيع ان تجعل هذه المنظمات منظمات شعبية من جهة ، وقادرة على تعبئة الجماهير وقيادتها من جهة اخرى .

ب - توسيع نطاق المنظمات الجماهيرية ، بحيث تشمل اكبر عدد ممكن من المواطنين ، في كل قطاع من قطاعات السكان .

ج - ربط الجماهير بالثورة عن طريق العمل اليومي بمختلف اشكاله (دعابة ، جمع تبرعات ، الاشتراك في مظاهرات ، التبرع بساعات عمل ، تقديم خدمات ، الخ) .

د - تعميم التدريب على كل المواطنين القادرين ، نساء ورجالا ، ووضع برنامج شامل سريع لتحقيق هذه الغاية ، والعمل المستمر من اجل رفع مستوى التدريب ، وتجديده باستمرار .

هـ - تسليح القطاعات الواسعة من الجماهير ، حيث يوجد فلسطينيون ، وخاصة في الاردن وسوريا ولبنان ، وتهيئة السلاح في اماكن امينة لهؤلاء الذين قد يصلون في اية لحظة للمشاركة في القتال دفاعا عن الثورة .

و - تعبئة الجماهير تعبئة يومية ، بواسطة الصحف والاذاعة والاسطوانات والاغاني والمسرحيات والقصص وكل اشكال الادب ، وبواسطة الندوات والمناقشات .

ثانيا : ان هذه التعبئة على صعيد الجماهير الفلسطينية يجب

ان تواجها تعبئة للجماهير العربية . ففوة الثورة الفلسطينية ليست  
بجماهيرها المنظمة والمسلحة والمعبأة فحسب، انها من قوة الجماهير  
العربية ايضا . والجماهير العربية يجب ان تشارك مشاركة فعالة  
في الثورة الفلسطينية من خلال ما يلي :

ا - المنظمات والاحزاب المستعدة للمشاركة .  
ب - الجهات الوطنية التي تكون ، وضمن برنامجها هذه  
الغاية .

ج - الشبكات التي نخلقها نحن من بين المتعاطفين والمتحمسين  
للقيام باعمال الدعاية وجمع التبرعات ، واية اغراض اخرى تراها  
الثورة ضرورية . واذا كان بعض هذه الشبكات علينا فلا بد من  
ان يكون بعضها الآخر سريا .

وعلينا نحن ان نعمل بجد ونشاط لتحقيق هذا التلاحم .  
واتباع الوسائل التي تبعدنا عن الصدمات ، عندما لا يكون ذلك  
في مصلحة الثورة ، ولكن علينا ان نعتبر ان علاقتنا بالجماهير هي  
الاساس ، وان هذه العلاقة هي التي تضمن لنا الحماية والقوة .  
اما علاقتنا بالحكومات فتكون من خلال هذه النظرة ، ومن خلال  
دراستنا لطبيعة موقف الحكومات واهدافها . ويجب ان تكون  
علاقتنا بالجماهير استراتيجية وعلاقتنا بالحكومات تكتيكا .

وعلينا ، في ميدان العلاقات مع الحكومات ، ان نحدد طبيعة  
كل نظام ، وحقيقة موقفه من قضية التحرير خصوصا ومن  
الامبريالية عموما ، كما ان علينا ان ندرس كل العوامل التي تؤثر  
في سياسة هذا النظام ازاء قضية فلسطين .

واذا كان بإمكاننا بمثل هذه الدراسة ان نفرق بين نظام تقدمي  
وآخر ، فان بإمكاننا ايضا ان نفرق بين نظام رجعي وآخر .  
فعلقتنا مع سوريا او ج.ع.م ، لا بد ان تختلف عن علاقتنا  
بانعراق والجزائر ، لا لاختلاف بين هذه الانظمة فقط ، بل  
لاختلاف مواقفها ، بسبب بعدها او قربها من ميدان القتال ،  
والاحتكاك المتبادل الذي ينشأ عن ذلك . وسنجد بالقياس نفسه

ان علاقتنا بالنظام في الاردن تختلف عن علاقتنا بالانظمة نسي  
المملكة العربية السعودية ، او الكويت او تونس او المغرب . وفي  
الوقت الذي لا بد ان نستخدم فيه بالنظام في الاردن او لبنان ،  
فاننا نستطيع ان نبقي على مستوى من العلاقات مع الكويت او  
المغرب او موريطانيا .

ولا بد من ان يكون واضحا في اذهاننا اننا بمقدار ما نضعه  
عملنا في الداخل ، وبمقدار ما نزيد من قوتنا في الخارج من خلال  
علاقتنا مع جماهيرنا الفلسطينية والعربية ، ومن خلال قوة  
منظمتنا الجماهيرية ، وقوة مقاتلينا وميليشيانا ، فاننا نستطيع  
ان نحقق نجاحا اكبر في علاقتنا مع الدول والحركات الوطنية لا  
في الوطن العربي فحسب ، بل في العالم كله .

ثالثا : ان الاردن هو القاعدة الاساسية للثورة في هذه المرحلة ،  
بسبب وجود اكثرية ابناء شعبنا فيه ، ولانه منذ سنة ١٩٥٠ ،  
حين اتحد شرق النهر مع غربه ، اصبح كلالا يتجزأ بغض النظر  
عن الاسلوب الذي تمت به الوحدة ، وبغض النظر عن سياسة  
السلطة المعادية لفئة من المواطنين اكثر من فئة اخرى .  
ولهذا فان الاردن يجب ان يكون قاعدتنا الآمنة . وحتى يكون  
كذلك لا بد ان يطاح بالسلطة العميلة ، على ان تقام سلطة وطنية  
مكانها .

ان هذه المهمة ، هي من مهماتنا الاساسية في هذه المرحلة ،  
ونحن بدون هذه الخطوة : اقامة سلطة وطنية في الاردن لن  
نستطيع ان نبقي ، بله ان تطور عملياتنا في الداخل ، وأن تقوي  
مواقفنا في الخارج .

وبالاضافة الى ذلك فان خسارة مواقعنا في الاردن سيؤدي  
الى زعزعة مواقعنا في لبنان وفي الداخل ، والى تعريض انفسنا  
للاندثار .

يجب الا يميئنا عن القيام بهذه المهمة خوفا من انقسام المجتمع  
الى فلسطينيين واردنيين . فالفلسطينيون في الضفتين الغربية

والشرقية مواطنون اردنيون ، ولهم الحق كل الحق في تقرير مصيرهم واختيار النظام الذي يريدون . والمعركة التي يخوضونها ليست معركة ضد ابناء الضفة الشرقية ، بل معركة ضد النظام العميل . واذا كان هنالك من ابناء الضفة الشرقية من يحمل السلاح ضد الثورة ، فهناك اناس من الضفة الغربية . ويجب ان ننسى ان في الجيش والسلطة والقيادة والوزراء من ساهموا قبل ايلول . وخلال مجزرة ايلول وبعدها ، في استغلال الجماهير واضطهادها وقتلها . واذا كان هنالك ايضا من قاتلنا من ابناء الضفة الشرقية فهناك الكثيرون ممن قاتلوا معنا .

وكيف يمكن ان ننسى مثلا مشهور حديثه ، الرجل النبيل الذي عمل كل ما في وسعه ليجنب بلادنا المجزرة ؟ وكيف ننسى سعد صايل (١) وغيرهما وغيرهما ؟

فاذا قلنا اسقاط السلطة العميلة في الاردن ، فان هذا لا يعني ان نتسلم نحن السلطة ، بل يعني ان تقوم جبهة وطنية اردنية هي التي تتولى هذه المهمة . ونكتفي نحن ان نكون قوة سياسية وعسكرية هامة تستند اليها هذه الجبهة . هل نستطيع ان نحقق هذه الغاية ؟

ان لدينا من القوى الجماهيرية ، والقوى الجماهيرية المنظمة والمسلحة ، ولنا من التأييد في اوساط الجماهير العربية مما يجعلنا قادرين على تحقيق هذه الخطوة ، لاسيما ان النظام الذي نحاربه نظام رجعي عميل ، تمقته وتحتقره الجماهير . لا في الاردن فحسب ، بل في البلاد العربية ايضا .

ولكن علينا ان نقرر اولا ، وان نحسن استخدام قوانا ثانيا . رابعا : ان تحقيق وحدة اداة الثورة الفلسطينية مهمة

---

١ - سعد صايل فلسطيني كان آمر لواء في الجيش الاردني وقد انضم خلال معركة اليلول الى قوات الثورة .

اساسية وملحة . لاننا بدون مثل هذه الوحدة لا نستطيع ان  
نشكل قوة ضاربة موحدة تجمع كل ابناء شعبنا ، وتحشد الراي  
العام العربي والعالمي من حولنا .

وهذه الجهة يجب ان تلتقي حول برنامج محدد . على كل  
المستويات التنظيمية والسياسية والعسكرية .  
ولا بد ان يتضمن هذا البرنامج ما يلي :

١ - ان الثورة الفلسطينية هي حركة الجماهير الفلسطينية  
الطامحة الى التحرير والعودة . وعليه فانها حركة الطبقات صاحبة  
المصلحة في التحرير . وهذه الطبقات هي البرجوازية التجارية  
والبرجوازية الصغيرة والعمال والفلاحون ، وحتى ملاك الاراضي  
السابقون والبرجوازية الكمبرادورية السابقة . وكل من يحنون  
الى الوطن مهما كانت طبقتهم .

٢ - ان هذه الجماهير تلتقي على اساس وحدة وطنية هدفها:  
التحرير والعودة . من خلال تعبئة الجماهير الفلسطينية وتنظيمها  
وقيادتها عبر الكفاح الشعبي المسلح حتى النصر .

٣ - ان الوحدة الوطنية ذات طابع وطني ديمقراطي وتقدمي .  
فهي تعمل لتحرير الارض من الاحتلال . ولإقامة سلطة وطنية  
ديمقراطية . متحررة من التبعية والتخلف والاستغلال . يتمتع  
فيها المواطنون جميعا بحقوق متساوية . وهي في الوقت ذاته  
تفسح المجال داخل الوحدة لكل الآراء والافكار الثورية . وتتيح  
المجال لمشاركة كل الاحزاب والتكتلات والمنظمات المعادية للاحتلال  
والصهيونية . المؤمنة بالتحرير والعودة، ولا تتخذ اي موقف عدائي  
من اية نظرية ثورية ، او اية جماعة ثورية . وهي تقدمية لا لانها  
تضم قوى التقدم في المجتمع . بل لانها ايضا معادية للاستعمار  
والامبريالية والعرقية والصهيونية والاضطهاد والاستغلال .  
ايما كان .

٤ - ان الوحدة الوطنية تعتمد حرب التحرير الشعبية اسلوبا  
للتحرير . ولهذا فان على اللجنة القيادية وفروعها ان تعد الجماهير

وتدربها وتسلحها . وأن تعمل ليل نهار من اجل خلق جيش شعبي مؤمن بالوطن . محب للشعب . مخلص لقضية تحريره . وهذا يقتضي ان يعاد النظر في بناء قوات الثورة الفلسطينية على هذا الاساس . وان تحرر من عقلية العسكرية . وان يعاد بناؤها على اسس تكفل تطورها ونموها تطورا سليما .

٥ - ان اعداء الثورة الفلسطينية هم : الاحتلال الصهيوني والصهيونية . الامبريالية العالمية . وعلى رأسها الولايات المتحدة ، القوى المضادة للثورة في الوطن العربي . اما حلفاؤها فهم : على الصعيد العربي : الجماهير العربية . وحركة التحرر الوطني العربية وكل قوى الثورة العربية . وهي القوى المرتبطة معنا ارتباط مصلحة ومصير . وعلى الصعيد العالمي : كل القوى المقاتلة ضد الامبريالية في العالم . وبالإضافة الى حلفائنا فان كل القوى المحبة للعدالة والسلام . المعادية للاضطهاد والاستعمار هي صديقتنا .

٦ - تتحقق الوحدة الوطنية على الشكل التالي :

أ - يشكل مجلس وطني فلسطيني من كوادر المنظمات وقياداتها ، ومن ممثلي الاتحادات والمنظمات الجماهيرية . ومن عدد محدود من المستقلين ، على ان لا يتجاوز ٥ بالمئة ، ويحل المجلس السابق .

ب - يكون عدد اعضاء المجلس مائة ، يوزعون كما يلي : ٣٥ فتح ١٥ الصاعقة ١٢ الجبهة الشعبية ١٠ الجبهة الشعبية الديمقراطية ، ٣ جبهة التحرير العربية . ٢ لكل منظمة من المنظمات الباقية ، ٢ لكل من اتحاد العمال واتحاد المرأة . ١ لكل من اتحاد المعلمين واتحاد الكتاب واتحاد الطلاب وجمعية الهلال الاحمر . والباقي للمستقلين الذين يختارهم المجلس بالتصويت .

ج - يختار المجلس لجنة مركزية من ١٥ ، وتختار اللجنة المركزية امينا عاما لها ومكتبا سياسيا من خمسة اعضاء .

د - يعين المجلس قيادة عسكرية من ٩ اعضاء .

- هـ - يعين المجلس قيادة للمليشيا من ٥ اعضاء .
- و - تضع لجنة مبنثقة من المجلس نظاما داخليا يضمن وحدة القيادة العسكرية والسياسية وقيادة قوات المليشيا .
- ز - توحد القوات العسكرية ، من حيث الادارة والتموين والقيادة والعمليات واللباس والسلاح والانضباط ولكن يسمح للمنظمات . التي ترغب في ذلك . في ابقاء مجموعاتها موحدة . ضمن التقسيم العسكري . اي انه يمكن ان تكون هنالك فصيلة في السرية تابعة لمنظمة من المنظمات . ويسمح لها بحرية التثقيف في مجموعاتها . شريطة الا يعارض ذلك الميثاق العام .
- ح - توحد قوات المليشيا ايضا . وتعين لها قيادة للمليشيا قيادات اقليمية . وتعين القيادات الاقليمية لجانا منطقية . وهكذا .
- ط - تخضع التنظيمات السياسية في المدن والارياف لقيادات المليشيا . وتبقي كل منظمة تنظيمها . على ان يثقف . بالاسافة الى ثقافته الخاصة . ببرنامج الوحدة الوطنية وميثاقها .
- ي - تكون الجباية موحدة . وتصرف المالية المشتركة على كل القوات المقاتلين والمليشيا) وتتولى التنظيمات الصرف على نشراتها ونشاطاتها ومكاتبها الخاصة من الاشتراكات .
- ك - يفرض على اطراف الوحدة الوطنية ان يلتزموا بالميثاق . والا يقوموا باية عملية عسكرية او اية مظاهرة او اضراب او عمل سياسي دون موافقة اللجنة المركزية . يستثنى من هذه المادة بالطبع النشرات الخاصة والدعاية السياسية اليومية والمحاضرات والندوات .

ل - تشرف المنظمات الجماهيرية على قضايا الطلاب والعمال والنساء الخ . واللجنة العليا لهذه المنظمات هي التي تتخذ القرارات في كل ما يتعلق بهذه المنظمات . ولكي تضمن نمو حركة المنظمات الجماهيرية نموا طبيعيا . فلا بد من ان نشجع هذه المنظمات على ان تختار قياداتها اختيارا . ولا بد من ان تكون اللجنة العليا منتخبة من مؤتمر عام للقطاعات والاتحادات والمنظمات الجماهيرية .



م - تدمج كخطوة أولى قوات اليرموك بجيش التحرير  
اللسطيني وقوات العاصفة بقوات التحرير الشعبية (1) .  
ن - تاتمر كل هذه القوات بأمر القيادة العسكرية . وتتبع  
القيادة العسكرية اللجنة المركزية مباشرة .  
ص - تحل كل أجهزة الامن والرصد التابعة للمنظمات ويكون  
جهاز امن واحد ، تابع للجنة المركزية . وتقوده لجنة من ثلاثة من  
اعضاؤها .

ع - توزع المهام داخل اللجنة المركزية كما يلي : امانة سر .  
دائرة عسكرية . دائرة امن . دائرة اعلام وثقافة . دائرة الميليشيا .  
الدائرة المالية . دائرة العلاقات الخارجية . دائرة التنظيم الشعبي .  
ومحكمة امن الثورة . يرأس كل دائرة من هذه الدوائر عضو من  
اللجنة المركزية . مع لجنة من اربعة اعضاء من المجلس الوطني .  
ف - يجتمع المجلس الوطني مرة كل اربعة اشهر . وتجتمع  
اللجنة المركزية مرة في الشهر . ويجتمع المكتب السياسي  
اسبوعيا .

س - يخطط المجلس الوطني للعمل الوطني . وتقوم اللجنة  
المركزية بالتنفيذ . ويحق للمجلس الوطني بدعوة خمسة عشر من  
اعضائه ان يطالب بعقد جلسة . ويحق له ان يناقش اللجنة المركزية  
او يعزلها كلياً او جزئياً .

ق - المنظمة التي تخرج عن الميثاق ولا تلتزم به تنذر ثلاث  
مرات ، ثم يدعى المجلس الوطني لاتخاذ قرار بتصفيتها .  
٧ - يعتبر اسقاط السلطة العميلة في الاردن واجبا اساسيا .  
ويجري العمل من اجل اقامة سلطة وطنية .

٨ - تختار احسن القيادات والكوادر للقيادات العسكرية  
وقيادات الميليشيا ، وللعمل في دوائر الجبهة الوطنية المختلفة ،

---

١ - يبدو لي هذا الاقتراح الان غير سليم وغير عملي .

- وتبعد العناصر المتخلفة والمرترقة عن مراكز المسؤولية .
- خامسا : ان الثورة لا تستطيع الاستمرار والتقدم وتحقيق النصر بدون تنظيم ثوري . والتنظيم الثوري ضروري للشعب الذي يخوض معركة شرسة مع الامبريالية العالمية والصهيونية العالمية ودولة الاجتلال الصهيوني والقوى العربية المضادة للثورة .
- ولا يكون التنظيم ثوريا الا اذا توافرت فيه الشروط التالية :
- ١ - ان يكون تنظيمًا منبثقا من الجماهير ملتحما معها .
  - ٢ - ان يكون تنظيمًا موحدًا ، خاليا من الاجهزة المتنافسة والتناقضات الداخلية والتكتلات والتجنحات .
  - ٣ - ان يكون تنظيميا ديمقراطيا ، اي ان قياداته تخضع للمؤتمرات ، ومؤتمراته تعبر عن آراء القواعد .
  - ٤ - ان يكون تنظيميا يمازس النقد والنقد الذاتي من القمة الى القاعدة .
  - ٥ - ان يكون تنظيميا قادرا على التحليل العلمي واتخاذ القرارات الصحيحة .
  - ٦ - ان يكون تنظيميا قادرا على المبادرة ، فعلا وحماسا للتضحية والعمل .
  - ٧ - ان يكون تنظيميا متماسكا ، تترابط قواعده وقياداته وتشابك خلاياه ولجانه القيادية ، وتتفاعل وتتكامل .
  - ٨ - ان يكون تنظيميا امينا وصادقا مع نفسه ومع جماهيره ، تتبادل قياداته وقواعده الثقة والمحبة والاحترام .
- يمثل هذا التنظيم الفيتنامي نستطيع ان نواصل مسيرة الحرب التي نخوضها . واذا كان من الضروري ان تتوافر هذه المبادئ في كل تنظيم ، ضمن الجبهة ، فانه من الضروري ان يتوافر حد من هذه المبادئ في الجبهة ذاتها .
- سادسا : ان الثورة ممارسات ، والممارسات هي التي تقنع الجماهير بعدالة الثورة وصحة خطها او تنفرهم منها . وما دامت الثورة ثورة الجماهير ، وما دامت لا تستطيع ان تتقدم ، وان

تنتصر بدون نضالهم ، فلا بد من ان يولي موضوع الممارسات كل الاهتمام الذي يستحقه .

ولسنا بحاجة لان نعود الى الماضي ، لان الماضي قد اصبح معزوفاً . ولكن ممارساتنا في الماضي يجب ان تغيب الى الابد :  
المنهجية ، الاستعلاء ، العشوائية ، الاساءة للجماهير ، المغامرة ،  
التردد ، اللامبالاة ، الاستزلام ، التسيب ، الضياع ، السفطة ،  
المكابرة ، الذاتية الخ . . .

ولكن هذه الممارسات لن تغيب الا بوسيلتين :  
الاولى : وضع مقاييس دقيقة للتفريق بين الثوري وغير  
الثوري وممارسة الرقابة الثورية والمحاسبة الثورية على اساسها .  
الثانية : انتهاج ممارسات ثورية ، تقدم قدوة وتعطي مثلاً في  
التضحية والشجاعة ونكران الذات ، وقبول النقد وممارسته  
والابتعاد عن المزاجية الخ .

## ٨ - خاتمة .

ثورتنا تجتاز مازقا . المازق خائق . والقوى المعادية شرسة  
وبربرية لا تتردد ولا تتهاون . والمؤامرة لن تتوقف الا بدحرها  
وهزيمتها .

ولكي نستطيع ذلك لا بد لنا من ان نؤمن بقوة جماهيرنا ،  
وقدرتها ، ولا بد لنا من اعادة بناء قواتنا كلها ، المسلحة وغير  
المسلحة ، بطريقة تجعلها قادرة على احباط المؤامرة وهزيمتها  
ودحرها .

وهذا لن يتحقق الا بخط سياسي صحيح ، وخط تنظيمي  
صحيح وخط عسكري صحيح .

ومع هذا ، فان قوة الثورات تكمن في انها تهاجم ، حتى وهي  
في مواقع الدفاع ، تترك القوى الكبيرة بقوى صغيرة ، لتشتت

قوى العدو ، اذا حاول تركيزها ، وتضربها ضربات قاصمة اذا وزعها .

وهذه الصفحات ليست الا محاولة رسم خطوط عامة . ولقد حاولت ان اكون فيها موضوعيا ، وان كنت لم اقدم التفاصيل الضرورية . لانها كثيرة وطويلة ، ولأن هذه الدراسة ليست المكان المناسب لها .

وهدف هذه الصفحات ان تثير قضايا الثورة الاساسية ، وان تطرحها ، ضمن اطارها ، وضمن التناقضات التي تحيط بها . واذا كانت هذه الصفحات تركز على كثير من السلبيات ، فانها تفعل ذلك لأنها تريد ان تضع يدها على المرض ، وان تكشفه وترتكز الضوء عليه .

اما الانجازات والمكاسب ، اما الانتصارات الكبيرة فهي اكبر واجل واعظم من ان تنسى . . . وهي ستبقى موجهي وملهمي في النضال ضد اعدائنا : الامبريالية والصهيونية وقوى الثورة المضادة في بلادنا العربية .

واعتقادي راسخ في ان الاخلاص لشهدائنا والاصرار على صيانة انتصاراتنا وانجازاتنا ، وحماية ثورتنا ، يجب ان يدفع دائما للمزيد من القسوة على انفسنا ، وللمزيد من الدقة عند تقييم اعمالنا .

ولن نستطيع الانتصار اذا لم نكن قادرين على التحليل والتقييم والنقد ، واذا لم نقس على انفسنا في التقييم لا عند الهزيمة والتراجع فقط ، بل عند الانتصار ايضا .

وانا واثق ان جماهيرنا التي قاتلت ببطولة وشجاعة في عمان وفي الاردن كله ، والتي قاتلت في الارض المحتلة وما زالت تقاتل ، سوف لن ترضى بغير التحرير والعودة بديلا ، وسوف تقاتل بضراوة حتى لا تعود الى ايام الظلمة .

## الحل واحد : تصعيد معركة التحرير والاطاحة بالسلطة العميلة في الأردن

بدأت بعض الاصوات تروج في  
أوائل سنة ١٩٧١، وبعد معركة ايلول  
في عمان ، للدولة الفلسطينية  
باعتبارها حلا . وقد كتبت هذا الرد  
في ٢١-٢-٧١ الذي نشر في  
«دراسات عربية» .

هنالك ثلاث ظواهر في الساحة العربية تستحق كل اهتمام:  
الاولى : اتفاق اكثر الدول العربية على القول «بالحل السلمي»  
ضمن قرار مجلس الامن ومشروع روجرز ومهمة يارنغ . وهذا  
الاتفاق لم يحدث ان بلغ ما يبلغه اليوم منذ سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٩ .  
وان هذا الاتفاق تجاوز الآن قرار مجلس الامن ومهمة يارنغ  
ومشروع روجرز وهو يتجه الى المفاوضات المباشرة او المباشرة من  
وزاء ستار .

الثانية : ان الدول العربية . وعلى رأسها ج.ع.م لم يكن  
لديها من استعداد ما لديها اليوم من اجل اعلان موقفها واضحا :  
الاستعداد لوقف اطلاق النار ، عقد اتفاقية سلام ، حدود آمنة

ومعترف بها الى آخر المعزوفة. ولقد تجاوزت الاندفاع السياسية الجديدة كل تقاليد السياسة العربية ، خلال عشرين عاما ، وكل مقررات مؤتمر الخرطوم : لا صلح ، لا اعتراف ، لا ...  
الثالثة : اتجاه الجماهير الفلسطينية نحو الدولة الفلسطينية، لان كثرة منها (بالطبع ليس هنالك استفتاءات ولا اختيارات الخ) وهذا تقدير المراقبين ، باث يرى في الدولة الفلسطينية حلا .  
وتتبع اهمية هذه الظواهر من عاملين :

اولهما : كون الاتجاه الرسمي العربي يعمل من اجل «تسوية سلمية» . ولهذا فان ما تطرحه الانظمة ليس تكنيكا كله ، وان كان فيه شيء من ذلك ، ولكن التكتيك الذي فيه : لا يخدم الحرب في النهاية بل يخدم مساعي السلام . و«السلام المطلوب» دوليا وصهيونيا واحتلالا ، هو «سلام نهائي» ، تصفية كاملة تستهدف انتهاء القضية الفلسطينية لمصلحة دولة الاحتلال ولمصلحة الامبريالية الاميركية. وهذا يعني ان تحصل دولة الاحتلال على اعتراف من الدول العربية ، وان تتوسع بالقدر الذي تراه ضروريا لامنها ولسيطرتها في المنطقة .

ولهذا فان دولة الاحتلال منذ حزيران سنة ١٩٦٧ وهي تتعنت وتتصلب ، والدول العربية تتراجع ، وما تريده دولة الاحتلال هو ان تدفع الدول العربية الى مزيد من الاستسلام يوميا . ولكي يكون هذا ممكنا لا بد من ضرب قوى الثورة : عملية سحق واجهاز ومطاردة. وما كان في الاردن هو الضربة الرئيسية. وبينما تستمر حراب الضربة الرئيسية في الاردن في هجماتها، تبدأ حملات التشكيك بالثورة والتحريض ضدها . وتستخدم هذه الحملات كل سهامها: داخل المقاومة وخارجها . وهكذا يبدو خط المعركة واضحا : تنكيل بالثورة وجماهيرها وحملات تضليل وتشكيك وتحريض خارج الاراضي المحتلة ، تنكيل بالثورة وجماهيرها وحملات تضليل وتشكيك وتحريض داخل الارض المحتلة . واذا كانت بؤرة الصدام الآن هي عمان خارج الارض المحتلة صهيونيا وغزة داخل

الارض المحتلة صهيونيا . فان الوطن العربي كله ميدان لهذه المعركة الشرسة .

وما تريده دولة الاحتلال ، والامبريالية الأمريكية وبعض الدوائر العربية الحاكمة هو ان تزول العقبة الرئيسية في وجه «مشروع التصفية» .

ثانيهما : ان اتجاه الجماهير الفلسطينية نحو الدولة الفلسطينية هو انحراف بنضال الجماهير الفلسطينية عن مجراه الحقيقي . ومثل هذا سيقود الجماهير الفلسطينية الى الضلال والضياع . وسيوجهها الى غير الميادين . فبدلاً من ان تتجه نحو التحرير ونحو إقامة سلطة وطنية في الأردن تتجه الى حيث يشاء لها العدو . ذلك ان الاتجاه نحو الدولة الفلسطينية لا يعني بقاء السلطة الهمجية الوحشية في الأردن . فحسب . بل يقود الى تفكير الجماهير الفلسطينية بإمكانية تعايش مع العدو . وهذا ما تريده الصهيونية والامبريالية ودولة الاحتلال . وهذا ما تدفع اليه السلطة الاردنية باجراءاتها القمعية الوحشية . ان المطلوب من الفلسطيني الآن هو ان ينسى عدوه الصهيوني ، ان ينسى الاحتلال والتشريد ودير ياسين وقبية الخ وكل سنوات البؤس والشقاء ، وان يمد يده الى هذا العدو مطالباً «بالتعايش» . بدولة ، بدويلة . ببلدية كبيرة . تعيش تحت رحمة بساطير جنود العدو . والفلسطيني المهزوز أمام همجية السلطة الاردنية الوحشية ، المخدول من الاممة العربية ، دولا وجماهير بدأ يفكر ، ويهمس ، وحتى يناقش احياناً ، والمطلوب من الفلسطيني ايضا ان ينسى عدوه الثاني : السلطة الاردنية ، التي تكن لها جماهيرنا عداً منذ سنة ١٩٢٢ . ما فتىء ينمو ويزداد مع الزمن ، نتيجة تأمر هذه السلطة وخيانتها . ولقد جاء ايلول الرهيب فزاد الجماهير قناعة بان هذه السلطة مستمرة في غيابها لا ترعوي . كيف ننسى هذا العدو ؟ كيف نلقي برنامجنا للاطاحة به ؟ عن طريق الاتجاه نحو سراب الدولة الفلسطينية . نحو بساطير جنود العدو الاول .

والفلسطيني اذا ما اتجه هذا الاتجاه ، فان ذلك يعني ان  
يسلم في الارض المحتلة ، وان يسلم في الخارج ، في الاردن  
ولبنان وكل مكان ، وان يضع رقبته تحت اقدام عدويه الاول  
والثاني ، وتحت اقدام اعدائه كلهم .  
فمن المسؤول عن ذلك ؟  
ان المسؤول عن ذلك هو :

اولا : الدول العربية التي تدفع باتجاه «الحل الاستسلامي»  
لانها باتجاهها هذا تهيء الظروف لخلق الثورة الفلسطينية ،  
ولسحق الجماهير الفلسطينية ، وتدفع الجماهير الفلسطينية  
للركض وراء سراب الدولة ، الدولية ، البلدية الكبيرة .  
ثانيا : السلطة الاردنية العميلة التي تقوم بالحملة الرئيسية  
في عملية التصفية ، والتي تدفع وحشيتها القمعية الجماهير  
الفلسطينية الى البحث عن حل غير الموت والعذاب الطويل فلا ترى  
غير سراب الدولة الفلسطينية .

ثالثا : قيادات المقاومة التي تتردد في تحديد سبيل الخلاص  
العملي ، لان هذه القيادات بتركها الجماهير تتخبط في ضياعها  
تدفعها على طريق السراب ..

المطلوب من المقاومة اذن ان تطرح برنامج التحرير بديلا لبرنامج  
الدولة ، وان تطرح برنامج تحرير الجماهير الفلسطينية - الاردنية  
من بساطير جنود السلطة في الاردن ، حتى تحبط عملية الهروب  
من قيد الى قيد ، ومن عبودية الى عبودية .

واذا لم يطرح مثل هذا البرنامج ، ولم تعبأ الجماهير لتنفيذه،  
واذا لم تتخذ مواقف حاسمة وحازمة ضد الدولة الفلسطينية  
ودعاتها والعاملين من اجلها ، فان جماهيرنا ستشهد ، في الداخل  
والخارج ، مرحلة تمزق وضياع وخذلان جديدة .  
فلنعمل بحزم وعزم ووعي لنجنب جماهيرنا المآسي الجديدة،  
بعد ما عانته خلال العشرين سنة الماضية .



## مناقشة نقدية للجبهة الشعبية الديمقراطية

دراسة كتبت ما بين ١٨-٢١  
شباط ١٩٧١ لمناقشة الجبهة الشعبية  
الديمقراطية . وكانت هذه الدراسة  
جزء من مشروع لتقد كل فصائل  
حركة المقاومة ، ولكن المشروع لم  
يكتمل .

نشرت الدراسة في مجلة  
(دراسات عربية) .

حين قرأت مقالة خليل عواد . المعنونة : «المليشيا : ضحية  
التراجع غير المنظم» احسست بانني امام نايف حواتمة شخصيا .  
وتذكرته يوم حاضر في الجامعة الاردنية فتكلم ساعة وربما في  
عموميات مكررة . وبعد انتهاء المحاضرة سأله احدهم سؤالا عن  
المسألة اليهودية فهجم على السامعين بمقدمة للاجابة امتدت على  
مدى ثلاثة ارباع الساعة : خرجت انا بعدها دون ان اعلم ما جرى .  
والواقع ان اسلوب نايف . وهو الاسلوب الذي استشرى فسي  
الجبهة الديمقراطية . ووسم تراثنا النظري ووصمه . تبرز فيه

## الخصائص التالية :

- ١ - تجهيل الآخرين دائما ، والاغراق في الثقة بالنفس . اي اتباع اسلوب المعلمين التقليديين في التثري .
- ٢ - الاغراق في العموميات دائما ، واعتبار العموميات مبادئ وقوانين ، وبناء القرارات عليها .
- ٣ - عدم الاهتمام بدراسة الظواهر دراسة علمية ، وعدم اللجوء الى تحليلها . وهذا ما سنثبته في دراسة مستقلة . ولذلك فان المعلومات التي تقدمها الجبهة الشعبية الديمقراطية هي معلومات عامة وارقام عامة .
- ٤ - الاطالة المملة وخط شعبان برمضان وامطار السامع او القارئ بسيل من القضايا والاسئلة والمعلومات العامة . وذلك من اجل تجنب التخصيص ، وايهام القارئ او السامع بالشمولية . هذا على الصعيد النظري ، اما على الصعيد العملي فان الجبهة الشعبية الديمقراطية تسلك سلوكا متبثقا من هذه الخصائص النظرية . وهذا ما يقودها الى الطفولة اليسارية دائما والتي الانحراف اليساري او اليميني . وترتب على هذه الصبائية النظرية والعملية مجموعة ظواهر اهمها :

- ١ - الفصام بين الشعارات والعمل ، بين التنظير والسلوك .
- ٢ - تضخيم الدور الذاتي وتقليل ادوار الآخرين .
- ٣ - اتخاذ المواقف الاعتباطية ، فاما ان يضخم دور العوامل الذاتية ويتصور الواقع الموضوعي تصورا ذاتيا ، او ان تضخم العوامل الموضوعية ويلغى العامل الذاتي نهائيا .
- ٤ - ممارسة النقد الذاتي ممارسة خداعة . فهو نقد عام ، يتعلق بالعموميات اولا ، ولا يناقش التفاصيل . وهو ثانيا نقد يتناول الآخرين ولا يتناول النفس . الآخرون هم المخطئون ، ونحن المصيبون ، هذا هو الوضع دائما . وسوف اناقش هنا تقرير الجبهة الشعبية الديمقراطية حول

حملة ايلول (١) ومقالة خليل عواد المذكورة آنفا من خلال مناقشة القضايا التالية :

اولا : قضية النقد والنقد الذاتي .

لرهننا الجبهة الشعبية الديمقراطية بالحديث عن النقد والنقد الذاتي ، ويندر ان يجري الحديث دون ان تعلن ضرورة اتخاذ موقف نقدي ، ضرورة اجراء محاكمة نقدية ، وهي اكثر من هذا تريد ان تسليح الجماهير بالنظرية لتجعلها قادرة «على المحاكمة النقدية والرقابة الثورية الصارمة» (٢) . واكدت الجبهة الشعبية الديمقراطية هذه الحقيقة في تقريرها اذ انها ترى «ان التجربة التي وقعت بصورة مكثفة في حملة ايلول تفرض على كافة فصائل المقاومة مراجعة نقدية صارمة لممارستها السياسية والعسكرية والمالية والتشريفية لمجابهة التطورات الجارية واللاحقة ...»

والنقد والنقد الذاتي في الواقع مقياس لامور عدة . انه يحدد قدرتنا على مواجهة أنفسنا بالحقائق ، وقدرتنا على اكتشاف الحقائق ومعرفتها . وهو يكشف ايضا مستوى ثقتنا بأنفسنا ، وثقتنا بكوادرننا وجماهيرنا واحترامنا لها ، المراجعة المستمرة الصادقة مع النفس ، الامينة للحقائق هي التي تجعلنا قادرين على اكتشاف الخطأ والصواب ، وهي التي تجعلنا قادرين على تطوير برامجنا وتعديلها حسب مقتضيات الظروف . وهي التي تقودنا الى تصحيح اخطائنا في الوقت المناسب ، وقبل فوات الاوان . ودرجة الجدية في اجراء المراجعات النقدية ، هي التي تقرر درجة اخلاص اية قيادة وفعاليتها .

- 
- ١ - صدر عن دار الطلبة بعنوان : المقاومة الفلسطينية وحملة ايلول ،  
دروس ونتائج ، وسرى ان التقرير بلا دروس ولا نتائج .
- ٢ - حركة المقاومة الفلسطينية في واقعهما الراهن : «دراسة نقدية» دار الطلبة  
ايلول ١٩٦٩ ص ٢٠ . انظر ايضا صفحة ١٢ و صفحة ٥٩ .

اذن نحن نتفق مع الجبهة الشعبية في ضرورة النقد والمراجعة، ونتفق معها في ان المراجعة والنقد يجب ان يكونا صارمين . ولكن القضية لا تقف هنا . ان القضية ، لكي تأخذ ابعادها الحقيقية ، لا بد من ان تتقدم خطوات الى الامام ، وهذا يعني :

١ - ان المراجعة والنقد يجب ان يتما ، ولا يجوز ان يظلا شعاعا يطرح ويمضغ ويبصق .

٢ - ان المراجعة والنقد يجب ان يتما بصدق وامانة . فلا يكفي ان نمر بسرعة على كل القضايا ، ولا يجوز ان نذكر بمض الغوامل ونهمل عوامل اخرى ، ولا يجوز بتاتا ان ننسى انفسنا ، لنبدأ بالآخرين وننتهي بهم .

علينا اذن ان نبدأ بانفسنا لننتهي بالآخرين ، وان نعامل الآخرين كما نعامل انفسنا ، اذا لم نقس على انفسنا اكثر من قسوتنا على الآخرين .

فهل فعل خليل عواد شيئا من هذا ؟ وهل فعلت الجبهة الديمقراطية ، قبل خليل عواد ، شيئا منه ؟ الجواب الواضح : لا .

ان ما فعلته الجبهة الشعبية الديمقراطية في تقريرها ، وما فعله خليل عواد ، لا يزيد عن ان يكون «تعميما» جديدا يضاف الى تراث كبير من «التعميم» . لماذا حدث ذلك ؟

لقد حدث لان هذا هو أسلوب الجبهة الشعبية الديمقراطية في ممارساتها . ولأن التقييم الدقيق يستلزم الانتقال من التعميم الى التخصص ، ويتطلب وضع جدول للخطأ والصواب ، خطائنا وصوابنا . وقيادة الجبهة الشعبية الديمقراطية غير مستعدة لذلك . لانها لا تشق بنفسها ولا تحترم جماهيرنا ، ولانها تخشى ان تكشف دورها .

ولانها تحاول ان تطمس معالم الجريمة ، ولانها تريد ان تنكر مشاركتها ، وتريد ان تحمل الآخرين المسؤولية ، فان علينا ان

تكشف كل ما أخفته ، وأن نحدد مسؤوليتها .

يردد قادة الجبهة الشعبية الديمقراطية والجبهة الشعبية بان قياده فتح هي المسؤولة ، ولكن هل هي المسؤولة فقط ؟ وما هي مسؤولية القيادات الأخرى ؟ ويردد قادة ج.ش.د و ج.ش.ت.ف ان اليمين في حركة المقاومة هو الذي قادها الى المازي . هذا جزئيا صحيح . ولكن ما دور اليسار ؟ لماذا لا يحدد اليسار دوره ؟

ثانيا : قضية « التعميم » . عودتنا الجبهة الشعبية الديمقراطية على ظاهرتين :

اولهما : الانسياب اللفظي .

وثانيهما : « التعميم » .

ولذلك فمن يقرأ تراث ج.ش.د . ومنه هذا التقرير حول حملة ايلول ، يلمس هاتين الظاهرتين بوضوح . الكلام ينساب انسيابا لا يتوقف عند شيء . ولهذا فالقضايا كلها عامة : القضية الفلسطينية ، حرب العصابات الفلسطينية او الحرب الشعبية الفلسطينية ، الجبهة الوطنية الفلسطينية الخ ... (1) الأرقام لا تستخدم ابدا . حتى عند الحديث عن الوضع في الاردن ، فاذا ما استخدمت كانت قاصرة وناقصة وتمثل جانبا واحدا من الحقيقة . ولهذا فاننا لا نجد ارقاما في كتابي ج.ش.د : حركة المقاومة الفلسطينية في واقعا الراهن ، وحول ازمة حركة المقاومة الفلسطينية . مع ان غلاف الكتاب الاول مهور بهاتين الكلمتين : «دراسة نقدية» وغلاف الكتاب الثاني مهور بهاتين الكلمتين : تحليل وتوقعات ، ولا يضيف التقرير حول حملة ايلول شيئا . أما كراس : «حول العفوية والنظرية في العمل الفدائي» فانه يضم ارقاما ، وهو يحاول ان يحلل بعض الظواهر ، ولكن ... ؟ الأرقام

---

١ - مرقص ، الياس : عفوية النظرية في العمل الفدائي ، دار الحقيقة ،

ص ( ٢٢١ - ٢٢٢ ) ، ٢٢٢ ، ( ٥٦ - ٦٠ ) ، ١٢٨ .

ناقصة وفاصرة . وهي تنطلق من «الاقتصاد» بمعناه الضيق لتستنتج قوانين سياسية ، وهي تنطلق من وضع طبقة معينة لتقرر كل شيء . انها تحلل البرجوازية اليهودية مثلا ، ولا تحلل تركيب المجتمع الصهيوني الاحتلالي في علاقته الطبقية المحلية والطبقية الدولية . كما انهي تنسى خصوصية المجتمع الصهيوني الاحتلالي نسيانا كاملا مع انها الظاهرة الابرز ، التي تحدد وضع الطبقات داخل هذا الكيان .

وسوف اقدم مثلين على التعميم من هذا الكتاب :

الاول: يتعلق بالبرجوازية الاردنية: والكراس يذكر البرجوازية الاردنية (٢) دون ان يفرق بين برجوازية الضفة الغربية وبرجوازية الضفة الشرقية وبين البرجوازية الفلسطينية المقيمة في الضفة الشرقية وبرجوازية الضفة الشرقية ذاتها . البرجوازية الفلسطينية، سيان كانت في الضفة الشرقية او الضفة الغربية يعاملها النظام على انها من الدرجة الثانية ، حتى عملاؤه منها . وهي فوق هذا تخضع لاحتلال شرس ، اذا كانت في الضفة الغربية ، وتخضع لمنافسة البرجوازية الصهيونية المتطورة والقوية والمسنودة من الدولة . اما اذا كانت في عمان ، فان «مصالحها» : البنوك والاراضي والشركات الخ خاضعة للاحتلال وهيمنته وتفوقه الاقتصادي . واختلاف اوضاع البرجوازية لا بد ان يقود الى اختلاف جزئي في مواقفها . البرجوازية الشرق اردنية اكثر التصاقا بالنظام ، والنظام حريص على تمييزها . اما البرجوازية الفلسطينية فهي ملحقه ، وهي تحس بذلك . وهي فوق هذا تخضع لاضطهاد النظامين نسيبا : الاردني والصهيوني ، ولذلك يجب ان نحدد حقيقة مواقف شرائح البرجوازية المختلفة بناء على دراسة الوضع للموس ، فاین هو الوضع للموس . هذا ما تكثر

ج.ش.د الحديث عنه . ولكنها لا تقدمه (١) .  
الثاني : نسبة الفلاحين في اغلب الدول العربية: يقرر الكراس  
ان «نسبة الفلاحين في غالبية الدول العربية حوالي ٨٠ بالمائة من  
السكان» (٢) . ولكن دون ان يذكر المرجع . ودون ان يقدم جداول  
لاي بلد عربي . وهذه النسبة بالطبع ليست صحيحة بالنسبة  
للبلاد العربية . وهي لا تتجاوز ٦٠ بالمائة كما يبين ذلك اليباس  
مرقص (٣) .

ان مثل هذه التعميمات كثيرة وكثيرة جدا لدى ج.ش.د . لا  
في خطابات قادتها فحسب . بل في «تقاريرها» و«دراساتها» .  
وآخرها التقرير حول حملة ايلول .

وسوف اقدم بعض الامثلة على «التعميم» في هذا التقرير :  
اولا : يقول التقرير : «١ - ان السياسة الاقليمية التي اخذت  
بها بعض فصائل المقاومة طيلة السنوات الثلاث الماضية (فلسطينة  
القضية الفلسطينية سياسيا . وطنيا . ثقافيا . مهنيا في الساحة  
الفلسطينية - الاردنية ، وشعارات عدم التدخل بالاوضاع  
الداخلية للاقطار العربية) وقد دفعت باتجاه تعميق الانقسام بين  
ابناء الشعب الواحد (فلسطيني - اردني) (٤) . ولست انا بصدد  
الدفاع عن الخط الاقليمي لبعض فصائل المقاومة . ولكني اود ان  
انبه ج.ش.د الى الحقائق التالية :

١ - ان انتهاج بعض فصائل المقاومة خطا اقليميا يقتضي تسمية  
هذه الفصائل . والجنحة الديمقراطية عادة تسمى «فتح» . ولقد  
انتهجت فتح هذا الخط . ولكن ما هو الاكثر خطرا والابعد اثرا

- 
- ١ - مرقص ، اليباس : المرجع السابق ص ١٢٧ - ١٢٨ .
  - ٢ - ج.ش.د : المرجع السابق ص ٦٧ - ٦٨ .
  - ٣ - مرقص ، اليباس : المرجع السابق ، ص ١٨٠ - ١٩٢ .
  - ٤ - ج.ش.د : حملة ايلول والمقاومة الفلسطينية ص ٢٢ .

ان تنشئ فتح اتحادا للمرأة الفلسطينية مثلا، او ان تعلن ج.ش.د شعار : «كل السلطة للمقاومة» . والمقاومة بالطبع فلسطينية . ولماذا تذكر ج.ش.د ما ارتكبته «فتح» من اخطاء ، ولا تذكر ما ارتكبته هي . صحيح ان انشاء اتحاد للمرأة الفلسطينية مثلا يقود الى انقسام اقليمي ، ولكن الا يدفع شعار مثل : كل السلطة للمقاومة ، ولا سلطة فوق سلطة المقاومة الى انقسام اقليمي ؟ الا يفرض طرح مثل هذا الشعار على ابناء الضفة الشرقية الشعور بان ابناء الضفة الغربية ، الوافدين واللاجئين ، يريدون ان يحكموهم ؟ لماذا لم يقيم تقرير الجبهة الشعبية الديمقراطية هذا الشعار عندما طرح قضية اثاره النعرات الاقليمية ؟

ب - ان ج.ش.د. و ج.ش.ت.ف ، وطلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة) و ج.ت.ع ، و م.ف.ع و قوات الانصار والحزب الشيوعي الاردني ليست منظمات اقليمية مثل فتح ، ولها نضالها وتراثها على صعيد الاردن كله . وهي ليست جديدة في الميدان ، كما يقول تقرير ج.ش.ع. فلماذا عجزت عن استقطاب جماهير الضفة الشرقية ؟ ولماذا لا تطرح ج.ش.د على نفسها هذا السؤال ؟ اذا كان السبب ذاتيا ، اي اذا كان متعلقا بفجور هذه الحركات عن تنظيم الجماهير ، فانه يستحق ان يناقش ، واذا كان السبب موضوعيا ، اي متعلقا بوضع الجماهير في الضفة الشرقية ، فانه يستحق ان يناقش ايضا . واذا كان خليطا من الاثنين فانه جدير بالمناقشة .

ثانيا : يقول التقرير : «ان الحياة الاقتصادية للقوى الاردنية تعتمد في معظمها على اجهزة الدولة وخطط الرجعية الحاكمة . فان ٥٠ بالمائة من دخل القرية يأتي من المنخرطين في صفوف اجهزة الدولة وخاصة الجيش ... (١) » ولي على هذا النص



## الملاحظات التالية :

أ - هناك فرق أساسي بين «معظم» و «بالمئة» . معظم تعني ٧٥ بالمئة ، ٨٠ بالمئة ، ٨٥ بالمئة ، ٩٠ بالمئة ، ومن لا يرى فرقا بين معظم و «بالمئة» فهو لا يرى شيئا .

ب - من اين استمد التقرير هذه الحقيقة الهامة ؟ وهل هذه الحقيقة صحيحة ؟ لان نتائج خطيرة وكبيرة تترتب على صحتها او عدم صحتها .

ج - هل يعني الاعتماد على الدولة «اقتصاديا» الارتباط بالدولة ايدولوجيا . ان هذه «الواقعة» ، بغض النظر عن صحتها او خطأها ، لا يمكن فهم مدلولاتها الا اذا تم تحليل الريف فسي شرق الاردن ، وتحليل العلاقات العشائرية فيه ، وتاريخ الارتباط بالدولة والتعبئة التي قامت بها اجهزة الدولة ، ولاسيما الجيش . لقد كان تنظير ج.ش.د يقوم على ان الخاص بديل العام والعام بديل الخاص . العالم الثالث مثل البلاد العربية والبلاد العربية مثل العالم الثالث (١) . ولكن العام لا يلفي الخاص ، والخاص لا يلفي العام . وتجاهل هذه الحقيقة يقود الى الضياع . واذا كان التأكيد على «التحليل الملموس للواقع الملموس» ضروريا ، فان الهام ليس اطلاق الشعار بل تنفيذه ، وج.ش.د اكثر من شدد عليه ولكنها لم تنفذه ولو مرة واحدة ، ولذلك فقد ظل «ملموسها» غير ملموس .

ثالثا : لا ثورة بلا نظرية . هذا ما تؤكد ج.ش.د . وهو ما يؤكد لينين وماو تسي تونج . ولكن ما هي النظرية ؟ ولما النظرية ؟ ان الماركسية والماركسيين هنا لا يخطئون . النظرية للحزب الماركسي . على اساسها يقوم ، وهي الهادي ودليل العمل . ولكن النظرية ليست للجهة ، الا اذا كانت جهة برجوازية او بروتيتارية .

١ - مرجع . البار : المرجع السابق \*

ووفق ما جاء به المنظرون الماركسيون . فان للجهة برنامجا .  
والبرنامج غير النظرية . وعليه فاذا كان خلق الحزب الثوري  
يحتاج الى نظرية ثورية . فان خلق الجهة يحتاج الى برنامج  
ثوري .

واهمية هذا التفريق ضرورية . لانني بمقدار ما يجب ان اشدد  
على النظرية بالنسبة للحزب . علي ان اشدد على البرنامج بالنسبة  
للجهة . ولكن ج.ش.د خلطت الحابل بالنابل . ذلك «ان تاريخ  
الثورات والشعوب يعلمنا ان لا ثورة بدون نظرية ثورية ، لا حركه  
ثورية بدون نظرية ثورية» و«على حركة التحرر الوطني الفلسطينية  
والعربية ان تختار بين الايديولوجية البرجوازية والرجعية التي  
قادتها الى الفشل والهزائم على امتداد هذا القرن . او تأخذ  
بايديولوجية البروليتاريا . نظرية الطبقة العاملة للثورة الوطنية  
الديمقراطية . وحرب التحرير الوطنية» (١) . وواضح هنا ان  
نايف حواتمة يريد نظرية البروليتارية لكل حركة التحرر الوطني  
الفلسطينية والعربية . وهذا يقتضي :

١ - ان نجعلها حركة الاقسام المتقدمة من البروليتاريا فقط .  
ومن المثقفين المتورين .

ب - ان نشطب دور البرجوازية الصغيرة والوطنية في حركة  
التحرر الوطني . وان نلغي كل التحالفات الممكنة .  
وهو ما يخالف الاستراتيجية الماركسية - اللينينية لحركة  
التحرر الوطني . وما يخالف تكتيكها . ومثل هذه الافكار لا تقود  
الى التحرير بل الى العزلة والتشردم .

والماركسية تصر على ضرورة وجود نظرية ثورية للثورة ، لانها  
تري ضرورة وجود منهج للتخيل ، منهج علمي ، قادر على دراسة  
القضايا دراسة علمية وتحليلها تحليلا علميا . فاذا لم تقم النظرية

---

١ - ج.ش.د : حركة المقاومة . مقدمة نايف حواتمة ، ص ٩ .

بهذه المهمة . كما هو حاصل مع ج.ش.د . فقدت أهميتها .  
وكانت مشكلة ج.ش.د الأساسية انها اعلنت تبني الماركسية  
دون ان تستطيع استيعاب هذا العلم وتمثله . ولذلك اصبح  
«التنظر» اجتهادات قاصرة . وتعميمات بدائية لا علاقة لها بالنظرية  
لا من قريب او بعيد . ولقد قاد هذا الى شكل متخلف من  
«الاقتصادية» . والى شكل مشوه من «المثالية» .

رابعا : قضايا الاستراتيجية والتكتيك . ان مقدار استيعاب  
النظرية هو الذي يحدد مدى وعينا لقضايا الاستراتيجية والتكتيك .  
والثوري الذي لا يعي قضايا الاستراتيجية والتكتيك جيدا ، لا  
يستطيع ان يقاتل نظريا او عمليا .

ومما يطرح عند بحث قضايا الاستراتيجية والتكتيك :  
التناقضات الرئيسية والتناقضات الثانوية ، العدو الرئيسي  
والاعداء الثانويون . اسلوب الكفاح الرئيسي والاساليب الثانوية  
الخ ... طبيعة وضعنا . وطبيعة وضع العدو . خصائص ارضنا  
وشعبنا ، وخصائص الارض والشعب لدى العدو .  
ولأن ج.ش.د لم تفعل شيئا من هذا فقد وقعت في اخطاء  
كبيرة . من هذه الاخطاء :

١ - الاصرار «على ان الاعداء الرئيسيين المباشرين امام الشعب  
الفلستيني وكل الشعوب العربية هي الامبريالية والصهيونية  
والرجعية العربية» (١) . ولكن هل الرجعية العربية عدو رئيسي  
مباشر ؟ ومن هي الرجعية العربية ؟ هل هي الاقطاع كله  
والبرجوازية كلها ؟ ان علم الاستراتيجية والتكتيك في الماركسية  
يعلمنا ان نفرق بين العدو الرئيسي والعدو الثانوي . العدو الحالي  
والعدو المقبل ، ويعلمنا ان الاصدقاء درجات والاعداء درجات (٢)

١ - ج.ش.د : حركة المقاومة ص ١٢٢ ، مرقص ، الياس : المرجع السابق ص ٦٤

٢ - تا ، شنبو : حول الحرب الاهلية العشرية (١٩٢٧-١٩٢٧) ص ٦١-٦٢ و٦٦ .

وفي داخل الرجعية هناك اعداء متدرجون : اعداء حاليون واعداء مقبلون ، اعداء على احتكاك معنا ، واعداء بعيدون عنا . واعداء متحالفون . والرجعية بالطبع ليست طبقة موحدة . انها اقسام من طبقات مختلفة . بما فيه الطبقة العاملة . ويختلف موقف الرجعية باختلاف مصالحها ووعيتها وتناقضاتها وتحالفاتها فسي مرحلة التحرر الوطني . ولا بأس من التذكير بان فئات من الاقطاع والكمبرادور تحالفت مع الثورة الصينية ضد اليابان . ولا بأس من التذكير ايضا الى ان ماوتسي تونج اظهر بوضوح اهمية التحالف مع الرجعية الصينية المرتبطة بالدول الامبريالية المعادية لليابان . وعلى هذا الاساس فان اعتبار الرجعية عدوا يستفز كل الرجعيين ضد الثورة . ومن الواضح ان الاستراتيجية الثورية لا تقع في هذا الخطا . فاذا لنا مضطرين لمجابهة النظام في الاردن . فما من داع لاشهار الحرب على النظام في المغرب . مع ان النظام اخسو النظام .

ومثل هذا التعميم لا يقود الى توسيع المعركة فعلا : انه يقود الى وحدة الاعداء ضدنا . اعداء اليوم واعداء المستقبل . الاعداء القابلين بالتحالف . والقابلين بالمهادنة والحياد وغير القابلين بهما . ٢ - الاصرار على تضيق جبهتنا مقابل توسيع جبهة العدو . وذلك بالاصرار على اسقاط البرجوازية الصغيرة وانظمتها . ولم يكن يجري التفريق في البدء بين برجوازية صغيرة حاكمة وبرجوازية صغيرة معارضة . بين فئة وفئة من البرجوازية الصغيرة . واذا كان قد تم شيء من هذا بعد ذلك . فقد تم على عجل . ودون مناقشة مسألة البرجوازية الصغيرة مناقشة علمية مستفيضة . وكان التركيز يجري دائما على ضرورة قيادة البروليتاريا للجبهة . ولكن اية بروليتاريا ؟ اذا اخذنا النتائج بأسبابها عرفنا ان البروليتاريا المقصودة هي ج.ش.د.

ان عمليات «الروح» التي قامت بها ج.ش.د ضد البرجوازية الصغيرة عموما وبرامجها وانظمتها . لا يمكن ان تكون الا اخطاء

استراتيجية هامة ، مبعثها عدم تحديد دور كل طبقة ومهامها في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي .  
وكان مثل هذين الخطاين يدفعان الى تضيق جبهتنا باستمرار

وتوسيع جبهه العدو ، بدلا من ان يحدث النقيض .

٣ - موضوع الجبهة الوطنية : تعتبر ج.ش.د «ان مسألة الوحدة الوطنية بين فصائل المقاومة والقوى الوطنية المناضلة مسألة لا تقبل الجدل ، فهي واحده من اهم مشكلات حركة التحرر الوطني الفلسطينية» (١) . ويطلبنا التقرير ب «صياغه برنامج عمل لجبهة وطنية موحدة ، برنامج للتحرر الوطني الديمقراطي على ضوء تجربة الثلاث سنوات بشكل عام وتجربة اليلول ودروسها ونتائجها بشكل خاص ، لجابهة كافة الاخطار والمشاريع المتعلقة بقضية الثورة والقضية الفلسطينية خاصة وحركة التحرر العربية عامة» (٢) . ولكن الهامش يذكرنا بمشروع سابق للجبهة الوطنية وموضوعات اخرى ، منشورة في كتاب ج.ش.د : حركة المقاومة ... الخ ، وما دامت ج.ش.د لم تقدم شيئا جديدا ، وطلبت منا العودة الى مشروع سابق ، فمعنى ذلك انها ما زالت تبناه . فما هي الاسس التي انطلقت منها الجبهة ؟ انها :

١ - العلاقات المتكافئة : اذ «ان العلاقة المتكافئة بين قوى حركة المقاومة هي الصيغة الصحيحة التي يمكن من خلالها ان يتم تجاوز التناقضات الذاتية وتوحيد عدد من القوى التي ليس هناك اي فروقات اجتماعية او سياسية بينها» .

ب - التمثيل المتساوي ، ولهذا : «تشكل كافة قيادات وهيئات الجبهة الوطنية بتمثيل متساو بين كافة التنظيمات وتتولى التنظيمات المشتركة في الجبهة رئاسة هذه الهيئات دوريا» .

١ - ج.ش.د : حركة المقاومة ، ص ٤٤ .

٢ - ج.ش.د : حملة اليلول ، ص ٦٧ .

ج - الاجماع ، و«تؤخذ القرارات داخل الجبهة بالاجماع ، بما يتفق وبنود البرنامج الوطني المقترح» (1) .  
وهذه الاسس بالطبع لا تقود الى خلق جبهة وطنية ، بل الى «تنسيق هزيل» ، و«التنسيق الهزيل» لا يجدي في الحركات الثورية . وتعرف ج.ش.د قبل غيرها ان مشروع العلاقات المتكافئة والمساواة والاجماع ليست من مبادئ التنظيم الثوري ، ولا من قواعد الجبهات الثورية . وان الجبهات لا تبنى على مثل هذه القواعد والمبادئ ، وما من تجربة في التاريخ القديم او الحديث قامت على هذه الاسس .

وهناك دائما عوامل تحدد حجم كل فئة او قوة ضمن الجبهة وهذه العوامل معروفة ، اهمها : حجم كل فئة ، قوتها ، مدى التفاف الجماهير حولها ، دورها في النضال الخ . ولن نستطيع تجاوز هذه الحقائق .

اما العلاقات المتكافئة والمساواة والاجماع : فانها تخلق في عالم العمل السياسي شللا ، وتفتح المجال للمناورة والتخريب ، وتربط العمل الوطني كله بمزاج واحد ، وربما بارادة واحدة ، او بمطمح واحد .

والذي يطرح مثل هذا الطرح لا يريد وحدة ، لانه لو كان يريد لها لطحها ضمن اطارها الواقعي . والذي يطرح مثل هذا الطرح لا يدرك معنى الوحدة الوطنية ومقوماتها ، ولا استراتيجيتها وتكتيكها .

و ج.ش.د حين تطرح مثل هذا الطرح ، تناور على الوحدة الوطنية من اجل مصلحة ذاتية هي تأكيد هويتها ومكانتها ومساواتها . وهي في الوقت عينه تعطي منظمات اخرى اصفر واضال واهزل مثل هذا الحق . انها «تشرذم» الوحدة الوطنية .

---

1 - ج.ش.د : حركة المقاومة ص 144 .

خامسا : في الممارسات : اذا كان صحيحا ان لا ثورة بدون نظرية ثورية ، فان الاصح في ميدان العمل الثوري ان لا عمل ثوري بدون ممارسة ثورية . النظرية هي دليل الممارسة ، ولكن الممارسة هي المعيار : معيار الوعي والسلوك . وبالتالي فاننا لا يجوز ان نتحدث عن النظرية بدون الممارسة .

وإذا كان «التنظير» ليس سهلا ، فان الممارسة اصعب واكثر تعقيدا . وعليه فان من يشطح هكذا في التنظير لا يتوقع منه ان يحسن الممارسة .

وانطلاقا من هذه الحقيقة ، فقد كانت الممارسة منفصلة عن الشعارات ، وكان الفصام حادا وعنيفا . ولهذا فاذا كانت الشعارات شعارات بناء الحزب الماركسي - اللينيني ، والاتحام مع الجماهير ، والنقد والنقد الذاتي والمراجعة النقدية الصارمة والتقصيف ، فان الممارسة هي بناء التنظيم البرجوازي الصغير والعزلة عن الجماهير ورفض النقد والنقد الذاتي والاسراف الخ ...

وحين رفعت ج.ش. شعار تبني الماركسية ، رفعته لانها تريد بناء تنظيم طبيعي ، مركزي ديمقراطي فماذا كانت النتيجة ؟ كانت النتيجة بعد اكثر من سنتين من الممارسة ، ان التنظيم الذي خلقوه يعنصره وكوادره لا يختلف عن التنظيمات الاخرى . هذا ما اثبتته معركة ايلول . ولقد كانت خيبة الامسل بالقيادات ، لا بالعناصر ، لانها لم تثبت انها تتجاوز القيادات الاخرى . مع ان المفروض بالكوادر الماركسية اللينينية ان تكون اوعسى واكثر استعدادا للتضحية ، واكثر جلدا وقدرة على القتال والابداع فيه . ولهذا فقد اصبح الحزب الماركسي - اللينيني الطبيعي نخبة منعزلة لا تربطها بالجماهير الا الشعارات والبيانات ، وبات الحزب الماركسي يشكو تخلف الجماهير التي تلتف حول «فتح» اليمينية . ولم تحاول الطليعة - الماركسية ان تدرس اسباب عزلتها ، واسباب فشل منظماتها الجماهيرية . وكانت قيادة الطليعة الماركسية تتحدث كثيرا عن التقصيف ،

وتنتقد اسراف المنظمات الاخرى (المكاتب ، الرواتب ، زيادة المطاعم الفخمة) . ولكن الذي كان في عمان ، وعبرف مكاتب المنظمات وسلوك القيادات كان لا يجد فرقا بين مكاتب التنظيم الطليعي الماركسي ومكاتب المنظمات الاخرى ، ولا كان يجد فرقا بين قاده البروليتاريا وقادة البرجوازية الصغيرة واليمين .

وليست هذه هي التناقضات الوحيدة . ان هناك تناقضات اخرى تذكر منها ادائه المبالغة لدى المنظمات الاخرى ، والاغراق في المبالغة من جهة اخرى . ماذا تقول ج.ش.د عن عملية «تشي غيفارا» مثلا ؟ ..!

وعلى صعيد الممارسة لم تكن تستحق تجربة الجبهة في العلاقة مع الجماهير ، في جمع التبرعات ، في العمل النقابي ، في العلاقة مع رجال الجيش والشرطة الخ ان تقيم في التقرير ؟ ولماذا لم تقيم ؟

ثم ان الجبهة كانت ، كما يعرف الجميع بما فيه المخابرات الاردنية ، قد قررت القيام بانتفاضة في آب ١٩٧٠ (١) ، وهذا يعني ان الظروف كانت ناضجة ، فلماذا لا تذكر الجبهة هذه الحقيقة ولا تقيمها ؟ الا تستحق التقييم ؟ ماذا يكون لو ان الجبهة بادرت قبل ان تبادر السلطة ؟ وهل يدل تفكير ج.ش.د على شيء غير الابتعاد عن التحليل العلمي ؟

واذا كانت ج.ش.د تنتقد امتلاء «الساحة باكداس الجمل الثورية العصبية» (٢) اليوم فلماذا لا تشير الى مثل هذه الجمل فيما قبل ايلول .

وانا اذا كنت اطالب بمراجعة الممارسات ، فليس لاني اعتقد بانها سبب المجزرة ، فالمجزرة كانت ستكون اسرع واقطع لو كانت

١ - الصحيح انها قررت في آب التحضير لانفاضة .

٢ - عواد ، خليل : الحرية ، العدد ٥٥٢ ، ٧١-٢-٨ : الملبيا ضحية

التراجع غير النظم .



ممارساتنا أوعى وأنضح وأكثر ثورية ، لان العدو يخافنا كل ما كنا اكثر وعيا واكثر حزما . ولكني اطالب بذلك لاني اعتقد بان نسيان الماضي هو تفريط بالمستقبل ، ولاني اعتقد بان الذين يعجزون عن كشف اخطائهم ومحاسبة انفسهم لا بد عاجزون عن مواجهة العدو والانتصار عليه .

واذا كان الاخ خليل عواد ، يتحدث في مجال الرد على مقالي عن الميليشيا (1) عن الوحدة البيروقراطية التي حدثت بعد ايلول ، فان التقرير يتحدث عن الموضوع نفسه ، وهنا لا بد من جلاء الامور التالية :

١ - ان الوحدة الوطنية التي تحدثت عنها في المقال المشار اليه ، هي الوحدة التي تمت خلال القتال ، وتبلورت بعده بقرار من اللجنة المركزية ، وبحضور نايف و خليل عواد نفسه . وهذه الوحدة لم تكن وحدة مكاتب ولا وحدة بيروقراطية ، كما يعرف خليل عواد نفسه ولو يا . . . .

٢ - ان بعض قادة ج.ش.د ساهموا في احباط هذه الوحدة الوطنية ، وفي تحويلها الى وحدة بيروقراطية مكتبية ، لانهم تخلوا عن مساندة الشكل الاول ، واهملوا في معالجة امر الشكل الثاني من البدء . و خليل عواد يعرف هذا كله . . . .

٣ - ان الوحدة التي تحققت كانت تستهدف : تعبئة طاقات الجماهير ، توحيد قوات الثورة ، ومقاومة المؤامرة الرجعية الشرسة ، وقد نجحت بعد ايلول في الحيولة بين السلطة وبين فرض هيبتها . ولم تستطع السلطة ان تبدأ من جديد الا بعد احباط عملية الوحدة الفورية الثورية .

فلماذا تتجاهل ج.ش.د هذا كله ، وتتحرف بالحديث الى شيء آخر ؟ ولماذا لا تتذكر هذه القطعة الهامة من تاريخ ما بعد

## المجزرة ؟

ان الظرف عصيب فعلا وانه «يتطلب جهدا جماعيا منظما لصياغة مجموع سياساتنا الوطنية الديمقراطية في هذه المرحلة» ولكن اية محاولة «للخروج ببرنامج يحدد المهمات الراهنة لحركة المقاومة ويضع الوحدة الوطنية الحقيقية على كافة المستويات السياسية والتنظيمية والفكرية» (١) لا يمكن ان تتم دون اجراء تقييم حقيقي لا لتجربة ايلول فحسب ، بل لكل الممارسات النظرية والعملية ، منذ آب ١٩٦٨ حتى الآن ، بالنسبة لـ ج.ش.د ومنذ حرب حزيران بالنسبة لفتح .

ان الذي لا يقمّ الماضي تقييما امينا صادقا واعيا لا يستطيع ان يخطط للمستقبل .

# خطوط أساسية لمشروع برنامج سياسي للجبهة الوطنية الفلسطينية

ملاحظات كتبت قبل انعقاد  
المجلس الوطني الفلسطيني في أوائل  
سنة ١٩٧١ ، وهي من الملاحظات التي  
اعدت للنقاش ، وجرت الاستفادة  
منها في حينه . ولكنها لم  
تشر كاملة .

## مقدمة

اصبح موضوع الوحدة الوطنية اكثر ضرورة في هذه الايام من  
اي وقت مضى لسببين :  
اولهما : لان مؤامرة التصفية تستلزم وحدة كل القوى وحدة  
حقيقية ، ليكون بالامكان هزيمة القوى المضادة ، وفي الاردن  
خاصة ، ومواصلة مسيرة التحرير .  
ثانيهما : لان استمرار «التشرذم» في هذه المرحلة الحرجة  
سيقود الى مزيد من الضياع والبلبلة ، وبالتالي الى التراجعات غير

المنظمة ، التي تجر بدورها الى «تشرذمات» وانقسامات .  
ولعل امكانيات الوحدة متوافرة اليوم اكثر من أي وقت مضى ،  
لان قواعد المنظمات اكثر ايمانا بها ، واكثر اقتناعا ، واكثر شعورا  
بضرورتها . ولان القيادات ، وهي تواجه مثل هذا الهجوم الشرس ،  
باتت اكثر استعدادا للاتفاق (1) .

ولكن المسؤولية الكبيرة ، تقع علينا ، على حركة التحرير  
الوطني الفلسطيني (فتح) فاذا ما قررت انها تريد الوحدة ،  
وصممت على تنفيذها فانها تتحقق ، فكيف تتحقق ؟  
علينا ان نقوم بما يلي :

اولا : وضع برنامج سياسي واضح ومحدد للجبهة ، يحدد  
المهام الاساسية للحركة الوطنية الفلسطينية ، ويحدد واجب كل  
القوى في هذه المرحلة التاريخية .  
ثانيا : وضع برنامج تنظيمي للجبهة يكفل الوحدة ، ويضمن  
بقاء التنظيمات التي ترى من الضروري ان تبقى ، وهذا ممكن وليس  
مستحيلا .

الا ان هذا كله لا يتحقق الا اذا الزمنا انفسنا بشيئين :  
الاول : احترام هذه الوحدة ، واحترام افكار المشاركين فيها  
ومنظماتهم وقبولهم شركاء في الجبهة وتوفير مشاركة ديمقراطية  
ثورية في كل مؤسسات الجبهة .

الثاني : اختيار المؤمنين بهذا الخط للمشاركة في مؤسسات  
الجبهة ، وابعاد كل الذين يحملون آراء معادية للجبهة عن ميدان  
العمل الجبهوي ، والزامهم بقرارات المجلس الثوري ، وقرارات  
اللجنة المركزية لحركتنا ومؤسسات الجبهة الزاما تاما .  
فاذا لم نلتزم بهاتين الموضوعتين لم يجد اي شعار نطلقه في

---

١ - لم تثبت الممارسات اللاحقة صحة هذه الموضوعة ، والا فلماذا لم تتحقق  
الوحدة الوطنية حتى الان ؟

سبيل الوحدة الوطنية ، وأصبحت كل خطوة نخطوها في هذا السبيل فاشلة سلفا .

## ١ - مشروع البرنامج السياسي .

أولا : تمثل الجبهة الوطنية الفلسطينية جماهير الشعب الفلسطيني ومؤسساته المقاتلة وأحزابه وجمعياته وشخصياته الوطنية ، مهما كانت اتجاهاتهم وآراؤهم وأفكارهم ، شريطة أن يلتزموا بهذا الميثاق .

ثانيا : يحق لأي منظمة أو حزب أو جمعية أو شخصية أن تنضم للجبهة ، إذا وافقت على الالتزام ببرنامجه السياسي ولائحتها الداخلية ، ولا يجوز استبعاد منظمة أو حزب أو جمعية أو شخصية ، إلا في الحالات التي تقتضيها مصلحة أمن الثورة ، وهذا يتم بقرار من اللجنة المركزية ، أو المجلس الوطني في حالة انعقاده .

ثالثا : أهداف الجبهة :

١ - تحقيق التحرير الكامل للأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة ، وهذا هو الهدف الأساسي والمركزي للثورة الفلسطينية .

ب - تعبئة الجماهير الفلسطينية تعبئة ثورية ، عسكرية وسياسية وإعلامية ، وأشراكها كلها في معركة التحرير .

ج - تصعيد الكفاح المسلح ضد العدو وتصعيد كل أشكال النضال السياسي والإعلامي .

د - توحيد كل قوى الجماهير الفلسطينية في الداخل والخارج من أجل تصعيد الثورة وحمايتها والسير بها نحو النصر .

رابعا : أشكال النضال :

أ - أن الكفاح المسلح : حرب العصابات المتصاعدة على طريق

الحرب الشعبية الشاملة هي الشكل الرئيسي للنضال .

ب - النضال السياسي : ان كل اشكال النضال الاخرى يجب ان تسير جنبا الى جنب ، مع الكفاح المسلح تعضده وترفده ، وتفعل ما لا يستطيع القيام به .

وإذا كان هدف الكفاح المسلح ضرب قوى العدو العسكرية وتدمير منشآته ، فان هدف اشكال النضال الاخرى ارباك العدو سياسيا ، وارهاق قوات امته وجيشه ، وشل اجهزته الادارية واحباط مشاريع الاستسلام التي يعدّها ويقوم بها .

هـ - الحرب النظامية : ان الاستفادة من اية قوة نظامية ضرورة ملحة اذا كان ذلك ممكنا ، ولذلك فلا بد من تطوير قوى جيش التحرير الفلسطيني ، وزيادة كفاءتها العسكرية ، واشراكها اشراكا فعالا في القتال ، كما لا بد من العمل باستمرار لدفع الجيوش النظامية العربية الى المشاركة في المعركة .

ان الحرب الشعبية تعني تجنيد الشعب كله ، واذا كانت الحرب الشعبية ذات تقاليد معروفة ، فانها لا تتعارض بأي حال من الاحوال مع انشاء قوات نظامية ، شريطة ان تكون هذه القوات النظامية تدرك اهمية حرب الشعب ، وتثق بالجماهير وباهمية تدريبها وتسليحها ، وتعمل وفق استراتيجية حرب الشعب وتكتيكها .

خامسا : طبيعة الحركة الوطنية الفلسطينية :

ا - حركة التحرير الوطني الفلسطيني حركة تحرر وطني . ولذلك فاستراتيجيتها وتكتيكها هما استراتيجية حركة التحرير الوطني وتكتيكها : اي انها حركة كل الجماهير المناضلة ضد الاحتلال ، المؤمنة بضرورة التحرير ، المستعدة للانخراط في صفوف الجبهة الوطنية .

وهذا يعني ان كل الطبقات (العمال ، الفلاحين ، البرجوازية الصغيرة ، وكل فئات السكان الاخرى) مدعوة للانخراط في الجبهة ، مقابل الالتزام ببرنامجه السياسي والتنظيمي . كما يعني ان كل المنظمات والاحزاب والجمعيات ، مهما كانت افكارها

ومبادئها مدعوة للانخراط أيضا .

ب - حركة التحرير الوطني الفلسطيني حركة تقدمية ، لانها :

١ - تحارب احتلالا اسكانيا عنصريا ، هو جزء من قوى الانبريالية في عالم اليوم .

٢ - تحارب الامبريالية العالمية ، حامية الاحتلال الصهيوني ، المعادية لمطامح شعبا وآماله .

٣ - تحارب كل العلاقات المتخلفة في مجتمعنا لانها تعرقل مسيرة التحرير .

٤ - تستهدف بناء مجتمع تسود فيه مبادئ السلام والعدل والحرية والمساواة ، وتنتفي فيه المشائرية والسيطرة الاقطاعية والتفرقة الدينية او العرقية .

ج - حركة التحرير الوطني الفلسطيني حركة ديمقراطية لانها :

١ - حركة كل القوى التقدمية في المجتمع .

٢ - تتيح المجال لكل الحركات والمنظمات والاحزاب للمشاركة في الكفاح من اجل التحرير .

٣ - تستهدف بناء مجتمع ديمقراطي يفسح المجال امام كل الحركات والمنظمات والافكار والآراء التي قاتلت لكي تبني مجتمع المستقبل .

سادسا : الجبهة الوطنية الفلسطينية والجماهير العربية :

ان الجبهة الوطنية الفلسطينية

١ - جزء من حركة التحرر الوطني العربية ، وطلعتها في هذه المرحلة التاريخية .

ب - فلسطين المستقبل ، المستقلة المتحررة ، جزء من الوطن العربي الموحد ، تخضع لما تخضع له الاجزاء الاخرى .

ولهذا فان مشاركة الجماهير العربية في القتال ، وفي حماية الثورة ، مهمة اساسية من مهمات الثورة العربية ، وعلى كل الطلابيين العرب ، سيات كانوا من الجبهة الوطنية لتحرير فلسطين ، او كانوا من الحركات والمنظمات العربية والمستقلين

العرب ، ان يعملوا بوعي وداب لجعلها حقيقة يومية ملموسة .  
وان اول واهم ما يجب ان يعمل له الوطنيون العرب هو ما يلي:  
١ - احباط المشاريع التصفية ، مثل قرار ١١-٢٢-٦٧ ،  
ومشروع روجرز . وكل المشاريع الاخرى ، وعلى راسها مشروع  
الدولة الفلسطينية .

٢ - حماية الثورة من مؤامرات الانظمة العربية ، ومن تحرشاتها  
وتضيقاتها .

٣ - توفير احتياجات المعركة ، لاسيما الدعم المادي والمعنوي  
والمساندة السياسية .

ويجب ان يكون واضحا دائما بان علاقتنا مع الجماهير العربية  
هي الاساس . وان علاقتنا مع الانظمة لا تكون على حساب علاقتنا  
مع الجماهير . وان كان هذا لا يعني قطيعة مع الانظمة ، ولا يعني  
استفزاز الانظمة بلا مبرر او دخول معارك اعتباطية معها .  
ويجب ان نضع في اعتبارنا ان الجماهير العربية هي التي  
تخوض معاركنا في البلاد العربية .

سابعا : الجبهة الوطنية الفلسطينية والاردن :

اتحدت الاردن وفلسطين منذ سنة ١٩٥٠ . ومنذ ذلك الحين  
والبلدان بلد واحد ، هذا بالاضافة الى العلاقات التاريخية  
والقومية والثقافية التي توحد الشعبين منذ القديم . وبما ان  
القسم الاكبر من جماهيرنا هم مواطنون في الضفة الشرقية ، فان  
وضعنا في الاردن يختلف عن وضعنا في اي بلد عربي .  
وبالاضافة الى هذا فان الاردن بوضعه الجغرافي والاستراتيجي  
يستطيع ان يلعب دورا اساسيا في معركة التحرير . ولهذا فان  
وجود حكم وطني في الاردن ، هو مطلب جماهيري من جهة ، وهو  
حاجة استراتيجية من جهة اخرى .

ولذلك فان علينا :

١ - ان نخلق جبهة وطنية موحدة فلسطينية - اردنية ، توحد  
النضال والجماهير ، وتحبط مخططات الامبريالية والرجعية



الأردنية الهادفة إلى سحق الحركة الشعبية الوطنية وحركة المقاومة .

ب - ان نعمل من أجل اسقاط السلطة الخائنة العميلة واقامة حكم وطني ديمقراطي بدلا منها .  
ولا يجوز ان يغيب هذا الشعار المركزي عن برنامجنا ، لان بقاء سلطة عميلة خائنة في الأردن سيقف حجر عثره في سبيل تقدم الثورة .

ثامنا : الجبهة الوطنية لتحرير فلسطين والعالم :  
ان الامبريالية العالمية والصهيونية العالمية هما عدوان لدودان لشعبنا . وعلينا ان نطور نضالنا ضدتهما . وهذا لن يكون الا بتحديد الاصدقاء والاعداء على صعيد العالم ، وبتطوير علاقاتنا مع اصدقائنا وحلفائنا .

ان اعدائنا على الصعيد العالمي هم :  
أ - الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة .  
ب - الصهيونية العالمية بقيادة المنظمة الصهيونية العالمية .  
ج - كل الانظمة الرجعية والعرقية الدائرة في فلك الامبريالية العالمية .

أما اصدقائنا فهم :  
أ - دول المعسكر الاشتراكي وكسل الاحزاب الشيوعية والاشتراكية والعمالية المعادية للامبريالية .  
ب - حركات التحرر الوطني والشعوب المناضلة ضد الاحتلال والاستغلال والمنتصرة والعرقية والاضطهاد .  
ج - القوى المحبة للعدالة المؤيدة للسلام .  
ولا بد من ان نطبق مبادئ الاستراتيجية والتكتيك الثوريين على علاقاتنا بالعالم .

ان تطوير علاقاتنا على الصعيد العالمي ، وتعزيزها وتوسيعها ضروري في سبيل ارباك عدونا عالميا ، وزيادة قوة جبهتنا .  
تاسعا : الجبهة الوطنية لتحرير فلسطين والحل السلمي .

هناك حل واحد لقضية فلسطين هو تحريرها بالقتال . كل اشكال القتال . ولهذا فان طرح موضوع الحل السلمي او الدولة الفلسطينية او الهدنة مؤفنا من اجل افساح المجال لاحراج دولة الاحتلال عالميا طرح مرفوض ، وعليه فانه من الواجب :

أ - شجب اية محاولة لايقاف الثورة او عرقلة مسيرتها ، لاي سبب من الاسباب . والقتال بحزم ضد مثل هذا المخطط .  
ب - رفض مشروع الدولة الفلسطينية رفضا حازما جازما ، ومطاردة كل دعائه والعاملين له .

ج - رفض مشروع التصفية تحت اية صيغة جاء . ابتداء بقرار مجلس الامن المؤرخ ٢٢-١١-٦٧ او اي مشروع آخر .  
وان محاربة هذه المشاريع والمحاولات تحتاج الى عمل اعلامي وسياسي واسع النطاق . فلسطينيا وعربيا ودوليا .

عاشرا : ج.و.ت.ف والدولة الفلسطينية الديمقراطية .  
ان الكفاح العربي في فلسطين ليس كفاحا عرقيا موجها ضد اليهود . ولهذا فان دولة المستقبل في فلسطين المتحررة ستضم جميع السكان الراغبين بالعيش بسلام ، عربا كانوا ام يهود . ويتمتع الجميع بنفس الحقوق والواجبات ، ضمن اطار الدولة الواحدة .  
ويجب ان يكون واضحا ان هذه الدولة :

أ - جزء من الوطن العربي الموحد ، وتتبع نفس النظام الذي تتبعه دولة الوحدة .

ب - ان املاك المؤسسات الصهيونية ومؤسسات دولة الاحتلال ، ستصبح من املاك الدولة الجديدة .

ج - يعامل اليهود في الدولة معاملة ابناء القوميات الاخرى في دولة الوحدة ، بما يضمن مساواتهم مع المواطنين وبما يكفل مشاركتهم الفعالة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

د - تحارب في دولة فلسطين المتحررة المستقلة كل النزعات الشوفينية والعرقية والطائفية المعادية للمساواة .

حادي عشر : ج.و.ت.ف والعمل الشعبي والمنظمات

الشعبية : ان الكفاح الشعبي ، فلسطينيا وعربيا هو طريق  
الخلاص الوحيد ، وبدونه لن يكون نصر .  
وعليه فان ج.و.ت.ف :

أ - تعتمد على الجماهير المنظمة المعبأة في معركة التحرير  
والعودة .

ب - تعمل على تعبئة الجماهير وتدريبها وتسليحها لخوض  
معركة التحرير والعودة .

ج - تساعد النساء والعمال والطلاب والفلاحين وكل ذوي  
المهن على خلق منظماتهم الجماهيرية ، وتفسح امامها المجال  
لتشارك مشاركة حقيقية في العمل الوطني .

د - تخضع كل قيادات الجبهة وكوادرها وعناصرها اخضاعا  
تاما لمبدأ احترام الجماهير والتعلق بها ومساعدتها واعتبارها معلما  
وموجها لكل من يريد ممارسة النضال .

هـ - تعمم على قواعد المقاتلين مفوضين سياسيين مهمتهم  
ربط المقاتلين بالجماهير ، واقامة علاقات وثيقة بينهم ، واشباعهم  
بحب الجماهير واحترامها والاخلاص لقضيتها .

## نحو وحدة وطنية فلسطينية

يحثل موضوع الوحدة الوطنية  
اهمية خاصة في الثورة الفلسطينية.  
وما زال موضوع الوحدة من المسائل  
الاساسية بالنسبة لثورتنا . وقد  
كتبت هذه الملاحظات في مناقشة هذه  
القضية في ١٧-٢-١٩٧١ ، وكان  
موضوع الوحدة مطروحا داخل الثورة  
وخارجها . ولم تنشر هذه الملاحظات  
من قبل .

ما دام عدونا اساسا هو الاستعمار الصهيوني ، فان حركتنا  
تظل حركة تحرر وطني . وما دامت حركتنا حركة تحرر وطني  
فان الوحدة الوطنية او الجبهة الوطنية تظل قضية استراتيجية  
من قضاياها . ومن اهم قضاياها على الاطلاق . وعلينا ان نعي  
جيذا ماذا تعني هذه الحقيقة ، وان نعمل كل ما نستطيع لوضعها  
موضع التنفيذ .

ولا بد لنا بادىء ذي بدء ان ندرك ان الوحدة الوطنية تعني

ما يلي :

اولا : لقاء لل جماهير شعبنا على برنامج محدد . ووحده ارادته وقواه لمحاربه عدونا الاساسي والرئيسي : الاحتلال الصهيوني في ارضنا المحتلة . ولا بد ان تشمل هذه الوحدة كل الطبقات والحركات والاحزاب والقوميات والاديان، ضمن اي اطار ممكن .

ثانيا : اعتبار ان هذا اللقاء يستلزم وضع استراتيجية محددة للحركة الوطنية الفلسطينية . تضمن مرحليا وحدة القسوى والطاقت في جميع المجالات . وتعمل من اجل ما يلي :

ا - نمو قوى الثورة الفلسطينية : العسكرية والسياسية ، اي زيادة قواها المقاتلة والمنظمة والجماهيرية .

ب - تصاعد عملياتها ضد العدو، واتساع نطاق عملها العسكري والسياسي واشراك اوسع القوى الجماهيرية فيها .

ج - حماية الثورة من هجمات القوى المضادة وحشد كل امكانيات الجماهير الفلسطينية والعربية لدعمها واستمرار مسيرتها على طريق النصر .

ثالثا : ولا بد من ان تنطلق هذه الاستراتيجية مما يلي :

ا - اعتبار ان هناك مصلحة حقيقية لكل هذه الطبقات والحركات والاحزاب والفئات في الالتقاء على برنامج محدد غايته تحرير الوطن .

ب - اعتبار ان هذا اللقاء مرهون بتحقيق عملية التحرير ، فالتحرير هو غايته .

ج - اعتبار ان هذا اللقاء لا يلغي الصراع الايديولوجي ، ولا يلغي الخلاف حول مختلف القضايا الاخرى ، ولكنه يكيف كل اشكال الصراعات والخلافات لمصلحة الوحدة الوطنية .

د - اعتبار ان اي خروج على خط الوحدة الوطنية هو انحراف يميني او يساري لا يخدم الا الاعداء .

فاذا كان هذا ما تعنيه الوحدة فكيف نستطيع ان نحققها ؟

ان تحقيق الوحدة يحتاج الى ما يلي :

اولا : برنامج سياسي - عسكري واضح ومحدد ، ينبثق من الوعي العلمي للمرحلة ، ومن المتطلبات العملية للنضال . ويجب ان يطرح هذا البرنامج على الجماهير ، وان تطالب المنظمات والحركات والطبقات بتبنيه والالتزام به .

ثانيا : لا بد من ان يأخذ هذا البرنامج مصالح الفئات المتحالفة وآراءها وافكارها وايدولوجياتها وتعاليمها ومثلها بعين الاعتبار ، وان يحرص على احترام هذه الاراء والمثل والتقاليد . على ان يتحول الصراع فيما بينها الى نقد علمي والى حوار هدفه تعميق الوحدة واغناء الثقافة الوطنية .

ثالثا : بناء تنظيم موحد متماسك فعال يستطيع ان يقود المنظمات والطبقات المختلفة ، وان يوجهها . وان يفرض احترامها عليها بحكمته وفعاليتها وصلابته .

رابعا : تعميق مفهوم الوحدة لدى الجماهير وتحويله الى قضية تناضل الجماهير يوميا من اجلها . وهذا يقتضي وضع برنامج اعلامي خاص بالوحدة . وبتعميقها في اذهان الجماهير .

خامسا : محاربة كل الاتجاهات الانعزالية والانقسامية وضيقة الافق في تنظيمنا . وعزل غير المؤمنين بالوحدة عن مجالات العمل الموحد والعمل الجماهيري . واخضاعهم لبرنامج تثقيف يستهدف القضاء على تخلف وجهات نظرهم في هذا المجال .

ان الوحدة يجب ان تتجه الى الجميع . الى كل جماهيرنا . منظمة وغير منظمة ، حزبية وغير حزبية ، وكل من يحاول ان يستثني فئة بسبب ايدولوجيتها الفكرية او انتمائها السياسي ، فانما ينحرف عن خط الوحدة ، ويعمل على اثارة الريبة والشك والتنازع في صفوف الجماهير . وكما ان الغاء فكرة التحالف ، باسم وحدة الثورة والجماهير خطأ . فان محاولة الغاء فكرة (الصراع من خلال التحالف) باسم الوحدة الوطنية الشاملة خطأ ايضا .

اما القضايا التي يجب ان تركز عليها استراتيجية الوحدة فهي نفس القضايا التي طرحها مشروع البرنامج السياسي الذي تبناه المجلس الوطني الفلسطيني ، في دورة انعقاده الاخيرة ، ولذلك فلا حاجة لاضافة شيء جديد . الا ان هناك حاجة للتأكيد على ضرورة تحويل تلك الافكار الى ممارسات .

فاذا انتقلنا الى موضوع الاطار الذي تتحقق من خلاله الوحدة الوطنية وجدنا منظمة التحرير جاهزة ومهيأة . ولكن منظومة التحرير حتى تصبح الاطار القادر على تمثيل الوحدة الوطنية ، فانها بحاجة الى ما يلي :

اولا : الغاء طابعها البيروقراطي . باجراء تغيير جذري في تركيبها . وفي العقلية القائدة فيها (الروح المكتيبة ، الروح العسكرية المحترفة . التبذير . الاهمال ، عدم اختيار العناصر العاملة فيها اختيارا حسنا الخ) .

ثانيا : خلق مؤسسات قادرة وفعالة تمثل مقاتلي الشعب الفلسطيني واكثر عناصره وعيا ، ولا تمثل وجاهاته ومخاطيره السياسيين ، وعملاء الاستخبارات فيه . وهذا يقتضي :

أ - تكوين المجلس الوطني على أسس جديدة ، بحيث تتمثل فيه القيادات الفعلية في حركتنا وفي المنظمات الأخرى ، على أن يختار هذا المؤتمر ، او المجلس الثوري ممثلي حركتنا في المجلس الوطني .

ب - اختيار نوعيات ثورية من المستقلين .

ج - اختيار اكفأ قيادات المنظمات وفضل المستقلين لقيادة العمل في مكاتب منظمات التحرير ودوائرها ، والغاء الصيغة الحالية، لهذه المكاتب والدوائر .

د - تكوين قيادات قطرية للعمل الموحد ، على غرار اللجنة المركزية ، وقيادات مناطق واحياء .

هـ - انسجاما مع قرار المجلس الوطني الفلسطيني بضرورة

وجود استراتيجية موحدة للثورة الفلسطينية وقيادات موحدة  
تنشأ الدوائر التالية :

١ - الدائرة العسكرية : تخطط وتقود كل القطاعات العسكرية  
المقاتلة (قوات جيش التحرير الفلسطيني، قوات اليرموك(١)، قوات  
العاصفة وقوات الصاعقة وقوات التحرير الشعبية الخ) .

٢ - دائرة الميليشيا : تخطط لقطاع الميليشيا وتقوده . ويجب  
ان تكون دائرة مستقلة عن الدائرة العسكرية . ومرتبطة بالقيادة  
مباشرة ، لان المهمة الاساسية لها هي : حماية الثورة . وتبقى  
هذه الدائرة مستقلة عن الدائرة العسكرية حتى تتطور عقليسة  
القيادات العسكرية وحتى تصبح قادرة على قيادة الجماهير .

٣ - دائرة التنظيمات الشعبية : تخطط للتنظيمات الشعبية  
وتقودها .

٤ - دائرة الاعلام : تخطط للاعلام وتقوده . ومهمة هذه  
الدائرة تنحصر في العمل لتعميق خط الوحدة الوطنية داخل  
التنظيمات المختلفة وفي اوساط الجماهير . وفي العمل الاعلامي  
الخارجي .

٥ - الدائرة المالية : تخطط للناحية المالية وتقود كل النشاطات  
الهادفة الى زيادة مداخيل الثورة .

٦ - دائرة قضايا امن الثورة تهتم بجمع المعلومات عن العدو  
وعن اعداء الثورة ، وتضع المخططات لحماية الثورة ( القوات  
والقيادات والافراد) .

٧ - محكمة امن الثورة (المحكمة وهيئة الادعاء العام) وتحدد  
اختصاصاتها بلائحة .

٨ - دائرة العلاقات الخارجية .

٩ - دائرة الخدمات الصحية (يلحق بها الهلال الاحمر) .

---

١ - قوات اليرموك جزء من قوات العاصفة .



١. دائرة الشؤون الاجتماعية ( تلحق بها مؤسسة رعاية

شؤون الشهداء والأسرى ) .

ان أي برنامج . مهما كان وضوحه . ومهما كانت ثورته لا يمكن ان يحقق للقضية شيئا ان لم تتوافر القيادات والاجهزة القادرة على تجاوزه في التطبيق . فاذا كانت القيادات والاجهزة قاصرة كان من المستحيل ان تعني البرامج شيئا . ان استمرار وجودنا في منظمة التحرير يجب ان يعني العمل لتطويرها بسرعة ، وبكل الوسائل . لان استمرارها بما هي عليه سيضر بالقضية الوطنية اولا . وسيسيء الى حركتنا ثانيا ، وسوف يكرس الشرذمة والتهاون والضياع في الساحة الفلسطينية .

ان هنالك خطأ واحدا بالنسبة للثورة الفلسطينية في ميدان الوحدة الوطنية . وهذا الخط هو خط الوحدة . الوحدة على اساس الجبهة الوطنية ، على اساس برنامج حد ادنى محدد وواضح ، لان الخط الآخر . الخط «الجزائري» يقود الى كارثة حتما ، لماذا ؟

١ - لان الخط الجزائري هو خط «التصفية الدموية» ، و«التصفية الدموية» الداخلية التي قد تستطيع ان تحقق وحدة شكلية في مرحلة يذهب ضحيتها عشرات آلاف الضحايا . ومن يقدم على مثل هذه التصفية رجعي ومتخلف واحمق ومجرم ، وضيق الافق .

٢ - ان ظروف الجزائر مختلفة عن ظروفنا ، لان الجزائر لم تكن الصراعات الفكرية والسياسية فيها قد اتسعت اتساعها في بلادنا ، لان الثورة كانت «ريفيّة» ، ولأن الريف كان معزولا عن الثقافة والسياسة والاحزاب والتنظيمات نسبيا . اما الشعب الفلسطيني فقد امتدت اليه الافكار المختلفة والاحزاب المختلفة . وهذا يعني ان فرض «وحدة وطنية» على الطريقة الجزائرية سيذهب بضحايا من كل بيت . ثم ان المنظمات الفلسطينية هي في كثير من الاحيان امتداد لاحزاب عربية ، او امتداد لسياسات

عربية ، وفرض صدام على مثل هذه المنظمات بأسلوب التصفية الدموية يعني الصدام مع هذه الجهة او تلك صداما مسلحا ، وليست الثورة الفلسطينية في وضع يسمح لها بارتكاب مثل هذه الحماقة .

٣ - لان الخط الجزائري الذي يستهدف وحدة تضم المستقلين وتستشي الحزبيين ، مثلا لا يقود الى نشوء تكتل او محور يضم معظم المنظمات ضد حركتنا وبعض قيادات جيش التحرير فحسب ، بل يقود ايضا الى استبعاد كل الكوادر الجيدة الممتازة التي تضمها المنظمات «الحزبية» من اطار الوحدة ، ويخرج العدد الكبير من كوادرنا وكوادر جيش التحرير الواعية من اطار حركتنا ، ومن اطار جيش التحرير ، او يجعلهم في صدام مع هذا الخط الرجعي المتخلف .

لهذا كله يجب ان يكون واضحا لدينا ان الخط الجزائري خط لا يصلح لثورتنا ، وان تبشيه سيقود الى كارثة وطنية كبرى ، ولن يحقق شيئا غير انتحار الثورة كلها .

ولكن هذا كله لا يعني ان نهمل العمل من اجل الاندماج بين المنظمات التي تقتنع بضرورة الاندماج ، فتقدم على تحقيقه . وعليه لا بد من ان تستمر المساعي للاندماج مع طلائع حارب التحرير الشعبية . ان مثل هذا الاندماج سيحدث تحولا في الساحة الفلسطينية ، لانه سيدمج قوى اكبر منظمين فسي الساحة (١) .

كما ان هذا كله لا يعني اهمال العمل مع الجماهير لتعبئتها في خط حركتنا . ان هذا واجب اساسي ، ولكن الذين يتحدثون عن مثل هذه المهمة يجب الا ينسوا ان تعبئة الجماهير وتنظيمها ، تحتاج الى ايمان بالجماهير اولا . القيادات التي لا تؤمن بالجماهير

---

١ - اجبت هذا الشروع فيما بعد .

لا تستطيع ان تنظمها ، ولا ان تعبئها . وتحتاج الى ان نكون نحن  
مناضلين مؤمنين قادرين على ان نضرب المثل للجماهير ثانيا . فاذا  
كنا مناضلي مقاهي وصالونات نخشى على لمعان احديتنا من غبار  
المخيمات والازقة فيجب الا نتوقع ان يكون بقدرتنا تنظيم الجماهير  
وتعبئتها . ثم ان الذين يستطيعون تعبئة الجماهير وقيادتها لن  
يعجزوا عن قيادة المنظمات والاحزاب والفئات المختلفة ، والذين  
يعجزون عن العمل مع المنظمات والفئات المختلفة لن ينجحوا في  
العمل مع الجماهير ، هذا ما تثبته تجارب التاريخ المختلفة . ولعل  
تجربة الجزائر التي تضرب مثلا للوحدة مع الجماهير احسن مثل  
لعجز الثورة عن التعامل مع المنظمات والفئات ولمجزها عن  
التعامل السليم مع الجماهير .

هذا وان الحديث عن الوحدة الوطنية لا يجوز له ان يتجاهل  
القضيتين التاليتين : اولهما : ضرورة تعبئة الجماهير في الاردن  
من اجل اسقاط السلطة العميلة ، بكل الوسائل الممكنة ، وبأسرع  
ما يمكن ، على ان يتم التحضير لذلك جيدا ، وان يجري تجنب  
الممارسات السابقة والاساليب السابقة ، ثانيهما : ضرورة العمل مع  
الجماهير العربية لاستقطاب مقاتلين ، ولخلق الجبهات الوطنية  
والشبكات القادرة على دعم الثورة حقا وعلى حمايتها .

ان هذا كله يجب ان يكون واضحا في اذهاننا عندما نتصدى  
لموضوع الوحدة الوطنية ، وعندما نتخذ اي قرار بشأنها .

## معركة أيلول والحقائق التي اكدتها

دراسة كتبت في الذكري  
السنية الأولى لمعركة أيلول ،  
ونشرت في «دراسات مربية» ،  
السنة ٧ ، العدد ١١ .

### في الذكرى السنوية الأولى لمعركة أيلول (١٧-٢٨/٩/١٩٧٠)

قام النظام الاردني في ايلول من العام الماضي بهجمته الشرسة على الجماهير في الاردن ، وكان هدف المؤامرة مزدوجا :

- ١ - سحق الجماهير الشعبية المتمردة على الهزيمة والاستسلام ، المتمردة على المدلة والخضوع ، المعبرة عن رفضها وتمردتها من خلال التنظيم والتدريب والتسلح .
- ٢ - تهيئة الجو لمقد صفقة استسلامية باخماد روح المقاومة ، وبفرض روح الاستسلام والخضوع على الجماهير ، وباستحصال شهادة حسن سلوك مسن الامبريالية العالمية والصهيونية .

ولقد كان النظام الاردني يرتعد فرعا من نمو حركة الجماهير

المسلحة ، ومن نمو المنظمات الشعبية (طلابية وعمالية ونسوية وشبابية) ، ومن نمو الوعي الجماهيري واذكاء الروح الوطنية في الاوساط الشعبية . وكان هذا كله لا يهدد النظام باحباط مشاريعه الاستسلامية التصفية فحسب ، بل يهدد بتصفية النظام الرجعي العشائري العميل عينه .

ولقد اكدت معركة ايلول ، وما تلاها ، مجموعة من الحقائق الهامة التي لا بد من ذكرها والاعتبار بها ، وأهم هذه الحقائق :  
اولا : ان الجماهير المنظمة المسلحة قوة هائلة جبارة ، وأن هذه القوة قادرة على الصمود في وجه اعلى القوى العسكرية النظامية واحداثها تسليحا ، وقادرة على ايقاع أفدح الخسائر بها . وهذه الحقيقة الهامة والاساسية التي اكدتها عباقرة الحروب الشعبية العظام (ماركس ، انجلز ، لينين ، ماو ، جيب ، غيفارا) اكدتها وقائع تاريخية عديدة منها معركة ايلول (١٧-٢٨) والمعارك التي سبقتها ولحقتها في الاردن .

ان القوى المتقابلة لم تكن متكافئة من حيث العدد والعدة . ذلك ان الجيش الاردني الذي كان يهاجم عمان كان عدده خمسة اضعاف المدافعين عن عمان (حوالي ٥٠ الف مقاتل - ١٠ آلاف) . ولم يكن هنالك تناسب في العدة : دبابات وآليات ومدفعية ثقيلة ورشاشات ثقيلة مقابل اسلحة خفيفة وعدد محدود من الرشاشات المتوسطة ، وعدد اقل من الرشاشات الثقيلة وعدد محدود جدا من المدافع المتنوعة (١٠٦ و ٧٥ ملم وهاون ٦٠ ، ٨٢ ، ١٢٠) ، وكميات محدودة من الصواريخ .

وعلى الرغم من ان الجيش بدأ بالهجوم ، واجبر المقاومة على اتخاذ موقف الدفاع ، غير المهياة له (عدم وجود ملاجئ ، عدم وجود خنادق واستحكامات ، عدم وجود ذخائر كافية ومؤون الخ) ومع انه كان من الخطأ القبول بموقف دفاعي ، فقد استطاعت عمان ان تصمد خلال اثني عشر يوما من المعارك الطاحنة دون ان تتمكن الجيش من اقتحامها . وعلى الرغم من ان السلطة مهدت

لهذه المجازر بمعركة ترويع وتقتيل يومية استمرت من ٢٨-٨ الى ١٧ - ٩ .

ولقد صمدت عمان ، لا نتيجة وجود خطة عسكرية ، ولا نتيجة تفوق في التدريب او التسليح ، ولا نتيجة البدء بالهجوم ، بل لان الجماهير قررت ان تقاتل .

وهذه حقيقة يجب ان نعلم ويجب ان تستوعب جيدا . لانها تضع يدنا في الجرح ، تدلنا على طريقنا الوحيد والمضمون لمقاومة اعدائنا .

هذه الحقيقة المعروفة من قبل ، التي اكدتها النظرية الثورية والتجارب الثورية ، والتي اكدتها وقائع تاريخية عديدة ، هي الرد الناجع ، الجامع المانع ، على دعاة الاستسلام ، وعلى المتكررين للجماهير ، المشككين بصلاحياتها للقتال ، المصرين على ان القتال عمل الجيوش «النظامية المحترفة» المسلحة باحدث مبتكرات التكنولوجيا .

ثانيا : ان الوعي الثوري والتنظيم الثوري والقيادة الثورية عوامل متداخلة متكاملة ، وان هذه العوامل هي العوامل الاساسية في القتال . فاذا ما وجد الوعي والتنظيم والقيادة لم يكن القتال ضد العدو ممكنا فحسب ، بل عملية مؤكدة . ولكن مستوى هذا الوعي ونوعيته ومستوى هذا التنظيم وطبيعته ومستوى القيادة ونوعيتها هو الذي يحدد مستوى القتال ونوعيته . وكلما ارتقى الوعي وتعمق ، وتماسك التنظيم وتطور وتمرس القيادة واغتنت بالخبرة كلما ازداد القتال عمقا واتسع افقا ، وكلما أصبح اكثر قدرة على استقطاب الجماهير ومواجهة الاعداء . فاذا ضعف الوعي وتراخى التنظيم وعجزت القيادة أصبح القتال عملا فرديا او عمل شرادم مسلحة لا يوجهها الا اندفاعها ، ولا تقودها الا حماسها .

ولان الوعي كان محدودا ، والتنظيم كان في ادنى درجات التماسك والقيادة كانت عاجزه استطعنا ان ندافع دفاعا شبيه

عفوي ، ولم نستطع ان ننتقل الى الهجوم ، وخسرنا معارك كان  
يمكن الا نخسرها ، وتشرذم العدد الاكبر من العناصر والكوادر او  
تساقط .

ولقد انتصر من الناحية المعنوية في معركة ايلول خط الوعي  
الثوري ، التنظيم الثوري ، القيادة الثورية ، وسقط الخط  
المعادي لتسييس القوات والجماهير ، خط احتقار الوعي والجماهير  
والقيم الثورية وحرب الشعب .

ثالثا : ان وحدة الارادة ووحدة القيادة اكثر ضرورة في  
المعارك الشعبية منها في المعارك النظامية ، وان فقدان وحدة  
الارادة ووحدة القيادة يقود الى الشلل والهزيمة . ولقد كانت  
المقاومة الفلسطينية مشتتة الارادة ، مشتتة القيادة في معركتها .  
كانت مشتتة الارادة لانها لم تكن تعرف ما تريد ، ولأن بعض  
قياداتها اراد الناظور وبعضها اراد الحصرم ، وبعضها لم يكن  
يدري ما يريد وبعضها شغله ما شغل أخت بني عامر (١) . وبينما  
كانت المعركة محتدمة والقنابل تنصب على الاطفال والبيوت كانت  
القواعد والكوادر لا تعرف شيئا عن «الخط» ، وكانت الكوادر  
واثقة من انه ليس هنالك خطة ، وزادت ايام المعركة الاولى قناعة بأنه  
ليس هنالك استخدام للقوى خارج عمان والزرقاء ، وان القيادات  
العاجزة تزداد عجزا كل يوم .

وكان التحقق من هذا العجز يزعزع معنويات العناصر والكوادر

---

١ - يقول الجواهري : ولكن كما شغلت نفسها بنحيين أخت بني عامر . وأخت  
بني عامر هذه كانت تبيع لبنا . ولديها «زقان» ، فجاء مشتر وطلب ان يلدق  
اللبن ففتحت الزق الاول ثم طلب ان يلدق الثاني ففتحته وأسكت به في يدها  
الآخرى . واستغل المشتري انشغال يديها الاثنتين قبلها ولم تستطع حراكا لانها  
خشيت ان ترخي يديها عن الزقين . وذهبت القصة مثلا من الاهتمام بالقضية  
المصرى والتفريط بالكبرى .

ويقودها الى الشعور بعدم جدوى استمرار القتال . ولعل هذا الشعور وحده هو الذي دفع الى قبول وقف اطلاق النار ، بعد عشرة ايام من المجازر . ولم تكن العوامل الاخرى (الشهداء ، نقص الماء والغذاء ، الجرحى الخ) الا عوامل مساعددة ، كان يمكن تجاوزها لو ان القتال كان يسير في طريق النصر .

ولما كانت وحدة الارادة عملية تتحقق من خلال الممارسة والتثقيف والتربية ، وكانت وحدة القيادة عملية تتحقق من خلال خط واضح والتزام بهذا الخط ، ومن خلال اختيار القيادات والكوادر الواعية المتزمنة بهذا الخط على صعيد الجبهة ، ومن خلال وضوح الخط السياسي ووجود تنظيم متماسك ربي على احترام قواعد المركزية الديمقراطية على صعيد الحزب او الحركة . فانه لم يكن ممكنا ان تتحقق وحدة الارادة والقيادة فعليا خلال القتال ، وان كان قد تحقق شعور بضرورتها .

ان معركة ايلول تعلمنا بمداد من دم الشهداء ، وبنبرات من صرخاتهم واناتهم ومن عويل الامهات والاخوات ان وحدة الارادة والقيادة ضرورتان ضرورة مطلقة ، وان توافرها لازم للنصر ، وفقدانهما نذير بالهزيمة .

وهذا يفرض علينا ان نتعلم كيف نحققهما وكيف نجسدهما في نضالنا المقبل .

رابعا : ان الانتفاضة علم ، وان الاعداد لها وتفجيرها وتحديد موعد التفجير وقيادتها امور تحتاج الى وعي ثوري اصيل والى معرفة واسعة بالتناقضات المحلية والدولية ، والى قدرة على فهم امكانيات التحالفات وضرورتها ومهامها . كما ان كون الانتفاضة علما يعني ضرورة فهم معنى الحرب عموما والحرب الشعبية خصوصا . وماذا تعني الاستراتيجية وماذا يعني التكتيك ، ومتى يكون الهجوم ومتى يكون الدفاع ، وكيف يتم القتال في المدن والقرى والغابات ، في السهول والتلال والجبال . ثم ان كون الانتفاضة علما يستلزم ان نعرف كيف نعبئ الجماهير وننظمها



وتفوقها . فاذا لم يتوافر شيء من ذلك كانت الهزيمة مؤكدة .  
ان علينا دائما ان نكون قادرين على معرفة التناقض الرئيسي  
والعدو الرئيسي ، وعلى معرفة الوقت الملائم للضربة القاضية .  
فاذا أخطأنا في تحديد التناقض الرئيسي والعدو الرئيسي وموعد  
توجيه الضربة قدنا أنفسنا الى تهلكة .

ولقد أخطأنا في ايلول في تحديد طبيعة التناقض ، وطبيعة  
العدو ، وظللنا نحاول تجنب المعركة في وقت اصبحت فيه  
مفروضة علينا ولازمة لنا ، وما كان ممكنا ان نخرج من مآزق  
روجرز ، وان نسقط الاتجاه نحو التسوية والتصفية الا باسقاط  
اداء التصفية والتسوية : النظام الاردني .

وكان شباط او آذار او نيسان او حتى ايار سنة ١٩٧٠  
الوقت الاكثر ملائمة . لان النظام لم يكن قد انتهى استعداداته بعد،  
ولانه حتى ذلك الحين كان لا يستطيع الاستفادة من موافقة القاهرة  
على مشروع روجرز .

ولكن الوضع اخذ يتدهور بعد ايار . فقد اكمل الطوق حول  
عمان . وفي اوائل حزيران بدأت السلطة هجومها الشرس  
(٧-٦-١٩٧٠) . وحين توقف الصدام دون ان تستطيع السلطة  
دخول عمان ، وبعد ان خسرت سياسيا باقضاء الشريف ناصر  
والشريف زيد عن الجيش ونتيجة تهديد باستمرار المعركة اذا لم  
يقصيا ، طلبت السلطة من ممثلي المقاومة (ضافي جمعاني وسمير  
الخطيب) ادخال قوات الى مراكز معينة في عمان . ولقد وافق  
مثلا المقاومة على ذلك مقابل وجود بعض عناصر الكفاح المسلح مع  
الجنود في المراكز الجديدة ، ولم تعترض اللجنة المركزية . وبينما  
كان وجود الكفاح الفلسطيني المسلح رمزيا، كان وجود جنود  
السلطة فعليا ومؤثرا كما ثبت في ايلول .

الا ان تدهور الوضع لم يخرج الامور من ايدي المقاومة . وما  
بين حزيران وآب كانت ما زالت تستطيع ان توجه ضربتها القاضية  
الى النظام . وكان خروج المظاهرة الجماهيرية في اواخر

تموز ضد مشروع روجرز مناسبة ملائمة لتوجيه ضربة قاضية للنظام ، كما كان اعلان الملك يوم ٩-٦ عن استعداده باقضاء خاله الشريف ناصر والشريف زيد وقتا مناسباً ايضاً .  
ولكن الفرصة ضاعت وظلت المقاومة تنتظر - حتى دون اعداد ملائم - ايامها الحاسمة .

وكان هذا كله يؤكد ان المقاومة لم تعرف ما معنى « ان الانتفاضة علم » . ولذلك لم تستطع فهم طبيعة التناقض ولا طبيعة تطور الاحداث ، ولم تدرك ما المعنى السياسي والعسكري للموافقة على مشروع روجرز . كما أنها لم تستعد سلفاً لهذا كله ، ولم تعرف عندما حدث الصدام كيف توجهه وتقوده .

خامساً : ان «علم الانتفاضة» يؤكد ان الروح الهجومية هي روح الانتفاضة ، وان الروح الدفاعية موتها .  
واذا كانت هذه الحقيقة مؤكدة سلفاً ومقررة بالوقائع ، فان تجربة ايلول في الاردن تزيدها تأكيداً على تأكيد وتوضيحها . ذلك ان قيادة المقاومة انتهجت منذ ٤-١١-٦٨ خط الدفاع السلبي . ولم تستطع احداث ٤-١١-٦٨ واحداث ١٠-٢-٧٠ و ٧-٦-٧٠ ان تقنعها بان الانتقال الى الهجوم هو العلاج الحاسم (١) .

وكان هنالك ما يثبت ذلك من خلال احداث ٤-١١ و ١٠-٢-٧٠ و ٦-٧٠ عينها .

ففي ٤-١١ لم يتوقف النظام عن عدوانه الا حين وزعت البنادق القليلة المتوافرة ، والقنابل اليدوية المتيسرة ، وعبىء الجو بروح هجومية مضادة للنظام ، وتحركت الجماهير فسي

---

١ - الروح الهجومية والروح الدفاعية شيء والهجوم والدفاع شيء آخر . لان الدفاع في علم الحرب والحرب الشعبية خاصة وارد وهام ويستطيع ان يحقق نتائج باهرة .

مظاهرات وفي عملية استنكار شاملة .

وفي ١٠-٢ لم يتوقف النظام عن مواصلة عدوانه الا حين انتقلت الميليشيا للهجوم تكتيكيا وبدأت هجومها الضاري على قافلة الآليات في التاج يوم ١١-٢ . وعلى مفر قيادة البادية في اليوم التالي . ولقد حسم هنا الهجوم المحلي نتيجة الصراع .  
اما في ٧-٦ فان نتيجة المعركة تفررت حين أعدت الميليشيا عدتها للقيام بهجوم ليلة ٩-٦ . واصدرت قيادة المقاومة انذارها للسلطة الذي طالبتها فيه :

١ - بالتوقف عن الاستمرار بالعدوان خلال ساعات محددة (ست ساعات تنتهي في الساعة ١٢ ليلا) .

٢ - باقصاء الشريف ناصر القائد العام للقوات المسلحة والشريف زيد قائد الفرقة المدرعة انذاك .

وقد توقف العدوان خلال الفترة المحددة واقميا . . .

وكان استمرار الخط الهجومي في تلك اللحظة التاريخية سيحقق نتائج باهرة .

وعلى الرغم من هذا كله فان المقاومة لم تتعلم اهمية الروح الهجومية ، ولم تاخذ بها في معركة ايلول وبعدها . لقد ظلت مدافعة ، ولذلك فقد ظلت تتقهقر .

ان هذا كله يعلمنا اهمية الروح الهجومية ، اهمية تكوين المقاتلين والمناضلين على اساس الهجوم لا الدفاع، وتوفير القيادات القادرة على التخطيط للهجوم وقيادته .

وهذا ما يعمل له عدونا منذ سنوات طويلة .

وهذا ما يمتاز به الصينيون والفياتناميون والكوريون ، ومما يجعلهم قادرين على مواجهة اعدائهم والانتصار عليهم .

سادسا : ان قوتين سياسيتين ، متعارضتي الاهداف ، متناقضتي المشا ، لا يمكن ان يلتقيا في بلد واحد الا مرحليا ، وضمن ظروف معينة .

ولقد كانت المقاومة قوة سياسية مناقضة للسلطة الاردنية

العميلة من حيث الأهداف ، ومن حيث المنشأ . انها من حيث  
الاهداف تطرح قضية التحرير عن طريق الحرب الشعبية  
المسلحة ، اما النظام فيطرح موضوع التسوية ؛ وهي من حيث  
المنشأ تمثل ارادة الجماهير الوطنية ، الكادحة والمعادية للاحتلال  
الصهوني والإمبريالية ، اما السلطة فتمثل العائلة الحاكمة  
وحاشيتها ومرترقتها والفئات الطبقية المستفيدة من وجودها ،  
والسلطة معادية للجماهير ، مرتبطة بالإمبريالية . ومثل هاتين  
القوتين لا بد من صدامهما . من يجهل هذه الحقيقة يجهل الفباء  
السياسة والصراع السياسي . .

وإذا كان ممكنا المناوره لتأجيل الصدام ، أو العمل لعقد  
«هدنات مؤقتة» لسبب أو آخر ، فما كان ممكنا جعل الصدام  
غير وارد .

ولقد فهم النظام هذه الحقيقة . حاول ان يستفيد من وجود  
المقاومة في الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى الاحتلال  
الصهوني . ولكنه في الوقت نفسه كان يستعد ، يهيء الجيش ،  
ويعد قوات القمع ، ويشكك الجماهير ، ويسعى لاستقطاب عناصر  
مختلفة وفئات مختلفة بأساليب ووسائل مختلفة ، وكان يستفيد  
من اخطاء المقاومة في هذا كله .  
وعندما حان الحين وجئه الضربة .

اما المقاومة فانها لم تدرك هذه الحقيقة جيدا ، ولذلك ظلت  
غير موحدة الإرادة ، غير موحدة الخطة ، وكانت تتحدث عن  
التعايش وعدم التدخل في الوقت الذي يعد فيه النظام كل قواه  
للاتقضاء . وحين احسست بالخطر الحقيقي بعد حزيران سنة  
١٩٧٠ ، اخذت تستعد ببطء ، وتستعرض قواها ببلاهة، محتفظة  
بالموقف الدفاعي .

وهنا فاجأها النظام بضرته .

كان النظام يدرك أبعاد جدل صراع القوى السياسية ، ولم  
تكن المقاومة تدرك هذه الأبعاد . وكان يعلم ان وجود المقاومة

ونموها وتساعدتها يلفيه سياسيا وعسكريا ، حتى بلا معركة .  
ولهذا بادر الى القتال ، الى الحسم .

ان معركة ايلسول ، جاءت لتؤكد من جديد ، ان قوتين  
سياسيتين متعارضتي الاهداف لا يمكن ان تتعايشا ، وهذا  
القانون حاد وصارم مثل القانون القائل : لا يمكن ان يشغل  
جسمان حيزا واحدا في وقت واحد .

وكما هو الامر في الطبيعة . كذلك الامر في السياسة لا بد  
من ان تحل قوة محل الاخرى . او ان تتفاعلا ، وتوسع احداهما  
الاخرى .

والقانون في الحالتين واضح : لا تحل قوة مكان اخرى الا  
بالقوة : باستخدام القوة او التهديد باستخدامها . واستخدام  
القوة معروف . ويمكن ان تضرب عليه امثلة اسقاط الثورة  
البلشفية للقيصرية ثم لحكومة كرينسكي البرجوازية . وحرب  
التحرير الصينية . وحرب التحرير الفيتنامية ١٩٤٥-١٩٥٤ الخ .  
اما اسقاط قوة لاخرى بالتهديا ، فلعل احسن مثل له استيلاء  
الفاشيين على السلطة في ايطاليا . انهم لم يطلقوا طلقة ، ولم  
يقودوا معركة بل دخلوا روما بمظاهرة منظمة . فما كان من الملك  
الا ان سلم موسوليني رئاسة الوزراء . وهنا تقول المعادلة ان قوة  
سلمت لاخرى . وهناك امثلة اخرى مشابهة في تاريخ النازية ،  
مع بعض الفوارق (اقتسام بولندا ، احتلال السويد ، احتلال  
النمسا) . وقد تطور في علم الاستراتيجية باب اسمه الردع  
يبحث هذا الموضوع تفصيلا ويقرر مبادئه .

ويتم التفاعل احيانا بين قوتين سياسيتين ، فتلتهم احدى  
القوتين الاخرى . وتتحدان . وخير مثل على ذلك اتحاد حزب او  
حركة سياسية مع سلطة معينة ، بحيث يصبح جزءا من هذه  
السلطة . وهذه الاحزاب او الحركات اما ان تتنازل عن اهدافها  
وتخونها او ان تنحرف عن خطها الذي وضعتة لنفسها .  
وفي كل هذه الحالات لا بد ان يحسم الصراع ، وهو لا يحسم

بمعزل عن صراع المصالح والطبقات ، وعسن قوانين الصراع السياسية والعسكرية .

وكلما ازدادت احدى القوتين قوة ، كلما ازداد الصراع عنفا .  
ويزداد الصراع عنفا ايضا لا كلما زادت قوة احدى القوتين فحسب ، بل كلما تعارضت المصالح والمطامح ايضا .

قد يعيش حزبان او قوتان في بلد ، اذا لم يكن بينهما تناقض جذري : مثل حزب العمال وحزب المحافظين في بريطانيا ، او الحزب الديمقراطي والجمهوري في الولايات المتحدة . وقد يعيش حزبان متناقضان جذريا من حيث الاهداف كالحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الديفولي ما دام الحزب الشيوعي الفرنسي لا يهب لاسقاط السلطة بالقوة ، وما دام يحتكم الى الانتخابات والطرف الآخر يعرف نتيجة الانتخابات سلفا . ولكن جبهة تحرير فياتنام لا تستطيع ان تتعايش مع النظام العميل في الجنوب ، والاحركة المقاومة لا يمكن ان تتعايش مع الاحتلال الصهيوني ، الا اذا اقلت السلاح . ولا يمكن ان تتعايش مع النظام الاردني الا اذا تخلت عن كونها حركة شعبية وتحولت الى شراذم من رجال العصابات المرتبطة به ، الهادفة الى ازعاج الاحتلال ، اذا رأى النظام ان مصلحته تقتضي ذلك .

سابقا : ان توزيع قوات العدو هو احسن وسيلة لجعلها عاجزة عن تحقيق انتصار سريع ، او جعلها قادرة على احتلال مواقعنا واحدا وراء الآخر ، وان السماح للعدو بتركيز قوائمه ومواجهتنا موقعا موقعا يقود الى هزيمتنا وانتصار العدو .

وكان هذا واضحا في شباط وحزيران وايلول سنة ١٩٧٠ ، كما كان واضحا في المعارك التي تلت . ففي شباط وحزيران وايلول ، كان يتم استنفار كل القوى عندما يقوم العدو باستفزاز معين حتى ولو كان صغيرا ، وكانت السيطرة تجري على كل المدن . ولذلك كان العدو يعجز عن السيطرة على البلاد كلها .

اما بعد ايلول فقد ناورت السلطة . اوهمت قيادة المقاومة

انها تريد تعايشا ، ثم اخذت تحتل المواقع واحدا وراء الآخر . وكانت في كل مرة تحتل فيها موقعا تصمت المواقع الاخرى . وسلسلت الاحداث حتى اطبق العدو على عمان ، التي سلمت دون قتال ، وتحت عنوان : اخلاء العاصمة من السلاح والسماح للمقاتلين بالتفرغ للعدو الصهيوني من قواعدهم . وحين وصل الامر الى جرش وعجلون كان العدو يملك كل عوامل الانتصار : التفوق المعنوي نتيجة العديد من الانتصارات ، التفوق العسكري بالحشد والمعدات ، التفوق العملياتي (وجود الخطة، الهجوم الخ)؛ ضيق مجال المناورة بالنسبة للمقاومة واتساعها بالنسبة للعدو ، عدم وجود اتصال جغرافي بين منطقة القتال وقواعدنا الخلفية . لقد منحنا العدو الفرصة للاستفادة من كل اخطائه السابقة، وسمحنا له ان يركز قواته بدلا من ان نجبره على تشتيتها ، وان يدخل في معارك صغيرة معنا بقوات متفوقة على قواتنا . ثم حشدنا الباقي من قواتنا في «مصيدة» ، وقدمناها لقمة سائغة للعدو ، دون ان نعددها تدريبا وتسليحا ومن حيث المعنويات والقيادات والخطة لمواجهة من هذا القبيل .

وإذا كان الحشد ضروريا ، بالنسبة لنا ، فمن أجل التمركز والقيام بهجمات صاعقة ومحققة ، محدودة ولكن فعالة ، سياسيا وعسكريا ، أما إذا حشدنا قواتنا واتخذنا موقعا دفاعيا وسلبيا ، فإن ذلك لا يعني شيئا سوى الهزيمة .

ثامنا : ان الجماهير المنظمة المسلحة تستطيع ان تلعب دورا فعالا في انتفاضة عامة شاملة تبدأ هي فيها بالهجوم ، كما انها تستطيع ان تلعب دورا فعالا في الدفاع عن المدن والاحياء ، وفي تشتيت قوى القمع وتدميرها ، ولكنها لا تستطيع ان تلعب دورا هجوميا في حرب نظامية . وعليه فإن الجماهير المنظمة المسلحة بحاجة الى طلائع مدربة جيدا مسلحة جيدا ، قادرة على التخطيط والتنفيذ ، ذات قيادات تتمتع بالكفاية والوعي والاخلاص والالتزام، لتكون اداة الهجوم الضاربة . فاذا ما وقع هجوم من العدو على

الجماهير المنظمة المسلحة ، وهي لا تملك مثل هذه القوة لجأت الى الدفاع السلبي ، وهذا ما حصل في ايلول .  
ولمذ كان فقدان هذه الاداة الهجومية الضاربة او عدم قيامها بواجبها عاملا من العوامل الاساسية في تحديد نتيجة المعركة ، وتقليص امكانيات الانتصار الحاسم .

تاسعا : ان المقاومة الفلسطينية في الارض المحتلة ، وضد العدو الصهيوني ، بحاجة الى الجماهير المسلحة لحمايتها من العدو الصهيوني ومن عملاء الصهيونية والامبريالية . وان فقدان هذه الحماية يعرض المقاومة لتصفية شاملة ، او يقودها الى قبول الاحتواء والارتباط بالانظمة . وهذا يعني ان تفقد استقلاليتها ، وفعاليتها وثوريتها باعتبارها حركة مقاومة .

ولعل كل الاحداث التي حدثت بعد ايلول تؤكد هذه الموضوع . ذلك ان التنازل عن «سلاح الجماهير» قاد الى البحث عن الخلاص بين ايدي الانظمة . ولقد قاد البحث عن الخلاص بين ايدي الانظمة الى مزيد من التراجعات . وهكذا دواليك حتى وجدت المقاومة نفسها في الاردن تخسر كل مواقعها ، وتخسر الكثير من ثقة جماهيرها .

كما ان تنازل المقاومة عن سلاح جماهيرها قادها الى ان تفقد احترام الانظمة التي نصحتها ورجتها وضغطت عليها لقبول هذا «التراجع الاستراتيجي المنحرف» ، واحترام الجماهير العربية التي رأت في المقاومة قوة تحد للواقع العربي الفاسد وتمرد عليه .

عاشرا : ان اية مقاومة فلسطينية لا تستطيع ان تشارك الجماهير العربية معها في القتال ، وفي تأمين الحماية اللازمة من هجمات العدو الصهيوني والعملاء العرب سوف تقود نفسها الى مأزق . ذلك ان العزلة عن الجماهير العربية ، لا تكمن خطورتها في حرمان المقاومة الفلسطينية من طاقات الجماهير العربية وامكانياتها فحسب ، بل تعرضها لمؤامرات الخونة والعملاء واعداء الجماهير .



ولقد سقطت المقاومة في هذا الخطا . ذلك انها طرحت شعار عدم التدخل ، وبدلا من ان تعتبره تكتيكا . جعلت منسه استراتيجيه . وفي الوقت الذي كانت تفتح الحدود العربية امام نشاطاتها وتوجد عواطف الجماهير العربية معها . ظلت عاجزة عن ان تحوّل عواطف الجماهير الى مشاركته حقيقية فعالة . واغراها تملق الانظمة عن حماسة الجماهير . والدفعات التي تاتي مجمعة عن القروش التي تاتي متفرقة . ولكنها تحمل معها فلوب الجماهير ودفعات احساسها .

احد عشر : ان الانتفاضة لا تردد فيها ولا مساومة . وانها عندما تبدأ فيجب ان تندفع فيها قوى الثورة بكل حماسها وكل قواها . وكل صبريتها . فاذا ما حدث تردد او مساومة سقطت الانتفاضة .

ولقد اثبتت احداث ايلول وما تلاها هذه الحقيقة . وانه ليس هنالك حالة قتال وسلام في الوقت ذاته . فلقتال اساليب عسكرية وسياسية ومناورات ولكن ليس فيه تردد ولا تقاس . وليس فيه مجال للضياع او الجبن . وللقاتل فوق هذا اسبابه وحوافزه . مقدماته ونتائجه . فاذا جهناده . او استخفنا باي منها سقطنا في شرك العدو .

وعلى هذا فان خطانا في ايلول لم يكن اننا تشنجنا . او استعجلنا . او قاتلنا حيث يجب الا نقاتل . بل ان خطانا كامن في اننا لم نعيء انفسنا وجماهيرنا كما يجب . وفي اننا تباطأنا وتفاعسنا وتخاذلنا . وفي اننا لم نلجأ الى السلاح بكل ما لدينا من عزم وحسم وقوة ...

ثاني عشر : ان الانظمة العربية الرجعية العميلة كالنظام الاردني تعتبر ان تناقضها الاساسي والرئيسي هو تناقضها مع جماهيرها . وان مثل هذه الانظمة . التي لم تدخل معركة مع العدو ولو مرة واحدة . مستعدة لدخول أعنف المارك ضد الجماهير . اذا ما تنظمت وتسلحت . او هبت للمطالبة بحقوقها .

ويشهد تاريخ شعبنا في الاردن (الضفة الغربية وشرق الاردن) على هذه الحقيقة . ان تاريخ هذه السلطة العميلة هو تاريخ صراع عنيف ودام بينها وبين الجماهير الفلسطينية - الاردنية . ولقد خلق الاستعمار البريطاني هذه السلطة لتكون أداة قمع في المنطقة . ومنذ خلقت هذه السلطة سنة ١٩٢٢ وهي تمارس هذا الدور بعنف وشراسة ضد الجماهير في شرق الاردن وفلسطين . كما انها قامت بدور قمعي ضد الجماهير العربية (التدخل في العراق سنة ١٩٤١ ، التدخل في سوريا في عهد الوحدة ، دورها في حلف بغداد ، ومشروع ايزنهاور ، دورها في محاربة الحركة الوطنية الفلسطينية قبل سنة ١٩٤٧ ، وخلال حرب سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ، ودورها في ضرب المقاومة الفلسطينية منذ سنة ١٩٦٥) .

وهذا يعني ان تجاهل دور هذه الانظمة ، او محاولة التعايش معها استراتيجيا ليست الا محاولة لقبض الريح ومناورة لسدر الرماد في العيون . واذا كان هذا يعني تحديد موقف استراتيجي من هذه الانظمة ، والاستعداد لمواجهةها وسحقها في الوقت المناسب ، فانه لا يعني بأي حال من الاحوال الا تجري المناورة عليها ، حين يكون ذلك ضروريا وممكنا . ولكن يجب ان تعرف الاستراتيجية وان يعرف التكتيك ، والا تصبح المناورات استراتيجية . فاذا ما حدث ذلك ، ووقع التشوش واللبلة كان العدو قادرا على كسب المعركة .

واذا كان هنالك بعض الامراء الذين تحالفوا مع الافرنج خلال الحروب الصليبية ، دفاعا عن كراسي اماراتهم ، فهناك انظمة عميلة تتعاون اليوم من اجل الهدف ذاته . وهذه حقيقة يفرضها منطوق الصراع السياسي الذي تحدد التناقضات فيه المصالح الطبقية . فاذا ما اغفلنا هذه الحقيقة كنا كمن يدفن رأسه في الرمال .

ولقد دفنا رؤوسنا في الرمال ، قبل ايلول ، وخلال ايلول

وبعد ايلول ، وحن الوقت لكي ننفذ عن رؤوسنا تلال الرمال المتراكمة .

ثالث عشر : ان العناصر غير المعادية للنظام الاردني خاصة ، وللانظمة العميلة عامة داخل حركة المقاومة ، لعبت دورا كبيرا في عدم تعبئة الجماهير والكوادر والعناصر ضد النظام الاردني وغيره من الانظمة العميلة . كما لعبت دورا كبيرا في عدم دفع الصراع الى اقصى حدوده قبل ايلول وخلالها ، وقادت المقاومة الى التقهقر المشين بعد ايلول .

وهذا يفرض ان تتسلح المقاومة بموقف محدد من الانظمة العميلة ، وان يكون هنالك خط واضح في هذا المجال ، ملزم ولا تردد فيه . كما يفرض ان تطهر المقاومة نفسها من عملاء الانظمة ، لكي تحافظ على استقلاليتها ، ولكي تامن شر الطمن في الظهر وشر التخريب والتخاذل والخيانة .

ان اية حركة تضم في صفوفها اناسا غير محددى الولاء ، او مزدوجي الولاء ، او انتهازيين ومرترقة لا يمكن ان تامن شرهم . واذا كان من الضروري توسيع جبهة الاصدقاء وتضييق جبهة الاعداء ، فان التنظيم الثوري ، قاعدة المقاومة ، يجب ان يكون نقيما وسليما وثوريا ومحدد الولاء .

ونتيجة هذا كله تسير القضية الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية نحو التصفية .

ولكن الفرصة ما زالت متاحة امامنا ، وما زال هناك شعبنا المقاتل الصامد في الداخل ، وجماهيرنا الناقمة التحفزة في الخارج ، وما زالت اسلحتنا بين ايدينا ورجالنا ما زالوا تحت السلاح ، وما زالت مخازننا «ملاى» .

واذا كانت جماهيرنا الفلسطينية والعربية قد بدأت تنتقصد وتتدمر فما ذلك لانها ضد المقاومة ، بل لانها تريد مقاومة اشد ، اشجع ، اقوى ، اكثر حسما مع اعدائها ، اكثر بسالة ضدهم واكثر جراءة مع نفسها .

فاذا ما تعلمنا من تجربتنا، في ايلول وقبل ايلول وبعد ايلول،  
فان طريق النصر سيكون رجا واسعا ، وستدلل كل العقبات التي  
فيه ، واذا لم نتعلم فسنقود شعبنا وقضيتنا الى الهزيمة مؤقتا .  
ولكن رجالا آخرين تعلموا من تجربتنا سوف يسرون بالراية  
قدما .

## ثلاثة خطوط : انتهازي واستسلامي وثورى داخل المقاومة الفلسطينية

ملاحظات كتبت في ٢٠-٢-٧٢ ،  
وكشفت عن مشروع الملك حسين ،  
قبل اعلانه . وقد ارسلت الى مجلة  
روز اليوسف في حينه ونشرت  
في ٢٠-٢-٧٢ .

عاشت قطاعات واسعة من الشعب الفلسطيني شعورا بالتمزق  
والضياع بعد مجزرة ايلول سنة ١٩٧٠ . وكانت اسباب هذا  
التمزق والضياع واضحة اهمها الشعور بعجز الثورة الفلسطينية  
امام مؤامرة التصفية الكبيرة .

وبينما كانت الثورة تتراجع امام الهجمة الشرسة والتأمر  
اللثيم كانت اصوات ترتفع مبشرة بالاستسلام ، وكانت جماهير  
واسعة تتساءل الى اين ؟  
ومن حق الجماهير ان تتساءل الى اين ؟ من حقها لان المصير

مصريها ولأن القضية قضيتها . ومن واجب الثورة ان تجيب على هذا التساؤل لان اجابتها وقناعة الجماهير بهذه الاجابة هما اللذان يحددان مصير الثورة النهائي .

ولكن الثورة الجريحة المنهكة المحاصرة كانت تحاول تلافى الضربات ، وكانت تسعى جاهدة لتأمين مجرد البقاء . وفي حالة التراجع والنزف والانكفاء هذه اخذت القضايا تطرح نفسها بالحاح وبدا الحوار الداخلي . ولا بد من الاعتراف ان الحوار الداخلي لم يكن سهلا ولا بسيطا ، ذلك انه جاء تحت وطأة الهزيمة والتراجع والحصار . ولذلك فقد تحكمت به عوامل مختلفة، منها: اولاً : الخشية من الاعتراف بالخطأ ، والخشية من تحليل اسبابه . لان مثل هذا الاعتراف سيدين اشخاصا واتجاهات ولانه يعطي الاعداء «مماسك» وادلة تدن الثورة كلها .

ثانياً : محاولة اتهام الآخرين بالعجز والتقصير والتهاون الخ وتبرئة النفس من كل ذلك ، لان في هذا محاولة للتبرير ترضي النفس العاجزة ، وتجعل العاجزين يشعرون انهم اكتشفوا مكن الداء ، وأنهم وجهوا انظار الجماهير الى العلة .

ثالثاً : الشعور بالعجز أمام المؤامرة الشرسة ، وأمام شراسة القوى المتألبية ، عربية وخارجية ، لاسيما بعد ان وقفت الجماهير العربية المفولة متفرجة على «المذبحة المروعة» .

كانت الايام والليالي تمر والجماهير تنتظر الاجابة والثورة عاجزة ... يبلبل حوارها اغراق اليسار الطفولي في مزيد من الطفولية واليمين المتخلف في مزيد من الملاينة والمهادنة ، وخرج الانتهازيون والاستسلاميون في هذا الوقت بحلولهم . وكان اول ما حاولوا التركيز عليه هو ضرب ارادة شعبنا في الصميم ، وتحويل القضية من قضية تحرير الى قضية جزئية . ومع ان القضيتين قضية واحدة الا ان التعبير عنهما اخسلا أسلوبين مختلفين :

الاول : حاول ان يسخف اصرار شعبنا على الرفض خلال سنوات نضاله وكفاحه منذ سنة ١٨٩٧ وحتى الان . ولذلك لم تعجبه «سياسة لا» التي واجه بها شعبنا كل المؤامرات والحلول الاستسلامية . ولهذا اخذ ممثلو هذا الاسلوب يدعون شعبنا الى قول كلمة نعم للحلول الاستسلامية .

الثاني : حاول ان يوهم جماهيرنا وقياداتنا الوطنية ان شعار التحرير غير عملي، ولذلك فلا بد من «التكيف» وقبول شعارات «مقنعة» دوليا مثل شعارات التقسيم .

وخطورة هذا الاتجاه انه باسم «الواقعية» و«الروح العملية» يريد ان يجر جماهيرنا الى «الخيانة الوطنية» ، وهو اد يفعل ذلك ، فانما يفعله من خلال تحطيم ارادة الرفض الفلسطينية ، هذه الارادة التي حمت القضية من التصفية خلال سنوات طويلة عجفاء ، ولدت ملاحم بطولية من سنة ١٩٢٠ حتى سنة ١٩٧٠ . وفي ظل هذين الاتجاهين الاستسلاميين برزت افكار وآراء خطيرة وسامة ، لانها التصفية بذاتها ، وان كانت تطرح نفسها ضمن اطار من التمويه والخداع . عبّرت هذه الافكار والآراء عن ذاتها ضمن خطين ، ينطلقان من نقطة واحدة ، وان كانا يفترقان ويلتقيان ، حسب ضرورات التمويه والخداع . وهما فوق ذلك يلتقيان في الهدف الاخير :

الخط الاول : يدعو الى العودة الى «السرية المطلقة» وبدء «حرب الاشباح» ضد دولة الاحتلال الصهيوني ، وضد العملاء المتعاونين معها . ومع ان هذا الخط لا يذكر كيف يمكن ان تتم العودة الى السرية المطلقة ، فانها تؤكد على ضرورة انهاء مظاهر العمل الحالية كلها : المكاتب والقوات والمنظمات . اما منظمة التحرير فتصبح جهازا رسميا يتصل بالانظمة ، واما الثورة فتصبح سرا من الاسرار . واستطاع هذا الخط ان يكسب انصارا في اوساط محدودة لانه يدعو الى «السرية» ، ولانه يدمسو للتخلص من «المظاهر العلنية» ، من «الوجود العلني» للثورة ،

الذي تجسدت فيه نقائص الثورة وعيوبها .  
ولكن الذين بهرهم هذا «الطرح» لم يسألوا انفسهم : لماذا  
تراجع الثورة عن مواقع كسبتها بالعرق والدم ؟ وهل يكون في  
مصلحتها ان تراجع ؟ الا يكون التراجع خدمة للقوى الاستسلامية  
في المنطقة ؟

ان المواقع العسكرية والسياسية التي كسبتها الثورة فسي  
داخل الارض المحتلة وخارجها تقف عائقا امام التصفية حتى الآن .  
ولذلك فان الاعداء المصممين على تصفية القضية يعملون على  
تصفية مواقع الثورة واحدا فواحدا . لهذا كان الهجوم الشرس  
في ايلول سنة ١٩٧٠ على مواقع الثورة في الاردن . ولهذا قامت  
قوات العدو الصهيوني بهجومها الشرس لتصفية مواقع الثورة في  
غزة ، بعد ايلول . ولهذا يقوم الاعداء جميعا بحملاتهم ومؤامراتهم  
لتصفية مواقع الثورة في كل مكان .

وهذا يعني ان المحافظة على هذه المواقع والدفاع عنها هو  
الذي يحول دون التصفية او يؤخرها على الاقل . اما التراجع  
العشوائي واخلاء المواقع فلن يكون الا خدمة تقدم لعملاء التصفية .  
ولعل قضية التراجع في الاردن خير دليل على ما نقول .  
ويموه هذا الخط نفسه بالدعوة الى السرية التي تجيء هكذا  
غفلا ، والتي تطرح دون شروطها العلمية والموضوعية . فالسرية  
ضرورية للحركة الثورية الناشئة ، عندما تكون صغيرة ومطاردة ،  
اما حين تنمو وسط جماهير ، وحين تصبح قادرة على السيطرة  
على الشارع والخيم ، وعلى الدفاع عن نفسها ، فانها لا يمكن ان  
تظل «سرية الوجود» ، وان كان لا بد لها من الاحتفاظ ببعض  
مظاهر السرية (سرية الاسماء ، الاجتماعات ، الاتصالات الخ )  
حسب حاجتها ، وبمقدار هذه الحاجة . ولهذا فان الذين يدعون  
الى العودة الى السرية اليوم ، لا يدعون الى سرية الاسماء  
والاجتماعات والاتصالات ، بل الى «سرية الوجود» . وهذا يعني



الفاء الوجود الشعبي ، الفاء المواقع ، المكاتب ، السلاح ، المنظمات الجماهيرية . وهذا يستهدف عمليا تصفية الثورة لا العودة بها الى السرية .

ويلتقي هذا الخط مع خط عربي رسمي ورجعي ومعادٍ لا يريد ان يرى وجودا للثورة في الاراضي العربية ، ولا قواعد لها على امتداد خطوط النار ، وحيث توجد جماهيرها ، لا لانه يريد الثورة ان تقاتل داخل الارض المحتلة ، بل لانه لا يريد ثورة على الاطلاق . ودلت تجربة الاردن على ان انهاء مواقع الثورة بهذا الشكل العشوائي لا يتيح بناء تنظيم سري ، ولا يتيح العودة الى «حرب الاشباح» ، بل يهيء الفرصة لانتصار القوى المضادة .

الخط الثاني : لا يتحدث عن النضال والقتال ، بل يتحدث عن الحلول . ذلك انه بانهزاميته بات لا يرى في النضال والقتال حلا . ولذلك فلا بد من البحث عن حل . وما دام حل المقاومة قد سقط في نظر هذا الاتجاه ، فليس هنالك الا حلول المساومة . ولقد حاول هذا الخط الانهزامي ان يسقط انهزاميته واستلاميته على الجماهير . فالجماهير تمعبت ، وهي لا تريد ان تقاتل ، ونحن ضعفاء . الغرب ضدنا ، والعرب ضدنا ، وقدراتنا محدودة . ولذلك فما الحل ؟ الحل احد ثلاثة :

١ - ان يقبل الشعب الفلسطيني دولة فلسطينية ، نطلبها من «العالم» ، الاتحاد السوفياتي او الولايات المتحدة او فرنسا او هذه القوى جميعا . نحن نريد دولة فلسطينية على رقعة منس ارضنا ، لا نريد ان نقول لا بعد اليوم . وما دام التحرير بعيدا ، فلماذا لا نطالب بما هو معقول ؟ نطالب بالتقسيم ، فنعطى دولة في حدود حزيران سنة ١٩٦٧ او اقل . لا بأس . المواطن الفلسطيني يريد ان يرى شيئا عمليا . وحاول دعاة هذا الحل ان يصوروه ممكنا ، وان يجعلوه بديلا للتحرير في المرحلة الحالية . كما حاولوا ان يصوروه على انه لا يشكل تصفيصة للقضية .

ولكن هؤلاء اخطاوا فيما ذهبوا اليه ، وانحرفوا عن جادة النضال الفلسطيني . فما كان ممكنا ان يكون مثل هذا «الحل» غير تصفية لارادة القتال ، وغير تصفية للقضية ، وغير مدخل الى حلول اكثر تهاونا واستسلاما .

٢ - ان يقبل الشعب الفلسطيني حكما ذاتيا في ظل دولة الاحتلال . وهذا ما اخذت تلوح به اجهزة الاحتلال ، من اجل صرف انظار المواطنين عن التطلع الى التحرير ، ومن اجل استقطاب اهتمامهم واشغالهم بقضايا « الحكم الذاتي » وتحويل قسم منهم على المدى القصير الى أدوات لقمع قوى المقاومة . كما ان اجهزة الاحتلال كانت تريد من ذلك اشعار الدول العربية المعنية ان هناك فريقا فلسطينيا «جاهزا» ، مستعدا للتفاوض في اية لحظة . ان هذه الفكرة لم تبلور بعد ، وان كانت آخذة في التبلور . فالتحركات السياسية التي يقوم بها بعض الطامحين والانتهازيين في الارض المحتلة تسير في هذا الخط . كما ان التحركات السياسية التي تقوم بها اجهزة الاحتلال تهدف الى بلورة هذا الخط ، وان كانت تريد منه غير ما يريد . ودعاة هذا الخط وانصاره ، على قلتهم ، من المقيمين في ظل الاحتلال اساسا .

٣ - ان يقبل الشعب الفلسطيني حكما ذاتيا في ظل الاردن . وهكذا تظل وحدة الضفتين قائمة ، ولكن يعاد النظر فيها، ويحتل الفلسطيني مكانه ، فيصبح مواطنا من نفس المستوى ، مساويا لغيره ، وتصبح له مواقعه في الجيش والسلطة . ودعاة هذا الاتجاه لا يطرحون آراءهم علنا الا في الكواليس ، وهم يعبرون عن اتجاههم هذا بالاساليب التالية :

١ - اثارة زوبعة حول مشروع الدولة الفلسطينية . فهم ضد الدولة الفلسطينية ، والدولة الفلسطينية هي الخطر الداهم ، وما من خطر غيرها . والهدف من ذلك تضليل الجماهير عن الخطر

الحقيقي وأشغالهم بخطر وهمي ، كما ان الهدف من ذلك تشويه  
الإرادة الفلسطينية المستقلة ووصمها بوصمة الشاريع المشوهة.

ب - المطالبة بالمحافظة على وحدة الضفتين في ظل العرش  
الهاشمي ، على أساس انه سيسقط بعد ذلك ، ومحاولة إيهام  
الجماهير بأننا غير قادرين الآن على إسقاط النظام ، وبأن هناك  
تسوية ، وبالتالي فماذا نصنع بالضفة الغربية ؟ ويجيبون : تفرد  
الى الحكم الهاشمي . وكل هذا من أجل اقناع الجماهير بأن لا  
حل غير العودة الى «الحكم الهاشمي» .

ج - محاولة إبقاء الإرادة الفلسطينية ضمن إطار «إرادة  
الانظمة العربية» . ولهذا فدعاة هذا الاتجاه يحاربون كل توجه  
فلسطيني نحو تحويل المقاومة الفلسطينية الى حركة شعبية  
جماهيرية مستندة الى تنظيم طبيعي ، متفاعلة مع الجماهير  
العربية تفاعلا حقيقيا ، ومتفاعلة مع القوى الوطنية والتقدمية  
والاشتراكية على الصعيد العالمي .

واتجاه الحكم الذاتي في ظل العائلة الهاشمية هو الاتجاه  
الأكثر خطرا الآن ، لانه الاتجاه الوحيد الذي يحظى بتأييد القوى  
المسيطرة : دولة الاحتلال الصهيوني والحكومة الهاشمية ،  
والولايات المتحدة من ورائهما . فالحكم الاردني يريد حلا ، يشارك  
فيه قسم من الفلسطينيين ، ودولة الاحتلال الصهيوني تريد حلا ،  
يشارك فيه قسم من الفلسطينيين ، ولا يكون حلا فلسطينيا ،  
لأنها تريد حلا عربيا للقضية الفلسطينية ، يجعل من الضفة  
الغربية صلة وصل ما بين دولة الاحتلال والوطن العربي .  
والولايات المتحدة الاميركية تريد حلا يبقي النظام الحالي في  
الاردن ، ويكرس الانتصار الصهيوني ، وماذا غير الحكم الذاتي  
في ظل العائلة الهاشمية ، المتفق عليه بين حكومة الاردن ودولة  
الاحتلال ؟

ويروج الاستسلاميون لهذا الحل ، باسم الدفاع عن وحدة

الضفتين وعدم قبول الحل الاسرائيلي والدولة الفلسطينية ، وهم بذلك يعملون لتصفية حركة المقاومة وقواعدها الشعبية ، ومن اجل اقامة استقرار في المنطقة تهيمن فيه العناصر المعتدلة عربيا وفلسطينيا ، ويقضى فيه على «العناصر الهدامة» ، وهذا ما المح اليه الرئيس نيكسون في تقريره الى الكونغرس خلال الشهر الحالي .

ان هذه «الخيانات الثلاث» تنطلق من منطلق واحد : روح الاستسلام ، وتقود الى نتيجة واحدة : التصفية . واكثر دعواتها الذين يختلفون اليوم ، لن يختلفوا في حالة تحقق أي من الحلول الثلاثة .

ولقد ساهمت هذه الافكار الانهزامية المنحرفة في زيادة حالة الضياع والتمزق نفاقا . وكان لذلك اسباب عدة منها :

١ - انها دفعت قطاعات من الشعب الى التفكير بان هنالك «مخارج» لازمتها ، ولكن اختلاف «الطروح» وضبايتها وانحرافها عن الخط النضالي ، وتناقضها مع تراث شعبنا الثوري جعلها عوامل ازمة ، اكثر مما جعلها عوامل حل .

٢ - انها اخذت سبيل التشكيك بالثورة وجدواها ، واستخدمت لغة الاعداء في الهجوم عليها ، مع ان الثورة مما زالت تقاتل في الداخل والخارج ضد الاستسلام والتسويات .

٣ - انها اخذت تشكك بالتراث الثوري لشعبنا ، فكل رفضه للاستسلام ومقاومته لصهينة ارضه اصبحت «عملا لا واقعيًا» ، واصبحت مشكلة الشعب الفلسطيني ذاته . «فمشكلة الشعب الفلسطيني سياسة لا» هذا ما يقوله المشككون ، وعلى شعبنا الذي ظل يقاوم منذ سنة ١٨٩٧ ، وظل يقول لا للحلول الاستسلامية ان يقول اليوم نعم .

ويعيش الشعب الفلسطيني اليوم غمار ازمة التمزق والضياع هذه . فماذا يفعل ؟ انه يطالب ثورته بان تحدد له معالم الطريق .

ان النقطة الاساسية في معالم الطريق الجديد هي : «التمسك بسياسة لا» . ذلك ان التراث الثوري للشعب الفلسطيني قام عليها منذ سنة ١٨٩٧ ، لا للدولة الصهيونية ، لا للمجلس التشريعي في ظل الانتداب ، لا للهجرة الصهيونية الخ ، لا للتقسيم ، لا للصلح ولا للاعتراف بدولة الاحتلال . وليكن الموقف الآن ايضا لا للدولة الفلسطينية مع الصلح والاعتراف وضمن التصفية ، لا للحكم الذاتي ، في ظل دولة الاحتلال الصهيوني او في ظل الحكم الهاشمي . هذا هو المنطلق ، وهذا هو الموقف الايجابي الوحيد . اما نعم الاستسلاميين ، فهي السلبية .

و«سياسة لا» هذه كانت سياسة ثورية اتبعتها جماهير الشعب الفلسطيني ، واجبرت بها قياداتها على عدم التفريط بأي حق من حقوق شعبنا . ولذلك لم تستطع اية قيادة من قياداتنا ان تقبل حكما في ظل العدو ، او ان تقوم بدور اداة القمع لجماهيرنا . ولا يجوز ان نبرر لاحد ، بعد هذا النضال الطويل والتضحيات الكبيرة ، ان يقول : نعم لعظمة يقدمها سماسرة التصفية للكلب الفلسطيني . واذا كان هنالك كلب يريد عظمة من مآذبة الخيانة ، فعلينا ان نكشفه و«نقلع» اسنانه بدلا من ان نبرر له فعلته .

ولكن علينا ، اذا اردنا ان نكون قادرين على عمل ذلك ، في جو الاستسلام والتصفية هذا ان نقوم بما يلي :

اولا : اعداد قوانا المنظمة والمسلحة للاستمرار في النضال من اجل التحرير ، وذلك بزيادة وعيها السياسي وكفاءتها القتالية ، وبتطوير طاقتها وفعاليتها وتصميمها .

ثانيا : تحقيق وحدة وطنية فلسطينية تضم كل القوى المعادية للاحتلال الصهيوني ، والمؤمنة بالتحرير ، وتتجاوز الوضع الحالي ، بتوثيق العلاقات بين الفصائل المسلحة، وبتوسيع المنظمة (منظمة التحرير) لتمثيل كل ابناء شعبنا وبناته وفتاته وطبقاته واتجاهاته .

وإذا كان لا بد من انهاء «التشرذم» فلا بد من الاعتراف بحق اصحاب الايديولوجيات في التمسك بايديولوجياتهم ، والعمل ضمن الوحدة الوطنية في الوقت ذاته . فالوحدة الوطنية جبهة وطنية . والجبهة ، حتى تكون جبهة ، لا يجوز ان تفرض عليها ايديولوجية طبقة واحدة . والجبهة تضم اناسا مختلفين في عدد من القضايا ومتفقين في عدد آخر .

وفي هذا المجال لا بد من التأكيد على ضرورة محاربة الموقف السلبي الذي تقفه بعض الجهات الفلسطينية من الماركسية والدول الاشتراكية . كما يجب ان تحارب النزعات الطفولية اليسارية التي تريد ان تخضع الجبهة الوطنية لايديولوجية الطبقة العاملة .  
ثالثا : العمل لاختراق الاسوار الصينية ما بيننا وبين الجماهير . هنالك اسوار وضعتها الانظمة ، وهنالك اسوار صنعناها نحن بجهلنا او عفويتنا ، او حرصنا على استرضاء هذا النظام او ذاك ، او بعدم ادراكنا لمعنى ان تحرير فلسطين جزء من معركة التحرر الوطني العربية . ويكفي ان ندرك ما معنى ان يكون تحرير فلسطين جزء من معركة التحرر الوطني العربية حتى نعرف كيف نقيم علاقات مع الجماهير العربية . ان اول ما يعنيه كون معركة فلسطين جزء من معركة الوحدة ، ومعركة تصفية الاستعمار والاقطاع ومخلفات القرون الوسطى في بلادنا . وهذه المعركة هي معركة الجماهير العربية . فاذا حاولنا عزل قضية فلسطين عن هذه المعركة الشاملة عزلناها عن الجماهير العربية .

ان ادراك المضمون القومي لمعركة فلسطين هو مدخلنا الى اشراك الجماهير العربية في المعركة ، وهو مدخلنا الى اتخاذ موقف صحيح وسليم من الانظمة العربية . فالجماهير العربية هي وحدها القادرة على تحرير فلسطين ، ويجب الا تبقى بعيدة عن الميدان ، وواجبنا ان نبدأ عملية التفاعل معها ، لا لنجعلها «فلسطينية» ، ولا «لنفلطسها» ، بل لنجعل المعركة مع الاحتلال الصهيوني عربية بالنظرية والممارسة ، ومن حيث الفكر والاداة .

رابعا : تحقيق التلاحم مع القوى المناضلة ضد الامبريالية والاستعمار والاضطهاد والتخلف على الصعيد العالمي. ويأتي على رأس هذه القوى : الاحزاب الشيوعية والدول الاشتراكية وحركات التحرر الوطني والقوى العاملة من اجل التقدم والسلام (1). وما دام عدونا الرئيسي هو الامبريالية والصهيونية وادابتهما دولة الاحتلال الصهيوني ، فان القوى المذكورة آنفا هي حليفنا ، وعلينا ان نعلن هذا الحلف بلا تردد ، وان نتمسك به دون مساومة . ان عدم تحديد حلفائنا على الصعيد العالمي يضعف جبهتنا ، ويقودنا الى مزلق خطيرة ، كما انه لا يتيح لنا فرصة الاستفادة من قوه حلفائنا على هذا الصعيد .

وهناك بالاضافة الى هذا كله مهمات ملحة على الثورة الفلسطينية ان ننجزها بسرعة هي :

١ - المحافظة على مواقعها ومكتسباتها وتطوير منظماتها ومؤسساتها . فلا يجوز التخلي عن موقع من هذه المواقع ، ولا يجوز التفريط بمكسب من هذه المكتسبات . ومن اهم هذه المواقع والمكتسبات : الوجود العلني ، الاسلحة ، القوات ، منظمة التحرير ، المنظمات الشعبية ، العلاقات العربية والدولية .

٢ - تصعيد الكفاح السياسي والعسكري في الارض المحتلة ، من خلال توسيع نطاق العمل السياسي ، وزيادة امكانيات العمل العسكري وفعالياته .

٣ - مباشرة العمل السياسي والعسكري وكل اشكال النضال لاسقاط الحكم الهاشمي العميل ، لانه اداة قمع اساسية ، ضد ارادة القتال والتحرير في المنطقة ، ولانه يعمل بلا هوادة من اجل تصفية القضية .

---

١ - مع ان هناك خلافات اساسية بيننا وبين بعض هذه القوى (راجع القسم الثاني من هذا الباب : «القضية الفلسطينية وبعض الاتجاهات الماركسية» ) .

بهذا ، لا بغيره ، تنتهي المتاهة ، وتستمر مسيرة التحرير  
والعودة ، وبهذا لا بغيره ينتهي الضياع والتمزق ، وتتحد صفوف  
الشعب الفلسطيني والجماهير العربية ، ويسقط الاستسلاميون  
والانهزاميون ووكلاء التصفية .

ولهذا فان كل جهودنا يجب ان تتجه في هذا السبيل .



## الوضع الراهن .. ومهماتنا

ملاحظات كتبت في ١٠-٥-٧٢  
ونشرت في جريدة فتح دون ذكر  
اسم الكاتب .

### تقديم :

ان على القوى الثورية ان تتحلى بالقدرة على تحليل اوضاعها تحليلا علميا وتحديد مهماتها تحديدا دقيقا . والقوى الثورية التي لا تهتم بهاتين الحقيقتين ، ولا توليهما الاهتمام اللازم ترتكب اخطاء فادحة وتتكد هزائم كبيرة .  
ومن هنا فان علينا ان نحلل ظروف الثورة الفلسطينية بايجاز ، وان نحدد مهماتها في المرحلة الراهنة ، لاننا بذلك فقط نستطيع ان نواجه مؤامرة التصفية الشرسة ، وان ننتقل من التراجع الى

التقدم ، ومن الدفاع الى الهجوم .

## خصائص الوضع الراهن :

ان الوضع الراهن، على الرغم من ملبساته العديدة وتعقيداته الكثيرة، يكشف عن خصائص محددة. وأهم هذه الخصائص هي:  
اولا : ان الهجمة الامبريالية تزداد حدة وشراسة وان الهدف الرئيسي لهذه الهجمة الآن هو تصفية الثورة الفلسطينية . .  
باعتبارها تهدد « الامن والاستقرار » والحكومات « المعتدلة » ، كما جاء في تقرير الرئيس نكسون الى الكونجرس في فبراير (شباط) من هذا العام .

ويعود عنف الهجمة الامبريالية وشراستها الى ثلاثة عوامل :

١ - اهمية منطقتنا بالنسبة للامبريالية من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية .

٢ - تحقق الدوائر الامبريالية الحاكمة في الولايات المتحدة من ان الهزيمة باتت محققة في فيتنام ، وان عليها ان تعيد ترتيب امورها في الشرق الاوسط ، لكي تكون مستعدة لمواجهة آثار الهزيمة المحققة في فيتنام والشرق الاقصى .

٣ - خشية الدوائر الامبريالية من ان يؤدي نمو القوى الفلسطينية المنظمة والمسلحة وزيادة خبرتها وكفاءتها وتفاعلها مع الجماهير العربية الى ثورة شعبية مسلحة في الوطن العربي كله ، والى قيام فيتنام ثانية في اكثر المناطق اهمية بالنسبة للولايات المتحدة .

ثانيا : ان دولة الاحتلال الصهيوني ، التي عاشت حتى الآن

في ظل غياب الحركة الشعبية المسلحة باتت تدرك اي خطر تواجهه بقيام مثل هذه الحركة . ولذلك فهي تعمل جاهدة من اجل ما يلي :

أ - سحق قوى الثورة داخل الارض المحتلة بكل الاساليب والوسائل الممكنة .

ب - مطاردة الثوار المرابطين على الحدود ومحاولة سحق قواعدهم .

ج - دفع الانظمة العربية الى ضرب قوى الثورة وسحقها ، كما حدث في الاردن ، وكما تريد دولة الاحتلال ان يحدث في لبنان .

د - اقناع المواطن سيان كان فلسطينيا او عربيا ، بأن الثورة اعجز من ان تحرر فلسطين، وأن الحل الوحيد هو «الاستسلام» . ولقد استفلت دولة الاحتلال الصهيوني مذابح الاردن جيدا ، وهي تستفيد من كل ظاهرة من ظواهر التفسخ والاستسلام في البلاد العربية .

ولا بد من الاعتراف بأن المرحلة التي تلت معارك الاردن خلقت مناخا مناسباً للتضليل « الاسرائيلي » .

ثالثا : ان الانظمة العربية مترددة في انتهاج سياسة حرب ، وان تردها هذا يجعلها اميل لقبول « الحلول السلمية » ، كما ان هذا التردد يجعل الولايات المتحدة ودولة الاحتلال الصهيوني اكثر تعنتا وتشددا واكثر عنجهية .

ويعكس هذا التردد سلبيا على اندفاع الجماهير وحفاستها واستعدادها للذلل والتضحية .

ومع ان الانظمة العربية عموما تزيد من حجم قواتها المسلحة

زيادة ملحوظة . وتعمل على تحسين مستوى التدريب والتسليح .  
فان عدم الاهتمام بالتعبئة السياسية للقوات وللجماهير وعدم تدريب  
الجماهير وتسليحها . وعدم انتهاج سياسة حرب في الحياة  
الداخلية . يجعل الجماهير الشعبية لا تثق بالمستقبل . هذا ، ثم ان  
محاولة جعل شعرة معاوية بين الدول العربية والولايات المتحدة  
حبالا مريرة توحى بان الحديث عن الحرب ليس جادا ، وان محاولة  
دخول خرم ابرة الحل السلمي ما زالت مستمرة على الرغم من انها  
تمثل منزلقا خطرا ، يهدد القضية كلها .

رابعا : ان قطاعا من الشعب الفلسطيني اخذ تحت ضغط  
هذه العوامل . ونتيجة شعوره بالعجز الذاتي للمقاومة ، يميل نحو  
قبول سياسة الامر الواقع .

ولهذا فان الاصوات التي كانت تعتبر نشازا فيما قبل ابول  
اخذت تلقى في هذه الايام بعض القبول ، او بعض التبرير . كما  
ان الرفض الاجماعي الذي كانت تواجه به مؤتمرات الاستسلام  
والحلول الجزئية اخذ يتزعزع .

ولعل مؤامرة الانتخابات ومشروع الملك حسين والموقف منهما  
خير دليل على ما نقول .

ان هذا « التخلخل » الذي حل بالجبهة الفلسطينية ليس  
غربيا ولا شاذا ، ومع هذا فهو خطير ، وذو آثار كبيرة على مستقبل  
الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية .

خامسا : ان القيادة الوطنية الفلسطينية امام هذه المؤامرات  
وهذه القوى الكبيرة الهائلة مطالبة بحل اشكالات كبرى مثل رد  
الهجمة الامبريالية الشرسة ، تصعيد القتال في الارض المحتلة ،  
اسقاط النظام الاردني ، مواجهة المشاكل الناتجة عن العلاقات مع  
الانظمة العربية في مرحلة قبول «الحلول السلمية» . واخيرا حل  
مشكلات الوحدة الوطنية الفلسطينية ضمن هذه الظروف .

كما انها مطالبة ايضا بتطوير قواها الذاتية لتكون قادرة على مواجهة مهمات المرحلة الجديدة في فترة انحسار وتراجع .

ان ضخامة هذه المهمات والعجز الظاهر عن تقديم حل لها يزيد من الشعور بالارتباك والخيبة .

ومع هذا كله فهناك الصورة المضادة التي تلخص بما يلي :

اولا : فمقابل الهجمة الشرسة التي تقوم بها الامبريالية الامريكية ، هناك الرد الحازم الذي تقوم به شعوب العالم ، وعلى راسها الشعب الفيتنامي وشعوب الهند الصينية ، وهناك الانجازات والانتصارات التي تحققها الدول الاشتراكية وحركات التحرر الوطني والحركات العمالية .

واذا كانت الامبريالية الامريكية تقوم الآن باعنف حملاتها العسكرية في فيتنام ، فان الشعوب تقوم باعنف ردودها الآن ايضا وفي فيتنام ذاتها .

وان الرد الفيتنامي ليقدم دليلا جامعا مانعا على ان الآلة العسكرية الامبريالية ليست اعنى من ان تقهر ، وان شعبا متخلفا ، ولكن منظم وواعي ومصمم ، ويحظى بتأييد الدول الاشتراكية وقوى التقدم والعدالة والسلام في العالم ، يستطيع ان ينتصر وان يهزم اعداءه .

ثانيا : ان الامة العربية ، وعلى الرغم من التجزئة والتخلف والسيطرة الامبريالية ، قد حققت انجازات في السنوات الماضية ، وان من اهم هذه المنجزات : تطور مستوى الوعي السياسي واتساع رقعة الجماهير ذات الاهتمامات السياسية ، زيادة الحقد على الاحتلال الصهيوني والسيطرة الامبريالية وزيادة الاحساس بخطورة الاحتلال الصهيوني ، تطور الجيوش وزيادة عددها وامكانياتها ، توثيق العلاقات مع الدول الاشتراكية الخ . .

ولقد كشفت الجماهير العربية بالتأييد الذي منحتة للعمل  
الفدائي ، عن استعداد اصيل لمقاومة المحتل ، ولتقديم كل اشكال  
التضحيات في سبيل القضايا الوطنية .

وعلى الرغم من عدم الاستفادة من هذا الاستعداد ، وعلى  
الرغم من السلبية التي تبدو في موقف الجماهير احيانا ، ومن  
حالات الارتفاع والهبوط التي تظهر واضحة جلية ، فان الوقائع  
ثبتت كل يوم ان الجماهير العربية مع المقاتلين دائما ، وانها لا  
تخذلهم ، ولا ترضى بغيرهم قيادات الا حين يغيبون عن المسرح .  
ان هذه الظاهرة ظاهرة ايجابية وهامة ، ولا يجوز ان يجري  
تجاهلها عندما يجري الحديث عن قضية مقاومة الصهيونية  
والامبريالية .

ثالثا : ان الشعب الفلسطيني قد اكتسب خبرات تنظيمية  
وسياسية وعسكرية خلال السنوات الماضية ، كما انه حقق منجزات  
كبيرة اهمها : منظماته الشعبية ، اسلحته ، مؤسساته الرسمية ،  
الاعتراف العالمي بنضاله وبمنظماته وحقوقه .

وهذا كله يكون رصيذا هاما وكبيرا لجميع الثوار والمناضلين .  
والشعب الفلسطيني فوق هذا كله يقيم الدليل كل يوم على  
اصراره على استعادة ارضه وعلى استعداده للتضحية والبذل  
والفداء . ولعل استمرار القتال في غزة واستمرار الاف الفدائيين  
يحملون البنادق والشجاعة التي يبديها مقاتلوننا في كل المارك  
التي يخوضونها ، حتى في هذه الايام الحالكة ، لخير دليل على ما  
نقول .

### المهام العاجلة للثورة الفلسطينية :

على ضوء هذا كله علينا ان نتساءل ما هي المهمات الراهنة

## للثورة الفلسطينية ؟

مع ان المهمات الراهنة هي جزء من المهمات البعيدة المدى ، فان علينا الآن ان نحدد المهمات الراهنة ، حتى لا يضعف الخاص في العام والمرحلي بغير المرحلي .

ان هذه المهمات تتلخص بما يلي :

اولا : العمل للمحافظة على مكتسبات الشعب الفلسطيني واهمها منظمانه . منظمة التحرير . اسلحته : قواته المقاتلة ، الشرعية الفلسطينية والعربية والدولية التي كسبها بالدم والكفاح .

ان المحافظة على هذا كله اهم مهمات المرحلة الراهنة على الإطلاق . لان التفريط بهذه المكتسبات تفريط بالشعب والقضية وبدماء الشهداء ، وخيانة للشرف الوطني والقضية الوطنية واندفاع على طريق التصفية .

ثانيا : احباط مؤامرات التصفية والاستسلام . كل مؤامرات التصفية والاستسلام : وعلى راسها مشروع الحكم الذاتي في ظل العرش الهاشمي العميل . ان هذا المشروع هو الصيغة العملية للتصفية في المرحلة الحالية . ويجب ان تتجه كل السهام الى مقاتله الحساسة . وهذا لا يعني ان تتجاهل الثورة الفلسطينية مشاريع التصفية الاخرى . ولا ان تتفاضسى عن اي مشروع استسلامي . انما ان تدرك الهدف الاساسي لمركتها في هذه المرحلة . مع بقائها يقظة وحذرة .

ثالثا : المحافظة على شعلة الكفاح المسلح : والعمل على تصعيد الكفاح المسلح . في الارض المحتلة . ذلك ان استمرار شعلة الكفاح المسلح يبدد ظلمات المنطقة ويخلق المناخ الملائم لاستمرار الثورة وتساعدنا .

رابعا : محاربة النزعات التصفوية والاستسلامية بشدة وعنف

وشراسة وفضح المتخاذلين والانهمامين وكشف تبريراتهم  
وأضاليلهم ومزاداتهم ، لان مكن الخطر في هذه النزعات  
والتبريرات والأضاليل والمزادات .

خامسا : المحافظة على استقلالية الثورة الفلسطينية ، لان  
ضياع استقلاليتها يعني ضياعها ، ولان استقلاليتها هي التي  
تضمن استمرارها فاعلة ومؤثرة عربيا ودوليا . فاذا فقدت  
استقلاليتها تحولت من ثورة الى ثورة مضادة .

ولكن هذا كله لا يتحقق الا بما يلي :

١ - المحافظة على وحدة الثورة والنضال لجعل تنظيمنا  
أصلب وقواتنا على مستوى المهمات الجديدة . واذا كان هذا  
يقتضي المحافظة على الاشكال العلنية والدفاع عن الواقع التي  
كرسها نضال شعبنا خلال سنوات ، فانه لا بد من ان يبدأ العمل  
فوراً لمواجهة اسوأ احتمالات المستقبل : اي بناء التنظيم السري  
الثوري في ظل الشرعية والعلنية . كما ان المحافظة على وحدة  
الثورة تقتضي محاربة النزعات الانشاقية والتكتلية وتكريس كل  
القوى لخوض المعركة مع اعداء الثورة .

٢ - العمل لتوطيد دعائم الوحدة الوطنية في صفوف شعبنا .  
ولترسيخ العلاقات داخل منظمة التحرير ، باعتبارها اطار جبهتنا  
الوطنية الواسعة . ان توطيد دعائم الوحدة الوطنية في صفوف  
شعبنا وترسيخ العلاقات داخل منظمة التحرير مهمتان أساسيتان  
من مهمات المرحلة ، ولا يمكن بدونهما مواجهة الهجمة الشرسة  
التي تشنها علينا الامبريالية والصهيونية والقوى المضادة للثورة .

٣ - بناء الجبهة الوطنية الفلسطينية - الاردنية والعمل على  
تنفيذ شعار الهام : اسقاط النظام الهاشمي العميل ، باعتبار  
هذا النظام عقبة في سبيل تحرير فلسطين ، ولانه نظام معاد  
لاماني جماهيرنا ، وخائن لقضيتنا ومجرم بحق شعبنا .



٤ - البدء بالعمل من اجل قيام الجماهير العربية بواجباتها القومية نحو قضية فلسطين . من خلال استقطاب مناضلين عرب للثورة ، ومن خلال وضع صيغ ملائمة للتفاعل مع الجماهير العربية والقوى الوطنية العربية .

٥ - العمل على تعبئة جماهيرنا في الداخل . تحت الاحتلال ، من اجل استمرار القتال والصمود . وتعبئة جماهيرنا المشردة من اجل الدفاع عن منجزات الثورة والتمسك بأهدافها .

ولهذا لا بد من ان يكون شعارنا الآن : القتال كل اشكال القتال ولا شيء غير القتال . ولا بد لنا حتى لا نضيع عن اهدافنا في السراب او الزايدات من ان نحدد بدقة ساحات القتال . واذا كانت المعركة شاملة ضد العدو . فان ساحاتها الرئيسية الان هما الارض المحتلة والاردن . ولا بد من ان نسعى لتلافي المعارك والصدمات خارج هذا الاطار . الا اذا فرضت علينا معارك لا يمكن تجنبها لحماية الثورة ومنجزاتها .

ان الذين لا يفرقون بين الساحات الرئيسية للقتال والساحات الثانوية هم الساسة الاغرار . اما الذين يحاولون تحويل المقاتلين عن اهدافهم . واصطناع اهداف وهمية فهم حتما مخطئون . اما الذين يملأون الجو شقشقة عن الحرب في كل مكان فهم الذين لا يريدون ان يحاربوا . ويريدون في الوقت عينه ان يثيروا الكثير من الضباب لكي يهربوا من الحرب . ويريدون زيادة على ذلك ان يوسعوا نطاق المعركة حتى تتبدد القوى وتعم الفوضى فلا تصل سهام الثورة الى اهدافها المحددة .

اهدافنا اذن في هذه المرحلة :

اولا : المحافظة على قوانا . والعمل على تطويرها ، وتحقيق مستوى ارقى من الوحدة الوطنية وزيادة مشاركة جماهيرنا الفلسطينية والعربية .

ثانياً : تصعيد القتال ، كل اشكال القتال في الارض المحتلة،  
والعمل بكل الوسائل لاسقاط النظام الهاشمي العميل .

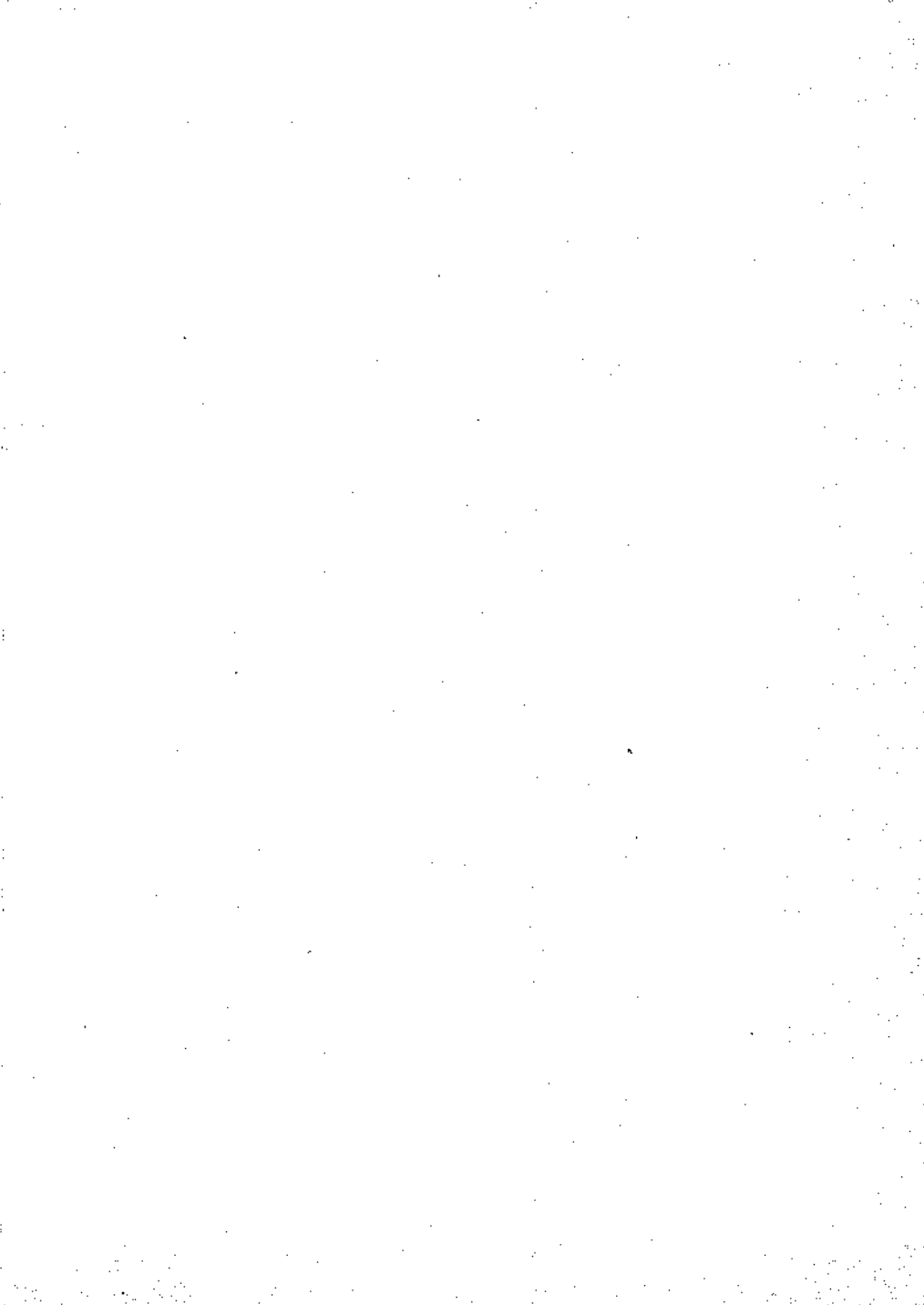
ثالثاً : تجنب المعارك الجانبية واتخاذ كل الاحتياطات لاحباط  
مؤامرات جرنا الى معارك جانبية .

رابعا : الاستعداد للدفاع بشراسة عن كل انجاز حققناه : عن  
منظمة التحرير ، عن البنادق ، عن حق النقل بالاجازات ، عن  
الاعفاءات الجمركية ، عن حق التنظيم والعميل في اوساط  
الجماهر الخ . .



## القسم الثاني

القضية الفلسطينية وبعض الاتجاهات « الماركسية »



## يسار لا يعرف اليمين من اليسار

«مقالة كتبت في ١٩٦٧-٦٧ ، ردا  
على بعض الاتجاهات الاستسلامية في  
الحركة الوطنية العربية ، ونشرت  
في مجلة الآداب ، العدد العاشر ،  
السنة ١٥ ، ١٩٦٧» .

طرحت معركة الخامس من حزيران المنصرم قضية الثورة  
العربية من جديد، لأنها كشفت تهاافت الاحلام التي بناها المنظرون  
المختلفو الاتجاهات على أساس من الرمال ، ولأنها فضحت نظما  
اعتقد منظرون ماركسيون ، يجروون على اعتبار أنفسهم بوصلة  
حساسة ، تستطيع تحديد الاتجاهات بدقة من يمين اليسار الى  
يسار اليسار ، تجربة تاريخية رائدة و فاتحة « عهد تاريخي  
جديد » (١) .

---

١ - مجلة «الكاتب» - اسماعيل المهدي - «معالم العصر الجديد» ، ص ٩٤ .

ومع هذا ، فيبدو ان التصدين لمعالجة القضية بعد النكسة ، ممن يسمون انفسهم « اليسار الثوري » ، وعلى رأسهم الحزبان الشيوعيان في سورية ولبنان ، وكتاب ماركسيون تحدثوا عن ضرورة تجديد الماركسية حديثا طويلا مثل اسماعيل المهدي - يبدو ان هؤلاء لم يأخذوا من الدرس الكبير عظة ، وانهم ما زالوا يصرون على معالجة الامور معالجة غير جدلية ، ترسم الواقع على ضوء معطيات تقتضيها ضرورات سياسية او ذاتية .

وقد تجلّى هذا واضحا في عدد من الدراسات والمقالات والتعليقات التي صدرت بعد الهزيمة النكراء . ولا بد لي هنا من ان ابرز الخطوط العامة لهذا الاتجاه ، قصد تمزيق ثوب الثورية الذي يستتر به .

وتتمثل الخطوط العامة لهذا الاتجاه فيما يلي :

اولا : عدم القدرة على رؤية الابعاد الحقيقية للمعركة ، وتحديد الاستراتيجية الصحيحة للعمل الثوري ، ذلك ان اليسار الماركسي الملتزم ظل يهوّم ، منذ نشأ ، في تناقضات وتخطّات ، كانت على الاكثر بعيدة عن الماركسية بعد الثريا عن الثرى . ولذلك فقد ظل ضعيفا ومنعزلا ، ولم يستطع ان يحرك الجماهير او يقودها لتحقيق اهدافها . وكان هذا اليسار الملتزم ينظر الى الواقع من الخارج ، ولم يتمكن من النفاذ الى اعماقه ابدأ . وكان يخطيء حيث تكون الامور واضحة ، ويقف ضد اتجاه الجماهير في كثير من الاحيان ، كما حدث في قضيتي الوحدة وفلسطين . ولعل اهم سببين لعزلة اليسار هما :

- ١ - عدم وجود الالتحام بالجماهير والتفاعل معها .
- ٢ - عدم امتلاك الوعي النظري القادر على اكتشاف اتجاه التطور الموضوعي والذاتي .

وحين حلت التنظيمات الشيوعية في الجمهورية العربية

المتحدة ، برز تيار ماركسي جديد ، من أبرز دعائه اسماعيل المهدي ، الفكر الماركسي المعروف ، اخذ على عاتقه مسؤولية تطوير الماركسية ، بالانطلاق من تحليل الوقائع . ومضى دعاء هذا التيار قدما حتى اصدروا فتوى ماركسية ، بأن ثورة ٢٣ يوليو تجاوز للنظرية الماركسية ، وان « التطبيق العربي للاشتراكية العلمية في عصر تصفية الاستعمار وانتصار الاشتراكية » يمكن ان يطلق عليه « اسم النظرية الجديدة للثورة الاشتراكية غير البروليتارية » (٢) . وكان واضحا ان هذا التيار الذي تطلق بأذيال ثورة ٢٣ يوليو ، كان يحاول ان يكرسها لا ان يغيرها . وانه خلع عليها من الالقاب والاصناف ما لا يقبل ولا يصدق ، باسم الفلسفة الماركسية وباسم تجاوز الماركسية التقليدية (٣) . كان هذا الاتجاه ايضا بعيدا عن روح الماركسية التحليلية ، وعن ثورتها .

والتقى هذان التياران في عدم القدرة على رؤية الوقائع رؤية ثورية ، وان اختلفا في النتائج . ذلك ان التيار الماركسي المتزم اتخذ موقفا نظريا جامدا ومتزمتا من الثورة في العالم الثالث . وبينما كان احيانا يؤيدها تأييدا لا حدود له على المستوى التكتيكي ، كان في احيان اخرى يناصبها عداوة لا حدود له . اما على المستوى الاستراتيجي ، فقد حاول ان يجد لها تصنيفا ، فسامها الطريق اللارأسمالي الى الاشتراكية بعد ان اكتشف

٢ - المصدر السابق ، ص ٩٧ .

٣ - (أ) اسماعيل مهدي «الطريق العربي والماركسية التقليدية» مجلة

«الكتاب» - العدد ٤٨ ، السنة الرابعة مارس ١٩٦٥ ، ص ٧٦ .

(ب) اسماعيل مهدي «الطريق الجديد للاشتراكية» - مجلة «الكتاب» ، السنة

الرابعة فبراير ١٩٦٥ ، ص ٤٧ .



المنظرون السوفيات هذا الاسم . وعلى الرغم من ذلك ظل هذا التيار ينظر إليها نظرة الريبة والشك ، وظل يعتقد بأنها لن تستطيع أن تحقق أهداف الثورة الديمقراطية الاشتراكية ، وأن اليسار الماركسي التقليدي هو البديل حتما ، بكل ما هو عليه من ضعف وعزلة وعجز وجمود . أما التيار الأخر ، فقد اعتبر أن التيار الأول فاشل وعاجز ، وأن القيادات الوطنية في العالم الثالث تقوم بالدور الذي عجز عن القيام به .

رأى دعاة هذا التيار الماركسي غير الملتزم، أن القيادة الجديدة « لم تنجح فقط في كشف معالم هذا العصر الجديد ، بل نجحت أيضا وأساسا في شق الطريق أمام مولد هذا العصر الجديد » (٤) . كانت نتيجة ذلك أن عزل اليسار الماركسي الملتزم ، وقعد أسير تزمته وتحفظه وعجزه عن التفاعل مع الأحداث وقيادة الجماهير في اتجاه التطور والتقدم . وقد قنع بأن يبقى حيث هو ، فاكفى بتأييد الأوضاع القائمة ، حيث كانت تميل نحو التقدم ، مع بعض النقد اللطيف غير الجذري . أما اليسار الماركسي غير الملتزم، فقد أنجرف في عملية تأييد وتبرير وتكريس، إنسته واجبه الأول والأساسي ، وهو العمل على دفع القيادات الوطنية التقدمية نحو اليسار ، وهو ما كانت تقتضيه ظروف المرحلة ، وما كان يقتضيه الدفاع عن المنجزات الوطنية ، وتحويلها إلى إنجازات اشتراكية شاملة .

لقد وقع اليسار غير الملتزم أسير عجزه النظري ، عن رؤية الأبعاد الحقيقية للانظمة التقدمية في العالم الثالث ، وأسير أسلوبه الفوقي في العمل الذي جعله يعتقد أن بإمكانه أن يثقف الجماهير من مكاتب الدولة الواسعة المرفهة ، وبالمحافظة على رضا

٤ - اسماعيل مهدي ، معالم العصر الجديد ، مجلة «الكاتب» العدد ٤٤ ،

نوفمبر ١٩٦٤ ، ص ١٠٤ .

كل الاجهزة البيروقراطية والمباحثية الخ . . .  
ولهذا فان اليسار بشقيه لم يعمل على تحديد برنامج واضح  
لثورة العربية ، ولم يتعرض لطرح قضاياها الاساسية طرحا  
ثوريا مترابطا .

لقد ظل اليسار الملتزم يلتزم خطه التقليدي من قضيتي  
الوحدة وفلسطين دون تغيير ، ولم يحدث تغيير الا في موقف  
الحزب الشيوعي المغربي (٥) . اما اليسار غير الملتزم ، فانه تبني  
شعارات الثورة العربية في الوحدة وقضية فلسطين ، ولكنه لم  
يستطع ، نتيجة وضعه ومنطقه ، ان يحول هذه الشعارات الى ثورة .  
وانعكس هذا كله في موقف اليسار ، ملتزما وغير ملتزم ،  
بعد هزيمة حزيران . ذلك ان الطرفين لم يناقشا الهزيمة مناقشة  
موضوعية ، ولم يحاولا كشف جذورها واصولها ، ووضع  
استراتيجية بديلة للمستقبل . فالحركات السياسية التقدمية لم  
تتعرض للتحليل والنقد ، والنظم التقدمية لم تشرح ، ولم تطالب  
الا بمطالب محدودة وسطحية ، ولم ترفع الا شعارات عامة ليست  
من مستوى المعركة . ان شعار الوحدة مثلا على مستوى الحركات  
التقدمية ، او على مستوى الحكومات التقدمية ، لم يرفع ابدا (٦) .  
وابدي اهتمام كبير بمؤتمر القمة العربي الرابع الذي عقد في  
الخرطوم ، ولم يجر اي نقد له او لنتائجه . وبدأ حديث طويل عن  
اهمية النضال السياسي وضرورة استعمال الاسلحة الاقتصادية .  
وقام اسماعيل المهدي داعية تجاوز الماركسية التقليدية بضرب

---

٥ - حدث تغير في مواقف كل الاحزاب الشيوعية العربية بعد هذا التاريخ وهو  
ما عالجناه في موضوع : الاحزاب الشيوعية العربية والقضية الفلسطينية بعد  
عدوان ١٩٦٧ ، شؤون فلسطينية .

٦ - خالد بكداش «في سبيل سحب القوات الاسرائيلية وتصفية آثار  
العدوان» ، «الاجبار» السنوية العدد ٦٨٢ ، ٣ ايلول ١٩٦٧ .

امثلة على الوحدات الوطنية التي حدثت في الصين بعد الاحتلال الياباني ، وفي فرنسا بعد الاحتلال الهتلري (٧) ، دون ان يهتم باختلاف الوقائع ، ودون أن يعي معالم العصر الجديد الذي تحدث عنه كثيرا .

ولقد قامت في الوقت ذاته حملة على ما أسمي الاتجاهات اليسارية المنحرفة ، فشنت حملة على خط غيفارا المغامر ، تعليقا على مؤتمر تضامن شعوب اميركا اللاتينية ، الذي عقد في كوبا في شهر آب الماضي (٨) ، وظهرت مقالات عديدة خصصت فقرات طوالا لمهاجمة ما أسمي الاتجاه الصيني في البلاد العربية (٩) . الشيء الوحيد الذي لم يعالج ولم يحلل هو الثورة العربية الشاملة واستراتيجيتها الجديدة ، بعد هزيمة الخامس من حزيران .

وهل كان ممكنا معرفة يمين من يسار دون تحديد استراتيجية جديدة ، ودون تحديد مقاييس لمعرفة اليسار من اليمين ؟ . هذا ما يجب ان يجيب عليه الذين يسمون انفسهم « يسارا ثوريا » .

نايبا : رفض النقد الذاتي . ان اليسار الماركسي في الوطن العربي لم يعرف النقد الذاتي . وهو في ذلك امين للستالينية . وهو حتى عندما ينعطف انعطافات كبرى ، لا يحمل نفسه عناء

- 
- ٧ - اسماعيل مهدي ، « الحركة الوطنية ... واتجاهات اليسار » ، « الاداب » ، السنة ١٥ ، العدد التاسع ، ايلول ١٩٦٧ ، ص ٩ .
- ٨ - حول مؤتمر منظمة تضامن شعوب اميركا اللاتينية ، « الاخبار » اللبنانية ، العدد ٦٨١ ، ٢٧ آب ١٩٦٧ .
- ٩ - خالد بكداش - الرجوع السابق - واسماعيل المهدي - الرجوع السابق .

ايضاح ما حدث ، بل يحاول «تمريره» وسط ضجة ، اية ضجة .  
ويبدو ان كل الاحداث التي حدثت لم تقنع قادة هذه الاحزاب  
بضرورة مراجعة مواقفها ، وتقييم انجازاتها ، اذا كان لها شيء  
من هذا ، او دراسة اخفاقاتها ، وهي لا بد من ان تكون موجودة  
وكثيرة .

الا ان ما هو ادهى من هذا وامر ، ان نجد من يصر على صحة  
خطه السياسي السابق . يقول خالد بكداش ، الامين العام للحزب  
الشيوعي السوري ، في دراسة له نشرتها « الاخبار » واشرنا  
اليها فيما سبق : « ان الحياة نفسها برهنت بالتجربة صحة  
الخطة السياسية التي انتهجها الحزب والشعارات السياسية  
التي رفعها » . ولكني لست ادري اية خطة يقصد ، واية شعارات  
يعني . ان الحزب الشيوعي السوري تبنى شعارات متناقضة  
تتراوح ما بين المطالبة بالاصلاح الزراعي ومهاجمة الاصلاح  
الزراعي ، وتأرجح ما بين تأييد الوحدة سنة ١٩٥٨ ، واعتبار  
الانفصال عملا ديمقراطيا ، فاية شعارات من هذه يعني ؟ والحزب  
الشيوعي السوري ، مثله مثل غيره من الاحزاب الشيوعية العربية ،  
تبنى موقفا منحرفا في قضية فلسطين ، وما زال يصر عليه ،  
فهل يعني ان خطته هذه هي الصحيحة ؟ ..

كيف يجرؤ الاستاذ خالد بكداش ان يقول هذا الكلام ؟ انه  
يكرس بهذا كل خط الحزب الشيوعي السابق ، ويؤكد الاصرار  
على الاستمرار فيه . وهذا يعني ان الحزب الشيوعي السوري لا  
يعنى بجدل الاحداث والوقائع ، بقدر ما يعنى بالدفاع عن خط  
متأرجح متذبذب ثبت اخفاقه ثبوتا قاطعا .

ويلتقي الاستاذ اسماعيل مهدوي مع هذا الخط الذي يخاف  
النقاش ويخشاه . وهو لا يسعه الا ان ينتقد الاصوات اليسارية  
المنحرفة التي تشكك في جدوى « السياسة الثورية الحكيمة » ،  
وهي سياسة مؤتمر الخرطوم ... ويؤكد « ان العناصر اليسارية

المتطرفة التي تبدأ بمفهوم منحرف عن ظروف المرحلة الحاضرة  
وأهدافها ، تصل بالضرورة الى الخلاف مع السياسة الحكيمة  
التي تتبعها القيادة .

يتكشف هنا خط واضح هو خط الدفاع عن الاخفاق والهزيمة  
باسم حكمة القيادة ، تضريحا أو تلميحا . قيادة بكداش لم  
تخطيء ... هذا ما اثبتته الاحداث ، وقيادة الاستاذ اسماعيل  
المهدوي حكيمة لا تخطيء ... اما من الذي يخطيء ؟ انه الآخرون  
الذين يناقشون ويذهبون الى اليسار هذه المرة .

هذه هي الستالينية بعينها . القيادة لا تخطيء ... لانها  
حكيمة ، الاحداث دائما تثبت صحة الخط الذي حددته القيادة .  
والنقاش ممنوع وخطر وهدام . لانه « يشكك » بالقيادة . وواجب  
الجماهير أن تجوع وتعري وتضطهد وتحتل اراضيها ، وان تصمت  
مؤمنة بحكمة القيادة ، فاذا ما انتقدت وطالبت بالقتال كانت  
منحرفة تتجه الى اليسار أكثر من اللازم .

ثالثا : سياسة التخويف من الاتجاه نحو اليسار . يلحظ  
القارئ بوضوح ، في هذه الايام ، حملة على ما يسمى الاتجاه  
نحو اليسار . يقوم بهذه الحملة كتاب شيوعيون وماركسيون .

وتقوم الحملة على اساسين :

الاول : التخويف من الاتجاه نحو اليسار ، على اساس أن  
الاتجاه نحو اليسار الان انحراف .

الثاني : ربط الاتجاه نحو اليسار بالصين .

وقبل ان ناقش هذه « السياسة الثورية » التي يدعو لها  
ماركسيون ثوريون ، اود ان اوضح بعض ما يندرج تحت عنوان  
الانحراف نحو اليسار ... منه مثلا ( ١ ) شجب وقف القتال  
( ٢ ) المناداة بتحرير فلسطين ( ٣ ) المطالبة بسلوك سياسة  
اشتراكية حازمة ( ٤ ) المطالبة بموقف حازم من الدول العربية

الرجعية الخ. (٥) المطالبة بحرب تحرير شعبية شاملة في فلسطين والوطن العربي .

هذا هو معنى الانحراف نحو اليسار . وهو يدلنا على ان اليسار الذي يدعي الثورية ، قد سقط في وحل اليمين ، وانه في محاولة منه لتمزيق الموجة الثورية التي أعقبت هزيمة حزيران النكراء ، يلصق بهذه الموجة صفة غريبة عنها ، ولا علاقة لها بها هي الانتماء للاتجاه الصيني .

انني واثق ان الجماهير المندفعة التي تطالب بسياسة ثورية اشتراكية حازمة في كل الميادين ، جماهير صادقة مخلصة ، ادركت بحسها ووعيتها طريق الخلاص . وانا واثق ايضا ان هذه الجماهير لا تعرف عن الاتجاه الصيني شيئا ، ولا تفكر بالتحيز له او ضده .

ثم انني المس سوء نية وراء ربط هذا الاتجاه بالاتجاه الصيني ، لانه نشأ قبل بروز الاتجاه الصيني . ان شعار تحرير فلسطين ليس جديدا ، وقد رفع منذ سنة ١٩٤٨ قبل ان تتحرر الصين ، وما زال مرفوعا وسيظل مرفوعا حتى تتحرر فلسطين . فكيف يصبح هذا الشعار صينيا ؟ وهل اذا ايدته الصين أصبح صينيا يجب التخلي عنه ؟

ولست ادري كيف يسمح شيوعيون وماركسيون لانفسهم بتسمية المطالبة الجماهيرية بمقاومة الاعداء الغزاة، وسلوك سياسة اشتراكية حازمة انحرافا نحو اليسار .

ان مطالبة جماهيرنا باستمرار القتال وسلوك سياسة اشتراكية حازمة ماثرة لها ، يجب ان تقدر ويستفاد منها . فاذا كانت الظروف حاليا لا تسمح باستئناف القتال مثلا ، عبئت الجماهير الى يوم موعود تخوض فيها معركة خلاصها . اما ان تجري محاولات لتسفيه هذه المبادرات الجماهيرية ، والصاق اسماء غريبة عنها بها ، فليس من اليسار في شيء . انه تأمر على

## الثورة (١٠) .

ان حملة التخويف من اليسار حملة يقودها اسماعيل المهدي لانه لا يريد الدخول في معركة حاسمة مع اليمين والامبريالية . ويقودها بعض الشيوعيين ، اندفاعا في الخط السوفياتي العالمي ، وخشية ان يعني الاندفاع نحو اليسار التقاء مع الصين ، عدوة الشيوعيين السوريين واللبنانيين رقم واحد !! .

أيها السادة « المتيسرون » الخائفون من الاتجاه نحو اليسار . ان الاتجاه نحو اليسار يجب ان يكون شعار المرحلة ، لان الوقوف او التراجع هو الهزيمة . وان كل ظروف المعركة تحتم الاندفاع نحو اليسار ، ولذلك فليس هنالك من يسمع كلامكم . انكم تعودتم ان تقفوا على الصخرة لتخاطبوا النهر ، ولكنه كان يضل البحر قبل ان تنهوا خطاباتكم . انتم الان على الصخرة والنهر يجري . . . . . ولسوف يضيع صدى اصواتكم في الفضاء الواسع . لقد ناديتم بقبول التقسيم ، و « ناضلتم » من اجل ذلك ، ولكن « نضالكم » ذهب ادراج الرياح ، وظل شعار تحرير فلسطين مرفوعا . فلماذا تحاولون اليوم ان تشدوا الجماهير الى الورا ؟ ولماذا تتحدثون عن مؤتمر الخرطوم ، ولا تحرضون على النضال الجماهيري الشامل لتحقيق اهداف الامة العربية ؟ انا افهم ان يكون هذا خط السياسة السوفياتية ، ولكني لا افهم كيف يكون هذا خطكم . فليس صحيحا ان تتحدثوا الان كما يتحدث كوسيفين ، ان الصحيح هو ان تتحدثوا ، كما كان يتحدث

---

١٠ - نشرت الاخبار في عددها رقم ٦٨٥ ، ٦٢٤ - مقالا لنقولا شابي وآخر لبراهيم مصطفى يهاجمان الدعوة لحرب فورية ، دون ان يتحدثا عن استراتيجية الحرب المقبلة . وقد اكد ابراهيم مصطفى ان استعادة الارض المحتلة تكون بواسطة الامم المتحدة لا بواسطة الحرب .

لينين في اذار ونيسان وايار سنة ١٩١٧ ، او بعد فشل ثورة ١٩٠٥ ، مع الاهتمام بفارق الظروف ، والتطور التاريخي الخ .

رابعا : قضية العلاقات مع الاتحاد السوفياتي . لا اظن ان هناك تقدما واحدا ، يجادل في ضرورة اقامة علاقات وطيدة ومستقرة ورفاقية مع الاتحاد السوفياتي . ولقد تبلورت هذه الحقيقة خلال النضال الذي خاضه العرب ضد الامبريالية العالمية . بقيادة الولايات المتحدة . ولا خوف ابدا من تراجع التقدميين العرب ، لانهم ان تراجعوا سقطوا في شرك الامبريالية ، وقيام مقامهم من يحمل المشعل على طريق الثورة . ان علاقات وطيدة ومستقرة ورفاقية مع الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي قضية اساسية من قضايا الثورة ، وشعار اساسي من شعاراتها ، يجب ان يظل مرفوعا ، وان يحتل مكانه اللائق به خلال نضالنا ضد الاستعمار والامبريالية . ولكن الايمان بهذه الحقيقة ، وجعلها شعارا هاما من شعارات النضال العربي ، يجب الا يخفي خلفنا مع الشيوعيين والماركسيين احزابا وافرادا حول قضيتين :

الاولى : ان علاقتنا مع الاتحاد السوفياتي علاقة كفاح ونضال ، وليس علاقة مجاملة او تبعية ، وبالتالي ، فيجب الا تقوم على اساس التسليم المطلق بحكمة القيادة السوفياتية ، والتبني التام لسياساتها . ومن هنا فان النقد والحوار ضروريان لجعل هذه العلاقة رفاقية ومثمرة ، وقادرة على اجتياز كل العقبات . وعليه فان رفض النقد ، ومحاولة فرض اتجاه السياسة السوفياتية على الحركة الوطنية العربية ، سيقود الى تمزيق هذه العلاقة الراقية ، وانتعاش الروح القومية المغلقة في بلادنا . وهذا ما نخشاه ونحذر منه .

ان الحرصاء على العلاقة مع الاتحاد السوفياتي يجب ان يستفيدوا من قصة الصراع السوفياتي - اليوغسلافي خلال العهد الستاليني ، وقصة الصراع السوفياتي - الصيني اليوم ،



وقصة الخلاف السوفياتي - الروماني . فاذا اصرروا على عدم الاستفادة ، فانهم سيكونون حرصاء على المزيد من الخلافات والصراعات ، وسيعملون على تدمير العلاقات الرفاقية بين الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية والتقدمية .

ولقد كان واضحا منذ البدء ان غخط الاحزاب الشيوعية ، لاسيما في سورية ولبنان والاردن ، هو الخط السوفياتي . ولكن الاهم من هذا ان قيادات هذه الاحزاب ، الستالينية العقلية ، كانت دائما ترفض اية مناقشة للسياسة السوفياتية ، وتعتبرها خيانة وتخريبا وخدمة للامبريالية .

وجاءت الازمة الاخيرة لتعطي امثلة جديدة على هذا الاتجاه . ونكتفي هنا بالاشارة الى مثلين اثنين :

المثل الاول : استنكار بعض الشيوعيين مطالبة الاتحاد السوفياتي بمزيد من الدعم السياسي والعسكري . لقد استثيروا استشارة لاحد لها . وتطوعت جريدة « الاخبار » للرد على هذه الخيانة قائلة : « ومن ناحية اخرى ، فانه رغم ضخامة المساعدات العسكرية السوفياتية للبلدان العربية ، ينبري البعض للحديث عن ضرورة الضغط على الاتحاد السوفياتي ، لحمله على تزويد العرب بالاسلحة اللازمة وذلك دون رادع من حياء » ( ١١ ) .

ولن اناقش هنا موضوع ضخامة المساعدات العسكرية السوفياتية ، فهذا موضوع آخر ، انما اريد ان اطرح على جريدة « الاخبار » وعلى نديم عبد الصمد وعلى كل الشيوعيين في العالم هذا السؤال : هل تتعارض ضخامة المساعدات العسكرية السوفياتية ، مع المطالبة بالمزيد ؟ ولماذا تكون المطالبة بالمزيد

---

١١ - نديم عبد الصمد، الدم السوفياتي والمواجهة العربية للعدوان الاستعماري،  
« الاخبار » العدد ٢٨١ ، ٢٧ آب ١٩٦٧ .

« دون رادع من حياء » ؟ الا يعتقد الاستاذ نديم عبد الصمد بان المزيد من السلاح والمزيد منه هو الرد الوحيد على المؤامرة الامبريالية - الصهيونية الرجعية ، وان المطالبة هي واجب ثوري؟ ما وظيفة الثوري اذا لم تكن المطالبة والمريد من المطالبة والعمل والمزيد من العمل ؟ واذا كانت المطالبة واجبا ، فهي لا تشين الاتحاد السوفياتي ، ولا تضر علاقاتنا معه . الا ان العقلية الستالينية الخانعة لا تعرف انتقد ولا المطالبة . انها تسلم دون مناقشة ، وهي توهم نفسها بان القيادة الحكيمة تقوم بواجبها ، ومن يتجرأ على المطالبة فهو مجدف كافر بالحميل .

المثل الثاني : التأكيد بان الاسلحة التي كان يملكها العسرب كافية ، وتزيد على ما تملكه اسرائيل ، وان سبب الهزيمة هسو الخيانة فقط . ولن اناقش هنا اسباب الهزيمة ( ١٢ ) ، ولكني اود ان اسأل نديم عبد الصمد ان كان يعرف بان دولة عربية دخلت الحرب ، وطيرانها لا يملك صواريخ . . . لان الاتحاد السوفياتي لم يزوده بها ، وان هذه الدولة كانت تملك دبابات متخلفة لان الاتحاد السوفياتي لم يزودها بالدبابات الجديدة . واعتقد اني لا استطيع ان اتحدث اكثر في هذا المجال ، ولا استطيع ان اتحدث عن مرحلة ما بعد العدوان ، التي يعرف بعض القادة الشيوعيين عنها اكثر مما اعرف . وستكشف الايام القادمة كل شيء .

الثانية : قضية الموقف من الصين وكوبا وتشبي غيفارا الخ . . . ذلك ان الشيوعيين العرب التزموا موقفا معاديا للصين ولتشبي غيفارا وخط الكفاح المسلح في اميركا اللاتينية ، وبدأوا يهيئون للهجوم على القيادة الكوبية . ونحن نرى ان هذه الخلافات في

---

١٢ - ناقشتها في دراسة لي بعنوان : «جلد الهزيمة والنصر» ، «دراسات عربية» العدد ١١ ، ايلول ١٩٦٧ .

الحركة الشيوعية العالمية . خلافاً لمضرة وخطرة . وانها يجب ان تعالج معالجة جديّة وحازمة ، لانها تضعف القوى الاشتراكية وقوى حركة التحرر الوطني . وتشجع الامبريالية على مفامراتها وغزواتها . ولكننا نرفض الاسلوب الستاليني في مواجهة هذه المشكلة . ان الاسلوب الستاليني لا يعترف الا بوجهة نظر واحدة . ولا يقبل بتعدد الآراء وتعدد التجارب ضمن الحركة الاشتراكية العالمية ، وهو لذلك يحارب كل اتجاه جديد ، ويعادي كل الاتجاهات المختلفة معه . وهذا الاتجاه الخطر يهدد حركة التحرر في العالم بالتمزيق او بالمسخ . وواجبنا الاول ان نقاومه مقاومة لا هوادة فيها .

اننا يجب ان نكون حرساء على اقامة علاقات وثيقة ورفاقية مع كل المعسكر الاشتراكي ، وكل الحركات الثورية في العالم ، حتى لو اختلف الاتحاد السوفياتي مع الصين ، او كاسترو مع الحزب الشيوعي الفنزويلي . اما خطنا فيجب ان يكون خطأ واعياً مستقلاً ، يحرص على التفاعل مع كل الاتجاهات الثورية . ولكنه لا يتبنى اياً منها .

ان الثورة العربية بحاجة الى هوية ، تنبثق من الوعي العلمي لظروفها الموضوعية . وهذا يعني اننا نرفض تبني اي خط . صينياً كان او سوفياتياً ، كوبياً او فنزويلياً . . . الا اننا ، أولاً واخيراً ، مع الثورة ، كل اشكال الثورة ، ضد الامبريالية ، وفي كل مكان .

ونحن لا نرى مبرراً للهجمات التافهة التي يقوم بها كثير من الشيوعيين العرب ضد الصين وتشبيهاً غيفاراً لمصلحة الاتحاد السوفياتي ، ونعتقد بأنها لن تكسبهم احترام احد هنا ، ولن تمنع الخط العربي الثوري من التبلور .

ان التقدميين العرب ، ماركسيين وغير ماركسيين ، مطالبون بعد هزيمة حزيران النكراء ان يعيدوا النظر في مواقفهم وسياساتهم ، منطلقين من الواقع العربي . وواقع حركة التحرر

في العالم الثالث .

فاذا لم يفعلوا ذلك ، ولم يستوعبوا مضمون خط الجماهير . .  
خط الكفاح الثوري ضد الرجعية والامبريالية ، ضد التجزئة  
والاستقلال ، ومن اجل بناء حياة اشتراكية ، واقامة علاقات  
اشتراكية مع كل بلدان المعسكر الاشتراكي ، وكل الحركات  
الثورية ، فانهم سوف يسقطون . . وسيسقط اليسار ، ملتزما  
وغير ملتزم ، قبل غيره .

## الماركسية والمسألة الصهيونية

«دراسة حول المسألة الصهيونية  
والموقف الماركسي منها عموماً ، وموقف  
بعض الماركسيين خصوصاً . وقد  
استهدفت في هذه الدراسة تقديم  
وجهة النظر الماركسية من الصهيونية  
ودولة الاحتلال . نشرت هذه  
الدراسة في مجلة «دراسات عربية»  
السنة السادسة ، العدد ٩ ، تموز  
١٩٧٠ .»

نشرت «دراسات عربية» دراسة لصديق جلال العظم حول  
موضوع الماركسية والمسألة اليهودية (١) . ودراسة الدكتور العظم

---

١ - «دراسات عربية» كانون الثاني ١٩٧٠ .

هي مقدمة لمجموعة دراسات « ماركسية » ستصدر عن مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية . ولما كنت قد قرأت تلك الدراسات ، وكنت اختلف مع صادق العظم فيما ذهب اليه ، فاني رايت نشر هذه الدراسة ( ١ ) .

كان لا بد من مقدمة لهذه الدراسات . ذلك انها « دراسات » اجنبية تعالج قضية فلسطين من جهة ، وهي من جهة ثانية « دراسات » كتبها منظرون يعتبرون انفسهم ماركسيين . وانه لظلوب في هذا الوقت بالذات ، الذي يسيء فيه فهم قضيتنا وتحليلها اكثر من تيار ماركسي ، والذي يحاول فيه كثيرون استغلال سوء الفهم هذا من اجل الربط بين الماركسية والصهيونية واليهودية العالمية ، ان نحدد موقف الماركسية الحقة من هذه القضية ، وان نناقش اخطاء التحليلات الماركسية في ميدان القضية الفلسطينية ، وان نحاول ، اخيرا ، اختبار مدى انسجام هذه الدراسات مع المنهج الماركسي في التحليل ، ومع قضية الماركسية واهدافها وقيمها .

- ٢ -

وقبل ان نبدأ بمناقشة هذه الدراسات لا بد لنا من بعض المقدمات الضرورية . وتتلخص هذه المقدمات فيما يلي :

---

١ - يبدو ان مركز الأبحاث قد عدل عن نشر مجموعة الدراسات المشار اليها في الوقت الحاضر وقد كان العنوان المقترح لها : «مواقف يهودية ماركسية ضد الصهيونية» .

اولا : الفكر الماركسي والمسالمة اليهودية .  
يربو تاريخ الفكر الماركسي على مائة عام ، وبما انه مرر  
بتطورات في هذا المجال ، فلا مناص من ان نقسم هذا التاريخ الى  
ثلاث مراحل :

**الاولى :** وتبدأ سنة ١٨٤٤ ، وتنتهي سنة ١٩١٧ . وكان  
الفكر الماركسي ، خلال هذه الفترة ، يعتبر ان حل المسألة اليهودية  
يكون بتحرير المجتمع من « اليهودية » . « فحين ينجح المجتمع  
في الغاء الجوهر العملي لليهودية ، المتاجرة وشروطها ، عندئذ  
يصبح وجود اليهودي مستحيلا ، ذلك لان ضميره لم تبق ثمة من  
حاجة اليه ، فالاساس الذاتي لليهودية ، الحاجة العملية ، قد  
اتخذت شكلا انسانيا ، لان المنازعة بين الوجود الفردي والحسوس  
للانسان ووجوده الاجتماعي قد الفيت . التحرر الاجتماعي  
 لليهودي ، انما هو تحرير المجتمع من اليهودية » (١) .  
وتؤكد دراسة ماركس حقيقتين اساسيتين :

١ - ان المسألة اليهودية ليست مسألة قومية ، وانها مسألة  
مرتبطة بتطور المجتمعات التي يعيش اليهود فيها ، لانها جزء من  
العلاقات الاقتصادية ، وبالتالي الاجتماعية والسياسية في هذه  
المجتمعات . ولهذا فقد وقف ماركس مع تحرر ايرلنده وبولنده ،  
وايد الوحدة الالمانية والايطالية ، ولكنه اعتبر قومية اليهودي ،  
قومية وهمية .

٢ - ان المسألة اليهودية تطورت من مسألة لاهوتية في عهود  
سيطرة الاقطاع الى مسألة سياسية في عهد صعود البرجوازية ،  
وان حلها مرهون ، بناء على ذلك ، بحل مشكلة النظام البرجوازي ،  
اي القضاء عليه .

---

١ - ماركس ، كارل : المسألة اليهودية ، ترجمة محمد عيتاني .

وإذا ما انتقلنا الى لينين ، وهو ماركسي العمي ، يمثل مرحلة أخرى من التاريخ السياسي ( ١٨٩٧ - ١٩٢٤ ) ، فإننا نجد قد طور الموقف الماركسي وبلوره . وتجسد الموقف اللينيني في ثلاثة اعتبارات :

١ - الكفاح ضد الصهيونية : وقد اعتبرها لينين « رجعية كليا ، لا عندما يدعو لها دعائها « الصرخاء » ( الصهيونيون ) ، ولكنها كذلك عندما تنطلق من شفاه هؤلاء الذين يحاولون أن يمزجوها بأفكار الديمقراطية الاجتماعية ( البونديون ) . ان فكرة القومية اليهودية ضد مصالح البرولتاريا اليهودية ، لانها تروج في صفوفها ، مباشرة او بشكل غير مباشر ، روحا معادية للتمثل ، انها روح الفيتو » ( ١ ) .

٢ - ان اليهود ليسوا امة : « فاليهود المقيمون في العالم المتمدن لا يشكلون امة . فقد تمثلوا اكثر من غيرهم ، كما يقول كاوتسكي وباوير . كذلك لا يشكل اليهود القاطنون في روسيا وغاليسيا امة ، فليسوا في هذين البلدين مع الاسف ( لا للذنب منهم ، بل للذنب البور يشكيفتشرين ) سوى فئة مغلقة معزولة . وهذا هو الرأي الثابت الذي يقول به اولئك الذين يعرفون التاريخ اليهودي يقين المعرفة ، يأخذون بالحسبان الوقائع المذكورة اعلاه » ( ٢ ) .

٣ - ان التمثل ، والتمثل وحده هو الحل الوحيد للمسألة اليهودية . وقد شن لينين حملات على الذين : « يقيمون الدنيا

---

١ - Lenin: Collected Works Vol. 7. P. 101, Moscow. -

٢ - لينين : ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية ، دار التقدم - موسكو  
ص ١٩ .



ويقعدونها» ضد «التمثيلية» وأصفا إياهم بانهم : « انما هم اولئك اليهود الرجعيون التافهون الضيقو الافق ، الذين يريدون أن يعيدوا عجلة التاريخ الى وراء ، ان يجبروها على السير ، لا من النظام القائم في باريس ونيويورك بل بالاتجاه المعاكس » (١) .

الفرق بين ماركس ولينين ان ماركس طرح القضية نظريا ، وأن لينين اعطى القضية مضمونها السياسي العملي . ماركس يرى ان المسألة اليهودية لا تبحث خارج اطارها التاريخي والسياسي ، ولينين يرى ان المسألة اليهودية لا تحل خارج اطارها التاريخي والسياسي . واذا كان ماركس قد قرر بان المسألة اليهودية جزء من مشاكل المجتمعات التي يعيش فيها اليهود ، فقد قرر لينين ان حل هذه المسألة مرهون بحل مشاكل المجتمعات التي يعيش فيها اليهود . وكما اعتبر ماركس ، من الناحية النظرية ، انه ليس هنالك مسألة يهودية منفصلة ومنعزلة ، فقد اعتبر لينين انه ليس هنالك حل خاص ويهودي للمسألة اليهودية : من الناحية العملية . ولقد ظل موقف الماركسية ، حتى هذا التاريخ ، موقفا ماركسيا ، واضحا وثوريا .

**الثانية :** وتبدأ سنة ١٩١٧ وتنتهي في ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٤٧ . وقد دخلت الماركسية ، بقيام ثورة اكتوبر ، مرحلة التطبيق العملي . وكان وراء هذه المرحلة العملية تاريخ نظري عظيم قدمه ماركس ولينين وآخرون للحركات الثورية في العالم . ولكن التطبيق الماركسي قد مر ، رغم هذا التراث العظيم ، بتعرجات وذبذبات واجتهادات ، على صعيد الممارسة الداخلية في الاتحاد السوفياتي ، وعلى صعيد السياسة الخارجية السوفياتية ، وعلى

١ - لينين : المرجع السابق ، ص ١٩ .

صعيد سياسة الاحزاب الشيوعية ، في العالم عامة ، وفي فلسطين خاصة . ويمكن ايجاز هذه الذبذبات والاجتهادات والتناقضات فيما يلي :

اولا : استمرار الخط المعادي للصهيونية ، على اعتبار انها حركة رجعية ، واداة للاستعمار البريطاني . ولكن هذا الخط لم يكن في نفس المستوى من الحدة والوضوح دائما . وكان في بعض الاحيان يتعرض لتجاوزات جزئية . وكانت تشن احيانا حملات على الصهيونية ، لا تتناسب مع اهميتها ، اذا ما قيست بالمشاكل التي تواجه الثورة السوفياتية ، كما حدث سنة ١٩١٨ وسنة ١٩١٩ . وكانت الحملات ضد الصهيونية تتصاعد وتفتقر لتتصاعد من جديد . ومن الملاحظ ان الحملة على الصهيونية فترت في السنوات ٢٠ - ٢٨ ، ثم تصاعدت بعد الانتفاضة العربية في فلسطين سنة ١٩٢٩ ، لتفتر خلال الحرب العالمية الثانية .

ولكن هذه التارجحات لم تكن تعني ان الموقف السوفياتي من الصهيونية قد تغير . وهناك وثيقة نشرت سنة ١٩٤٦ تدل دلالة قاطعة على ان الموقف السوفياتي لم يتغير ، وان الحركة الصهيونية ظلت موضع اتهام وتجريم (١) .

ومن القرارات الهامة في هذا المجال ، القرار الذي اتخذته الاممية الثالثة ، والذي نشر سنة ١٩٢٢ في مجلة « المراسلات العالمية » . ينسجم هذا القرار ، مع الموقف اللينيني ، ويرجح بأن لينين نفسه هو الذي وضعه . يرفض القرار طلب حزب « ماركسي » صهيوني ، من احزاب اوربية الشرقية ، الانضمام الى الاممية الثالثة . ويعمل القرار الرفض بان الحزب قائم على

---

١ - لاور ، ولتر : الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط ، ص ١٧٢ .

حق اليهود في تكوين دولة ، على اساس ان هذه الدولة لن تكون الا على حساب قومية اخرى . ولهذا فان الاممية الثالثة لم تكتف برفض الطلب المذكور بل اتهمت الحزب المشار اليه بانه حزب برجوازي صغير ، وليس شيوعيا ، ووجهت نداء لمناضليه كي ينخرطوا في بروليتاريات بلدانهم ، ويناضلوا في سبيل الثورة الاشتراكية (1) .

ثانيا : على الرغم من استمرار الخط المعادي للصهيونية ، وعلى الرغم من وضوح موقف لينين ، بصدد التمثلية ، فان السياسة الداخلية السوفياتية شهدت تداخل خطين متعارضين ، الاول : خط التمثل ، والثاني : يمكن ان يعتبر خطأ « قوميا اشتراكيا » . وقد ادى تداخل هذين الخطين الى تشوش نظري وسياسي ، احبط اية محاولة جدية لحل المسألة اليهودية حلا جذريا . وتمثل الخط الثاني في قرارات واجراءات ، استهدفت بدءا من سنة ١٩١٧ ، خلق شكل من « الشخصية القومية اليهودية » عن طريق فتح مدارس لليهود ، والتدريس بلغتهم ، وانشاء جمعيات ومنظمات لمساعدتهم على التحول الى الزراعة ، ومحاولة حشدهم في اماكن معينة . توج هذا كله سنة ١٩٢٧ بالدعوة الى حشد يهود الاتحاد السوفياتي ويهود العالم في منطقة بيرابدزان . وعلى الرغم من ان المحاولة الاخيرة ، مثل المحاولات التي سبقتها ، قد اعطيت الاهتمام المناسب ، فانها فشلت مثل غيرها ، لينتصر في نهاية هذه المرحلة الخط الاول : خط التمثل .

ثالثا : شهد الموقف من الحركة الوطنية في فلسطين تأرجحا بين اعتبار كفاح العرب في فلسطين كفاحا وطنيا تقديما احيانا ، واعتباره عملا رجعيا في احيان اخرى . ولقد تغيرت التقييمات

---

١ - علوش ، ناجي: الماركسية والمسألة اليهودية، دار الطليعة بيروت، ص٢٢.

السوفياتية مرات عدة ، من سنة ١٩٢٠ عندما اعتبر الزعيم اليهودي ديمانشتين ان الحركة العربية : «نضال ثوري وطني» (١) الى سنة ١٩٤٧ عندما ايد الاتحاد السوفياتي مشروع تقسيم فلسطين . ففي سنة ١٩٢٩ عندما انفجرت انتفاضة شعبية على ارض فلسطين ضد الاستعمار الصهيوني وقف الكومنترن فسي البدء داعيا الى التآخي ونبذ القتل «وعملت الصحافة السوفياتية بيانا طويلا للشيوخيين الفلسطينيين ، يدعون فيه الجماهير العربية واليهودية الى المسالة فيما بينها ، والوقوف معا في وجه الاستعمار والصهيونية والخونة من الوطنيين العرب» (٢) . وقد وقتت الصحافة الشيوعية ، خارج الاتحاد السوفياتي موقفا مختلفا ، فاعتبرت ان المقاومة العربية من تدبير الاستعمار البريطاني ، واظهرت تعاطفها مع اليهود . ولكن الكومنترن عاد فأعاد النظر في موقفه من انتفاضة سنة ١٩٢٩ واعتبرها ذات طبيعة تقدمية ، شاجبا التأثير الصهيوني على بعض الشيوعيين . وحظيت ثورة سنة ١٩٣٦ بتأييد حار في البدء ، وقد اعتبرت كفاحا من اجل التحرر القومي . ولم يفت المعلقين السوفيات ان يميزوا بين ما يحدث لليهود في فلسطين ، وبين ما كان يصيبهم ، خلال العهد القيصري في روسيا . وكان اتجاه السياسة السوفياتية يؤيد «حركة التمرد العربي الباسلة» ويدعو الى وقف الهجرة اليهودية من المانيا ، والمحافظة على عروبة فلسطين . وحدث تحول قبل بداية الحرب العالمية الثانية ، سحب اتجاه بعض القادة الفلسطينيين نحو دولتي المحور . ومع ان مشروع التقسيم قد هوجم ، إلا ان الاتجاه العام للسياسة السوفياتية تبدل من تأييد الثورة العربية الى الدعوة لقيام تعاون بين القوى التقدمية

١ - لاکور ، ولتر : المرجع السابق ، ص ٥٢ .

٢ - لاکور ، ولتر : المصدر السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

العربية واليهودية لمقاومة العناصر الفاشية بين العرب واليهود .  
وتبدل الموقف السوفياتي مرة أخرى عندما اعتبر النضال العربي  
تقدماً سنة ١٩٤٦ .

**الثالثة :** وتبدأ في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ وتمتد حتى الآن .  
ويمكن أن يوجز الموقف الماركسي خلالها بما يلي :

أولاً : ابتدأت هذه المرحلة بتأييد مشروع التقسيم في الأمم  
المتحدة ، ثم الاعتراف بدولة «إسرائيل» التي تجاوزت مشروع  
التقسيم باحتلالها قرابة ٨٠ بالمئة من أرض فلسطين . وظل هذا  
الاعتراف قائماً حتى الآن .

ثانياً : ظلت الحملة ضد الصهيونية تتصاعد وتختفي أو تفتقر .  
وقد زادت هذه المعركة عنفاً بعد الخامس من حزيران .

ثالثاً : تبلورت الدعوة للأخاء العربي - اليهودي التي كانت  
تطرح أحياناً في المرحلة السابقة ، في ادانة السلطات الحاكمة  
الإسرائيلية ، دون الإشارة للطبيعة العدوانية للدولة الصهيونية  
والكيان الصهيوني ، ودون اعتبار أن هنالك قضية وطنية بالنسبة  
للعرب .

إن الفكر الماركسي ، وخاصة ما يمثل منه الاتجاه السوفياتي ،  
ابتعد عن الماركسية - اللينينية في هذه المرحلة ، فيما يتعلق  
بقضية فلسطين ، تحليلاً ومواقف . وهو ما زال حتى الآن  
يتخبط في أزمته . فهو من جهة يشجب عدوان الخامس من  
حزيران خاصة والحركة الصهيونية عامة ، وهو من جهة ثانية  
يدعو إلى الاعتراف بدولة «إسرائيل» وحل مشكلة اللاجئين الخ . .

- ٣ -

وما دامت هذه الدراسات التي نكتب عنها ، تمثل في معظمها ،

اتجاهها تروتسكية ، فلا بد لنا من ان نشير الى موقف التروتسكية من المسألة اليهودية . ويمكن أن يوجز موقف الاتجاهات الرئيسية للتروتسكية بما يلي :

اولا : كان تروتسكي ، منذ اول هذا القرن ، وحتى صعود النازيه الى السلطة في المانيا ، ضد الحركة الصهيونية ، وضد انشاء دولة يهودية . وقد اوضح تروتسكي موقفه هذا فسي مؤتمرات حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي ، وفي الاسكرا . وكان تروتسكي يعتبر ان حل المسألة اليهودية يكون بالتمثل ، « وليس في تأسيس دولة يهودية ، ضمن دول أخرى غير يهودية ، ولكن في إعادة تركيب المجتمع تركيبا اميا متماسكا » .

ولقد تعرضت الآراء التي تبناها تروتسكي كل عمره لهزة ، بعد الجرائم التي ارتكبتها النازية ضد اليهود . وكان من نتيجة ذلك ان خفف هجماته على الصهيونية ، وعادل ، فيما بعد عن فكرة تمثل اليهود ، ولكنه اكد : « بأن الصهيونية بذاتها سوف لا تحل المشكلة ، وقد يكون ، حتى في ظل الاشتراكية ، من الضروري لليهود ان يقيموا على ارض منفصلة » ( 1 ) .

وحين توفي تروتسكي ، واصلت الاممية الرابعة والمنظرون التروتسكيون خط تروتسكي ذاته في محاربة الصهيونية . ولكنها وقعت في الخطأ نفسه الذي وقعت فيه «الماركسية الرسمية» ، وأحزابها المختلفة ، بما فيه بعض احزابها العربية . ذلك ان هؤلاء

---

1 — Deutscher, Issac, *The Prophet Armed*, Oxf. University, Press, London P. 75.

Deutscher, Isaac, *The Prophet Outcast* (1929 - 1940) P. 154, 368 - 9.

وعلوش ، ناخي : الماركسية والمسألة اليهودية ، ص ٣٦-٣٩ .

كأولئك حاولوا ان يفرقوا دائما بين الصهيونية و « اسرائيل » .  
فالصهيونية رجعية وعميلة للامبريالية ، وسياسة «اسرائيل»  
عدوانية توسعية ، ولكن الحل ليس الا قيام فيدرالية اشتراكية  
عربية يهودية .

ولو عدنا الى تراث المنظر التروتسكاوي الكبير : اسحق  
دويتشر ، لوجدنا هذا الموقف مجسدا . انه ضد الصهيونية ،  
ولكنه يعتبر : «ان الدولة اليهودية قد اصبحت بالنسبة لبقايا  
اليهودية الاوروبية ضرورة تاريخية وهي ايضا حقيقة حية» .  
وهو يتساءل بجملة اعتراضية وردت في النص ذاته : «أهي بالنسبة  
لهم فقط ؟» (١) . وهو يؤكد «ان العالم أرغم اليهودي على اعتناق  
فكرة الدولة - الامة ، وان يجعل منها كبريائه وأمله ، في الوقت  
الذي لم يبق فيها شيء من الأمل او قليل منه . ولكنك لا تستطيع  
ان تلوم اليهود على هذا ، ان عليك ان تلوم العالم» (٢) . ودويتشر  
لا يفوته ان يعرب عن ندمه على مناقشاته ضد الصهيونية قائلا :  
«لو انني ، بدلا من المجادلة ضد الصهيونية في العشرينات  
والثلاثينات ، حشث اليهود الاوروبيين على الهجرة الى فلسطين،  
فلربما كنت قد ساعدت على انقاذ بعض الحيوانات التي اطفئت في  
غرف الغاز الهتلرية» (٣) . وفوق هذا فان فلسطين بالنسبة لدويتشر:  
«الصحراء الفلسطينية التي لم يوجد فيها مجتمع متماسك» (٤)  
والانسان لا يستطيع ان يلوم اليهود على ما حل بالعرب في  
فلسطين «فالناس الذين يطاردهم وحش وهم يركضون لانقاذ

---

1 — The Non-Jewish Jew, Deutscher, Isaac, Oxf.  
University Press, 1968, P. 112.

٢ - المرجع السابق ، ص ٤١ .

٣ - المرجع السابق ، ص ١١٢ .

٤ - المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

حيوانهم ، لا يستطيعون الا ان يؤذوا هؤلاء الذين في الطريق ، ولا يستطيعون الا ان يدوسوا على ممتلكاتهم» (١) .  
 والحل بالنسبة لدويتشر هو فيدرالية شرقاوسطية اشتراكية عربية - يهودية ، او محاولة ايجاد لغة تفاهم مشتركة بين اليهود ومن حولهم (٢) .  
 وان انس لا انسى الدراسة التي نشرتها مجلة سبارتكوس الاميركية التروتسكاوية ، بعد حرب حزيران ، والتي ناشدت فيها العمال العرب واليهود ان يحملوا السلاح ضد حكاهم .

## - ٤ -

نستطيع ان نقرر بعد هذا :

١ - ان التيارات الماركسية المختلفة بعد ١٩٤٧ ، خاصة ، التي تشجب الصهيونية والعدوان ، وتطالب باعتبار «اسرائيل» امرا واقعا ، والتي تؤيد الثورة الفلسطينية وتقف موقفا ثوريا من حركة التحرر الوطني في فلسطين ، ان هذه التيارات لم تقدم دراسات ماركسية للمشكلة ، وللجانب العربي منها خاصة ، لانه الجانب الثوري .

٢ - ان اكثر التيارات الماركسية ، ومنها الخطان الرئيسيان السوفيياتي والتروتسكوي ، ترتكب خطأ ماركسيا فاحشا ، باتخاذها موقفا متساويا متماثلا من اليهود في فلسطين ومن شعب فلسطين ، دون ان ينظر الى حقيقة الوجود الصهيوني العدواني .

٣ - ان اكثر التيارات الماركسية تحكمها اليوم نزعات اصلاحية

١ - المرجع السابق ، ص ١١٦ .

٢ - المرجع السابق ، ص ١١٦ و ١٢٥ .



وانسانية ، ولكنها نزعات عوراء ترى ظلما ولا ترى ظلما آخر ،  
وتتحسس اضطهادا ولا تتحسس اضطهادا آخر . وهي حتى  
بموقفها هذا منحازة الى الامبريالية ضد حركات التحرر الوطني ،  
انها تفعل ما فعل اسلافها من منظري الامم الثانية .

وانني ارى الا بد ، قبل ان ابدأ مناقشة ، «الدراسات» التي  
يضمها هذا الكتاب ، ان اؤكد بعض حقائق اساسية ، فيما يتعلق  
بالماركسية ، وهذه الحقائق هي :

اولا : ان الماركسية ايديولوجية للتحرر الانساني . ولقد تبلور  
هذا المضمون فيما يلي :

ا - مقاومة استعباد الطبقات المستغلة الطبقات المستغلة .

ب - مقاومة استعباد امة لامة .

ج - محاولة تحرير الانسان من عبودية الحاجة والفقر الخ .

هذا من حيث المبدأ ، ولا يضير هذا المبدأ ان يكون الاجتهاد  
او تكون الممارسة او يكون التكتيك قد تناقض معه او اساء اليه ،  
او اختلف عنه .

ثانيا : ان الماركسية ايديولوجية تحرر طبقي ، ولكنها فسي  
الوقت ذاته ايديولوجية تحرر قومي وطني . ولم تطرح الماركسية  
القضيتين على انهما متناقضتان او متعارضتان ، بل على انهما  
متداخلتان ومتكاملتان . وكان برنامج الثورة الديمقراطية في نظر  
ماركس ، كما كان في نظر لينين ، جزء من برنامج الثورة  
الاشتراكية . وعلى هذا الاساس كان ماركس مع الثورة الايرلندية  
والثورة البولندية ، وكان لينين مع حركات التحرر الوطني في  
الشرق .

ويمكن تلخيص برنامج الماركسية اللينينية بصدد القضية  
القومية فيما يلي :

ا - «ان شعبا يضطهد غيره من الشعوب لا يمكن ان يكون  
حرا» . وهذا مبدأ اساسي في الماركسية ، اكده ماركس ، واكده  
لينين من بعده في مناسبات عدة ، ذاكرا «ان ماركس ظل دائما

امينا له» (١) . ولقد حاول لينين ان يرسخ هذا المبدأ في الحركة الاشتراكية العالمية ، وكان يعتقد عن حق : «انه كلما زاد نضال البروليتاريا ضد الجبهة الاستعمارية العامة ، تقاوة وصفاء ، ازدادت ، بالطبع ، حيوية هذا المبدأ الاممي القائل : ان شعبا يضطهد شعوبا اخرى لا يمكن ان يكون حرا» (٢) .

وتعتبر «الماركسية - اللينينية» ، انطلاقا من هذا المبدأ : «ان مبدا القوميات امر محتم تاريخيا في المجتمع البرجوازي» وانه «بالنظر الى هذا المجتمع ، يعترف الماركسي صريح الاعتراف بالشرعية التاريخية للحركات القومية» (٣) . ومع ان لينين يتحفظ ازاء سلبيات الحركات القومية فانه يقول : «اجل ، ينبغي النضال ضد كل نير قومي ، ذلك امر لا ريب فيه» (٤) .

ب - ان المبدأ السابق الذي اكدته الماركسية - اللينينية فرض بالضرورة تبني مبدأ حق تقرير المصير والانفصال وانشاء الدول القومية . ولقد خصص لينين مئات الصفحات لمناقشة هذه القضية ، ولتأكيد اهميتها ، وحثيبتها وضرورتها ، ولفضح الذين يريدون ان يجعلوا منها شعارا شكليا ، مثل روزا لوكسمبرغ ، على اساس انها تتعارض مع وحدة البروليتاريا ووحدة كفاحها (٥) .

ج - واذا كانت الماركسية اللينينية ترى ان شعبا يستعبد غيره من الشعوب لا يمكن ان يكون حرا ، وكانت ترى ان الانفصال وحق تقرير المصير مبدأ اساسي يترتب على المبدأ الاول ، فانها

- 
- ١ - لينين : ملاحظات انتقادية حول المسألة الوطنية - حق الامم في تقرير مصيرها ، دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية - موسكو ، ص ١٩٢ .
  - ٢ - لينين : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .
  - ٣ - لينين : المرجع السابق ، ص ٢٥ .
  - ٤ - لينين : المرجع السابق ، ص ٢٦ .
  - ٥ - تراجع بهذا الشأن المصدر السابق كله .

استخلصت من هذين المبدئين مبدأ ثالثا ، لا يقل عن المبدئين السابقين أهمية . وهذا المبدأ هو النضال ضد كل شكل من أشكال الاضطهاد والاستعمار واللاحاق على الصعيد القومي . ويؤكد لينين أن «التبرير لللاحاق ليس من الماركسية في شيء» (١) . وكان لينين يرى ان مقاومة اللاحاق تستلزم :

١ - تأييد اشتراكي الامم الفاصبة المضطهدة لحركات التحرر الوطني . ولهذا كان دائم الانتقاد «لنفاق اشتراكي الامم الفاصبة ونداتهم» (٢) . وكان يعتبر الذين يدافعون عن اللاحاق خدما للبرجوازية .

٢ - تأييد العنف الثوري الذي يقوم به المضطهدون ضد المضطهدين ، واعتبار ان الدفاع عن «الوضع الراهن - الستاتيكو» شعار : «خاطيء اساسا ولا يتوافق مع الماركسية» (٣) .

د - ان اللينينية تفرق بين الصراع القومي بين برجوازيين استعماريين ، تتنازعان على سيطرة على الاسواق ، وبين «ثورة المناطق المقصوبة» على «البلد الفاصب» . وهي اذ ترفض الصراع الاول وتعتبره رجعيا ، وتطالب البروليتاريا بمقاومته ، تؤيد «ثورة المناطق المقصوبة» وتعتبرها جزء من مهمة البروليتاريا في البلدان الفاصبة والبلدان المقصوبة ، واهم مهمة في مرحلة من مراحل النضال .

ثالثا : ان الماركسية ايديولوجية ثورية وليست ايديولوجية اصلاحية . ولقد رفضت كل النزعات الاصلاحية وشاربتها بشدة . وكان ماركس وانجلز ولينين شديدي الوطاة على هؤلاء الذين

١ - لينين : المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

٢ - لينين : المرجع السابق .

٣ - لينين : المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

حاولوا تبرير اضطهاد امة لامة او طبقة لطبقة . وما كان ماركس يرضى بان يطلب من ايرلندا ان «تفاهم» مع الاستعمار البريطاني . او من الهند ان «تفاهم» مع التاج . ولا كان ممكنا ان يطلب لينين من الشعوب المضطهده في اوروبا وآسيا ان تتنازل للامبرياليين عن حق تقرير المصير .

وتقرر الماركسية ، بوضوح ودون اي لبس او ابهام ان هذه الصراعات تحل بالعنف ، بانتماض المظلومين على الظالمين ، وسيان كان المظلومون شعبا او طبقة او طبقات ، وسيان كان الظالمير شعبا او طبقة او طبقات . ولم يحدث في تاريخ الماركسية ، ان قبل الماركسيون الثوريون «التسويات» على صعيد الاستراتيجية .

- ٥ -

يحق لنا بعد هذا المدخل الطويل ان نطرح على انفسنا هذا السؤال : الى اي حد تنسجم هذه الدراسات مع روح الماركسية؟ انها في الواقع ليست سليفة الماركسية - اللينينية ، انها سليفة ماركسية الاممية الثانية . ولذلك فاننا نجدها على تناقض تام مع الخط الذي اوضحناه .

ويتجلى هذا التعارض فيما يلي :

اولا : موقف الماركسية - اللينينية من الاستعمار واللاحاق وحركات التحرر الوطني واضح ، لا لبس فيه ولا ابهام ، ولكن كتاب هذه الدراسات لا يعتبرون ان هناك حركة تحرر وطني في فلسطين ، على الرغم من انهم جميعا يؤكدون ان «اسرائيل واقع استعماري» والصهيونية حركة استعمارية .

ولقد حاولت هذه الدراسات تشويه الحركة الوطنية في فلسطين ، وتجريدها من مضمونها الثوري ، وذلك بمحاولة

اقتناعنا بمعطيات ثلاثة :

ا - ان السلطات البريطانية كانت تصمد الى اثاره العرب ضد اليهود . هذا ما يؤكد نانان واينشتوك ، والمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية مثلا (١) .

ب - ان الكفاح العربي ضد الصهيونية شوفيني . وانه ليس كفاحا معاديا للاستعمار (٢) .

ج - ان «القيم القومية» هي المسيطرة في الصراع العربي - الصهيوني . وان هذه الناحية تثير الحوف والقلق . وتعارض هذه المعطيات ، بالطبع ، مع ابجديات الماركسية - اللينينية التي اعطينا عنها لمحة فيما سبق . ويتضح هذا التعارض من خلال حقيقتين :

الاولى : ان الماركسية - اللينينية لم تحارب حركات التحرر الوطني . والحركات القومية المعادية للاستعمار . بل حاربت الصراع القومي بين برجوازيين استعماريين . والصراع في فلسطين لم يكن بين برجوازيين استعماريين قطعا : فلقد كان بين شعب فلسطين المهذب ووطنه بالاعتصاب وبين المهاجرين - الصهيونيين والاستعمار البريطاني . ان عدم رؤية هذه الحقيقة خطأ فادح : انطلق من المساواة بين المهاجرين الصهيونيين وبين شعب فلسطين . وجر الى اعتبار الحركة الوطنية العربية شوفينية وغير معادية للاستعمار .

وهذا الخطأ الفاضح يزداد فداحة عندما نجد كل هذه الدراسات تشير او تؤكد الى ان الوجود الصهيوني في فلسطين وجود كولونيالي .

---

١ - اسرائيل والصهيونية والصراع الطبقي ، وخصوميات الاستعمار الصهيوني لفلسطين .

٢ - المرجعان السابقان .

الثانية : ان التناقض بين الغزو الصهيوني والاستعمار البريطاني لم يكن اساسيا . وكيف يكون كذلك وبريطانيا هي مانحة وعد بلفور والشرفه على تنفيذ البرنامج الصهيوني . ولكن صدمات كانت تحصل نتيجة تعجل الحركة الصهيونية ومحاولة البريطانيين ان يخضعوا تنفيذ البرنامج الصهيوني لمتطلبات سياستهم . وكان العرب في فلسطين وخارجها يدركون ان الاستعمار البريطاني والغزو الصهيوني مترابطان ، وان ايا منهما لا يستطيع الاستغناء عن الآخر . ان الصهيونيون يريدون بقاء الاستعمار البريطاني ليساعدهم على تحقيق برنامجهم . وكان البريطانيون يريدون استمرار التدفق الصهيوني الى فلسطين من اجل تحقيق الاستراتيجية التي رسموها .

وكان على العربي ان يحارب الاستعمارين : البريطاني والصهيوني . وكان دائما يوجه الضربات لهذا ولذاك . ولم يكن يفرق بين تكتة بريطانية ومستعمرة اسرائيلية ، لان التكتة والمستعمرة يمثلان شيئا واحدا بالنسبة له .

وحين كان العربي يركز هجومه على احدى الجبهتين فلم يكن ذلك عن تحريض من الجبهة الاخرى ، بل لادراكه ، وعفويا في اكثر الاحيان ، ان الحرب على جبهتين صعبة ، وانه مفيد تركيز الضربات في جهة واحدة ان كان هذا ممكنا ( 1 ) .

ولكن تاريخ الثورات والانتفاضات والنشاطات السياسية في فلسطين يثبت بشكل قاطع ، ان العرب كانوا يحاربون على الجبهتين : البريطانية والصهيونية ، وان الصدام في جهة كان يقود فورا الى صدام مع الجبهة الاخرى .

ثانيا : ان القضية المركزية التي تستهدفها هذه الدراسات هي

---

1 - بحث هذا الموضوع بتفصيل في كتابي : «الحركة الوطنية الفلسطينية امام اليهود والصهيونية» الذي صدر عن مركز الابحاث .

قبول اسرائيل اشتراكية في وطن عربي اشتراكي . وهذه النتيجة الخاطئة ، بالطبع ، انطلقت من المقدمات الخاطئة : المساواة بين الغزاة الصهيونيين والمواطنين العرب ، وادانة الحركة الوطنية في فلسطين بالشوفينية وعدم معاداة الاستعمار .

وتقوم هذه النتيجة على ثلاث فرضيات :

١ - ان بالامكان توحيد الكفاح الطبقي للعرب والصهيونيين في فلسطين وخارجها .

٢ - ان هنالك امكانية لتحول «اسرائيل» الى بلد اشتراكي .

٣ - ان تحول «اسرائيل» الى بلد اشتراكي - لو فرضنا انه

تم - يغير من طبيعتها الكولونيالية .

وفيما يتعلق بالفرضية الاولى . فان الموقف الماركسي واضح .

ولقد حرص ماركس ، كما حرص لينين ، على تأكيد اهمية

التحرر الوطني من الاستعمار ، ليكون توحيد الكفاح الطبقي بين

اي شعبين ممكنا . ومع ان الاحتلال البريطاني لاييرلنده اقبل

بشاعة بمئات المرات من الاغتصاب الصهيوني لفلسطين ، فان

ماركس اعتبر مهمة تحرير ايرلنده وانفصالها عن بريطانيا مهمة

اساسية ، سابقة على توحيد الكفاح الطبقي . ولقد كتب في

هذا قائلا :

«لقد حاولت جهدي بجميع الوسائل اثارة العمال الانجليز

للتظاهر في سبيل تأييد الحركة الفينيانية (حركة ثورية سرية

استهدفت تحرير ايرلنده من الانجليز) ... فيما مضى ، كنت

اعتبر انفصال ايرلنده عن انجلترا امرا مستحيلا . اما اليوم ،

فاني اعتبر هذا الانفصال امرا محتوما ، ولو ادى الامر ، بعد

الانفصال ، الى الاتحاد» (١) .

---

١ - لينين : ملاحظات انتقادية حول المسألة الوطنية ، حق الامم . دار الطبغ

والنشر باللغات الاجنبية ، موسكو ، ص ١١٣ - ١١٤ .

وعليه فان المهمة الاولى ، في مثل هذه الحالة ، هي التحرر الوطني .

وكان لينين يمي ابعاد هذه القضية جيدا . ولذلك فانه رفع شعار حق تقرير المصير ، وجعله شعارا موازيا لشعار وحدة الكفاح الطبقي ، لا حين يظهد شعب باكملة شعبا آخر باكملة ، كما هي الحال في فلسطين ، بل عندما كانت برجوازية قومية تضهد شعبا آخر .

وانه لمستحيل ان نرفع شعار وحدة الكفاح الطبقي ، بين طبقتين عاملتين تحرم احدهما الاخرى من حق الوجود . هذا ما لم يفهمه احفاد الامية الثانية .

ولكن لنفترض جدلا ، ان العرب والصهيونيين كانوا مستعدين لتجاوز هذه الحقيقة ، فهل بإمكان اسرائيل الصهيونية ان تتحول الى دولة اشتراكية ؟ ان الاجابة مرهونة بمعرفة حقيقتين :

الاولى : ان «اسرائيل» تطرح نفسها على انها مشروع «اليهودية العالمية» . ولقد ساهمت «اليهودية العالمية» بخلقها ، مساهمة فعالة ، وما زالت تلعب دورا اساسيا في تغذيتها وحماتها . واليهودية العالمية ، ممثلة بالمنظمة الصهيونية العالمية ، مؤسسة رجعية محافظة ، لها عقليتها ومصالحها ، ويدعمها الرأي العام الاشد تخلفا بين اليهود . وتستطيع اسرائيل ان تتحول الى دولة اشتراكية في الحالات التالية : اذا تحولت اليهودية العالمية الى الاشتراكية ، اذ استغنت اسرائيل عن اليهودية العالمية ، اذا دعمت الدول الاشتراكية اسرائيل . وكل من هذه الاحتمالات غير وارد في المدى المنظور .

الثانية : ان «اسرائيل» قامت حسب خطة وضعها الاستعمار البريطاني ، وساهمت في تنفيذها الراسمالية الامريكية . وان هذا الارتباط ما زال قائما . وما اكثر ما يتحدث عنه الماركسيون جميعا . ولا تستطيع اسرائيل ان تستغني عن هذه العلاقة ، بسبب ضالة امكانياتها البشرية والمادية ، وبسبب عدائها للجماهير



العربية كلها . فهل يمكن ان تبقى «اسرائيل» على ارتباطها  
بالامبريالية العالمية وتحول الى دولة اشتراكية؟!  
اعتقد ان الاجابة على السؤال الذي طرحته قد اصبحت  
واضحة .

اما اذا تحولت اسرائيل الى «دولة اشتراكية» - وهذا  
افتراض غير قائم على معطيات معقولة - فانها ستبقى بالنسبة  
للغرب «واقعا كولونيايا» .

لقد ادرك مكسيم رودنسون هاتين الحقيقتين : حقيقة ان  
اسرائيل لن تصبح دولة اشتراكية ، وحقيقة انها ستظل واقعا  
كولونيايا ، حتى لو اصبحت . وقد عبر عن ذلك تعبيرا لا ابهام  
فيه . ولقد قال فيما يتعلق بالناحية الاولى : «يمكننا ان نناقش  
ان من الصعب جدا على اسرائيل ان تقيم اقتصادا اشتراكيا ذا  
استقلال ذاتي في ركن صغير من الشرق الادنى . وان مدى  
اعتمادها على الموارد الخارجية ، الذي يشهد عليه المراقبون  
الثقة حتى اولئك الذين يميلون الى اسرائيل ، هو خير دليل على  
ذلك ... فالاتجاه نحو الغرب الذي تتبناه السياسة الاسرائيلية ،  
على الرغم من محاولات عدم الانحياز التي حاولتها عند تأسيسها  
كدولة ، ليس امرا عارضا» (١) .

ويقول رودنسون ، فيما يتعلق بالناحية الثانية : «وحتى لو  
تحولت اسرائيل الى دولة اشتراكية تماما ، فان ذلك لن ينزع  
عنها طابعها الكولونياياي من وجهة النظر الخارجية ، وبالتالي فلن  
يكون ذلك حلا للنزاع» (٢) .

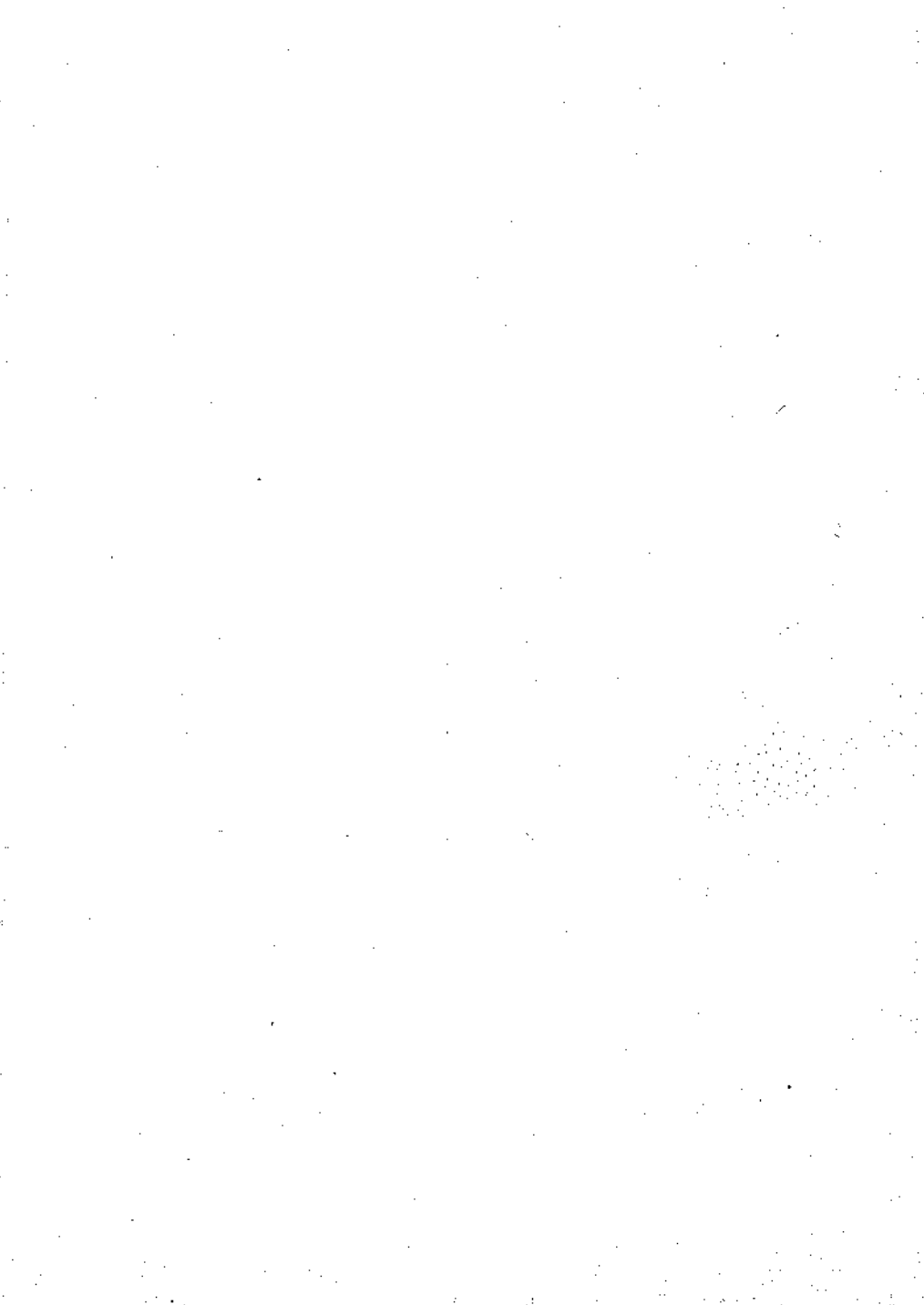
ان مكسيم رودنسون ، الماركسي الاصلاحى المستقل ، يدرك

---

١ - رودنسون ، مكسيم : الحرب الاسرائيلية - العربية ، ومستقبل  
الاشتراكية .

٢ - رودنسون ، مكسيم : المرجع السابق .

هذه الحقائق الجوهرية ، ولكنه عندما يستخلص النتائج يطالب  
بإسرائيل غير صهيونية ، وبقبول إسرائيل على أساس تنازلات  
متبادلة ، مع انه يؤكد بان قبولها غير محتمل الوقوع . ومكسيم  
رودنسون يؤكد بذلك انه ماركسي من حيث منهج التحليل ،  
ولكنه ليس ماركسيا من حيث المواقف . اما الآخرون فهم أبعد  
ما يكونون عن الماركسية تحليلا ومواقف .



## القسم الثالث

المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربي



## المقاومة : مواقع نكدها والهجوم عليها

دراسة كتبت في منتصف تموز  
سنة ١٩٧١ ، ونشرت في «دراسات  
عربية» ، السنة ٧ ، العدد ١ ،  
وهي تناقش الياس مرقص في هجمته  
الشرسة على المقاومة ، والتي رافقت  
آخر عمليات التصفية في الاردن .

### ١ - تصفية المقاومة ماديا لتصفية القضية الفلسطينية :

منذ ايلول وحتى هذه اللحظات تتعرض المقاومة لمؤامرة سحق  
وتصفية . ومؤامرة السحق والتصفية هذه شرسة ودموية اشد  
ما تكون الشراسة والدموية . وهي ذات شقين :

الاول : عسكري تقوم به السلطات الاردنية، تساندها اوساط  
عربية معادية للثورة ، وتدعمها وتخطط لها الامبريالية العالمية  
بقيادة الولايات المتحدة . وتستهدف الحملة العسكرية لا احتلال  
مواقع المقاومة فحسب ، بل القضاء على عناصر المقاومة قضاء  
تاما ، بالقتل والاعتقال والتشريد . ولا تقف الحملة هنا ، نهي

بعد ذلك تعمل على تحطيم معنويات المعتقلين وتشويه اجسادهم وتعطيل فعاليتهم المادية والمعنوية ، لكي يخرجوا من المعتقل جواسيس او مشلولين . وهي لا تكتفي بهذا ، لانها تعلم ان وجود شعب متدمر ناقم يعني ظهور مقاومين جدد كل يوم ، ولهذا فانها تعمل ما تستطيع لاختضاع الشعب كله ولتحطيم معنوياته وفرض الدل والاستسلام عليه .

وقد لجأت السلطة في سبيل تحقيق هذه الغاية الى استخدام ما يلي :

١ - قامت بحملات التقتيل والرعب الشهيرة ١٠-٢-٧٦ ، ١٧-٩ ، الهجوم على الرصيفة وجرش واريد بعد ايلول ، وكانت تهدف من وراء حملات الابداء والترويع هذه الى سحق معنويات الجماهير سحقا تاما ودفعها الى الاستسلام والياس .

٢ - اعادت فرض الاحكام العرفية والمحاكم العرفية وأجرت تغييرات في قانون العقوبات ، لكي يلائم اهدافها التصفوية القمعية . ولهذا اعادت فرض عقوبة الاعدام على كل من يملك سلاحا ، مع ان تطبيق هذا القانون يخدم سلطات الاحتلال الصهيوني ، لانه قانون يعتبر بمجرد اقراره ساري المفعول في الضفة الغربية . ومع ان نقابة المحامين في الاردن قد نبهت السلطة الى خطورة اقرار مثل هذا القانون ، الا ان السلطة استمرت في اصرارها واقرت القانون .

وكان ان قامت السلطة ، بعد اللجوء الى الاحكام العرفية ، باعدام البطل غالب سميد ابراهيم ، وحكمت على آخرين بالاعدام قبل ايام ، وما هذه الا اول الفيت .

٣ - قامت بشق جماهير الشعب على اساس اردني وفلسطيني ، واستخدمت كل وسائل الترغيب والترهيب لتحريض فئة على فئة ، ولتشكيك الصديق بصديقه والجار بجاره والاخ بأخيه والزميل بزميله .

وهكذا يسير القمع جنبا الى جنب مع سياسة الافساد وشراء

الدم والضمائر . انها سياسة مدروسة ومخططة تستفيد من كل خبرات حرب العصابات المضادة وتجاربها ، ومن كل خبرائها وأساتذتها وهيئاتها المختصة .

وإذا كان النظام الاردني العميل هو الذي يقوم بالهجمة الرئيسية الآن ، فإنه لا بد لنا من ان نشير الى أن هذه الهجمة قد تمت بتخطيط الدوائر الامبريالية وبمشاركة اوساط سياسية عربية . وكان هدفها يتلخص فيما يلي :

اولا : سحق ظاهرة المقاومة ، لان المقاومة تعني ان تقاوم الجماهير ، وانتشار هذه الروح ، وهذه الممارسة ، لا يهدد مصالح الامبريالية فحسب ، بل يهدد «الضبط» الذي تمارسه الأنظمة المختلفة على المنطقة ، ويهدد الأنظمة الخائفة والمسالمة والعميلة .

ثانيا : فتح الطريق امام الحلول الاستسلامية . وهذا لا يتم الا بتصفية القوى المصممة على القتال ، وضرب الجماهير المسلحة التي تقف عائقا دون عقد الصفقات الاستسلامية (١) .

١ - قالت معاريف يوم ٢٥-٩-٧٠ : «جرى الحديث في واشنطن عن ضرورة القتال بين الملك حسين والمخربين الفلسطينيين قبل قضية خطف الطائرات ودون اية علاقة بها . وقد ثارت هذه القضية بعد زيارة الملك حسين للقاهرة ، حيث نسق مع عبد الناصر خطوط عمل مشتركة من أجل انجاح مشروع روجرز . وقد سر المسؤولون الامريكيون في وزارة الخارجية بالتحفم الذي تم بين حسين وناصر ، وسمعت منهم في احاديث غير رسمية ، انه لربما تقترب اللحظة لكي يكون الجيش الاردني مجبرا للقتال ضد الفلسطينيين ، منح الملك حسين حرية العمل في مفاوضاته بواسطة «الدكتور يارونغ لتنفيذ مشروع روجرز (معاريف : بقلم اوري دان) . وقالت هارترس يوم ٥-١٠-٧٠ : ان دايان قابل عددا من الشخصيات الفلسطينية - الاردنية وقال لهم : «ان الملك حسين في طريقه للسيطرة على الموقف» وطلب منهم ان يذهبوا الى الاردن للاشتراك في الوزارة لكي يكون من «السهل على اسرائيل والعرب اجراء مفاوضات مباشرة» وأضاف ،



## ٢ - التصفية السياسية والايديولوجية .

الثاني : سياسي ايديولوجي . ذلك ان التصفية الجسدية المادية لا تكفي ولا تنفع وحدها . فاذا كان العملاء والجلالوزة يريدون سحق المقاتلين ، فانهم يحسون بأن عليهم أيضا ان يسحقوا الفكرة . وهكذا ، بينما اتجهت قوات القمع لسحق المقاتلين ولتصفية التنظيمات الشعبية كان هنالك من يعمل لتصفية الفكرة: فكرة حرب التحرير الشعبية .

وبينما بدأت أجهزة الاعلام والمخابرات حملاتها المدروسة ، كان منظرون مثل هيكل وأمين الاعور وأمثالهما يحاولون التهوين تارة من شأن الحرب الشعبية وتسخيفها تارة أخرى ، لمصلحة الحرب النظامية ، ولمصلحة هذا النظام او ذلك .

وكانت هذه النبرات والنغمات «المعادية» تتغلف بأغلفة شفافه من الحرص والتكلف ، ولكنها كانت مع هذا عارية ومكشوفة ومفضوحة .

ولكن هذه الحملة ازدادت ضراوة بعد ايلول . ولقد ازدادت حدتها مع ازدياد عنف التصفية الجسدية . وبرز في هذا المجال دعاة واثقون من انفسهم ومما يقولون .

وجاء الهجوم في هذه المرة باسم اليسار ، لا من اجسـل «التيسير» و«التثوير» ، كما كان الامر فيما مضى ، ولا لمصلحة الحرب الشعبية الحقيقية ضد «الحرب الشعبية الاذاعية» بل لمصلحة «الحرب النظامية الكلاسيكية» نظريا ، ولمصلحة الاستسلام والتكوص عن الحرب عمليا .

وشاء الكاتب «الماركسي» الياس مرقص ، حامل لواء

---

«وخاصة عندما يكون في الحكومة الجديدة اشخاص عرفناهم وعرفونا» رفض الاشخاص بالطبع ، كما تقول الجريدة طلب موسى داليان .

«الماركسية اللينينية العربية» و«منظرها» ، ان يزع نفسه في هذه المعركة ، وان يحمل لواء قيادتها . ولقد بدأ قبل ايلول حملته منخفا يسار المقاومة ومهاجما استراتيجيتها وتكتيكها . كان هدفه ، كما يقول : «نقد هذا التيار «اليساري» المتمثل في الجبهة الشعبية الديمقراطية ، تفنيده ، لانه على ضلال جوهرى» (١) . ولكن الياس مرقص الذي اراد تفنيد «الضلال الجوهري» قادنا نحو «ضلال جوهرى» اخطر يتمثل في ناحيتين : الاولى : تجسدت في عدم فهم معنى الحرب الشعبية ، ومحاولة النيل منها بحياء احيانا ، وبجراة احيانا لصلحة الحرب النظامية .

الثانية : تجسدت بمحاولات نقد وتحليل هاجمت اليسار من نقاط ضعفه : الارتجال ، العفوية ، الاقتصادية ، النظرة الاحادية الجانب ، ولكنها بالمقابل اتخذت موقفا احادي الجانب : من الجمهورية العربية المتحدة وقيادتها . واذا كان كل شيء خاضعا للنقاش المساوي حيناً ، الجيد حيناً ، المضطرب احيانا ، فان هنالك ثلاثة اقانيم لا تخضع للنقاش ولا للنقد هي : مصر ، عبد الناصر والحكم في ج.ع.م ، الحرب النظامية .

بدأ الياس اذن حربه هكذا . وكان واضحا انه كان يريد اسقاط اقانيم : الحرب الشعبية ، الثورة الفلسطينية ، الممارسة اليسارية الطفولية وعفوية النظرية ، ليكرس اقانيم : مصر ، القيادة الناصرية ، الحرب النظامية . وبينما كانت الاقانيم الثلاثة الاولى في نظر الياس تحاط بلعنة «القطيعة» مع الماركسية والوحدة العربية ، كانت الاقانيم الثلاثة الثانية تحاط بهالة الماركسية

---

١ - مرقص ، الياس : نقد الفكر المقاوم -١- عفوية النظرية في العمل  
الفدائي ، دار الحقيقة ، آب ١٩٧٠ ص ١٥ .

اللينينية العربية والوحدة العربية (١) .  
ولكن الياس مرقص لم يكتف بمحاولته هذه ، فلقب بادر بعد  
مذبحة ايلول ، الى تطوير افكاره ونظرياته «الماركسية - اللينينية  
العربية» ، وقام بنشر دراستين هامتين :  
الاولى : «المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن» (٢) .  
الثانية : «مرة اخرى حول المقاومة الفلسطينية والموقف  
الراهن» (٣) .

وخطورة هاتين الدراستين انهما تحاولان الاجهاز كليا على  
مفاهيم الحرب الشعبية والثورة الفلسطينية يميننا ويسارا ،  
ونضالات الجماهير في الارض المحتلة والاردن وتكريس مفاهيم :  
**الحرب النظامية ، القيادة الناصرية ، السلام** ، من خلال هجوم  
شامل على المقاومة الفلسطينية .

وقد ارتكب ، من اجل تثبيت هذه «الافانيم» اخطاء منهجية  
وسياسية وعسكرية فاحشة وفاضحة ، لا يمكن ان يرتكبها من  
قرأ ماركس ولينين وماو ، فكيف من يطرح نفسه رائدا لاتجاه  
«الماركسية - اللينينية العربية» ضد كل الاتجاهات اليمينية  
واليسارية الاخرى .

**فمن الناحية المنهجية** : لم ينهج الياس مرقص نهجا ماركسيا  
في التحليل ، في دراسة الظواهر واسبابها والقضايا وعلاقتها.

- 
- ١ - صدر كتاب الياس مرقص المشار اليه سابقا في آب سنة ١٩٧٠ ، قبل  
ايلول ، وكتب بين اذار وحزيران ، اي بعد شباط ١٩٧٠ في الاردن وحزيران ،  
وكان كل شيء في هذا الوقت واضحا ، وخاصة اين يقف حنين والحرب  
النظامية ، ولكنه اوضح بشكل قاطع اين تقف «الماركسية - اللينينية العربية»!
  - ٢ - اصدار دار الحقيقة - بيروت ، نيسان ١٩٧١ ،
  - ٣ - المقاومة الفلسطينية - الواقع والتوقعات ، دار الطليعة ، تموز ١٩٧١ ،  
ص ١٧٣ .

المنهج الماركسي يدرس «الواقع الملموس» والقضايا وعلاقتها  
 دراسة جدلية . ولكن الياس مرقص اتبع منهجا : **ذاتيا وانتقائيا**  
**واحادي الجانب** . ذاتيا لانه نظر الى القضية من خلال ذاته ،  
 من خلال موقفه المسبق . ولهذا كان موقفه المسبق من الجمهورية  
 العربية المتحدة ، والقيادة الناصرية هو أساس نظريته . وبما انه  
 مع الجمهورية العربية المتحدة وقيادتها الناصرية كيفما كانت ،  
 وضد غيرها مهما كان . فهو لا يرى الامور الا من هذا المنظار .  
 ولهذا فقد كان عاجزا عن ان يرى القضية الموضوعية بكل ابعادها ،  
 وان يرى القضايا بكل علاقاتها ، وبكل جدلية هذه العلاقات ، مع  
 انه يتحدث كثيرا عن الجدلية . وهكذا كانت مقاييس الياس  
 الذاتية هي دليله ومرشده . وهي بالتالي قائلته الى «الضلال  
 الجوهري» . وكان الياس انتقائيا ، لانه حكم على ظواهر وترك  
 ظواهر اخرى . سلط نيرانه على الاقاييم الثلاثة الملعونة وترك  
 في الظلمة افانيمه الثلاثة المقدسة . هاجم «ديماغوجيا» المقاومة  
 و«كلامولوجيا» جرب التحرير الشعبية ، ولكنه لم يشر الى  
 الديماغوجيا الام و«الكلامولوجيا» الام . حاول ان يفضح تلامذة  
 الديماغوجيا والكلامولوجيا الصفار . ولكنه لم يشر الى اساتذة  
 الديماغوجيا والكلامولوجيا الكبار . والياس مرقص يتخذ موقفا  
 احادي الجانب ، ينظر الى الامور لا نظرة حواء ، بل نظرة عوراء  
 لا ترى من القضية الا مساحة معينة . والنظرة الاحادية الجانب  
 هي بنت الذاتية والانتقائية ، منبثقة عنهما ، ومرتبطة بهما .

**ومن الناحية السياسية** : وقف الياس مرقص مع الانظمة  
 ضد الجماهير ، ومع عفوية الانظمة ضد عفوية الجماهير ، ومع  
 اخطاء الانظمة ضد اخطاء الجماهير ، ومع استسلام الانظمة ضد  
 وطنية الجماهير . ولقد كان ماركس ولينين ضد العفوية ، ولكنهما  
 كانا مع عفوية الجماهير ضد عفوية الانظمة ، وحتى عقائدية  
 الاحزاب والمنظرين . ولقد وقف ماركس وانجلز بشجاعة مع  
 جماهير باريس سنة ١٨٧٠ - ١٨٧١ ، وقبل ذلك سنة ١٨٣٠

و١٨٤٨ ضد تيير والنظام والبرجوازية . ووقف ماركس وانجلز مع وطنية الجماهير وحربها ضد خيانة النظام واستسلاميته، بينما كانت جحافل الامان اقرب الى باريس من جحافل ديان عن القاهرة، وبينما كان وضع الجيش الفرنسي النظامي اسوأ كثيرا من وضع الجيش المصري حاليا . ولم يقل ماركس وانجلز لجماهير باريس سنة ١٨٧٠ - ١٨٧١ ان الازراس واللورين الضائعتين اليوم ستعودان بعد خمسين او مائة او الف سنة كما يقول اليساس مرقص اليوم لجماهيرنا . ولم يبحث ماركس وانجلز سنة ١٨٧٠ - ١٨٧١ موضوع حتمية عودة الازراس واللورين الى فرنسا. حسب علمي ولا طالبا الجماهير الفرنسية المتمردة لن تنتظر نابليون جديدا يطور القوات الفرنسية ويُعدها لحرب قادمة مع المانيا بعد عشرين ، خمسين ، سبعين او مائة عام . وعندما سقطت الكومونة حيي ماركس وانجلز شجاعة رجالها ووطنيتهم ولعنا خيانة النظام واستسلامه ، وقد حذا حدوهما لينين فيما بعد وكل الماركسيين الحقيقيين . اقول هذا وأنا اعلم الفرق بين جماهير باريس والجماهير العربية وبين عبد الناصر وتيير .

ولكن لماذا وقف الياس مرقص الماركسي - اللينيني غير موقف ماركس وانجلز ولينين ؟ لماذا وقف ضد الجماهير ، وضد حربها الشعبية ، وضد وطنيتها ، بينما وقفوا هم معها ، مع وطنيتها وعفويتها وحربها الشعبية ؟ السبب واضح وبسيط : لان الياس مرقص مع النظام ضد الجماهير ، ولان ماركس وانجلز ولينين كانوا مع الجماهير دائما ضد الانظمة دائما ، الا في الحالات التي تصبح فيها الجماهير أدوات للرجعية (١) . ولقد اختار الياس الا يكون مع الجماهير ، مع انتفاضاتها وحركاتها السياسية والمسلحة ، انه نظريا ضد كل ما هو قائم - ما عدا الناصرية -

---

١ - لينين : حول حق الامم في تقرير مصيرها - دار التقدم موسكو

ومع نشوء حزب ماركسي - لينيني عربي ، ولكنه عمليا ضد الجماهير وحركتها ونضالها ، لانه مع النظام الطوباوي المعصوم عن الخطأ ، الوطني جدا ، الثوري جدا ، الذي لا ياتيه النقد لا من بين يديه ولا من بين رجليه ، ولان جزبه الموهوم الماركسي - اللينيني العربي لن يكون ما دام هو منظره ودليله (٢) وما دامت هذه الافكار اساس دعوته .

موقف الياس السياسي منحرف اذن ، وهو موقف ضد الماركسية اللينينية ، والماركسية ليست منهجا للتحليل فحسب ، ولا هي نتائج وتعميمات فقط ، انها موقف سياسي ، وهذا الموقف السياسي مع الجماهير ضد الانظمة ، ومع حرب العصابات والحرب الشعبية ضد الحروب الكلاسيكية ، ومع القتال ضد الاستسلام ، ومع تجذير الحركات الوطنية ضد التصفية ، ومع محاربة الاستغلال القومي والطبقي ضد الاستسلام القومي والطبقي . اما خط الياس فهو على النقيض : النظام والاستسلام والتصفية ضد الجماهير .

واذا كان الياس ذاتيا من حيث التحليل فهو تصفوي من حيث السياسة .

**ومن الناحية العسكرية :** ارتكب الياس مرقص اخطاء فاحشة فاضحة ايضا ترتبت على اخطائه المنهجية والسياسية . ولعل اكبر هذه الاخطاء وافدحها انه :

١ - لم يفهم طبيعة المعركة مع الاحتلال الصهيوني .

ب - لم يفهم مضمون حرب التحرير الشعبية وطبيعتها .

لقد توهم الياس مرقص ان المعركة مع الاحتلال الصهيوني هي معركة نظامية بالمعنى التقليدي : جيش مقابل جيش وطيران مقابل

---

٢ - اعتقد انه قائم في ذات «حزب العمال الثوري» المجيد ولكن ... ويتبنى

هذا الحزب خط الياس مرقص في كل الجالات .

طيران وتكنولوجيا مقابل تكنولوجيا . وعليه وبما اننا متخلفون والعدو متقدم ، فان علينا ان نستعد ونستعد ونعد حتى نبلغ مستوى العدو او نتفوق عليه . هذا منطلق الحرب النظامية التقليدية . ولكن من هو العدو ؟ هل هو اسرائيل فقط ؟ الياس يعرف انه ليس كذلك ، وهو يصر انه ليس كذلك ، وان الامبريالية العالمية تفق وراء عدونا بقضها وقضيضها ، بامكانياتها المادية والسياسية مالا وسلاحا وتكنولوجيا وتأييدا وخبرة وتآمرا . وهذا يجعل امكانية المباراة التكنولوجية خاسرة خلال المدى المنظور ، ولقد فهم حزب ماو وحزب جياب وحزب كيم ايل سونغ هذه الحقيقة . ولذلك فانهم لم يرفضوا التكنولوجيا ولا الجيوش النظامية ، الا انهم اعتبروا ان الانسان والجماهير والحزب الطبيعي هي الاساس ، وليس الجيش النظامي التقليدي والسلاح والتكنولوجيا . وبالاتسان والجماهير والحزب الطبيعي حارب هؤلاء وانتصروا ، وهم ينتصرون كل يوم . وهم يرون انه : «مهما كان تطور الاسلحة الحديثة والمعدات التكنيكية ، ومهما تعقدت طرق الحروب الحديثة فان نتيجة الحرب ، في نهاية التحليل سوف يقررها القتال المتواصل الذي تقوم به القوات البرية ، وسوف يقررها القتال على المسافات القصيرة في ساحة القتال ، وسوف يقررها الوعي السياسي لدى الانسان وشجاعته وروح التضحية لديه» (١) . «ان القنبلة الذرية المعنوية التي تمتلكها الشعوب الثورية هي سلاح اكبر قوة واكثر فائدة من القنبلة الذرية المادية» (٢) . ويضيف لين بياو : «لقد اثبت التاريخ وسوف يثبت باستمرار ان الحرب الشعبية هي اكثر الاسلحة

---

١ - بياو ، لين : عاش انتصار الحرب الشعبية ، دار النشر باللغات الاجنبية ، بكين ، ص ٦٦ .  
٢ - بياو ، لين : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

فعالية ضد الامبريالية الامريكية وعملائها . . . . ان الامبريالية  
الامريكية المندفعة بطيش من مكان الى مكان آخر كـثور هائج .  
ستحرق في نيران الحرب الشعبية التي اشعلتها هي . حتى  
تصبح رمادا» (١) .

يقول لين بياو بهذا . بعد ان امتلكت الصين القنابل الذرية  
والجيش النظامي وقطعت خطوات على طريق امتلاك القنابل  
الهيدروجينية والصواريخ العابرة القارات ، وبعد ان اعدت شعبها  
كله للقتال وخلقتم اساسا متينا متقدما في الصناعة والزراعة  
والتعليم والحياة الاجتماعية . ويصر الياس مرقص على رفض  
مفهوم الحرب الشعبية . حتى ونحن لا نملك شيئا من هذا كله .  
معركتنا اذن هي معركة مع الصهيونية والامبريالية ، وهي  
على هذا الاساس ليست معركة قصيرة صاعقة ، ليست معركة  
«نظامية» تخاض في يوم او شهر ، بل معركة طويلة المدى شاقة  
دموية وشرسة . ولانها كذلك فهي لا بد من ان تكون حربا شعبية .  
الياس مرقص يقول : «ولن تكون هنالك حرب شعبية تحرر  
فلسطين ، سيكون هنالك حرب نظامية وجبهة شرقية ونمو عربي  
ووحدة عربية ، او سيكون هنالك لا اقول «سلام» و«حل سلمي»  
بل مزيد من التدهور والهزائم» (٢) . ونحن نقول لالياس : لن  
تكون هنالك حرب نظامية ، بل حرب شعبية طويلة المدى قاسية  
ومريرة ، حرب من اجل فلسطين ، ومن اجل الوحدة العربية ،  
ومن اجل النمو والتقدم وانهاء مخلفات القرون الوسطى .

واذا كان الياس قد اخطأ في فهمه طبيعة المعركة بيننا وبين  
الصهيونية والامبريالية والرجعية ، فانه لم يستطع ايضا ان يفهم  
مضمون الحرب الشعبية وطبيعتها ، ولا يبدو انه قرأ ماركس

١ - بياو ، لين : المرجع السابق ص ٦٨ .

٢ - مرقص : الياس : المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن ، ص ١٢٤ .



وانجلز ولينين وماو وجياب وهوشي منه في هذا المجال . ولو كان فعل لما سقط في هذا الخلط العجيب . انه يشطح ويسرح ، يتحدث عن فرنسا ويوغسلافيا والاتحاد السوفياتي وأوروبا (١) ، خلال الحرب العالمية الثانية ، ولكنه لا يتحدث عن الصين وكوريا وفياتنام . لماذا ؟ مع ان وضع الصين وكوريا وفياتنام أقرب الى وضعنا الحاضر من وضع يوغسلافيا وأوروبا والحرب العالمية الثانية ؟ لان الياس يريد نتيجة محددة ومثل أوروبا والحرب العالمية الثانية يساعد على الوصول بمنطق صوري الى النتيجة التي يريد : الحرب النظامية لا الحرب الشعبية . وهو لذلك يجرجرنا عبر فصل كامل ، يعنونه «حرب التحرير الشعبية : الاسطورة بدلا من الواقع» ، ويحتل الصفحات (٢٩ - ٥٧) ولكن دون ان يحدد لنا مضمون حرب التحرير الشعبية تحديدا علميا ، يتحدث عن كثير من الامور ، ينط ، يستطرد ، يتذكر ، يردد ، ثم يصل الى القسم -٢- من الفصل . يبدأ هذا القسم بالكلمات : حرب ، التحرير ، الشعبية . ولكنه لا يحدد معنى الحرب تحديدا ماركسيا ولا معنى التحرير ، وعندما يصل الى كلمة الشعبية يقول : «ولكن كل هذه الاوصاف ليست سوى «أقارب فقراء» للجوهر : (الشعبية) فلننظر الى هذا الجوهر . يقال : الحرب النظامية فشلت ، الحرب النظامية ستفشل ، اذن : حرب التحرير الشعبية !. هذا المنطق يصرح بالجوهر المضمور . ان «حرب التحرير الشعبية» هي نقيض الحرب النظامية ، الحرب الكلاسيكية ، حرب الدول والجيوش . هذا هو الاساس الجوهري» (٢) . ويستطرد الياس ويستطرد ويستشهد بالباهي محمد ، ويقدم ما يقوله صادق جلال العظم ، ولكنه يقدم لنا تحديدا لما

١ - مرقص ، الياس ؛ المرجع السابق ، ص ٤١-٤٧ .  
٢ - مرقص ، الياس ؛ المرجع السابق ، ص ٣٦-٣٧ .

يفهمه من حرب التحرير الشعبية ، دون ان ينسى تقديم اقتراح للمقاومة الفلسطينية بان : «تقيم لنظرية (؟) حرب التحرير الشعبية الاحتفال الهيب الذي يليق بها : احتفال الدفن» (١) .

ولكن الياس يؤكد خلال هذا الفصل ، وغيره :

أ - ان الذي حقق النصر في الحرب العالمية هو الجيوش «النظامية جدا» «ومعها المقاومة وقوات الانصار (الساعية مع نموها الفعلي نحو مزيد من النظامية ) » (٢) .

ب - ان حرب التحرير الشعبية لن تكون الا حيث تتوفر اكثرية من السكان ففي «فلسطين اليهودية السكان» ، «مستحيلة ٢٠٠ بالمئة» وهي لن تكون في سيناء «لعدم وجود ارياف او مدن» وكذلك في الجولان وجنوب لبنان لان البشر باتوا قليلين (٣) .

ج - ان حرب التحرير الشعبية «ضد الاحتلال الاسرائيلي في وادي النيل ، في جبال كردستان وكسروان وكور دوفان واوراس وحضرموت» مستحيلة لان «هذه المناطق ليست تحت الاحتلال الاسرائيلي» (٤) .

ويوضح هذا التلخيص عيوب افكار الياس حول حرب التحرير الشعبية . فلقد رفض ان يعرف الجملة «حرب التحرير الشعبية» مجتمعة وحاول ان «يمرها» كلمة كلمة ، ليتخلص من التعريف العلمي والتحديد العلمي . وعندما تحدث عن الحرب أهمل التعريف العلمي للحرب وتقسيم الحروب الى حروب عادلة وحروب ظالمة ، حروب تقوم بها الشعوب وحروب تقوم بها الطبقات

١ - مرفص ، الياس : المرجع السابق ، ص ٥٧ .

٢ - مرفص ، الياس : المرجع السابق ص ٤ .

٣ - مرفص ، الياس : المرجع السابق ، ص ٤٠ ، ٤٧ .

٤ - مرفص ، الياس : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

الحاكمة ، حروب تنظيمها الاحزاب الثورية وتقودها ، وحروب تنظيمها الطبقات الرجعية وتقودها . لان مثل هذا التحديد هو الذي يقودنا الى النتيجة الحاسمة .

ثم ان الياس افاض في الحديث عن الحرب العالمية الثانية ودور الجيوش والمقاومة فيها ، مع ان هذه الحرب كانت بين الامم المتقدمة ، اساسا ، التي تملك الاسلحة والجيوش النظامية ، ولم تكن بين الامبريالية العالمية والشعوب المتخلفة ، كما هي الحرب الفياتنامية اليوم ، وكما ستكون الحرب المقبلة بين الامة العربية والصهيونية والامبريالية . وطبعي لهذا كله ان يقرر ان الجيوش «النظامية جدا» هي التي حققت التحرير ، ولكنه تجنب الحديث عن الصين وفياتنام لكي لا يبحث موضوع الجيوش التي حققت التحرير فيهما ، ولكي لا يذكر اسمها : الجيش الشعبي الصيني والجيش الشعبي الفياتنامي والجيش الشعبي الكوري . ولكي لا يتحدث عن كيفية نشوء هذه الجيوش ، وكيف حققت التحرير، وهل كانت «نظامية جدا» ام لم تكن .

والياس فوق هذا يفهم موضوع حرب التحرير الشعبية والجيش الشعبي فهما «أعور» . انه لا يفرق بين حرب العصابات، حرب القوار ، وحرب التحرير الشعبية ، بين قوات العصابات وقوات الجيش الشعبي . وهو يرى ان حرب التحرير الشعبية لا تحقق التحرير ، لان التحرير يحتاج الى جيش «نظامي جدا» ، وحرب التحرير الشعبية لا تحقق التحرير لانها ليست حربا نظامية . ولكن العصابات ، يا استاذ الياس ، هي نويات الجيش الشعبي ، والجيش الشعبي ليس جيشا نظاميا تقليديا ، انه جيش في احسن حالاته شبه نظامي ، وهو كما اثبتت الوقائع : الاتحاد السوفياتي في اكتوبر ، الصين ، فياتنام (مع ما هنالك من فروقات) ، قادر على تحقيق التحرير .

وليس من الضروري ان تتوافر الاكثريه السكانية في كل مكان من الوطن ، او ان يتعرض الوطن كله للاحتلال حتى تمارس

حرب التحرير الشعبية . لان حرب التحرير الشعبية هي حرب الجماهير كلها في الوطن كله ضد العدو : الذي يحتل الوطن كله او جزءا منه . واذا كانت فياتنام الشمالية غير محتلة ماديا ، فليس معنى ذلك انها لا تخوض حرب تحرير شعبية ضد الاحتلال في الجنوب : وضد الطيران والفارات على الشمال ( ١ ) .  
وهنا لا بد لنا من ان نحدد مضمون الحرب الشعبية وطبيعتها :

انها :

اولا : حرب الجماهير كلها في بلد متخلف . ضد عدوان امبريالي . وهنا يكون الانسان والجماهير والقيادة (الحزب الطليعي) في جبهة وجيش العدو والتكنولوجيا المتفوقة والامكانيات المادية الضخمة في جبهة اخرى .

ثانيا : حرب عادلة . ضد حرب ظالمة . وطابعها العادل هذا يصبح اساس التعبئة السياسية في الداخل والخارج . فسي الداخل توحد الجماهير على هذا الاساس . وفي الخارج تشق قوى الخصم على الاساس نفسه .

ثالثا : حرب طويلة المدى . ليست حربا خاطفة . ولا حربا «نظامية» ، ضد حرب عدوان يحاول العدو الامبريالي ان يجعلها سريعة وخاطفة . وهي حرب طويلة المدى ، لان البلد المتخلف (حتى لو نال مساعدات عسكرية حديثة) لا يستطيع ان يعبئ جماهيره ، ويكتسب الخبرة العسكرية . ويكون جيشه القادر على هزيمة العدو الا خلال سنوات الكفاح الطويل .

رابعا : حرب يلعب فيها الخط السياسي الصحيح والخط

---

١ - هناك المواطنون مسلحون ، وهم يساهمون في مقاومة الطائرات بيناتهم وبصد غارات الكوماندوز وابعثال الطيارين الذين تسقط طائراتهم ، وهم على استعداد لصد اي هجوم من العدو .

المسكري الصحيح الدور الاول ، وليس عدد القوات وحجم  
الاسلحة ونوعها .

خامسا : حرب تحتاج الى قيادة واعية وصلبة وثورية منبثقة  
من الجماهير ومؤمنة بها ، وممثلة لارادتها ومصالحها ، قادرة على  
التعبئة والتنظيم والقيادة ، شجاعة ومصممة ، وفي هذا المجال  
لا تنفع القيادات المعادية للجماهير ، المؤمنة بالحرب «النظامية»  
فقط ، العاجزة عن خلق قوات نظامية قادرة على العمل وعن  
قيادتها في القتال .

سادسا : حرب تتطور من حرب العصابات والتخريب الى  
مراحل اكثر تقدما حتى تصل الى التحرير ، ولكنها تحافظ على  
مبادئ حرب العصابات ، على استراتيجيتها وتكتيكها . ويظل  
شعارها : المبادرة دائما ، النضال دائما ، التعبئة الشعبية دائما .  
ويظل قتالها : على الجبهة وخلف خطوط العدو : بالوحدات  
الصغيرة (العصابات) والوحدات الكبيرة (الاولية والفرق) . وتظل  
على الرغم من ذلك مستعدة للتكيف مع ظروف المعركة ، فتتفرق  
اذا هاجمتها قوات كبيرة متفوقة ، وتحتشد لتقوم بهجوم كبير .  
ولكنها على الرغم من ذلك لا تنتظر ان تتفوق على عدوها بالمدافع  
والطيران والدبابات .

فاذا ما بلغ اي شعب مرحلة التحرير : الاتحاد السوفياتي ،  
الصين ، فياتنام الشمالية ، كوريا الشمالية ، بنى قوات نظامية،  
ولكنها شعبية تؤمن بالجماهير وتثق بها ، وتعتبر ان انتصارها  
يكون بالحرب الشعبية الشاملة . وهي لهذا تدرب الشعب كله  
وتعدّه كله للقتال حتى في المناطق التي يسيطر عليها الجيش  
**النظامي** ، وتنسق تنسيقا حقيقيا بين القتال في المناطق التي  
يسيطر عليها الجيش النظامي ومناطق العصابات ، وهي تقاتل  
دون ان تنتظر التفوق على عدوها بالطائرات والدبابات والاسلحة :  
والحرب الفياتنامية الامريكية خير دليل .  
والياس مرقص ، اخيرا ، يتحدث عن الحرب «النظامية جدا»

دون ان يذكر شيئا عن طبيعة القيادة ، عن طبيعة تكوين الجيش النظامي المحارب . وتجاهل هذه القضية يبدو مقصودا ، لان بحثه يفضح مقاصد الياس . فالجيش الاردني جيش نظامي وهو يملك اسلحة حديثة ، ولكنه بطبيعة تكوينه وتكوين قيادته لا يستطيع ان يدخل حربا معادية للصهيونية والامبريالية ، ولا يصمد فيها اذا خاضها . ولقد اثبتت وقائع واحداث تاريخ العالم الثالث في السنوات العشر الماضية ان «الجيش الوطني النظامية» ليست عاجزة فقط عن خوض معارك ضد الامبريالية ، بل عاجزة عن حماية انظمة الحكم الوطنية فيها . وكانت تستخدم ادوات للثورة المضادة (اندونيسيا ، غانا ، مالي) بينما اثبتت وقائع واحداث الخمسين سنة الماضية ان الجيوش الشعبية وحدها ، في العالم غير الامبريالي ، هي التي كانت قادرة على خوض معارك كبرى والانتصار فيها : الجيش الشعبي السوفياتي (١٩١٧ - ١٩٢٢) و(١٩٤١ - ١٩٤٥) ، الجيش الشعبي الصيني (١٩٢٧ - ١٩٤٩) والجيش الشعبي الفياتنامي (١٩٣٩ - ١٩٤٥) و(١٩٥٤ - ١٩٦٠) و(١٩٧١ - ١٩٦٠) .

ويتجاهل الياس مرقص كل هذه الحقائق ليدافع عن «الحرب النظامية جدا» وليتبنى تبني طوباويا عشوائيا مهووسا نموذجيا مخالفا لخط الحرب الشعبية : خط شعراوي جمعة وسامي شرف ومحمد فوزي .

وسوف نقدم لالياس مرقص مقارنة بسيطة :  
خاض الشعب الفياتنامي حربا شعبية من سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٥٤ ضد الجيوش الفرنسية والجيوش العميلة . ولقد انتصر الجيش الشعبي الفياتنامي انتصارا حاسما على الجيش الفرنسي والجيش العميل والمرترقة القادمين من كل المستعمرات . وخاض الشعب العربي في مصر معركة ضد اسرائيل وبريطانيا وفرنسا سنة ١٩٥٦ فهزم فيها خلال ايام ، مع ان القوى الاسرائيلية - الفرنسية - البريطانية التي استخدمت لا تساوي

الاجزاء ضيلا من القوات الفرنسية التي كانت تقاتل في فياتنام .  
والسبب بالطبع ان مصر خاضت حربا «نظامية» ، بقيادة «نظامية  
جدا» ودون اعداد للجماهير الشعبية . ومع هذا فقد كانت هناك  
مبادرات جماهيرية في منطقة القتال ازعجت المحتلين .

وخاض الشعب الفياتنامي حربا ضد الامبريالية الامريكية  
وعملائها من سنة ١٩٦٠ حتى الآن ، وهو يحقق كل يوم انتصارات ،  
وقد اصبحت هزيمة الامبرياليين واضحة ، عدد القوات التي  
تقاتل بقيادة الامبريالية الامريكية لا يقل عن المليونين وهي قوات  
«نظامية جدا» تملك من الاسلحة الحديثة ما لا يملكه الشعب  
الفياتنامي ، وهي تستخدم هناك من الاساطيل البحرية والجوية  
والدبابات ما لا تملك دولة الاحتلال الصهيوني الاجزاء ضيلا منه ،  
لا يستحق الذكر ، ومع ذلك فان فياتنام تنتصر ، ونحن ننكر .  
عدد سكان فياتنام بشمالها وجنوبها مثل عدد سكان مصر ،  
وما لدى مصر من الاسلحة الحديثة يفوق ما لدى فياتنام او مثله  
على الاقل . فما سبب الانتصارات هناك والهزائم هنا ؟ لقد  
استقلت فياتنام سنة ١٩٥٤ ، وقضت ثورة مصر على حكم  
فاروق سنة ١٩٥٢ ، ومع هذا فقد بدأت فياتنام الحرب ضد  
الولايات المتحدة وعملائها سنة (١٩٥٨ - ١٩٦٠) ، وهو جمنا نحن  
سنة ١٩٦٧ فهزمتنا هزيمة ساحقة بسرعة فائقة . ماذا يقول الياس  
مرقص في هذا كله ؟ ولماذا ما زال يدافع عن خط المشر وشمس  
بدران وشمراوي جمعة !؟

## ٢ - الدعوة للسلام تحت شعار استعادة السلام

والياس مرقص بعد هذا كله يدافع دفاع المستميت عن  
مشروع روجرز وعن تكتيك مصر في هذا المجال ، متحدنا عن

«المنظور التاريخي للصراع» (١) . ويرى الياس «ان موافقة مصر على قرار مجلس الامن - وعلى مقترحات الاميركي روجرز الخ - تكتيك ، ولكنه تكتيك بالغ الجد» وهو يرى ان «من لا يطرق الباب الضيق ، لا يطرق اي باب ، ومن طرق الباب الضيق ، هو الذي طرق الباب العريض» . وهو يرى فوق ذلك «ان السلام بين العرب واسرائيل مستحيل» و«قضية فلسطين لا يمكن ان تصفى» (٢) .

ونحن هنا نجد الياس مرقص يبحث هذه القضية بمعزل عن ظروفها التاريخية والسياسية الواقعية . فهذا «التكتيك الشجاع» «البالغ الجد» ما هي استراتيجيته؟ هل هي استراتيجية قتال ، تعبئة جماهيرية ، خلق قوات مقاتلة ثورية ، تسليم القيادات لابناء الشعب الثوريين الشجعان ، اعداد البلاد لحرب طاحنة ولسلام اكيد؟ اذا كان الامر كذلك فان هذا التكتيك «بالغ الجد» ومفيد جدا ، واغبياء هم الذين ينتقدونه ، واذا كان الامر على النقيض من ذلك : اهمال التعبئة الجماهيرية وعدم الثقة بالجماهير ، اهمال تسييس القوات العسكرية، الايمان بالتكنولوجيا بدلا من الايمان بالجماهير ، اعتبار الرتب والمظاهر والبيروقراطية المزايا الاساسية للقيادة العسكرية ، فان هذا التكتيك ، هذا الباب الضيق سيقود الى هزائم جديدة ، حتى لو اكتسب بعض التعاطف العالمي . ان فياتنام طرقت ابواب اضيقت منه ، ولكن من خلال مهاجمة الباب الواسع : باب الحرب الشعبية بأيد حديدية لا تكل . فهل يفهم الياس مرقص هذا «الديالكتيك الثوري» في الحرب والسياسة؟

ولقد كان ميزان الارباح والخسائر بالنسبة لمشروع روجرز

١ - مرقص ، الياس : المرجع السابق ، ص ٦١-٦١ .

٢ - مرقص ، الياس ، ص ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٢ .



كما يلي :

تأييد عالمي واسع لموقف مصر ولكنه تأييد لفظي غير مجدي في ميدان الصراعات الدولية دون القوى السياسية والعسكرية القادرة على دفعه الى الامام والاستفادة منه .

بالمقابل :

١ - زاد التعنت الأمريكي ، بدلا من ان يزيد الضغط الأمريكي على اسرائيل ، وزادت المساعدات المالية والعسكرية من الولايات المتحدة لاسرائيل ، وزاد التأييد الأمريكي السياسي لدولة الاحتلال .  
٢ - قام النظام في الاردن بتصفية حركة المقاومة ، الحليف الطبيعي للجماهير المصرية وللجيش المصري في القتال ضد العدو الصهيوني .

٣ - يستعد الاردن لعقد صلح منفرد، تكون مصر من ضحاياه .

٤ - خسرت مصر تأييد قطاعات من الوطنيين العرب ،

وكسبت شك قطاعات أخرى ، وكسبت تأييد الاوساط العميلة :

حزب الكتائب وشمعون في لبنان (١) . واذا كان الياس مرقص

يرى ان مصر قد كسبت وحدتها بقرار روجرز فانه واهم ، ويبدو

انه لا يعرف من مصر الا حنين هيكل وشعراوي جمعة . فمصر

لا تكسب وحدتها الا بالخط السياسي والعسكري الصحيح

ومشروع روجرز ليس هذا الخط ، وطريق روجرز ليست هذه

الطريق .

ولسنا بحاجة لمقارنة الارباح بالخسائر ، لان ميزان الارباح

والخسائر واضح .

فهل كانت أحداث ايلول «نتيجة التشنجات التي واجهت بها

المقاومة قبول مصر المبادرة الاميركية المتمثلة بمشروع روجرز؟» (١) .

---

١ - مرقص ، الياس : المرجع السابق ، هامش الصفحة ٩١ .

ان الياس يؤكد هذه الحقيقة بكلمات غيره ، وهو يستشهد في هذا المجال بالانتهازي الكبير ابراهيم بكر ، صاحب نظريات التراجع والتسليم الفسرة ماركسيا ، والذي سلم عمان والمدن للسلطة الاردنية ، واخذ يدعو لحرب عصابات في الارض المحتلة ، وسألة النظام ، مع انه كان يأخذ على المقاومة قبل ايلول فلسطينيتها ، ولا يهتم الياس بمن يستشهد ، المهم ان ياتي بأمثلة تؤيد وجهة نظره (١)

والحقيقة غير ما يؤكد الياس في الاساس ، ان الموافقة على مشروع روجرز اعطت النظام الاردني الضوء الاخضر فقط ، لان خط روجرز التاكسيقي نقيض لخط القتال النظامي والشعبي ، ولأن الذين وافقوا عليه كانوا بحاجة لاسكات كل البنادق ، وعملوا كل ما وسعهم لاسكاتها (اتصالات بمنظمات فدائية وتحريضها على منظمات اخرى وبدء صدامات مسلحة ، تحريض اليمين على اليسار الثوري لا اليسار الطفولي الخ) ، وسيكشف التاريخ قريبا كل المعلومات التي لا يعرفها الياس مرقص والتسي لم يحاول معرفتها . وعندما ذهب احمد زعرور رئيس منظمة فلسطين العربية لمقابلة عبد الناصر ، بعد الموافقة على مشروع روجرز ، وسأله عما اذا كانت الموافقة استراتيجية ام تكتيكية قال له عبد الناصر : استراتيجية . وعاد الرجل من القاهرة واجتمع السى

---

١ - نود ان ندل الياس مرقص على انتهازي كبير آخر ، يساري جدا ، لا يحب الجبل الثورية ، ولكنه مؤمن بالحل السلمي ومشروع روجرز ، وداعية لانتقاد التشجيع الثوري وقبول الحلول الواقعية ، وهو ضد وقف اطلاق النار في عمان يوم ٢٨-٩-٧٠ ومع يوم ٢٩-٩-٧٢ ومع لينين وماركس وانجلز وماو نظريا ومع الاستسلام والتصفية عمليا. انه «المناضل» سعيد الحماني عضو حركة فتح وعضو المجلس الوطني الفلسطيني - اقرأ روض اليوسف ، الممدد ٢٢٤٨ ، تاريخ ١٢-٦-١٩٧١ «فرسان الجمل الثورية» .

اللجنة المركزية وابلغها هذا الكلام ، ووقف صدام منظمته مع المنظمات الاخرى .

ولم يكن الموضوع موضوع تشنج المنظمات الفدائية ، بل كان موضوع خط روجرز : استمرار القتال او عدم استمراره ، قبول خط الحرب الشعبية او رفضه . وكان هنالك من يريد وقف نمو الحركة الجماهيرية الشعبية حول حركة المقاومة وتحويل المقاومة الى رجال كوماندوس تحت امرة القيادات العربية . وما جرى في ايلول كان تنفيذا لهذا الخط .

اما المقاومة وفتح بالذات ، الاكبر تنظيما والاكثر قوة ، فقد التزمت قيادتها موقفا مهادنا للجمهورية العربية المتحدة . وكان ابو عمار وابو اياد وابو لطف مصريين غير مساومين على ضرورة اللقاء ، وكانت العناصر التقدمية في حركة فتح مع فضح خط روجرز - حسنين هيكل ، ومع العمل على استمرار التفاهم مع الجمهورية العربية المتحدة . ولكن استمرار التفاهم كان غير ممكن ، لان الخط الآخر ، خط روجرز، وخط المؤامرة الامريكية - الاردنية لا يتيح المجال لتفاهم .

ان خطأ المقاومة لا يكمن في انها تشنجت ، ان خطأها الحقيقي يكمن في انها لم تستعد جيدا للقتال ، ولم تكن قادرة على احباط المؤامرة الرجعية ، ولقد تبنت المقاومة خط ابراهيم بكر بعد ايلول ، ولكنها صفت في الاردن على الرغم من عدم التشنج ضد القاهرة والملكة العربية السعودية ايضا. فما رأي الياس مرقص؟

#### ٤ - مواقع النقد ومواقع الهجوم

لقد كنت خلال السنوات الخمس الماضية حريصا على نقد يسار المقاومة ويمينا ، داخل حركة فتح وخارجها ، وحرصت خلال السنوات الماضية على محاولة ترسيخ خط سياسي وتنظيمي وعسكري سليم . ولكنني فعلت ذلك من اجل تطوير المقاومة ،

وتحويلها الى حركة شعبية عربية ثورية ، لا من اجل تصفيتها .  
وكنت ارى اخطاء المقاومة واطياء غيرها ، عوامل ضعفها وعوامل  
ضعف غيرها . ولهذا كنت اخضع كل الاقائيم للنقد ، من اجل  
الثورة ومصالحتها ، ولكن الياس يمسح اقائيم ليمجد اقائيم ، من  
خلال هجوم شامل على اخطاء اليسار واليمين ، ليكرس حلا  
اصلاحيا طوباويا تصفويا .

وهكذا تتحول الماركسية - اللينينية العربية الى خط تصفوي  
مضاد للماركسية اللينينية ولبادئها واهدافها ، ويتحول النقد  
الشامل الى عداء شامل ، ومحاولة التصحيح الى تخريب اكيد .  
وانا في هذا كله لم اتحدث عن المقاومة او القاهرة ، فكل  
نخهما حديثها ، ولكل منهما نقدها ، لا من اجل الفاء دور القاهرة  
وتاكيد دور المقاومة ، ولا العكس ، انما من اجل ثورة عريضة  
وطنية ديمقراطية ، تعمل لتحرير فلسطين ولتحقيق الوحدة  
واسقاط مخلفات القرون الوسطى .

واذا كان رفاقنا يتساقطون صرعى الآن في الاردن ، وكانت  
الدوائر المتآمرة تعد مذابح جديدة ، فاننا نقسم بدم هؤلاء الابطال  
اننا سنقاتل التصفية : السياسية والعسكرية والايديولوجية قتالا  
مستميتا .

## نقد المقاومة عربياً

ازدادت الهجمات على المقاومة مع  
نهاية عام ١٩٧١ . وأخذ «منظرو»  
التصفية يخرجون «الافاعي» من  
أكمامهم . وكان أن كتبت هذه  
الدراسة في ١٢-١٢-٧١ ، و١٥-١٢-  
٧١ وتشرت في شؤون فلسطينية  
بتوقيع ن.ع.

تناول الصحف والإقلام العربية موضوع المقاومة ، منذ  
أيلول ، تناول الذي يتفرج على كارثة ، إلا فيما ندر . ولقد زاد  
هذا الاتجاه في الصحافة العربية خلال الشهرين الأخيرين . ويرى  
الذي يتابع ما تكتبه هذه الصحف حقيقتين بارزتين :  
أولاهما : أن هنالك نقصاً في المعلومات عن المقاومة ، وأن ما  
ينشر ليس قليلاً فحسب ، وضئيلاً فحسب ، بل هو مزور حيناً  
ومشوّه في حين آخر ، ومختلط في كثير من الأحيان .  
وإذا كان هذا حسناً من حيث أنه يدل على أن هناك نوعاً من  
السرية ، يحفظ الأخبار والمعلومات الأساسية بالنسبة للأعداء ،

فانه يخلق مشكلة للاصدقاء الذين يحكمون على الامور من خلال معلومات ناقصة او مشوهة او مشوشة . وطبعي ان يقود هذا الى الوقوع في اخطاء ، والى ايقاع الاذى بالمقاومة بدلا من افادتها . ثانيهما : ان هنالك قصورا في التحليل ، تحليل الظاهرة نفسها ، وعجزا عن ربط الظواهر بعضها ببعض واستخلاص النتائج الصحيحة من المقدمات الصحيحة ، ويعود ذلك في قناعتنا الى ثلاثة عوامل اساسية :

- ١ - نقص المعلومات واختلاطها (البند رقم ١ اعلاه) .
- ٢ - اعتماد اساليب الدراسة العشوائية والانتقائية .
- ٣ - اتخاذ موقف مسبق ، ذاتي وعدائي من المقاومة ، يعبر عن التشاؤم والياس وعن الطفولية والعجز وتقديس الشعارات والجمال الثورية .

ونتيجة لما ذكرناه اعلاه ، فاننا نجد كثيرا من الاحكام الجائرة او العشوائية ، ونجد كثيرا من الذين ارادوا خدمة المقاومة قد تحولوا الى «قتلة» كالدب الذي اراد ان يطير الذبابة عن وجه صاحبه فقتله .

وبما انه ليس ممكنا مناقشة كل الآراء والافكار المطروحة ، فاننا سنقدم هنا نماذج ذات دلالات . ومن النماذج التي سنقدمها مقالة سمير فرنجية المعنونة : «المقاومة الفلسطينية فشلت في توير المخيمات وفي استقطاب الجماهير العربية معها ضد الانظمة» (النهار ٢٦-١-٧١) . وتقوم الفكرة الاساسية لهذه المقالة على «ان اللاجئيين ، بصفتهم فئة مجتمعية ، كانوا القوة الاساسية والقائدة للثورة الفلسطينية» ، وهذه الفئة «خارج الزمن» ، وبما ان «المفكرين الفلسطينيين المتطرفين شبهوا اللاجئيين ، خطأ ، بالبروليتاريا ، فقد دفعوهم الى صف الطبقة النضالية ، في حين ان هؤلاء كانوا عاجزين عن تحمل مثل هذه المسؤوليات» . «وعلى هذا الاساس فان اللاجئيين كانوا عاجزين عن ادراك ضرورة تغيير العلاقات القائمة وعاجزين عن فهم اولوية السياسة على الجندية» .

ولهذا فهتم الحرب الشعبية بانها حرب انصار على الطريقة  
الجزائرية ، ولهذا الاسباب «عجزت المقاومة عن تعبئة فلاحى  
الضفة الغربية» وجنوب لبنان .

وكان سمير فرنجية قد تعرض لموضوع المقاومة فى مقال سابق  
بعنوان : « موقف سورية الجديد تجاه المقاومة الفلسطينية »  
(النهار ١٥ - ١٠ - ٧١) . ولكن المقالة الثانية ليست بأهمية الاولى  
لأنها تقوم على معلومات مشوهة ، استهدفت النيل من ياسر  
عرفات شخصا ، كما استهدفت الدفاع عن مواقع ضد مواقع  
أخرى بالخلط بين اليمين واليسار .

وتنبع أهمية مقالة سمير الاولى من أنه ، بتجاهله او جهله  
لابعاد الصراع العربى - الصهيونى ، وبمجزه عن وضع قضية  
الشعب الفلسطينى وقضية اللاجئين ضمن اطار الصراع العربى  
الصهيونى والصراع الوطنى ضد الامبريالية العالمية ، انحدر الى  
اقتصادية بدائية وساذجة ومبتذلة . ومثل هذه الاقتصادية لا  
ترى الا العلاقات الاقتصادية بمعناها البسيط ، العمل فى  
المصنع ، العمل فى المزرعة ، اما الاستغلال على صعيد امبريالى ،  
سحق الامم والشعوب ، سلب الشعوب أرضها واموالها وأرزاقها  
وتحويل اقسام منها الى جماهير لا تملك الا قوة سواعدها ، فهو  
« خارج الزمن » ، وخارج علاقات الانتاج . والجماهير المسحوقة  
على هذا لا تستطيع ان تقاتل ، ولا ان تقوم بدور البروليتاريا .

ان هذا لا يعنى ان المسيرة السابقة قد فشلت فحسب ، بل  
يعنى ان المسيرة المقبلة فاشلة حتما ، ما دام ان الذين يخوضونها  
ويقودونها هم اللاجئون ، الناس الذى حكم عليهم ان يكونوا  
« خارج الزمن » حسب ما يرى سمير فرنجيه .

ويحاول رياض فرحات فى مقالته : « المقاومة الفلسطينية  
بين تيارات الياس وتيارات التصحيح » (المجاهد ٦ - ١١ - ٧١)  
ان يحدد المشاكل الاساسية للثورة . وهو يرى ان أهم هذه  
المشاكل :

١ - ان الثورة فشلت خلال السنوات الاربع الماضية « في تحقيق وحدة صفوفها » ذلك ان الثورة لم تستطع « ان تسلك طريق الوحدة الاندماجية للثورة التحريرية ، اي طريق الجبهة الواحدة والبرنامج الواحد والقيادة الواحدة ، وتدريب كل الفصائل في تنظيم واحد. ولا استطاعت بالمقابل ان تسلك الطريق الفياتامي ، فتشكل من الفصائل المتعددة تنظيما جبهويا متحدا » .

٢ - ان العمل الفدائي عجز عن « استغلال التناقضات العربية، لمصلحة الثورة » بينما نجحت الانظمة العربية « في استغلال الخلافات الفلسطينية وتوظيفها ضد الثورة » .

٣ - ان « اكبر متاعب الثورة في الايام المقبلة ستنبع من ازدياد النشاط الدبلوماسي والسياسي لحركة المقاومة على حساب النشاط العسكري والثوري » .

٤ - « استمرار وقوف المقاومة ، على مفترق هذه المتاعب حائرة مترددة ، لا هي تقرر الخروج من هذا الطوق » ، « ولا هي قادرة على استمرار المراوحة في المكان الذي وجدت نفسها فيه او ارادها الآخرون ان تقف على ارضيته » .

٥ - محاولة الهرب من المتاعب . وتزداد خطورة عملية الهروب هذه « عندما تتخذ لها خطوط سير معاكسة ومناقضة للمجرى الاساسي للثورة . وهذا ما بدأت بعض التيارات في الثورة الفلسطينية تتجه نحوه باسم الواقعية احيانا وباسم اليأس احيانا اخرى » .

ويرى رياض فرحات ان النقد الذي وجه الى المقاومة « يحمل كثيرا من الظلم ، لانه يحجب كل الآفاق التي ما زالت مفتوحة امام حركة المقاومة ... »

وهو يرى ان : « المقاومة الفلسطينية هي الوحيدة المؤهلة في المشرق العربي ، على اعادة بناء وتوجيه الحركة الشعبية العربية ... » .



وإذا كان العجز عن حل مشكلة الوحدة الوطنية والوقوع في  
برائن التناقضات العربية والتردد والهروب من مشاكل المقاومة ،  
من مشاكل المقاومة الأساسية فإنها ليست المشاكل الوحيدة ، ولا  
يجوز أن تبحث بمعزل عن المشكلة الأساسية ، مشكلة الخط  
السياسي والعسكري ، مشكلة النظرية والممارسة .

وليس صحيحا ، بالإضافة الى ما ذكرنا ، ان أكبر متاعب  
الثورة ستنبع من ازدياد النشاط السياسي والدبلوماسي على  
النشاط العسكري . لان هناك تقصيرا في الاثنين من جهة ، ولان  
ازدياد أي منهما لا يضر بالآخر . ويجب الا يضر به . ولان ازدياد  
النشاط السياسي والدبلوماسي ضروري وهام في هذه المرحلة  
والمرحلة المقبلة ، بسبب شراسة الهجمة السياسية المضادة ، ولان الحملة  
السياسية والدبلوماسية الواسعة النطاق ضرورية للمساهمة في  
الرد على حملات القمع والتصفية الدموية . ان زيادة العمل  
السياسي والدبلوماسي ضرورية في كل الحالات شريطة الا تصبح  
بديلا للعمل العسكري .

وعلى الرغم من هذه الملاحظات فان مقالة الاخ رياض فرحات  
تبقى من أكثر المقالات جدية وابتعادا عن الخطأ والانحراف .

ولعل أخطر ما نشر في هذا المجال رسالتا جلال السيد الى  
ياسر عرفات والى الملك حسين ( النهار ٢٢ - ١٠ ، ٢٣ - ١٠  
٧١ ) . وتعتبر هاتان الرسالتان عن موقف من المقاومة جديسر  
بالكشف . لانه موقف خطر ، يحظى بتأييد فئات معينة داخل  
حركة المقاومة . فماذا يقول جلال السيد ؟  
انه يقول :

اولا : ... « ان كل حركة جماعية او جماهيرية ذات اهداف  
ومثل عليا لا بد وان يندس فيها بعض من لا يؤمن بمراميها » .  
فاذا توفر الانضباط والحزم والوعي « فان العناصر الخيرة ستحفظ  
للمنظمة سيرتها المثلى » والا « فان عناصر الشر هي التي سوف  
تغلب وتسيطر فتحرف الحركة عن اهدافها وتسيء الى سمعتها » .

ويضيف ان قيادة الفدائيين العامة لم تكن مسيطرة ، ومع ان القيادة لم تكن مطلعة او موافقة على « التصرفات الشاذة والامعال المستهجنة » فانها كثيرا ما كانت « تتستر عليها وتخفيها جهد المستطاع تجنبا لطعن العمل الفدائي » .

ثانيا : ان تعدد المنظمات الفدائية سيجعل مصيرها مصير الجيوش العربية، « وستمنى بالهزائم ما دامت مفككة غير متداغمة، ولا موحدة القيادة ، وما دام هناك تضارب في الاجتهادات والنظريات والخطط » .

ثالثا : ان العمل الفدائي يكاد ان يصبح جيشا نظاميا عنيا « مع ان المفروض ان السرية الكاملة هي الطابع الغالب على العمل الفدائي ، لان العمل العلني اي عمل الجيوش النظامية العربية - قد فشل » .

رابعا : ان تحول العمل الفدائي الى ما يشبه الجيش النظامي « ليس الا استعدادا وتهيئة يجريه بعض الفدائيين عن معرفة وتصميم وتخطيط ليكون نواة الدولة الفلسطينية ... » .

خامسا : ان هدف المنظمات تحرير فلسطين . « ويجب ان يبقى هذا الهدف وحيدا تستغرق فيه المقاومة استغراقا كاملا » ، وانه لاضعاف للهدف ان يشرك معه هدف آخر . وهناك « من بين منظمات التحرير من سلك عقيدة جديدة جعلها هدفا آخر لتحركاته ، ان لم يكن الهدف الاول والاهم » . وهذا المسلك مناقض لشعار منظمة التحرير وللارادة العربية عامنة ، وهو « يضعف الاندفاعين العربي والاسلامي في تأييد قضية فلسطين » . ويلى ذلك هجوم على الماركسية .

سادسا : « ان منظمة التحرير الفلسطينية لم تقف على الحياد في المنازعات التي تقوم بين حكام الاقطار العربية ، خلافا لشعارها ومدعياتها المستمرة ، كذلك لم تقف عند وعودها بالآلا تتدخل في شؤون الاقطار العربية، والا تتحاز الى فئة في الداخل ضد الفئات الاخرى » .

سابعاً : اهتمت المنظمات بالعمل السياسي اكثر من اهتمامها بالعمل الفدائي نفسه .

ويقدم في النهاية الملاحظات التالية :

أ « ... وجوب الاكتفاء في هذه الايام بالفداء وحده والاستفراق فيه . دون اشراك اي امر آخر معه مهما يكن هذا الامر مهما » .

ب « ... الابتعاد عن الفلسفات العقائدية وتجميد كل النزعات الاخرى ، حتى لا تنطلق تلك النزعات على حساب العمل الفدائي » .

ج - « ... التعايش مع حكومة الاردن ، لان الاردن هو المنطلق الرئيسي للعمل الفدائي . وهذا يقتضي تطمين الحكم واشعاره بصدق ان الفداء لا يستهدفه ، ولا يحاول النيل منه والانقلاب عليه » .

د - « ان تقوم محاولة جادة لتوحيد العمل الفدائي ، ووضع ميثاق تبين فيه الخطوط العريضة التي هي الحدود الدنيا من الاتفاق ، وتحقيق هذا الغرض ولو لزم الامر الاستغناء عن بعض الاشخاص والفئات اذا لم تتقبل مثل هذه الاهداف والعبرة في الكيفية لا في الكمية » .

هـ - « فرض النظام والانضباط ومعاقبة الذين يسيئون الى سمعة العمل الفدائي ... » .

و - « التزام الحياء التام بين الحكام العرب والانصراف الكلي الى المهمة العظمى التي نذر الفداء لها نفسه ، وعدم التورط في منازعات داخلية فرعية مهما تكن الاسباب مشيرة لهذه المنازعات » .  
وواضح من الرسالتين ان جلال السيد الذي يتفزل بحسين وبالعائلة الهاشمية ، لا يدعو الى التعايش مع النظام الاردني فحسب ، بل يطالب بأن يتكيف العمل الفدائي مع متطلبات الخطة الأردنية . وتقتضي متطلبات تلك الخطة ما يلي :

١ - أن ينتهي الوجود العلني للثورة الفلسطينية ، لانه مركز

استقطاب من جهة ، وتمبير عن شرعية مكتسبة من جهة اخرى .  
٢ - أن تضر القوة المسلحة والمنظمة للثورة خارج الارض المحتلة ، لان وجودها يعرقل مؤامرات التصفية والاستسلام ، ولان الاشتباك معها ، يخلق للانظمة مشاكل كثيرة وكبيرة ، كما حدث للنظام الاردني .

٣ - ان تتخلص حركة المقاومة من « التسييس » ، لانه يقود الى خلق حركة شعبية جماهيرية ، منظمة وواعية ، تصدى للمؤامرات والمتآمرين .

٤ - ان تصفي حركة المقاومة نفسها من « المتسييسين » الواعين ، لتبقى حركة العناصر المتخلفة او الجامدة والعاجزة عن ظلم حركة التاريخ ومتطلباتها .

٥ - ان تحصر المقاومة هدفها بالعمل داخل الارض المحتلة ، لا لتحقيق التحرير ، بل لتكون عامل ضغط في حل استسلامي ، ولتكون قوة غير فعالة في ميدان السياسة العربية ، لان الدين يكتفون بأعمال مسلحة محدودة داخل الارض المحتلة ، ويتركون انفسهم تحت رحمة هذا النظام او ذلك ، لن يحققوا في النهاية الا اهداف هذا النظام او ذلك .

ومن اجل هذا كله يتحدثون عن الاخطاء ، ويذكرون بعض القضايا الصحيحة ، ويهاجمون العلنية لمصلحة السرية ، والتجيش لمصلحة حرب العصابات . ولكن رب كلمة حق اريد بها باطل . فالسرية لا تكون بالتنازل عن الوجود الشرعي العلني ، وعن المواقع التي تكون قواعد ارتكاز ضروري لتأمين الحماية والتدريب والاستقطاب والعمل داخل الارض المحتلة . ولقد برر الانسحاب من المدن في الاردن ، بأنه تخل عن العلنية لمصلحة السرية . الا ان ما حدث بعد ذلك لم يكن لمصلحة شعبنا . ثم ان وجود قنوات كبيرة ، لا يضر بالثورة ، لا يلغي أهمية العمل السري ولا ضرورته ، ومع هذا فهو يفيد ، ويجب ان يفيد في احباط الحلول الاستسلامية ، وفي تصعيد العمل في الداخل ، وعلى الحدود .

اما ان يكون هذا الجيش نواة الدولة . فهذا يعتمد على خط القيادة لا على طبيعة الجيش . فقد يكون هناك جيش عصابات سري ، وتقبل القيادات بدولة او حل استلامي . ولا تقتضي مقاومة الدولة الفلسطينية والحلول الاستسلامية ان نحل قوائم المنظمة و نتنازل عن مكتسباتنا ، بل تقتضي الدفاع عن هذه المكتسبات وتطويرها وتطوير كل اساليب العمل اللازمة لتحقيق النصر .

وهناك قضية اخرى تستحق الانتباه وهي قضية الاكتفاء بهدف التحرير وحده والابتعاد عن الفلسفات . وتبدو هذه الدعوة حريصة على القضية الاساسية ، وحريصة على سلامة المسيرة وعدم الانجرار الى معارك جانبية . ولكن الحقيقة هي غير ذلك . صحيح ان التحرير هو القضية الاساسية التي يجب ان تناضل من اجلها كل القوى بلا تردد ولا مواربة ، ولكن التحرير قضية سياسية، وهو ككل القضايا السياسية لا يمكن عزله عن الصراعات الايديولوجية في المجتمع ، ولا نستطيع ان نجعله فوقها . والذين يطلبون منا وضعه فوق الفلسفات والايديولوجيات يفعلون ذلك خدمة لوجهة نظر ايديولوجية تنكر على الآخرين حقهم في ان يكون لهم رأيهم المعبر عن مصالحهم . والتحرير قضية تعبئة سياسية وثورية وشعبية . وهذه التعبئة تتناقض كليا مع نظام كالنظام الاردني يكرس سلطة مطلقة لعائلة حاكمة ، ويعتبر ان بقاءها اهم من الوطن نفسه . ولذلك لا بد ان يحسم الامر ، فلا تعبئة شعبية ولا فلسفة ولا عقائد لان الفلسفة الوحيدة التي يجب ان تسود هي « الفلسفة الملكية » : استمرار التخلف والخضوع للامبريالية واستمرار العجز والقصور والتخاذل والاستسلام وتكريس سلطة عائلة ضد الشعب كله .

وهكذا تنكشف ابعاد هذه الدعوة واهدافها ، ويظهر واضحا جليا ماذا يريد امثال جلال السيد من دعواتهم المكشوفة : انهم يريدون تصفية الثورة شعبيا وسياسيا وعسكريا لمصلحة النظام

الأردني والاحتلال الصهيوني والمصالح الإمبريالية في المنطقة .  
وما يقوله الأردن الرسمي لا يزيد عما يقوله جلال السيد ،  
الأمن حيث الصفاقة . فالأردن حريص ، مثل جلال السيد « على  
نقاء العمل الفدائي من الشوائب المعطلة » وعمليات القمع الدموية  
في الأردنية ليست إلا من أجل إزالة الشوائب هذه ! . والأردن  
حريص على « ضرورة انصراف هذا العمل إلى المهمة الوحيدة التي  
من أجلها يجب أن يوجد حتى إذا لم يكن موجوداً » ، وهذه المهمة  
طبعاً هي « التحرير » . ولكن عن أي « تحرير » يتحدث الأردن  
الرسمي ؟ عن تحرير الأردن من إرادة القتال طبعاً . والأردن  
الرسمي يرى أنه من الضروري أن يتم ذلك « بالتنسيق التام مع  
كافة الأطراف العربية التي تؤمن باستمرار معركتها المصرية مع  
العدو الإسرائيلي » (١) .

والأردن الرسمي لا يرى أن ما كان في الأردن يمكن أن يسمى  
مقاومة . « لأن المقاومة ليست موجودة إلا في المناطق المحتلة »  
أما « ما كان موجوداً في الأردن آنذاك » فيمكن « أن يسمى أي  
شيء المقاومة » (٢) .

وهكذا يبرر الأردن الرسمي لنفسه أمرين :  
الأول : عدم الاعتراف بالمقاومة الموجودة ، وهي مقاومة  
موجودة ، قدمت آلاف الشهداء شرق النهر وغربه ، ودخلت  
معارك طاحنة ضد المحتلين الصهيونيين والعملاء الأردنيين ، وضد  
كل المستسلمين والمتآمرين العرب .

- 
- ١ - الرأي ، العدد ١١٣ - الافتتاحية ١١-١٠-١٩٧١ .  
٢ - الرأي ، العدد ١٢٠ - الافتتاحية ١٩-١٠-١٩٧١ .

الثاني : تبرير مذابح الاردن ، ابتداء من ٤ - ١١ - ٦٨ وحتى اليوم ، وتبرير اعمال القمع والاضطهاد التي تمارس ضد شعبنا ومناضلينا .

وطبيعي ان يكون جلال السيد ، وكل الذين يتحدثون عن ضرورة وجود المقاومة في الارض المحتلة فقط ، وعن عدم الحاجة الى وجود قوة سياسية وعسكرية ثورية خارج نطاق الاحتلال ، يعملون ضمن مخطط التصفية . منطق التصفية اذن يقوم على تصفية المقاومة خارج دائرة الاحتلال لتسهيل عملية تصفيته في الداخل . وما حدث في الضفة الغربية وغزة بعد مجازر ايلول خير دليل . ذلك ان الجماهير العربية الراححة تحت وطأة الاحتلال اخذت تشعر بالخيبة والمرارة والاسى ، وبدأت تحس ان الطريق مسدود ، لان المقاومة تضرب وتسحق على الارض العربية . كما ان العدو استغل فرصة المطاردة الماحقة التي قام بها النظام الاردني ضد المقاومة ، فبدأ عملية مطاردة مماثلة في الارض المحتلة ، كما ان العدو استغل الفرصة لبناء تحصينات على الحدود ، ولانشاء طرق تسهل عمليات المطاردة .

وشهدت غزة عمليات وحشية ، لم ينس العدو فيها ان يذكر مقاتلينا هناك بأحداث الاردن الدامية .

ولقد انخفضت ، بعد هذا وذاك ، عمليات قوات الثورة في الداخل وعلى الحدود ، نتيجة عمليات الملاحقة والسحق . وكان ان عادت الحياة الى مستعمرات الحدود والأغوار ، وتلالات مصابيح النيون الكهربائية في مستعمرات عاشت اكثر من عام ونصف تحت الارض .

ولقد « زاد عدد سكان بيسان منذ استتباب الهدوء في المنطقة ، نحو ألف نسمة ، ويبلغ عددهم الآن نحو ١٢ الف نسمة ، وكان عدد سكان بيسان قد انخفض في ذروة التوتر الامني الى ١١ الف نسمة . ومصدر الزيادة في الاساس هو العائلات التي نزحت

عن المدينة أيام التوتر، وتعود إليها حالياً، بمعدل عائلة يومياً» (١).  
والقيت القيود الامنية التي كانت مفروضة على طول طرق  
الشمال ، منذ سنة ونصف ، بسبب « تقلص النشاط التخريبي»  
في المنطقة (٢) .

وبعد عمليات التصفية في الخارج ، وتفرغ العدو الصهيوني  
للمقاومة في الداخل علت اصوات الانهزاميين والاستسلاميين في  
الداخل والخارج ، واخذوا يطرحون شعارات التصفية  
والاستسلام التي تبدأ بالدولة الفلسطينية وتنتهي بالفدرالية مع  
الاردن .

ولعله من الضروري ان نختم هذا العرض بتقديم وجهة النظر  
« العربية القومية » في هذا المجال ، ونحن نسميها «عربية قومية»  
لأنها في الحقيقة كذلك ، بل لان أصحابها يرون انفسهم  
وحدويين من حيث المنطلق والمرمى ، ومن هؤلاء من هم وحدويون  
فحسب، مثل منح الصلح وعصام نعمان ، ومنهم من هم وحدويون  
«ماركسيون» مثل لطف الله سليمان وياسين الحافظ والياس  
مرقص . وسنناقش هنا « الوحدويين الماركسيين » أساساً .  
ويمكن تلخيص اطروحاتهم بما يلي :

اولاً : هناك نظريتان حول علاقة قضية فلسطين بالوحدة ،  
وهاتان النظريتان هما ١ - الوحدة هي الطريق الى فلسطين  
٢ - فلسطين هي طريق الوحدة . وليست النظرية الثانية  
«فلسطين هي طريق الوحدة» . . . «سوى لعبة استعمارية أريد  
بها ويراد بها القضاء على مصر ، وعلى مصر فقط » (٣) .

---

١ - دافار ، ١-٨-١٩٧١ ، نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، السنة  
الاولى العدد ١٠ ، آب ١٩٧١ ، ص ١٧٢ .

٢ - معاريف ، ص ٨٥ ، المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

٣ - لطف الله ، سليمان : حركة الوحدة العربية ومصر والمقاومة ، الثقافة  
العربية (٧١) ، تشرين ثاني، العدد ٦ السنة الخامسة عشرة، ص ٣١-٣٢ .



المقاومة هي التي تبني النظرية الثانية . وهذا ما يسميه ياسين الحافظ المنظور الاقليمي الذي يجعل « منظمات المقاومة تنظر الى قضية الثورة العربية من خلال مشكلة فلسطين ، في حين ان الموقف الصحيح والسليم باعتبار الغزو الصهيوني غزوا موجها ضد الامة العربية كلها ، ان تنظر الى القضية الفلسطينية من خلال مصالح الثورة العربية عموما » . . . (١) . ويضيف منح الصلح « ان تبني الاقليمية الفلسطينية يضع الفلسطينيين على مائدة واحدة مع الانظمة » (٢) .

ثانيا: هناك ايضا المنظور التاريخي للصراع العربي - الصهيوني المقاومة لم تفهم هذا المنظور . « فالافق العام للصراع العربي - الاسرائيلي يتجه الى التفاقم ، ولا يتجه الى الركود » . وبالتالي فان موقف المقاومة من « الحل السلمي » او « الحل الاستسلامي » خطأ . وهذا الخطأ هو الذي جعل المقاومة « مشغولة فقط بمطاردة الحل السلمي حتى اصبح الحل السلمي يطاردها » . القضية في رأي ياسين الحافظ لا تصفى ، « واذا افترضنا انه حدث اتفاق ، او حدث توقيع صك جرى بموجبه الاعتراف باسرائيل . . . فان هذا الصك سوف يمزق ، واذا لم يمزق خلال ايام فخلال اشهر ، فخلال سنين بأسوأ الحالات » (٣) .

ثالثا : هناك ، بالإضافة الى ما سبق ، منظور الكفاح المسلح . « والخطأ في موقف المقاومة ناجم اولا عن الاصرار على وحدانية الكفاح المسلح » وثانيا : « عدم تمييز المسائل ، كفاح مسلح اين؟ وضد من ؟ لا شك ان حزبا يستبعد العمل الثوري المسلح بصورة مسبقة ومطلقة لا يمكن ان يعتبر ثوري بل انتهازيا . ولكن جدوى

١ - المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

٢ - المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

٣ - المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

الكفاح المسلح ونجاحه انما يرتبط بظروف موضوعية وذاتية . اما فكره الكفاح الشعبي المسلح غير النظامي كوسيلة لتحرير فلسطين ، فاني اعتقد اعتقادا جازما ان هذه الفكرة بالاساس هي فكرة استيطانية بحتة استيطانية لسبب بسيط هو ان سكان اسرائيل مع دولة اسرائيل . لذلك الوسيلة الوحيدة لضرب اسرائيل هو ان تواجه بقوة نظامية . وسيبني العرب القوة النظامية عندما يبنون ثورتهم « (١) » .

ويبدو بوضوح ان افكار لطف الله سليمان وياسين الحافظ افكار متكاملة . كما يبدو واضحا وجليا ان هذه الافكار هي نسخة طبق الاصل عن افكار الياس مرقص « (٢) » . وتستهدف هذه الافكار التي يطرحها « المنظرون القوميون المتتركسون » ما يلي :

اولا : معارضة المقاومة الفلسطينية بالوحدة العربية واطهارها على انها عمل « اقليمي » لا ينظر الى الوحدة العربية من خلال فلسطين فحسب ، بل يؤدي بالضرورة الى الاساءة لقضية الوحدة ، والى ايقاع الاذى بالدول التي تحمل لواءها ، مثل مصر . ويقود هذا الى نتيجة واحدة هو ان هناك « مخرجا واحدا » . وهذا المخرج هو : « الوحدة اولا لترتب اوضاعنا ، ثم نرى ما نستطيع لفلسطين » « (٣) » .

ثانيا : تبرير اي « حل سلمي » ، « حل استسلامي » بالقول ان المنظور التاريخي للصراع يسير نحو التفاهم ، وبأن اي صك يوقع اليوم يمزق غدا او بعد غد او بعد سنتين ، لا تخافوا .

---

١ - المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

٢ - الياس مرقص : المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن ، دار الحقيقة ، نيسان ١٩٧١ .

٣ - المرجع السابق ، ص ٣١ .

فرنسا خسرت الازراس والورين سنة ١٨٧١ واستعادتهما سنة ١٩١٨ ، كما يقول الياس مرقص . ويضرب الياس مرقص مثلاً آخر وآخر واخر(١) ليثبت ان القبول بمعامدة والتنازل عن جزء من الوطن لا يعني التصفية ، وان ما نخسره اليوم نستعيده في يوم من الايام . كل هذا من اجل ماذا ؟ تبرير الدعوة الى « حل استسلامي » . وياسين الحافظ يأخذ مصطلح الياس مرقص نفسه : « المنظور التاريخي للصراع » ، ويقدم الافكار عينها والمبررات عينها ، ولكنه يؤكد بشجاعة انه وهو يفعل ذلك انه لا يبرر « اي حل تصفوي ، او اي حل فيه تراجع او مكاسب لاسرائيل ... » (٢) فماذا تراه يفعل ؟ وعن اية تصفية يتحدث ؟ اعن التصفية بالمعنى التاريخي المحض ؟ وماذا عن التصفية السياسية ؟ هذا ما سنجيب عليه فيما بعد .

ثالثاً : الرفض المطلق للكفاح الشعبي المسلح ، ومعارضة الحرب الشعبية بالحرب النظامية . وذلك من اجل اسقاط فكرة الكفاح الشعبي المسلح . وبينما يرى ياسين الحافظ ان فكرة الكفاح المسلح اسطورية ، وان التحرير لا يكون الا بقوة «نظامية» ، فان الياس مرقص ، قبل ياسين الحافظ لا يرى الحرب الشعبية اسطورة ، بل يراها خدعة (٣) .

ولنعد الى هذه القضايا الثلاث واحدة فواحدة ، ولنحاول الا نبحث عن الخطأ والصواب في هذا « الحوار العشوائي » الذي لم يخنه المنطق العلمي فحسب ، بل خانه المنطق الشكلي ايضا .  
واول هذه القضايا قضية المقاومة والوحدة العربية ، قضية فلسطين وقضية الوحدة العربية . وتحتل هذه القضية المرتبة

١ - الياس مرقص : المرجع السابق ، ص ٦٦-٧٢ .

٢ - مناقشات حول الوحدة العربية ، ص ٢٣٤ .

٣ - الياس مرقص : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

الاولى من بين القضايا المطروحة ، لانها من صلب قضية الوحدة  
وتحرير فلسطين . فالوجود الصهيوني في فلسطين قام لمنع  
الوحدة ، وهو يلعب حاليا هذا الدور . ثم ان قضية التحرير هي  
قضية الجماهير العربية . واذا كان المنظرون الواحدويون  
المتحركسون يصرون على هذه الحقيقة ، فان المقاتلين الفلسطينيين  
اكثر اصرارا . وتنص المبادئ الاساسية لحركة التحرير الوطني  
الفلسطيني ( فتح ) على « ان الشعب الفلسطيني جزء من الامة  
العربية وكفاحه جزء من كفاحها » . واذا كانت هناك افكار  
اقليمية او ممارسات خاطئة ، او استراتيجية غير واضحة في هذا  
المجال ، فهل يعني ذلك ان المقاومة الفلسطينية ضد الوحدة ، وان  
التحرير ، التمسك بالتحرير ، النضال من اجله ، مناقض  
للوحدة ، ومعاد لها ؟  
هنا تكمن المشكلة .

ذلك ان هناك من يرى بأن الوحدة ، هي طريق التحرير .  
وهذا يعني ان ينام التحرير حتى نرتب امر الوحدة اولا كما يقول  
لطف الله سليمان . وكان هناك شعار خاطيء في الميدان  
الفلسطيني يقول : فلسطين طريق الوحدة ، اي ان النضال من  
اجل الوحدة يجب ان يوضع في درج حتى تتحرر فلسطين .  
والنظرية الاولى كالثانية سخيفة وتافهة واحادية الى درجة تجعلها  
لا تستحق الالتفات . ولكن خطر كل من هاتين النظريتين يفرض  
ضرورة مناقشاتهما . ومناقشة الافكار الخطيرة التي تقف  
وراءهما .

واذا كانت النظرية الاولى تسقط مشروع تحرير فلسطين من  
البرنامج اليومي للثورة العربية ، فان الثانية تسقط مشروع  
الوحدة من برنامج النضال اليومي للمقاومة الفلسطينية . وهكذا  
تبدو الوحدة شيئا والتحرير شيئا آخر ، وتبدو قضية الوحدة  
شيئا غير قضية تحرير فلسطين .  
ولكن الواقع يفند هذا كله . فقضية تحرير فلسطين وقضية

الوحدة قضية واحدة . والوحدة لا تتحقق بقرار ولا باستفتاء  
وتحرير فلسطين لا يتحقق بقرار ولا باستفتاء . ان تحقيق الوحدة  
يحتاج الى كفاح طويل وشاق ، ضد الرجعية والامبريالية  
والصهيونية . ولن تتحقق وحدة دون الصراع مع هذه القوى  
كلها ، ودون حروب صغيرة وكبيرة .

كما ان تحرير فلسطين يحتاج الى كفاح طويل ، كفاح ضد  
الصهيونية ، وضد الدولة الصهيونية ، كفاح ضد الرجعية العربية  
وضد الامبريالية العالمية . وهو كفاح من اجل وحدة القوى العربية  
المقاتلة التي تحاول الرجعية العربية ودولة الاحتلال الصهيوني  
والامبريالية العالمية منع وحدتها .

ولان هذا الكفاح طويل ومرير وشاق ، ولانه كفاح ضد قوى  
كبيرة ، وذات امكانيات هائلة ، كان لا بد من ان يصبح قضية  
الجمهير العربية كلها .

كيف ؟

هذا ما كان يجب ان يبحثه «المنظرون» الثوريون المخلصون ،  
الحريصون على التحرير وفلسطين والوحدة . وهذا ما لم يبحثه  
ياسين والياس ولطف الله سليمان الخ . ولقد اكتفى هؤلاء بأن  
اخذوا موقفا سلبيا وعدائيا من المقاومة ، وذهبوا الى حد اعتبارها  
تقيضا للوحدة والنضال الوجدوي .

ومع هذا فانهم لم يناضلوا من اجل الوحدة ، هدفهم العزيز  
الغالي الذي ابتدئوه ، عندما افرغوه من محتواه النضالي .  
وكانت النتيجة الطبيعية ان لا يفعلوا شيئا للوحدة او للتحرير ،  
وان يعملوا على عزل المقاومة الفلسطينية عربيا . لماذا ؟ لانهم  
ارادوا المقاومة غير ما كانت . ارادوها من مكان فجاءت في مكان  
آخر ، وارادوا ان تكون لها قيادة ، فكانت قيادة اخرى ، وارادوها  
ان تكون حربا نظامية فلم تكن . ولكن الثورات لا تصنعها اهواء  
المثقفين وامزجة المنظرين . ان الواقع هو الذي يصنعها . والثوري  
الذي لا يستطيع معرفة مكان الانفجار واتجاهه ، ولا يشارك فيه ،

وفي توجيهه وتصميمه ، يبقى على رصيف التاريخ يطلق الأحكام ويعيش الأوهام .

ولقد انفجرت المقاومة الفلسطينية سنة ١٩٦٥ ، عندما كانت الحركة العربية في مرحلة جزر شديد ، وعندما فشلت برامج النضال الوحدوي مؤقتا ، ولم تستطع الأحزاب والانظمة وحدويه وغير وحدوية ان تفتح الشعب الفلسطيني بانها تجدد من اجل معركة التحرير . وجاءت حرب حزيران فزادت المعركة تأججا والجماهير استعدادا للمشاركة ، واصبحت المقاومة الفلسطينية ظاهرة اندفاع عربي واجماع عربي شعبي ، لا يمثل الوحدة فحسب ، ولا يعبر عنها فقط ، بل يمثل الاصرار على التحرير ومحاربة الصهيونية والامبريالية ايضا .

واذا كانت المقاومة قد عجزت عن تثوير هذا المد الزاخر ، وعن تحويله الى وحدة جماهيرية حقيقية ، والى نضال من اجل الوحدة والتحرير معا ، فليس ذلك نتيجة عجزها وحدها . انه نتيجة عجز الحركة الوطنية العربية ، بكل اجنحتها ودولها وانظمتها وفلاسفتها ومنظريها اساسا .

وعن هذا العجز لا يريد ان يتحدث ياسين والياس والآخرين: لانه عجزهم ، عارهم ، فشلهم ، هروبهم (١) . وما دامت القضية كذلك فلماذا لا يكابرون ولا يهاترون ؟

لقد عجزوا عن وعي ابعاد معركة الوحدة ومعركة التحرير ، فاختاروا مفهوما مبتذلا للوحدة ، واعطوها مضمونا شكليا وضيقا وغير وحدوي بالخط بين الامكان والواقع ، وبعدم تحليل القوى السياسية ومجالات عملها تحليلا علميا .

كما انهم عجزوا عن معرفة مكان قضية فلسطين في معركة الوحدة ، فأجّلوها بجرة قلم ، وقرروا وضعها باحتقار في درج من ادراجهم المظلمة ، وطالبوا الجماهير ان تعاملها كذلك ، بينما كانت الجماهير تموت وتقاتل وتمزق من اجلها .

ووقفوا بعد هذا كله ، يتكلمون بحق الاساتذة الذين لم

١- ومعجزنا وعارنا وهروبنا وفشلنا جميعا بالطبع، ما دام هذا وضعنا وهذا نضالنا.

تسمع كلمتهم ، بينما ظلت الحركة التاريخية تعيش صراعاتها وانفجاراتها .

وإذا كان هؤلاء قد هزموا ، وسقطوا ، فان طرف المعادلة الآخر : فلسطين طريق الوحدة قد سقط ايضا ، وها هي الوقائع كتبت سقوطه .

القضية الثانية هي قضية المنظور التاريخي للصراع ، ويقوم هذا المنظور في رأي الياس وياسين وغيرهما على ان الصراع بيننا وبين العدو يتفقم ، ولذلك لا خطر من التصفية . وإذا ما حدثت اتفاقيات فانها ستمزق . ومع ان هذه نقطة الخلاف الرئيسية فاننا سنناقشها .

وأول ما نقوله في هذا المجال هو ان التاريخ لا يحدد اتجاهه بتوقعات غير قائمة على تحليل ، ولا بشواهد معتطفة من هنا وهناك ، والذي يسمح لنفسه بالحديث عن المنظور التاريخي للصراع لا بد من ان يدرس الظواهر والوقائع دراسة نفاذة وواعية ، وهذا ما لم يحدث .

ولكن الذي يخيفنا الآن في الواقع ، ليس «التصفية التاريخية» بمعنى ان تضيع فلسطين نهائيا . كما ان الذي يشغلنا ليس تحرير فلسطين بعد خمسين او سبعين سنة . ونحن لسنا «قدرين» لننقع أنفسنا بان القضية لن تصفى وان البلاد ستعود يوما ، لان الثوري لا يكون «قدريا» ، وفهم «المنظور التاريخي» وسيلة لتفسير الواقع ، وللإسراع بعملية التغيير ، لا لترك الواقع يسير سيره المتعرج البطيء . وإذا كانت الحتمية التاريخية تؤكد ان الاشتراكية ستخلف الرأسمالية ، فلماذا لم يقل ماركس للعمال عموما ، ولجماعات من العمال انتفضت هنا وهناك : رويدكم ، رويدكم ، لا تتعجلوا ، ولا تخافوا النصر لكم في النهاية ، بعد سنة ، اثنتين ، عشر ، عشرين ، مائة ؟ ولماذا لم يقل ماركس لناضلي كومونة باريس ، الذين دخلوا المعركة رغم تحذيره ، لا تقاتلوا ، واقبلوا بتنازلات تير ، لان الازلاس والورين ستعود

سنة ١٩١٨ ؟ ولماذا اعتبر نضالهم الفاشل بطولة ، واعتبر  
انتفاضهم على المهانة القومية والاستغلال الطبقى دسا خالدا ؟  
نريد من الذين يتحدثون باسم ماركس ولينين ان يقرأوهما  
جيذا .

ان مشروع التصفية الذي خافته المقاومة ، وحسبت له الف  
حساب ، وكانت معها في تحورها كل القوى اقليمية والمناضلة ،  
وكل الجماهير العربية هو مشروع التصفية الراهن ، مشروع  
سحق قوى المقاومة والقوى الوطنية واحلال سلام مع دولة  
الاحتلال . ولقد طردت المقاومة مشروع «الحل الاستلامي» ،  
لان هدفه الاساسي كان ، كما كشفته الاهرام وغيرها من الصحف  
العربية والعالمية ، سحق المقاومة .

ولقد دفعت المقاومة والامة العربية ثمنا غاليا لمشروع الحل  
الاستلامي . وأهم ما دفعت زعزعة قوى المقاومة وسقوط  
سواقتها في الاردن ، وبدء بروز اصوات الخنوع والاستسلام .  
ولعل مصر تعرف الآن ، وهي ترى الاردن يتجه بخطى حثيثة  
نحو الصلح المنفرد ، وترى بعض الوجهاء والعملاء يطرحون حلا  
فلسطينيا ، أهمية ما خسرته هي بالذات نتيجة مؤامرة سحق  
المقاومة . وستدرك اذا ما تجددت الاشتباكات مع قوى الاحتلال  
ماذا خسرت .

وهناك اعتراف رسمي بان الولايات المتحدة مارست دورا  
تضليليا . ولعل من الواضح الآن ان المقاومة اضطرت الى خوض  
المعارك الديموية ، لانها رفضت ان تقع في شرك التضليل .  
ويبدو ان الذين يحاربون المقاومة باسم مصر ، ودفاعا عنها ،  
ويشجبون الحرب الشعبية ، لا يعرفون ان المقاومة اقامت اوثق  
العلاقات مع مصر ، قبل الموافقة على مشروع روجرز ، وان عبد  
الناصر نفسه كان يرى في المقاومة عملا ضروريا ولازما ، وان  
بعض العمليات كانت تتم بالتنسيق ما بين قيادة المقاومة وقيادة  
الجمهورية العربية المتحدة .



ولكن روجرز عرف كيف يلعب لعبته ، ولقد نجح مؤقتا ،  
وبينما نجد مصر الرسمية تكتشف التضليل الذي مارسته  
الولايات المتحدة ، نجد مهاجمي المقاومة باسم مصر ما زالوا  
مستمرين في مهاجمة المقاومة .

وهنا يريد دعاة المنظور التاريخي للصراع أن يجرونا بعيدا عن  
الواقع . هم يقولون لنا اقبلوا التصفية اليوم ، لا تحاربوها ، ولا  
تقدموا الضحايا ، لان التاريخ سيضمن لكم المستقبل .

ونحن لا نملك الا ان نقول لهؤلاء : لا بد ان نقاتل اليوم وغدا  
ودائما اذا اردنا ان يكون المنظور التاريخي للصراع في مصلحتنا .  
ومثلنا ليس تير بل مقاتلو باريس الشجعان . مع ان قضيتنا ليست  
كالازاس واللورين والعصر غير العصر ، وقضية اقامة دولة  
متقدمة ذرية على ارضنا ، ليست كقضية التنازع على مقاطعة  
حدود بين دولتين كبيرين .

القضية الثالثة : قضية حرب الشعب . ويبدو ان هنالك  
التباسا في هذه القضية ، وان هنالك خلطا بين حرب الشعب  
وحرب العصابات . والذين يقعون في هذا الخلط يحتاجون الى  
دراسة الفناء الحرب والسياسة والماركسية في القرن العشرين .  
ومع ان ماو وهوشي منه وجياب لم يتركوا زيادة لمستزيد ، فاننا  
سنحاول ان نوضح بعض الحقائق الهامة ، وهذه الحقائق هي :

اولا : تمر حرب الشعب بمراحل اولها حرب العصابات  
وآخرها حرب الشعب الشاملة . ولكن هذه العملية كلها تسمى  
حرب الشعب ، لانها تنطلق من الشعب وتعتمد عليه لتحقيق  
الاهداف ، ولانها ليست حربا نظامية كلاسيكية في طابعها ، وان  
كانت تأخذ في آخر مراحلها شكل حرب شبه نظامية ونظامية مع  
احتفاظها دائما بخصائص حرب العصابات : الاعتماد على الانسان  
اكثر من الاعتماد على الآلة ، الاعتماد على التعبئة السياسية  
والعنوية بدلا من الاعتماد على القرارات والاوامر الفوقية ،  
الاعتماد على الجماهير الواسعة المنظمة والمشاركة في القتال ،

مقابل اعتماد العدو على الاسلحة الحديثة والامكانيات المادية الوفيرة ، استخدام المفاجأة وسرعة الحركة والبسالة الخ .

ثانيا : تبدأ حرب الشعب في اكثر المناطق تفجرا ، وما تلبث ان تمتد وتتسع عبر الوطن كله ، من اقصاه الى اقصاه ، عبر صراع طويل ودام تتكون فيه قوات الشعب المقاتلة . ولقد اثبت التاريخ الحديث ان الجيوش الشعبية الجبارة ، التي كانت قادرة على هزيمة المحتل ، وهزيمة الرجعية الداخلية ، جيوش بدأت عصابات ، ثم تطورت من خلال القتال . ولم تطلب من العدو ان يمهلها حتى تنمو وتتسلح وتستعد . ولعل خير الامثلة على ذلك جيش الشعب الصيني ، وجيش الشعب الفياتنامي وجيش الشعب الكوري . ولم تثبت وقائع التاريخ الحديث ان جيشا شعبيا جبارا نشأ في ظل احتلال ، او بمسألة عدو خارجي .

ثالثا : تسبب حرب الشعب قيام القوات المضادة بحملات واسعة ، وتدمير كبير للامكانيات الاقتصادية والقوى البشرية . ولم يكن هذا في يوم من الايام سببا يفرض على المغاوريين او الجيش الشمبي ان يؤجلوا المعركة حتى يتفوقوا عدديا وتكنولوجيا . ولم يدع الفياتناميون الى وقف اطلاق النار ولا الى هدنة ، عندما بدأت اسراب الطيران الاميركي تقذف فياتنام الشمالية ، مع ان القوة العسكرية «النظامية» في فياتنام الشمالية ، لا تساوي شيئا امام قوة الولايات المتحدة الاميركية .

رابعا : ان معارضة الحرب الشعبية بالحرب النظامية ، تتضمن ما يلي :

1 - تسخيف فكرة الحرب الشعبية ، مع انها الحرب الوحيدة الممكنة بالنسبة للشعوب المتخلفة في مجابهتها للامبريالية ، والمعركة مع الاحتلال الصهيوني جزء من هذه المعركة الشاملة مع الامبريالية .

ب - تقديس الحرب النظامية بالمعنى الكلاسيكي ، وتقديس المفهوم البرجوازي للحرب ، المناقض للمفهوم الثوري والماركسي ،

لان الحرب النظامية من وجهة النظر الماركسية الثورية ، غير  
الحرب النظامية من وجهة النظر البرجوازية .  
ج - عدم ادراك معنى الحرب النظامية والشعبية في النصف  
الاخير من القرن العشرين ، وضمن اطار العلاقات الصدامية مع  
الامبريالية .

فما الذي يعنيه هذا كله بالنسبة لفلسطين والقضية  
الفلسطينية والثورة العربية ؟ انه يعني :

اولا : ان «المنطقة الفلسطينية» هي منطقة تفجر ، وقد نمت  
فيها الآن قوى مسلحة ، وتنظيمات شعبية ، تخوض حربا شرسة  
ضد قوى الاحتلال الصهيوني ، وخاصة في غزة ، وضد قوى  
القمع العربية ممثلة بالنظام الاردني . وقد لعبت هذه القوى دورا  
في احياء القضية الفلسطينية ، وفي تنشيط الشعب الفلسطيني ،  
وزيادة ثقته بنفسه ، وبقدرته على المساهمة في معركة التحرير ،  
وما زالت القوى الفلسطينية تقف حائلا في وجه التسويات والحلول  
الاستسلامية .

ثانيا : تعاني المقاومة الفلسطينية مجموعة من الصعاب  
والعقبات ، أهمها :

أ - المشكلة الديموغرافية، المتمثلة في نقص عدد الفلسطينيين  
عن عدد أعدائهم من جهة ، وفي خلو مناطق كاملة من سكانها  
الاصليين من جهة ثانية .

ب - المشكلة الذاتية ، المتمثلة بنوع القيادات وطبيعة التركيب  
الحالي للتنظيمات ، وبنوع الايديولوجيا القائدة .

ج - مشكلة علاقة القضية الفلسطينية بالانظمة العربية .  
ولكل مشكلة من هذه المشاكل حلها . وحل المشكلة

الديموغرافية يكون بتعبئة قوى الشعب الفلسطيني تعبئة ثورية  
شاملة ، وباشراك الجماهير العربية في المعركة اشراكا فعالا . اما  
المشكلة الذاتية ، فليس لها حل غير النضال والمزيد من النضال ،  
والعمل على تجذير الخط السياسي وتعميق الخط الجماهيري ،

وترسيخ الخط الثوري السليم وكشف الخطوط المتخاذلة والفضوية والعفوية والمنحرفة والانتهازية . وتبقى المشكلة الأخيرة : مشكلة العلاقة مع الأنظمة العربية . وحلها واضح . أنه الالتجاء الى الجماهير العربية والالتحام معها .

ثالثا : تجابه المقاومة الفلسطينية مشكلة حادة ، في هذه الايام ، هي مشكلة انحسار الحركة الوطنية العربية . وهذا الانحسار يجعل المقاومة الفلسطينية «وحيدة» ، تحظى بعطف الجماهير العربية او قسم منها ، وتنال بعض رضا هذا النظام او ذلك ، ولكنها لا تستطيع ان تجد رفدا لها في حركة جماهيرية منظمة ، تعتبر النضال من أجل تحرير فلسطين قضيتها ، كما ان بناء المجتمع المتحرر المتقدم قضيتها ايضا . واذا كانت المقاومة الفلسطينية قد اثبتت عجزا حتى الآن في مجال تعبئة الجماهير العربية ، فان مشكلة هذا العجز كانت ستحل لو وفرت الحركات الوطنية العربية المناخ الملائم ، ولو استطاعت هي ان تكسر «طوق العزلة» المفروض على المقاومة الفلسطينية .

### خاتمة :

ما زالت المقاومة تواجه معركتين متداخلتين : معركة التصفية الجسدية ومعركة التصفية السياسية والايديولوجية . وتتخذ التصفية الجسدية مظهرين :

الاول : السحق بالعنف الدموي والقمع الوحشي .

الثاني : الاحتواء وتجميد القوى .

اما التصفية الفكرية والسياسية فتتخذ مظهرين ايضا :

الاول : تسخيف المنطلقات الاساسية وتشويهها .

الثاني : اغراق المقاومة بالاضاليل والإشاعات المتناقضة وذلك من أجل شل ارادتها وبلبلة افكارها . ولذلك نجد المقاومة تتهم

اليوم بانها انصرفت عن العمل العسكري الى العمل السياسي ،  
بينما نجدها تنتقد غدا على انها تعتبر العمل العسكري ، او الكفاح  
المسلح اسلوب العمل الوحيد . ونجد قيادة المقاومة متهمة اليوم  
بانها سلمت للانظمة ، ونجدها غدا متهمة بانها لم «تحسم» ، ولم  
تصف مع الانظمة !

وتبرز من وسط دوامة التصفية الجسدية والسياسية هذه  
اصوات فلسطينية وعربية نكراء ، تدعو الى الاستسلام ، وتطالب  
بقول نعم للحلول التصفوية (1) .

وعلى الرغم من ذلك فما زال هنالك مقاتلون مصممون على  
مواصلة المسيرة ، وما زال شعبنا يقول لا بلاء فيه وبلاء قلبه .

---

1 - فيصل حوراني : مشكلة العمل الفلسطيني ، سياسة لا روز اليوسف -

العدد ٢٢٦٩ ، تاريخ ٦-١٢-١٩٧١ .

## الثورة الفلسطينية ومهات حركة التحرر الوطني العربية

كتبت هذه الدراسة في ١٢-٧٢٥  
ونشرت في العدد ٨ من (دراسات  
عربية) ، السنة الثامنة .

قام «حاجز» بين الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية ، منذ انطلقت الثورة الفلسطينية . ولقد لعب هذا «الحاجز» دوره الكبير في دفع الامور الى ما وصلت اليه الآن . ذلك انه حرم الثورة الفلسطينية من امكانيات النمو الطبيعي من جهة ، كما انه حرمها من امكانيات الحماية من جهة اخرى . لقد كانت الثورة الفلسطينية - بحكم الواقع السياسي والتاريخي والجغرافي والثقافي ، اي بحكم الواقع القومي العربي - طبيعة عربية ، او فلنقل فصيلا طليعيا من فصائل الثورة . وكان ادراك هذه الحقيقة ، وتجسيدها في الممارسة ، هو الذي يفسح للثورة الفلسطينية امكانيات النمو والتقدم . وان هذا الفصيل الطليعي ، سيكون محكوما بالفزلة والموت اذا حرم من بعده الاستراتيجي:

الجماهير العربية بشريا والاراضي العربية جغرافيا والامكانيات العربية ماديا . ولكن «الحاجز» قام ، واستطاع ان يمنع عملية التفاعل . وبقيامه ، وبالدور الخطير الذي لعبه ، تكرست مجموعة من الحقائق والمواقف ، فلسطينيا وعربيا ، اصبحت تحكم الان العمل الوطني الفلسطيني والعربي .

ولا بد لنا ، ونحن ندرك خطورة الظاهرة وخطورة المآزق ، ونحاول ان نجد «النحل الثوري» لا «المخرج السهل» ان نبحث عن الاسباب . ان تحديد اسباب الظاهرة هو اول المسيرة الى تخطيها . وتجاهل الاسباب ، او محاولة القفز من فوقها ، لا يقود الى حل الاشكال بل الى زيادته تعقيدا ، ولذلك فاننا سنحاول هنا ان نحدد الاسباب بوضوح ولكن بايجاز ، فما هي هذه الاسباب ؟ ان هذه الاسباب تتلخص فيما يلي :

اولا : ولدت الثورة الفلسطينية وهي تعاني اشكالا كبيرا . ويتلخص هذا الاشكال في ان الثورة الفلسطينية طرحت منذ البدء شعارين اساسيين هما: ١- ان قيام كيان فلسطيني ضروري للانتصار في معركة فلسطين ، ٢- عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية .

ولقد اخفى هذان الشعاران خلفهما حقيقتين هامتين : اولاهما : ان الدعوة لقيام كيان فلسطيني كانت تحولا من الدعوة القومية الى الدعوة القطرية «فمعركة فلسطين التي اتخذت شكلا قوميا في البداية فشلت» ، لا بد ان نردها الى مرتكزاتها الاساسية وعواملها الفاعلة في حدودها القطرية لنضمن لها النجاح والنصر في الجولة الثانية» . اذن فالنصر في الجولة الثانية يكون برد القضية الى «مرتكزاتها الاساسية وعواملها الفاعلة ضمن حدودها القطرية» .

ثانيهما : ان عدم التدخل في الشؤون الداخلية اخذ طابع الحيداء في الصراع الايديولوجي القائم ، مع ان الصراع الذي كان قائما كان صراعا بين التخلف والتقدم وصراعا بين الوطنية

والخيانة .

كان لهذه الاشكالية اثرها على مسار الثورة وتطورها فيما بعد . ذلك ان الموضوعات التي اعتبرت ، فيما بعد ، مبادئ اساسية ، وعلى رأسها : «الشعب الفلسطيني جزء من الامة العربية وكفاحه جزء من كفاحها» لم تستطع ان تحل الاشكال .

لقد ظلت هذه المبادئ الاساسية مبادئ ، ولكنها لم تتجسد في النضال العملي ، ولا وجدت طريقها الى الممارسة . وجاءت الممارسات اليومية ، فاعطت القضية بعدا «فلسطينيا» من جهة ، وبعدا «قوميا» عفويا من جهة اخرى . اما البعد الفلسطيني فيتلخص في ان الثورة الفلسطينية استطاعت ان تميد خلق الهوية الفلسطينية ، وان تطرح القضية الفلسطينية طرحا جديدا على الشعب الفلسطيني والامة العربية والعالم . وبات الشعب الفلسطيني ، لاول مرة ، منذ سنة ١٩٤٩ ، هو حامل لواء قضيته اساسا . واثبت انه قادر على ان يحييها بعد موات ، وعلى ان يحقق ما لم تستطع تحقيقه الانظمة العربية خلال قرابة عشرين عاما (١٩٤٧ - ١٩٦٧) .

واستجابت الجماهير العربية للطرح الجديد، ولكن استجابتها ظلت عفوية . لقد دخل الفارس الفلسطيني الميدان ، قائلا للامة العربية انا فارس الميدان والقضية قضيتي ، واستطاع الفارس الفلسطيني ان ينتزع الاعجاب والتأييد ، كل الاعجاب والتأييد . ولكنه في غمرة الاعجاب والتأييد والانتصارات لم يسأل نفسه ماذا بعد ؟ لم يطرح على نفسه بجديّة هذا السؤال : هل استطيع وحدي ان اسير بالمعركة الى نهاية الشوط ؟ وماذا يحدث لو بقيت وحدي ولم يهرع الفرسان العرب كلهم الى الميدان ؟

ولان الفارس الفلسطيني لم يطرح على نفسه هذا السؤال بالجديّة المناسبة حافظ على شعاريه الاساسيين : ضرورة الكيان وعدم التدخل ، ولم يعط لمبادئه الاساسية وعلى رأسها المبدأ الذي ذكرناه : «الشعب الفلسطيني جزء من الامة العربية وكفاحه



جزء من كفاحها» بعمد الثورة الحقيقي .  
ولذلك ظلت الاستجابة العفوية العربية تتلاطم خلف «الحاجز»  
وحين اعطيت التفاتة كريمة ، كان الاسم الذي ينتظرها : الجبهة  
العربية المساندة . ومع هذا فما كانت هذه الجبهة في الواقع  
جبهة ، ولا كانت مساندة . انها في الحقيقة لم تبلغ مستوى  
الجمعية الخيرية .

كان مطلوباً من الثورة الفلسطينية ان تعي دورها العربي  
سلفاً ، وان تعي ايضاً كيف تجعل من شعارها الاساسيين  
التكتيكيين المذنورين سابقاً غطاء لعلاقة حقيقية مع الجماهير  
العربية . ولكن الاشكال الحقيقي يكمن في ان هذا لم يحصل . لا  
الثورة الفلسطينية وعت دورها العربي سلفاً ، ولا هي وعت كيف  
تدخل الى اعماق الجماهير العربية . وشعارها اللذان كانا مدخلها  
الى العمل ، اصبحا قيماً عليها فيما بعد . قيماً تفرضه هي على  
نفسها، وقيماً تحاصرهما به الحركات والاحزاب الوطنية، وتلاحقها  
به الانظمة العربية المختلفة الاسماء والانماط .

وكان هنالك عامل آخر ، لا يقل اهمية عن هذا العامل ، وهو  
ان اتجاهها يكاد يكون عاماً في الثورة، كان ينظر باستخفاف وريبة  
الى الاحزاب والحركات الوطنية العربية والى الجماهير عموماً .  
وكان هذا يتجنى فيما يلي :

أ - الاصرار على ان الاحزاب فشلت ، وان تجربتها لا تحمّل  
سوى الفشل في ثنائياها . ولم يكن يجري تقييم علمي لتجربة  
الاحزاب ، ولا كانت تجري الاشارة الى نضالاتها وتضحياتها .  
ب - تسخيف ما يسمى الصراع العقائدي والايديولوجي ،  
والتأكيد على انه صراع غير مجدي ، وعلى انه مجرد مهارات لا  
طائل وراءها .

ج - التحفظ ازاء الحركات التقدمية وازاء قوى اليسار  
عموماً، والتهمج في كثير من الاحيان على القوى التقدمية والانظمة  
التقدمية، وعدم التفريق بين الرجعية والتقدمية ومساواة الرجعي

بالتقدمي عموما ، واخذ حركة التقدم عموما والافكار التقدمية  
بجريرة ادعاء التقدمية .

د - اللامبالاة بالعمل السياسي فسي اوساط الجماهير ،  
ومحاولة تخفيف العمل السياسي واظهار عدم جدواه : لقد كانت  
البنديقية تطرح دائما بديلا للعمل السياسي . وكان شعار :  
«السياسة تتبع من فوهة البنديقية» يفهم على ان السياسة هي  
دخان البارود وازيز الرصاص ودوي القنابل لا غير .  
ولقد التقى هذا العامل ، مع العامل الاول ، ليزيد من حدة  
الاشكال ، وتعقيد المسألة .

الفارس الفلسطيني يقود نفسه الى الاشكال ، الى شبكة  
العنكبوت ، وسط الاعجاب والتأييد ، يقع فيها ، ثم يأخذ  
بالدوران ضمن اطارها .

ثانيا : ان قوى حركة التحرر الوطني العربية عموما اخذت  
موقفا متشككا ومشككا في البدء . وكان الشك والتشكيك يقومان  
على ما يلي :

1 - ان هذه العمليات ستقود دولة الاحتلال الى مهاجمة الدول  
العربية المجاورة . وسيكون هذا توريطا للعرب في حرب لا  
يريدونها . وهذا الموقف ناتج في الاساس عن الخشية من دولة  
الاحتلال ، ولكن هذا ليس كل ما في الامر ، اذ ان عمليات الثورة  
لا بد من ان تقود الى رد من دولة الاحتلال ، وهذا سيفرض على  
الدول العربية ان ترد ايضا .

ولما كانت دولة الاحتلال تخشى مغبة هذا «التوريط» ، فقد  
ارادت ان تجعل النتائج منذ البدء سلبية جدا، لتدفع اوسع قطاع  
ممکن الى الاعتقاد بأن نظرية «التوريط الواعي» تقود الى نتائج  
مروعة . ولهذا من جملة الاسباب - كانت حرب حزيران . ومع  
ان حرب حزيران فتحت آفاقا جديدة للثورة الفلسطينية ، الا ان  
بعضاً من الوطنيين ظلوا يعتقدون بان هذه الهزيمة كان يمكن الا  
تكون ، لولا «المزايدة بحرب التحرير الشعبية» .

ب - طرح قيام الثورة الفلسطينية قضية كبيرة وخطرة على القوى الوطنية في المنطقة العربية . وتتلخص هذه القضية في السؤال التالي : استراتيجية من ستقود المنطقة وستوجه الصراع ؟ اهي استراتيجية الانظمة والاحزاب ام استراتيجية الحركة الجديدة ؟ . وكانت الاستراتيجية الرسمية المعلنه ، وخاصة استراتيجية القاهرة ، تقوم على الاستعداد لحرب نظامية ، تبدأ عندما يحين حينها . وهذا يقتضي ان يبقى كل شيء ساكنا راکدا حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه . وكانت الاستراتيجية الجديدة تطرح معطيات جديدة : انتم استعدوا اما نحن ، شعب فلسطين ، فسوف نبدأ اليوم لا غدا ، سنعكر صفو السلام القائم ، وهذه وسيلتنا الوحيدة وطريقنا الوحيد . وطبعي الا يلتقي الخطان . فلقد كان الخط الاول الرسمي ينظر الى الخط الثاني على انه خروج على استراتيجيته . وكان الخط الثاني ينظر بارتياح الى ما يعلنه الخط الاول . وكان هذا « الخلاف الاستراتيجي » يزيد من تعقيد العلاقات .

ظل الامر كذلك حتى حرب حزيران ، حيث حدث تحول في العلاقات ، جزئي ، ولكنه هام .

فلقد اصبح هنالك حاجة ، بعد حرب حزيران ، الى ان يكون هنالك «عمل فلسطيني» . وباتت الانظمة تحاول ان تجعل هذا العمل ضمن استراتيجيتها .

وظل الامر كذلك الى ان جاء مشروع روجرز ، فحدثت «الصدام» من جديد . وتلت ذلك مجزرة ايلول التي استهدفت «تقليم» اظافر الثورة الفلسطينية ووضعها ضمن اطار الاستراتيجية الرسمية . ولقد اتضح هذا بعد ايلول جيدا . وما زالت الماعبي تبذل من اجل فرض الاستراتيجية الرسمية على الثورة الفلسطينية . ان هذا الخلاف الاستراتيجي خلاف هام مهما كانت اخطاء هذه الجبهة او تلك . ومهما كانت تقائص هذه الفئة او تلك . وهو في الواقع والحقيقة الخلاف بين استراتيجية الحرب الشعبية

والحرب النظامية نظريا ، وبين استراتيجية الحرب والمهادنة  
عمليا .

وخطورة هذا الخلاف تكمن في جانب من جوانبه ، لان احزابا  
وحركات وطنية تتبنى الخط الرسمي . واذا كانت قد حصلت  
بعض التحولات الجزئية ، فان هذه التحولات الجزئية ، على  
اهميتها ، لم تكن تحولا عن الخط بل ضمنه .

ج - اصبحت الثورة الفلسطينية ، وبعد حرب حزيران  
خاصة ، مركز استقطاب لكل القوى الفلسطينية والعربية ، وعلى  
الرغم من الهجمات او المواقف المتحفظة ، فان قواعد الاحزاب  
والحركات السياسية اخذت تزداد اعجابا «بالقدوة الفلسطينية» .  
وكان هنالك ، فوق هذا ، الاعجاب الجماهيري الكبير الذي حظيت  
به الثورة الفلسطينية على صعيد الوطن العربي كله .

ان القوى السياسية هي قوى متصارعة ، او قوى متناقضة .  
وكل قوة سياسية تسعى من اجل سحق القوى المعادية ،  
واستيعاب القوى المتناقضة معها .

ومع ان الثورة الفلسطينية حاولت الا تدخل الميدان العربي  
تنظيما ، الا انها كانت تصطدم مع الاحزاب والقوى الوطنية  
العربية من خلال :

- ١ - كونها قوة استقطاب للقواعد والكوادر والجماهير .
- ٢ - كونها تطرح نفسها نقيضا لهذه الحركات والاحزاب ،  
باصرارها على ان الصراعات العقائدية لا جدوى منها ، وانها  
خارج اطار هذه الصراعات .
- ٣ - كونها تطرح نفسها بديلا متفردا بتبنيها خط الكفاح  
السلح وممارستها له .
- ٤ - كونها تطرح تجربتها على انها تجاوز لفشل الاحزاب  
والحركات السياسية العربية .
- ٥ - كونها جعلت قضية تحرير فلسطين قضيتها الاولى  
والاخيرة ، وارادت ان تجعل هذه القضية قضية كل العرب دون

ان تحاول وضع هذه القضية ضمن اطارها القومي العربي فعلا .  
د - مارست القوى الوطنية العربية عمليات نقد واتهام قاسية ضد الثورة الفلسطينية . وبينما كان بعض هذا النقد صحيحا مثل النقد الموجه الى عدم الاهتمام الجدي بالمعمل السياسي ، عدم الاهتمام الجدي بالتنظيم ، محاولة عزل الثورة الفلسطينية عن اطارها القومي العربي ، التضحية بالعلاقة مع الجماهير في سبيل علاقات عابرة مع الانظمة الخ ، فان كثيرا من هذا النقد جاء متجنبا وهداما ، مثل اتهام الثورة بالعلاقة مع حلف السنو ، او اتهام قيادة الثورة بأنها تعمل لمصلحة الانظمة الرجعية ، او اتهام الثورة بالمغامرة .

ولقد عجزت الثورة عن ان تفهم النقد الصحيح ، وان تجد فيه مدخلا الى القوى الوطنية العربية ، وسبيلا الى المراجعة النقدية لمسيرتها . ولذلك فقد اعتبرته تجريحا وتشويها ، واعتبرت انه لا يستهدف تصحيح مسيرتها بل تدميرها .

وكانت القوى المتخلفة في الثورة ، تحاول ان تستخدم هذا النقد لتعميق شقة الخلاف ، ولزيادة قناعة الجماهير الفلسطينية بأن القوى الوطنية العربية ، لا امل يرجى منها ، لمصلحة العلاقات مع الانظمة .

اما الاتهامات العدائية فقد خلقت ردود افعال مرة عند قواعد الثورة وجماهيرها ، بينما اعطت للمتخلفين والمعادين في اوساط الثورة الفلسطينية حججا دامغة على القوى الوطنية العربية ، ومبررات مقنعة لاتهامها ومهاجمتها ، وحتى معاداتها .

ثالثا : ان الجماهير العربية محضت الثورة كل تأييدها . لقد لمست فيها طريق الخلاص ، ولذلك اقبلت بحماسة وسخاء تأييدها وتساندها . ولقد جاء التأييد الجماهيري عاما وشاملا . ولكن هذا المد الجماهيري عانى من الاشكالات التالية :

أ - كان عفويا الى ابعد الحدود ، وابتعد ما يكون عن التحليل والتنظيم . كان عطاء واحسانا ولكنه لم يكن عملا ذووبا واعيا .

وإذا كان سره في عفويته ، فإن مقتله كان في عفويته أيضا . ولقد كان هذا العطاء العفوي سببا اساسيا من أسباب نمو الثورة واستمرارها ، ولكنه لم يلعب دورا في توجيهها وفي تطويرها .  
ب - كان عاما وشاملا حتى ان بعض القوى ارادت استخدامه ضد انظمتها ، او ضد قوى اخرى منافسة . وكانت القوى المتخلفة احيانا تحاول الاستفادة من هذه الموجة العارمة لمحاربة القوى الوطنية ، كما كانت القوى الوطنية تحاول ان تستفيد منه لضرب قوى وطنية اخرى . والامثلة على ذلك كثيرة ، وهي معروفة لا تحتاج الى ذكر .

ج - كان حماسيا ، ولكنه في الوقت عينه كان عاجزا عن ان يتحول من المساندة الى المشاركة . ولهذا ظلت العملية تبدو على انها عملية مساندة من الخارج . كما ان عملية المساندة هذه لم يكن واضحا الى اية درجة تلتزم بالثورة .

د - كان منذ البدء معرضا للتبعثر والتراجع ، بسبب بروز التناقضات بداخله ، او بسبب المصاعب التي اخذ هذا المسبب يجابهها ، او بسبب الممارسات الخاطئة في الثورة ، او بسبب الهجمة المعادية الشرسة ، وما فرضته من هزائم او خسائر على الجماهير العربية .

ولهذا كله لم يستطع هذا «المد الجماهيري» ان يجعل الثورة الفلسطينية قادرة على تخطي «الحاجز» القائم بينها وبين قوى حركة التحرر الوطني العربية .

- ٢ -

بدأت ، مع أواخر عام ١٩٦٩ وأوائل عام ١٩٧٠ ، عملية مراجعة داخلية من الثورة الفلسطينية ، وأخذت بعض القوى العربية تعيد النظر في مواقفها السابقة . وكان من نتيجة ذلك ان كثيرا من الاتهامات سقطت او خفت ، وان موقف القوى الوطنية

العربية من الثورة الفلسطينية اخذ يتحسن لمصلحة الثورة . وكان من اهم هذه التغيرات التبدل الايجابي في مواقف عدد من الاحزاب الشيوعية العربية ، ثم انشاء قوات الانصار ، التابعة للاحزاب الشيوعية في لبنان وسوريا والاردن والعراق .

لقد حدث هذا التحول ، ولكنه لم يستطع مع ذلك ، ان يقود الى تبدل جذري في العلاقات . ولهذا ظلت العلاقات كما كانت ، وكان هذا التبدل لم يحصل . واذا كانت القوى الوطنية العربية لم تبدل ما يلزم من الجهد لاحداث التطور اللازم في العلاقات ، فان الثورة الفلسطينية لم تبدل من جانبها ما يدل على انها اصبحت اكثر وعيا بضرورة علاقات اكثر رسوخا وتلاحما . ويعود ذلك كله الى ان كلا من الثورة الفلسطينية وقوى حركة التحرر الوطني العربية قد ظلت تتعامل انطلاقا من رواسب الماضي وعقده ، ودون ادراك واع وجدي لمخاطر المرحلة ومتطلباتها .

ثم ان الثورة الفلسطينية كانت في هذا الوقت تعاني اشد المعاناة من شروخ فسي داخليا احدثتها تشنجات المتخلفين وصبيانيات اليساريين . وكانت هذه الشروخ تنعكس سلبيا على الثورة وجماهيرها وعلاقاتها مع الجماهير العربية والقوى الوطنية العربية .

وحيث جاءت مجزرة ايلول لم تستطع الجماهير العربية المفوية المؤيدة ان تفعل شيئا ، وكذلك حدث بالنسبة للقوى الوطنية العربية .

ثم جاءت تراجعات الثورة الفلسطينية بعد ايلول . وكان لهذه التراجعات ثلاثة عوامل :

- الاول : العجز الذاتي للثورة الفلسطينية .
  - الثاني : عجز القوى والحركات الوطنية العربية .
  - الثالث : ضغط الانظمة عموما باتجاه التراجعات بعد ايلول .
- ومع بداية التراجعات بدأت حملة الشك والتشكيك من جديد . واخذت تتصاعد ، متجاوزة كل ما كان من قبل . ولقد

التقت هذه الحملات ، مع حملات الضغط الرسمية ، لتولسد شعورا بالانكفاء والعزلة ، ولتقود الى مزيد من الشك بالقوى الوطنية العربية ، ومزيد من النفور منها .  
ومن الانصاف ان نقول :

ان حملة ايلول وما تلاها لم تولد الشك والانكفاء في الصفوف الفلسطينية فحسب ، بل ولدت لدى قطاعات واسعة نسيبا شعورا عميقا بضرورة الالتحام بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية . هذا على الصعيد الفلسطيني ، اما على الصعيد العربي الشعبي فان رد الفعل مشابه ولكنه غير واضح ولا محدد . وان كان على الصعيد الرسمي واضحا ومحددا . فعلى الصعيد الرسمي تستهدف الانظمة وضع الثورة الفلسطينية ضمن المكان المناسب في استراتيجيتها . واذا كان واضحا هذا من الوقائع ، فان الرئيس السادات لم يترك اي لبس في ذلك عندما تحدث في افتتاح المؤتمر الشعبي الفلسطيني بالقاهرة ( ١ ) . وهذا الوضع ما هو الا استمرار لواقع ما بعد ايلول الذي حاولت الانظمة فيه احتواء الثورة الفلسطينية .

ولا بد هنا من القول بان الثورة الفلسطينية التي تتعرض لمؤامرات التصفية والاحتواء منذ ايلول ، ما زالت لا تلقى المساندة المطلوبة من القوى الوطنية العربية .

- ٣ -

وهكذا تتحدد ملامح المازق الحالي ، فهو :  
١ - مازق ذاتي تلعب فيه عوامل القصور الذاتي والعجز



الذاتي الدور الاساسي . وتتلخص عوامل التصور الذاتي هذه في الآتي :

أ - العجز عن تجديد الذات واعادة بناء القوى الذاتية بما يكفل مواجهة متطلبات المرحلة الحالية ومتطلبات المستقبل ، والعجز عن تحديد طبيعة المرحلة الحالية والمرحلة المقبلة ومهامها .  
ب - العجز عن اقامة علاقات صحيحة ضمن الحركة الوطنية الفلسطينية . وهذا ناتج من عدم القدرة على وعي اهمية الجبهة الوطنية الواسعة وضرورتها ، وعن وعي دورها ومهامها في هذه المرحلة الراهنة .

ج - العجز عن تصور البعد القومي للقضية الفلسطينية وبالتالي للثورة الفلسطينية ، وبالتالي عن اعطاء الثورة الفلسطينية بعدها القومي في النظرية والممارسة .

٢ - مأزق موضوعي ناتج عن شراسة الهجمة الامبريالية في هذه المرحلة وعن شراسة الهجمة الصهيونية . وتتلخص العوامل الموضوعية في الآتي :

أ - اشتداد الهجمة الامبريالية - الصهيونية - الرجعية في المنطقة وفي العالم .

ب - انحسار قوى حركة التحرر الوطني العربية وتراجعها وتفككها .

وفي هذا الجو تبدو الثورة الفلسطينية عاجزة كل العجز ، وتبدو القوى الوطنية العربية عاجزة . ويحس المناضل ، فلسطينيا كان او عربيا ، كما يحس المواطن ، ان مسيرة الثورة مهددة بالتوقف ، وان القضية مهددة بالتصفية .

ولهذا بدأت بعض الاصوات النشاز ترتفع مبررة الاستسلام تحت شعارات مختلفة : التكيف الدولي ، الحل الواقعي ، الحكم الذاتي في ظل الملك حسين ، الحكم الذاتي في ظل دولة الاحتلال الخ .

ومهما كانت حدة المأزق الموضوعي ، فان المأزق الذاتي هو

الاساس . فاذا ما اظهرت الثورة انها قادرة على التخلص من عوامل قصورها الذاتي كانت قادرة على مواجهة المآزق الموضوعي وحله .

وعلى الثورة الآن ان تقاوم بشراسة دفاعا عن بقائها ، لتكون قادرة على معالجة قصورها الذاتي ، وعلى معالجة مآزقها الموضوعي .

### - ٤ -

بعد هذا كله ما هي خيارات المستقبل ؟  
ان خيارات المستقبل تبدو واضحة ، وهي محددة في خيارين لا ثالث لهما :

الاول : ان تصبح الثورة جزءا من الواقع الرسمي العربي ، وان تساهم بالتالي بتصفية القضية ، وفي قمع ارادة الشعب الفلسطيني وسحقها .

الثاني : ان تجدد الثورة ذاتها ، وان تحافظ على قواها ومواقفها واستقلاليتها ، وتستعيد ثقة جماهيرها لتكون قادرة على المساهمة في تغيير الظروف الموضوعية ، والاستمرار بالقتال حتى النصر .

ولكي تستطيع الثورة ان تفعل ذلك لا بد لها من :  
ا - تحديد مهماتها وتحديد اساليب عملها القادرة على انجاز هذه المهمات ( سنتحدث في مرة مقبلة عن ذلك ) .  
ب - تحديد استراتيجية سياسية وعسكرية صحيحة ، ومنبثقة من فهم واع للواقع الفلسطيني والعربي والدولي .

ولا بد ان يحدد ، ضمن هذه الاستراتيجية ، برنامج عربي للثورة الفلسطينية وبرنامج فلسطيني لقوى حركة التحرر الوطني العربية ، وعلينا ، حتى لا تقع في الالتباس او الخطأ ، من ان نوكد ما يلي :

اولا : ان القضية الفلسطينية هي القضية القومية العربية الاولى . وهي القضية القومية الاولى ، لان الامة العربية تواجه في فلسطين اكبر تحدٍ مصري ، واكثر مظاهر العدوان اثاره وصلفا وتحديا . ولهذا فالشاركة العربية الفعالة ليست احسانا ولا تكريما بل هي واجب .

ثانيا : ان المطالبة ببرنامج عربي للثورة الفلسطينية وبرنامج فلسطيني لقوى حركة التحرر الوطني العربية ، لا ينطلق من ان هناك ثورتين مختلفتين تلتقيان في نقطة واحدة فقط هي قضية فلسطين ، بل ينطلق من ان وحدة برنامج قوى حركة التحرر الوطني العربية ، بما فيها الثورة الفلسطينية ، يجب ان تبدأ من تحديد برنامج واضح ومحدد لكل هذه القوى ، لا تضع فيه قضية فلسطين باسم القضية القومية ، ولا تضع فيه القضية القومية باسم قضية فلسطين ، كما كان يحصل فيما مضى ، وكما هو حاصل الآن .

ثالثا : ان مناقشة قضية فلسطين ، خارج اطار فهم علمي لحركة تحرر وطني عربية ، تقدمية وديمقراطية ، تحكم على قضية فلسطين بالتصفية ، لانها تحرمها من بعدها القومي : البشري والجغرافي ، وتجعلها قضية اقلية محكومة بالهزيمة سلفا . ولهذا ، فاننا اذ ننتقد المواقف الفلسطينية القطرية ، ننتقد المواقف القومية العربية العامة ، «الما فوق فلسطينية» . لان هذه المواقف الفلسطينية والعربية واحدة في الجوهر ، وان اختلف المنطلق .  
رابعا : ان المضمون القومي الديمقراطي الشعبي لحركة التحرير الوطني العربية يتلخص في :

- أ - التحرير : تحرير فلسطين والاراضي العربية المحتلة من الاحتلال الصهيوني ، انهاء كل اشكال السيطرة المباشرة وغير المباشرة عن الوطن العربي .
- ب - الوحدة القومية : انهاء التجزئة واقامة دولة الوحدة .
- ج - الثورة الديمقراطية : انهاء مخلفات القرون الوسطى ،

الإصلاح الزراعي الجذري ، تحرير الاقتصاد من السيطرة الأجنبية .

ان هذه القضايا الثلاث قضايا متداخلة ومتكاملة . انها لا تنفصل ولا تنقسم . والنضال في سبيلها نضال لا يتجزأ . فاذا ما قسم ووزع لم يستطع تحقيق اي هدف من اهدافه .

ولقد دفعت التحولات التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية باتجاه تجذير الثورة الوطنية الديمقراطية ، فزاد تلاحم الثورة القومية بالثورة الاجتماعية ، وسقطت قيادة الاقطاع والبرجوازية الكبيرة في مرحلة قصيرة جدا ، وتسمنت البرجوازية الصغيرة دست الحكم . ولكنها اثبتت مع ذلك عجزها عن حل المشاكل القومية والاقتصادية والاجتماعية الكبرى .

واثبتت وقائع القرن العشرين ان الكادحين بحزبهم الطبيعي وجبهتهم الوطنية الواسعة هم القادرون على حل هذه المشاكل (الصين ، فياتنام ، كوريا ، يوغسلافيا) .

وهذا كله يجب ان يكون واضحا ومفهوما لدى الذين يعملون في صفوف الثورة العربية عموما ، لانهم ان لم يعوه فقدوا القدرة على قيادة المعركة الطويلة نحو النصر . ولانهم ان لم يعوه ، لم يستطيعوا تحديد قوى الثورة ومهامها تحديدا صحيحا ، ولا استطاعوا تحديد اهدافها واعدائها ، وفي كل مرحلة تاريخية .

- ٥ -

نجد انفسنا مطالبين بعد هذا بتحديد الخطوط العامة للبرنامج العربي للثورة الفلسطينية . فهذا البرنامج وحده هو الذي يضع الثورة الفلسطينية في مكانها الصحيح من الثورة العربية . وبدونه تصبح الثورة الفلسطينية انتفاضة محكومة بالعزلة والموت . ويتلخص هذا البرنامج في النقاط التالية :

اولا : ضرورة ان تعي الثورة الفلسطينية حقيقة كونها جزء من

قضية قومية ، لا قضية قومية مستقلة . ان وعي هذه الحقيقة يقود الى وعي ابعاد معركتنا الحقيقية . وهناك فرق كبير بين ان تكون القضية الفلسطينية جزءا من قضية قومية عربية وبين ان تكون قضية قومية مستقلة . ان الذين لم يولوا هذه الموضوعية الاهتمام اللازم قادونا الى الضياع ، مفرغين القضية الفلسطينية من مضمونها الحقيقي ، ومعطين للقضية العربية مدلولات مشوهة .

ثانيا : ضرورة ان تعي الثورة الفلسطينية حقيقة كونها جزء من قضية قومية في النصف الثاني من القرن العشرين ، بكل ما يحمله النصف الثاني من القرن العشرين من مدلولات . ذلك ان وعي القضية ضمن اطارها الزماني والتاريخي ، وضمن ظروفها الموضوعية ضروري جدا لادراك مدلولاتها السياسية ، ولوضع الخطط من اجل حل اشكالاتها . والذين لا يفرقون بين القضايا القومية في القرن التاسع عشر وفي اوائل القرن العشرين ومنتصفه ونصفه الثاني اعجز من ان يتحملوا مسؤولية حل هذه القضايا .

ثالثا : ان هذا كله يستلزم ما يلي :

- أ - ان تعمل الثورة الفلسطينية لكي تأخذ بعدها القومي العربي .
- ب - ان تعمل على تعبئة الجماهير والقوى الوطنية العربية ضمن هذا الاطار .
- ج - ان تجند مقاتلين عربا لكي يشاركوا في معركة التحرير ومعركة تصعيد الثورة وحمايتها .
- د - ان تعتبر نفسها دائما جزءا من قوى حركة التحرر الوطني العربية ، وجزءا من الثورة القومية الديمقراطية العربية ، وان تقيم تحالفاتها على هذا الاساس ، وان تحدد مهماتها دائما من هذا المنطلق .
- هـ - ان تلعب دورا فعالا ، من حيث هي طبيعة تحظى باحترام كل قوى حركة التحرر الوطني العربية ، في تحقيق جبهة قوى

حركة التحرر الوطني العربية .  
ان على الثورة الفلسطينية ان تجتاز «الحاجز» الذي يفصلها  
عن الثورة العربية . ان تجتازه بوعي ومهارة ومرونة ولكن بسرعة ،  
لان بقاء هذا «الحاجز» اصبح يهدد مجرد بقائها .

- ٦ -

اذا كانت الثورة الفلسطينية مطالبة بتحديد برنامج عربي لها ،  
فان قوى حركة التحرر الوطني العربية مطالبة ايضا بتحديد  
برنامج فلسطيني لها . وتحديد هذا البرنامج من اولى مهماتها  
باختبارها قوى حركة تحرر وطني .

وتتلخص الخطوط العامة لهذا البرنامج بما يلي :  
اولا : اعتبار قضية الاحتلال الصهيوني القضية القومية الاولى  
ومواجهتها على هذا الاساس .

وهذا لا يعني ان يؤجل النضال من اجل الوحدة ، او من اجل  
انهاء مخلفات القرون الوسطى وسيطرة الاقطاع او سيطرة رأس المال  
الاجنبي ، بل يعني ان تأخذ قضية الاحتلال الصهيوني مكانها بين  
هذه القضايا ، وان تكون على رأسها ، متفاعلة معها ، لا منفصلة  
عنها .

ثانيا : ان تضمن قوى حركة التحرر الوطني العربية برامجها  
النظرية والعملية ما يدل دلالة واضحة على ما ذكرناه آنفا .  
وهذا يعني ان ينسجم الوعي النظري مع الممارسة العملية ،  
وان يستوعب الوعي النظري ابعاد القضية ، لتجسد الممارسة ما  
استوعبه الوعي .

ثالثا : ان تبدأ قوى حركة التحرر الوطني العربية بما يلي :  
١ - اعادة النظر في برامجها وممارساتها لتكون منسجمة مع  
هذا الخط .

ب - الانتقال الى المشاركة الفعلية في القتال ، كل اشكال

القتال من أجل تحرير فلسطين . وهذا يقتضي إعادة بناء القوى على أسس سليمة تكفل لها القدرة على المشاركة ، كما يقتضي بناء جبهة وطنية واسعة عريضة تضم كل قوى حركة التحرر الوطني العربية ، على أساس برنامج حركة تحرر وطني ديمقراطية وتقدمية .

رابعاً : ان تلتزم قوى حركة التحرر الوطني العربية مرحلياً بالتالي :

- أ - مقاومة مخططات التصفية والاستسلام مقاومة جديده .
- ب - حماية الثورة الفلسطينية وامدادها باسباب البقاء والنمو .

## - ٧ -

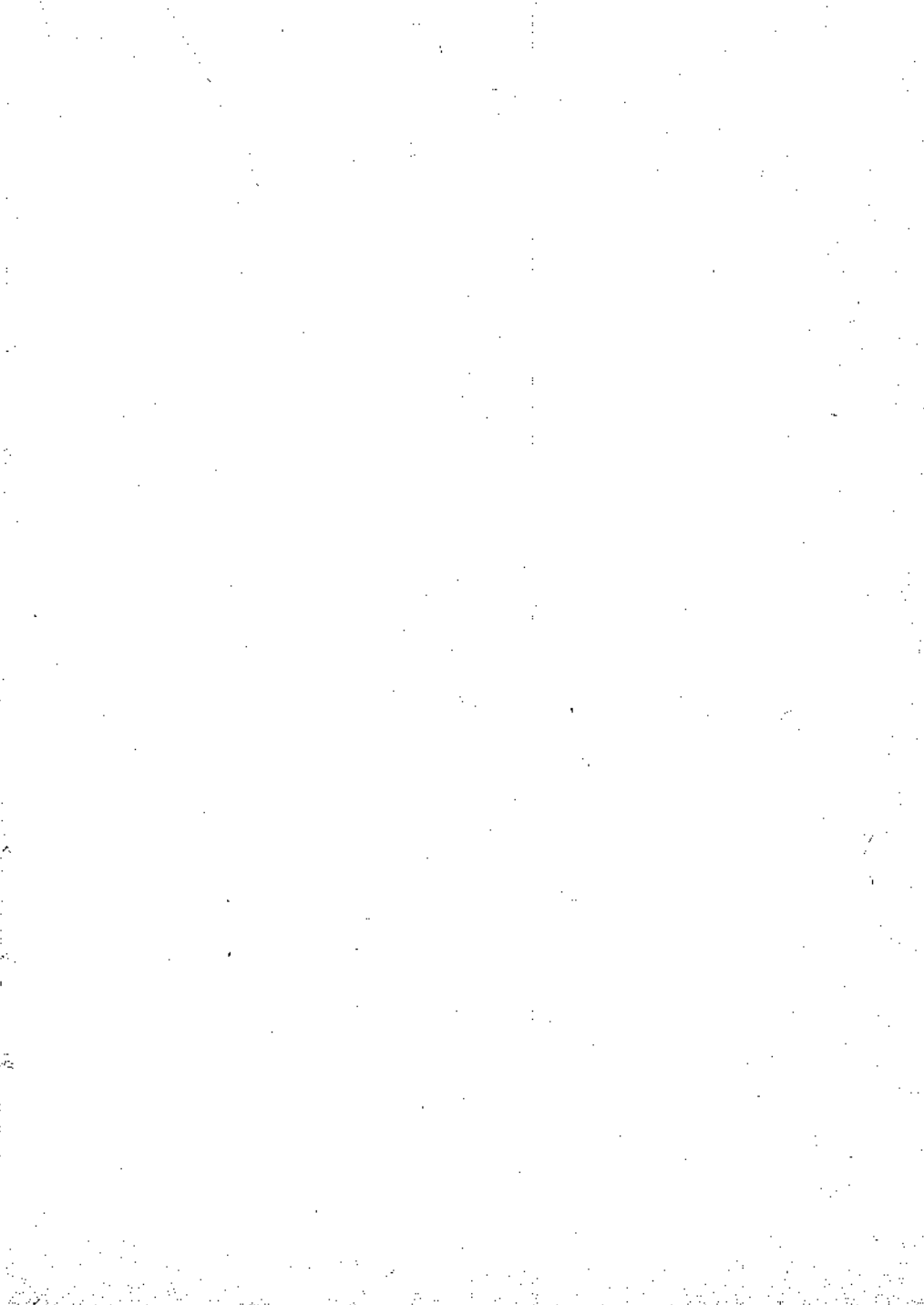
المطلوب في المرحلة الحالية ان تبقى الثورة الفلسطينية اولاً ، لان البقاء هو شرط العلاج ، فاذا ما صفت كان الحديث عن العلاج عبثاً .

ولكي تبقى لا بد من ان يبدأ سقوط «الحاجز» . وسقوط الحاجز لا يتم الا بعمل من الداخل والخارج ، من قوى الحركة الوطنية الفلسطينية وقوى حركة التحرر الوطني العربية .  
فلنبدأ العمل قبل فوات الاوان .

القسم الرابع

المقاومة الفلسطينية والواقع العربي





## الاضاع العربية ومستقبل المقاومة اللسطينية

ملاحظات أعدت للمناقشة في

٢٨-٥-٧٢ ، ولم تنشر .

### مدخل :

ان التداخل ما بين القضية الفلسطينية والاضاع العربية ليس تداخلا عارضا . انه حصيلة العلاقة القومية ما بين فلسطين والامة العربية . وهذا التداخل هو الطرف الموضوعي الذي تدور الإرادة الفلسطينية في فلكه . ومن هنا تأتي اهميته البالغة في تقرير مصير فلسطين .

وهذا التداخل عامل قوة وعامل ضعف . انه عامل قوة لان قوة الامة العربية وطاقاتها البشرية والمادية واتساع رقعة اراضيها وموقعها الاستراتيجي ودورها العالمي يمكن ان تكون في خدمة التحرير . وهو عامل ضعف لان الانظمة العربية والقوى المضادة للثورة في الوطن العربي لا تستطيع ان تعزل نفسها عما يجري في

فلسطين ، لانه يقرر مصيرها .  
ولهذا فان علينا ان نأخذ هذا التداخل بعين الاعتبار . في كل  
خططنا الاستراتيجية والتكتيكية . لاننا ان لم نفعل ذلك أهملنا  
الظروف الموضوعية التي تدور القضية في فلكها ، وبهذا نكون قد  
أهملنا أهم شروط الانتصار .  
والواقع اننا في السنوات الماضية لم نول هذه القضية حتى  
أبسط أشكال الاهتمام . ولهذا فنحن نعيش المأزق الاستراتيجي  
الذي نعيشه الآن .

### خلفيات الوضع العربي الراهن :

تتلخص خلفيات الوضع العربي الراهن بما يلي :  
أولاً: هنالك امة يبلغ أفرادها مائة وأربعين مليوناً، وتمتد على  
مداخل آسيا وأفريقيا ، وتحتل ما يقرب من نصف الشواطئ  
المتددة على طول البحر الأبيض المتوسط ، وهي بهذا ذات موقع  
استراتيجي هام . كما ان هذه الأراضي تحتوي على ثروات هائلة  
منها النفط الذي يشكل ركنا أساسيا في الصناعة الحديثة . وهي  
فوق ذلك ، سوق كبيرة للتجارة الرأسمالية . ولكن هذه الأمة ،  
ذات الماضي العريق ، والتاريخ العظيم ، مجزأة مفككة متخلفة ،  
وما زالت الإمبريالية العالمية تعمل جاهدة لابقائها كذلك . وتلعب  
دولة الاحتلال الصهيوني دورا هاما لتكريس هذا الواقع .

ثانياً : عندما ظهرت فكرة انشاء دولة صهيونية في فلسطين،  
كان الحافز وراءها هو خلق دولة تلعب دور الاداة للاستعمار  
الغربي من اجل منع تحقق الوحدة العربية والمحافظة بالتالي على  
التخلف ، وعلى المصالح الإمبريالية في المنطقة .

ثالثاً : ولهذا فان النضال العربي كان منذ بداية هذا القرن  
يربط بين النضال في سبيل الوحدة وضد التخلف وبين النضال

ضد الحركة الصهيونية . ولكن النضال العربي الذي اخفق قبل سنة ١٩٤٧ في تحقيق اية خطوة على طريق الوحدة ، وفي اوساء اساس للتقدم ، اخفق في مواجهة الحركة الصهيونية التي تدعمها الاستعمار .

ونتيجة هذا الاخفاق قامت دولة الاحتلال الصهيوني .  
**وابعا :** وظل النضال العربي . بعد قيام دولة الاحتلال الصهيوني مفككا ومجزا . وعاجزا عن تحقيق مهماته الوطنية الديمقراطية ، وعن تعبئة الجماهير لمقاومة السيطرة الصهيونية - الامبريالية . ولذلك كانت هزيمة ١٩٥٦ وهزيمة ١٩٦٧ .  
**خاصا :** وحين انطلقت الثورة الفلسطينية سنة ١٩٦٥ كان هنالك عاملان هامين ، من جملة العوامل التي تتحكم بالمنطقة . وهذان العاملان هما :

١ - تراجع حركة الجماهير العربية وانحسار المد الجماهيري في البلاد العربية وتقلص الدور الذي تلعبه الجماهير .  
٢ - عجز الحركات القومية الفائزة (الناصرية ، البعث خاصة) عن تحقيق الوحدة القومية او ، على الاقل ، خطوات هامة واسباسية على طريق الوحدة القومية . كما عجزت هذه الحركات عن تهيئة اي قطر عربي لمجابهة الهجمات الامبريالية - الصهيونية . ولقد انفصمت اول وحدة نتيجة لهذا العجز .  
ولهذا كانت الثورة الفلسطينية تنمو في جو انحسار عربي . وظل هذا الانحسار يزداد يوما بعد يوم .

**سادسا :** كان من نتيجة الصراع بين الامبريالية العالمية والحركة الوطنية العربية ، ان وجدت الحركة الوطنية العربية في الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية حليفا لها . وقد ظلت العلاقات تنمو وتتطور ، حتى اتجه الاقتصاد في بعض البلدان العربية نحو الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ، بعد ان كان مرتبطا كل الارتباط بالغرب . كما ان جيوشا عربية نشأت في ظل هذا التعاون : مصر ، سوريا والى حد : العراق

والجزائر وليبيا .

وبهذا أصبح هذا التعاون جزءا من حقائق الصراع ، وأصبح الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية طرفا في صراعنا مع الصهيونية والامبريالية ، وان كان هذا لا يلغي ما يمكن ان ينشأ من خلافات ضمن اطار التعاون هذا .

### ملاحح الوضع العربي الراهن :

صحيح ان الوضع العربي الراهن معقد ، ولكن سماته وملاححه واضحة وهي تتلخص فيما يلي :

**اولا :** هنالك حركة وطنية ، حققت انتصارات خلال العقود الثلاثة الماضية . واهم هذه الانتصارات : ١- استقلال سوريا ، لبنان ، السودان ، بلدان المغرب العربي ، واليمن الديمقراطي وبلدان الخليج ، ٢- ضرب الاقطاع ومواقع الاستعمار السياسية والاقتصادية في سوريا ، العراق ، اليمن الديمقراطية ، مصر ، ليبيا ، الجزائر ، ٣- احراز تطور اقتصادي جزئي - انشاء صناعات وطنية الخ ، ٤- انشاء جيوش كبيرة نسبيا ، في سوريا والعراق ومصر والجزائر .

ولكن الحركة الوطنية العربية ما زالت تعاني مما يلي :

- ١ - تجزئتها وتفككها : فهي مجزأة مفككة ، داخل القطر الواحد ، وما بين قطر وآخر . الحزب الواحد أصبح احزابا (حزب البعث) . والحركة الواحدة أصبحت حركات (الناصرية) .
  - ب - عجزها عن استقطاب الجماهير وتنظيمها وقيادتها .
  - ج - عجزها عن تحديد خط استراتيجي سليم ، يحدد سلم الاولويات ، ويحدد مهمات النضال وأساليبه في كل مرحلة .
- ولهذا كله فان الحركة الوطنية العربية ما زالت عاجزة عن تحقيق مهماتها الاساسية في هذه المرحلة وهي :

- ١ - تحرير الاراضي المحتلة ، وعلى رأسها فلسطين .
  - ب - تحقيق الوحدة العربية .
  - ج - إنهاء التخلف الاقتصادي والاجتماعي ، ووضع اساس سليم للتقدم والنمو .
- والحركة الوطنية العربية فوق هذا ، اخذت منذ اوائل الستينات ، تفقد طابعها كحركة شعبية ، واخذت تتلاشى في الانظمة او تنعزل وتمزق .
- ومن هنا عاشت الثورة الفلسطينية منذ سنة ١٩٦٥ وحدها ، الا من عواطف الجماهير العربية وحماسها العفوية . وهو ما يشكل اليوم عاملا اساسيا في المازق الاستراتيجي الذي نعيشه .
- ثانيا :** هنالك الدول العربية . وهي دول مختلفة الانماط . ولكنها تصنف عادة على اساس انها دول تقدمية ورجعية . ولهذا التصنيف اسبابه . ذلك ان الدول المصنفة تقدمية صفت كذلك نتيجة ما يلي :
- ١ - اسقطت نظام الحكم التقليدي - استعماري او وطني .
  - فالجرائر انتهت الاستعمار الفرنسي ومصر اسقطت حكومة فاروق ، والعراق اسقط العائلة الهاشمية ، وسوريا انتهت حكم البرجوازية التجارية ، واليمن الديمقراطية انتهت حكم السلاطين والاستعمار .
  - ٢ - قامت الحكومات في هذه البلدان باصلاحات اقتصادية كبيرة : انتهاء الاقطاع ، مصادرة رأس المال الاجنبي ، تأميم رأس المال الوطني الكبير ، انشاء القطاع العام .
  - ٣ - اتجهت هذه الحكومات فسي تحالفاتها نحو الدول الاشتراكية .
  - ٤ - اقامت هذه الحكومات سلطة البرجوازية الصغيرة على حساب الاقطاع والبرجوازية التجارية ، عن طريق حزب واحد احيانا ، وعن طريق تكتل عسكري مدني في احيان اخرى .
- اما الانظمة المصنفة رجعية فهي :
- ١ - حاقت على اشكال الحكم التقليدية ، الملكية او النظام

البرلماني التقليدي .

٢ - ابق على السيطرة القطاعية والراسمالية المحلية والاجنبية .

٣ - زادت من ارتباطها بالغرب .

وطبيعا ان تختلف مواقف هذه الحكومات من الامبريالية ، وبالتالي من الصهيونية . لان حكومات الفئة الاولى خرجت من دائرة الاستعمار التقليدي ، وخطت خطوات نحو الخروج من دائرة السيطرة الامبريالية (١) . اما الحكومات الاخرى فهي تحت السيطرة الامبريالية الكاملة .

**ثالثا :** ولكن هذا التصنيف لا يعني ان حكومات الفئة الاولى ستكون مع تحرير فلسطين حتى الموت ، وان حكومات الفئة الثانية ستكون ضد تحرير فلسطين حتى الموت . ان هنالك مجموعة من العوامل التي تتحكم بمواقف هذه الدول جميعا . ومن هذه العوامل :

أ - مدى قرب هذه الدول او بعدها عن خط النار ، لان الدول القريبة من خط النار لا بد لها من ان تحسب الحساب لدى تأييدها الثورة الفلسطينية او مشاركتها فيها .

ب - مدى تأثير الثورة الفلسطينية ، وبالتالي الصدام مع دولة الاحتلال الصهيوني على الانظمة المعنية .

ج - مدى التزام الانظمة المعنية بقضية التحرير .

د - مدى السيطرة الامبريالية على الانظمة المعنية ، او مدى تأثير الاتحاد السوفياتي عليها .

هـ - مدى قدرة الانظمة المعنية على القتال ومدى استعدادها لتحمل اوزار القتال .

---

١ - قامت الولايات المتحدة الامريكية بعد ذلك بمساع لاستعادة سيطرتها .

و - مدى قدرة الجماهير في اي بلد على التحرك ، ومدى تحسبها بالقضية .

**رابعا :** ونتيجة لهذا كله نستطيع الآن ان نؤكد ما يلي :

١ - ان الجماهير العربية مع الثورة الفلسطينية ، ومع التحرير . ولكنها جماهير غير معبأة وغير منظمة ، وغير معدة للقتال ، وما زالت تعاني من عوامل الاستلاب المختلفة .

ب - ان الحركة الوطنية العربية بمختلف اتجاهاتها . هي مع التحرير . ولكنها حركة مجزأة . مفككة . عاجزة بنسب مختلفة عن تعبئة الجماهير وقيادتها . وعاجزة كليا او جزئيا عن خوض الصراع مع القوى الامبريالية والصهيونية .

ج - ان الانظمة المصنفة على انها تقدمية يختلف تناولها لقضية التحرير نظريا . ولكنها عاجزة عمليا . واذا كان بعضها يصر على ضرورة القتال . مثل الجزائر وليبيا ، فان بعضها الآخر يتجه نحو الحل السلمي مثل مصر . وتعمل بعض هذه الدول ما استطاعت لتضع الثورة الفلسطينية ضمن استراتيجيتها الرسمية ، ولاستخدامها في الضغط من اجل تحقيق حل من الحلول السلمية . كما ان هذه الانظمة تتعرض لمؤامرات تصفية من الداخل ، اي ان الامبريالية ودولة الاحتلال الصهيوني تسعيان ما وسعهما لضرب هذه الانظمة من الداخل بدفع عملاء ومرتزقة للسيطرة عليها . ولهذا فان اجحة اكثر تخاذلا واكثر ميلا نحو الغرب تنمو فسي داخلها . ويصدق هذا على الجزائر ، كما يصدق على مصر وسوريا . ويتأثر موقف هذه الانظمة من الثورة ومن التحرير بالعوامل التالية :

١ - امكانية نشوب القتال وشعورها بالعجز عنه .

٢ - امكانية تحقق حل سلمي .

٣ - امكانية تأثير الثورة على الاوضاع الداخلية .

٤ - امكانية التأثير الدولي .

وفيما يتعلق بالبند الاول ، فان كل الدول العربية الواقعة على



خط المواجهة تخشى نشوب القتال ، وان كانت مصر هي الدولة الاكثر قدرة على التحدي والاكثر حديثا عن احتمال نشوب القتال . ويعود هذا الى الاسباب التالية :

١- مصر تملك جيشا كبيرا يزيد على نصف المليون جندي ، مجهزا بأحدث الاسلحة .

٢ - مصر فقدت سيناء ولا يحتمل الوضع الداخلي تجاهل هذه الحقيقة .

٣ - احتمال ان تهزم مصر مرة اخرى وارد . ولكن احتمال ان تحتل القاهرة اقل ورودا .

اما سوريا فوضعها مختلف :

١ - ان جيش سوريا لا يزيد عن ربع مليون جندي . وهو بوضعه الحالي لا يستطيع التصدي لجيش دولة الاحتلال تصديا فعالا .

٢ - ان نشوب حرب جديدة يهدد دمشق ، كما يهدد جنوب سوريا كله .

٣ - احتمالات الهزيمة اكبر منها في مصر واحتمالات الاحتلال الاسرائيلي لمناطق من سوريا اكثر منها في احتلال مناطق من مصر .  
د - ان الانظمة العربية المصنفة رجعية ليست ضد التحرير نظريا ، ولكنها عمليا مقيدة بما يلي :

١ - امكانية ان تهدد الحرب الطويلة أمن هذه الدول واستقرارها ومصالح طبقاتها الحاكمة .

٢ - امكانية ان تهدد الحرب الطويلة مصالح الامبريالية ، صاحبة الحل والعقد في هذه الدول .

٣ - امكانية ان تؤدي الحرب الطويلة الى تغيير خارطة المنطقة لمصلحة حركة التقدم في المجتمع .

ولهذا فان هذه الانظمة مستعدة ان تؤيد حركة فدائية ، ماديا واعلاميا ، شريطة الا تتحول هذه الحركة الفدائية الى حركة

شعبية سياسية ذات وزن في تقرير سياسة المنطقة، وفي محاربة المصالح الامبريالية .

هـ - ان الخطوات التي تقودها مصر (انشاء جيش قوي ، اتباع سياسة انفراج وتعاون مع الدول العربية ، توثيق العلاقة مع الاتحاد السوفياتي الخ) هي خطوات تتجه نحو حل سلمي اساسا . اي انها تستهدف اساسا فرض حل دبلوماسي على دولة الاحتلال الصهيوني والولايات المتحدة الاميركية .

ولكن هذه الخطوات بحاجة الى وجود حركة المقاومة اولا ، والى وجودها ضمن استراتيجيتها ثانيا .

الا ان هذه الخطوات لن تقود الى السلام ، لان السلام الذي تطلبه الولايات المتحدة ودولة الاحتلال الصهيوني ، هو الاستسلام الكامل الذي لا يستطيع هذا النظام ان يقبله او يفرضه على جماهيره .

ولهذا فان ما سيحدث هو احد احتمالين :

الاول : ان تستمر هذه الخطوات ، وان تتصاعد ، وهذا سيقود الى القتال ، المحدود او غير المحدود .

الثاني : ان تنجح محاولات الامبريالية والصهيونية في اقامة نظام اكثر مواءمة وارتباطا لتحول دون الحرب مؤقتا ، ولتكيف الأوضاع العربية مع امكانية استسلام دائم .

و - ان هنالك عددا من الاحتمالات التي تؤثر في الوضع العربي ايجابيا ، وهي :

١ - انطلاق حركة المقاومة من جديد انطلاقة ثورية ، تتجاوز العقبات القائمة ، وتثبت القدرة على حل المأزق الاستراتيجي .

٢ - تطور حركة الجماهير العربية واندفاع الجماهير من جديد في موجة جديدة كما حدث في الخمسينات . وهنالك بوادر برزت في حركة الطلبة المصريين مثلا .

٣ - قيام جبهات وطنية في كل قطر ، وقيام جبهة وطنية

- عربية تضم كل القوى الوطنية العربية على اساس برنامج سياسي  
محدد يضع قضية فلسطين في مكانها الطبيعي .
- ٤ - قيام نوع من الوحدة بين سوريا والعراق ومصر .
- ٥ - انحسار الصراع الداخلي في مصر وسوريا والعراق  
والجزائر لمصلحة الحركة الوطنية ، ضد محاولات الامبريالية  
والقوى المضادة للثورة .
- ٦ - انعكاس الانتصارات العالمية (فيانام والهند الصينية)  
على الوضع العربي ، الرسمي والشعبي .

## ١ - الاردن وحركة المقاومة

بدأت السلطة في الاردن، اواخر شهر آذار، المرحلة الجديدة من عملياتها لتصفية حركة المقاومة. ولقد اختارت السلطة هدفين عسكريين وهدفا سياسيا . اما الهدف العسكري الاول فقد كان السيطرة على مدينة اربد ، عاصمة الشمال ، وعنق الزجاجة في عملية الاتصال بين قواعد المقاومة في الداخل وقواعدها في الخارج . وكان وضع اربد ، بعد سقوط جرش والسماح لقوات الجيش بالتمركز في اربد ، قد اصبح صعبا وحرجا . اما الهدف الثاني فكان السيطرة على عمان سيطرة كاملة بتجريدتها من السلاح . وكان وضع عمان صعبا وحرجا ، لسقوط طسرق المواصلات بيد الجيش ، بعد سقوط جرش والرصيفية ، ونتيجة وجود مراكز متعددة للجيش داخل المدينة . وكانت السلطة تعلم ان السيطرة على اربد وعمان يعني السيطرة الكاملة على المسدن وطرق المواصلات . اما الهدف الثالث فكان انتهاء مهمة اللجنة العربية وبعثة الرقابة العربية التي جاءت الى الاردن بموجب اتفاق القاهرة ، والتي حاولت ان تكون حكما رياضيا في جو صراع محموم ، فلم تستطع ان تلعب اي دور يستحق الذكر ، غير الدعوة للصبر والتريث ، وغير جمع الطرفين بعد كل صدام لمحاولة منع صدامات مقبلة . مع ان السلطة كانت تكسب في كل

صدام موقعا . وعلى الرغم من فعالية البعثة واخلاص معظم ضباطها واتضح آفاق المؤامرة امام اعينها ، فانها لم تستطع ان تحول دون ان تكون واجهة لعبت السلطة من ورائها دورا تأمريا خبيثا . وكانت المرحلة الجديدة في المخطط التأمري تقتضي ان تنتهي اللجنة والبعثة ، لان لحظة التصفية النهائية قد حانت . وكان ضرب اربد وعمان سينهي مهمة هذه اللجنة ، وسينهي بالتالي اية شهادة عربية واية رقابة عربية على ما يجري في الاردن .

ولقد استطاع الجيش ان يحتل اربد بعد معركة دامية مع الميليشيا ، ولكن سقوط اربد دفع السلطة الى توسيع نطاق الهجوم ضد عمان وضد قواعد المقاومة في الاغوار وجرش وعجلون .

ولما عجزت اللجنة العربية عن عمل شيء لان السلطة منعتها من التحرك الى اربد، اعلن رئيس اللجنة العسكرية العميد احمد حلمي احتجاجه وكشف اساليب السلطة الاردنية . فبادرت القاهرة بعد ذلك الى سحب جميع ضباطها من البعثة (١)، وفي هذا اليوم دعا الملك حسين الى مؤتمر قمة عربي ، في محاولة لكسب الوقت ، ولتركيز اهتمام الدول العربية والجماهر العربية على المؤتمر ، بدلا من ان يركز على مؤامرة التصفية .

ولكن الرئيس السادات لم يوافق على الدعوة الى مؤتمر قمة، فدعا في اليوم التالي الى اجتماع لمثلي الملوك والرؤساء العرب الذين وقعوا على اتفاق القاهرة (٢) .

وبدأت في هذا الوقت الية احتجاج واستنكار واسعة ، اشترك فيها بعض الرؤساء العرب ، وساهمت فيها الاحزاب

١ - جريدة فتح ، يوم ٢٠-٢-١٩٧١ ، العدد ١٨٧ .

٢ - جريدة فتح ، يوم ١-٤-١٩٧١ ، العدد ١٨٨ .

والمنظمات الشعبية والجماهير ، ضد مؤامرة التصفية والاستسلام في الأردن .

ولكن النظام استمر في مؤامره ، فاستمر تطويق عمان وقصفها ، كما استمرت محاصرة القواعد وعمليات المناوشة والاستفزاز ضدها . وحاولت السلطة في الأردن ان تعطل اجتماع ممثلي الملوك والرؤساء حتى تنهي موضوع السيطرة على عمان ، وكانت السلطة تفضل ان تجرد حركة المقاومة عمان من السلاح لانها بذلك تتجنب مجزرة جديدة ، وتتجنب بالتالي ، عدا الخسائر الكبيرة في الجيش وآلياته ، نعمة الجماهير وسخط الراي العام العربي والعالمي .

وبينما كان مقررا ان يجتمع ممثلو الملوك والرؤساء يوم ٤٤٤٤ فان مؤتمهم لم يبدأ . وفي هذا الوقت قام الملك حسين بعقد اجتماع في قصره للوزراء والاعيان والنواب حاول فيه ان يحتال على الجماهير بقوله : لا سلام دون القدس . ولكن موضوعه الاساسي كان موضوع الصدام مع حركة المقاومة . وهنا قال الملك بلهجة المتشدد : «اننا لا يمكن ان نساوم على أمن هذا البلد واستقلاله وأمن المواطنين وحياتهم » ، وأضاف الملك : «واذا كان هنالك أمل في تسوية الازمة دون اللجوء الى الشدة فلن نتخلى عنه » (١) .

وكانت الاشتباكات في هذا الوقت ما زالت مستمرة ، بينما كانت الحملات الاعلامية العربية مستمرة على النظام في الأردن ، وكان بعض الرؤساء العرب وبعض المنظمات الشعبية يطالبون بوقف المجزرة (٢) .

واتهم الباهي الادغم ، مع استمرار المؤامرة، الحكومة الاردنية

١ - النهار ، ٤-٤-١٩٧١ .

٢ - فتح ، العدد ١٩٠ ، ١٩١ .

بانها «كانت دائما تعمل على عرقلة اعمال اللجنة ، وعلى اشعاره بعدم رغبتها في استمرار وجودها في الاردن» . واذاف الباهي الادغم «انه من المستحيل في ظل الظروف الحالية ايجاد تفاهم بين الفدائيين والحكومة الاردنية ، ما دامت هذه الاخيرة تصر على عرقلة اي جهد مخلص يبذل لهذه الغاية» .

وكان رياض المفلح ، ممثل السلطة الاردنية في اللجنة العربية قد احتج على تقديم الباهي الادغم تقريره لمؤتمر ممثلي الملوك والرؤساء على اساس ان التقرير يجب ان تقدمه اللجنة ، وليس الباهي الادغم ، مع العلم بان ممثل السلطة صرح يوم ٣١-٣ بان مهمة اللجنة قد انتهت (١) .

وقامت السلطة في هذا الوقت ، وخلال استمرار هجماتها وتهديداتها ، بما يلي :

اولا : رفضت الاشتراك في اجتماع ممثلي الملوك والرؤساء ، بحجة ان الدعوة وصلت متأخرة .

ثانيا : قامت بهجوم على الدول العربية عموما واعتبرتها مشتركة في مخطط تأمري لتدمير الاردن ، كما اتهمت الجمهورية العربية المتحدة بشن «حملة مفرضة على الاردن» (٢) .

وتوجه اللواء طلاس رئيس الاركان السوري يوم ٨-٤ الى عمان للتوسط . وقد جرى الاتفاق في عمان على تشكيل لجنة سداسية ، تتالف من اثنين من ج.ع.س ، واثنين من السلطة الاردنية واثنين من المقاومة ، على ان تحدد هذه اللجنة العلاقات بين السلطة والمقاومة ، وتشرف على تنفيذ الاتفاقيات .

تمت هذه الاتفاقية ، ومؤتمر ممثلي الملوك والرؤساء لم ينعقد بعد . فحاول النظام في الاردن ان يستفيد منها ليحبط مؤتمر

١ - فتح ، العدد ١٩٢ .

٢ - فتح ، العدد ١٩٤ ، ٨-٤-١٩٧١ .

القاهرة ، ولينهي اتفاقية القاهرة ، وليحقق اهدافه في السيطرة على عمان قبل ان يستطيع ممثلو الملوك والرؤساء عمل شيء .

ولقد رفض رئيس اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية هذه الاتفاقية وطلب ان تقدم لمؤتمر القاهرة ، لتدرس فيه ، فيقرها او يرفضها . ثم عقد مؤتمر القاهرة يوم ١٠-١٠ . وبعد ان كانت الاصوات تردد بان المؤتمر سيدين الذين خرجوا عن اتفاقية القاهرة ، اخذت بعض الاصوات تقول بان المؤتمر لا يستهدف أحدا . وحين انتهى المؤتمر اكتفى بمناشدة الطرفين وقف نزيه الدم .

واستطاعت السلطة باحباط مؤتمر ممثلي الملوك والرؤساء واحباط مهمة اللواء طلاس ، وبجو الترويع والتهويل الذي خلقتة في عمان ، ان تحصل على تجريد عمان من السلاح بلا معركة .

وحين خرجت ارتال الميليشيا والاعداد القليلة من الفدائيين دخل الجيش محتلا ومروعا ، وتنفست السلطة الصعداء ، ولم يستطع رؤوس النظام الا ان يعبروا عن فرحتهم . فالسلطة تعرف اهمية عمان واهمية السيطرة على عمان . وهي تعرف ان الذي يسيطر على عمان يستطيع السيطرة على الاردن . ثم ان عمان هي مركز الدولة ومركز النشاط الاقتصادي والتجاري ، والذي يشلها يشل الدولة كلها . وها هي عمان نفسها ، القادرة على ايقاع افدح الخسائر في النظام تفتح له ابوابها سلما . فلماذا لا يصرح وصفي التل قائلا : «لقد كانت عمان مفتاح قضية الامن في الاردن ، وكان اختلال الامن والطمأنينة فيها السبب المباشر والوحيد لكل التشنجات ولكل الاجراءات الاستثنائية الناتجة عنها » (١) .

وبينما كان وصفي التل يؤكد بأنه «ليس هنالك من حدود لرعاية العمل الفدائي وتأمين الحرية لدعمه وتوفير كل المجالات



لنصرته واتجاهه الاتجاه الصحيح...»  
كان الملك حسين يعلن أن السلطة قد أخضعت الفدائيين ،  
وانها تسيطر عليهم سيطرة تامة (١) .

ومع هذا كله فإن «الأرضية الممتازة للتعاون» التي تحدث  
عنها التل لم تتحقق بتجريد عمان من السلاح ، واستمرت  
استفزازات السلطة واعتداءاتها ، واستمرت الاشتباكات . ولم  
يلبث الحسين أن صرح «أن اتفاقيات القاهرة وعمان والاتفاقات  
المنبثقة عنها كانت عبارته عن مراحل ونقاط على الطريق» (٢) .  
وما ان جرّدت عمان من السلاح ، وجرى اول اجتماع بين  
ممثلي م.ت. وممثلي السلطة حتى بادرت السلطة الى المطالبة  
باخلاء جرش وعجلون لانهما من المناطق السياحية . ثم قامت  
السلطة بتوزيع مذكرة على الدول العربية تتهم فيها حركة المقاومة  
بوضع خطة للتخريب والنسف والتدمير في الاردن. ومن الواضح  
ان هذه المذكرة كانت تستهدف بدء مرحلة جديدة من الهجمات  
على باقي مراكز المقاومة . ولقد بدأت هذه الهجمات بالفعل وما  
زالت الاشتباكات مستمرة .

ان النظام في الاردن ما زال مستمرا في هجومه وهو يستهدف  
القضاء الشامل والنهائي على حركة المقاومة ، لا لانه يريد ان يصفى  
القضية الفلسطينية باستسلام فحسب ، بل لانه حكم رجعي  
عميل، معاد للجماهير ومطامحها وحررتها وهو لا يستطيع ان يقبل  
بوجود جماهير مسلحة . وهذا النظام نتيجة عمالته وعجزه  
وارتباطه بالدوائر الامبريالية لا يقبل بوجود مقاومة مسلحة تعمل  
من اجل التحرير ، لانه يعلم ان وجود مثل هذه القوة كاف  
لاسقاطه ماديا ومعنويا .

١ - الاحرام ، ١٨-٤ ، والدبلي ستار ، ٢٨-٤ ، نقلا عن دي وبلت الاثانية.

٢ - الجريدة ٣٠-٤ .

وعلى المقاومة ان تعلم ان اسطورة التعايش ، حتى من اجل فلسطين ، غير ممكنة ، وان تتعلم كيف تقاوم على جبهتين ، جبهة العدو الصهيوني ، وجبهة القوى المضادة للثورة .

## ٢ - زيارة روجرز الى عمان

تأتي اهمية زيارة روجرز مما يلي :

اولا : لقد جاءت هذه الزيارة ، بعد ان ضربت قوات المقاومة في مدن الاردن ، او انسحبت منها ، وبعد ان امنت السلطة سيطرة نسبية في طول الاردن وعرضه . ولولا هذه السيطرة (اخراج السلاح من المدن ، فرض الهدوء بقوة السلاح ، الخ) ، لما استطاع روجرز ان يجيء الى عمان ، ولكان فشله اشنع من فشل مساعده سيسكو قبل سنة خلت .

ثانيا : جاءت هذه الزيارة ، بعد محاولة اوساط عربية معينة ، ان توهمنا بان تحييد الولايات المتحدة ممكن ، وانه حدث سنة ١٩٥٦ ، ويمكن ان يحدث مرة اخرى .

ثالثا : جاءت هذه الزيارة وهناك استعداد للبحث فسي التسويات والتصفيات .

ولكن روجرز عندما جاء لم يكن يحمل في جعبته اية مشاريع تتعلق بحل شامل للمشاكل في المنطقة . وعلى الرغم من تأكيده «ان الموقف غير المستقر في الشرق الاوسط قد يؤثر تأثيرا مباشرا على امن المنطقة وسلامتها» ، فانه كان يعلم بان زيارته لمصر واسرائيل لن تسفر «عن اية نتائج مثيرة» حسب تصريحه (١) . ان الولايات المتحدة لا تطرح في هذه المرحلة حولا شاملة ولا

تضبط من اجل تنفيذ قرارات مجلس الامن . وما تريده الولايات المتحدة من الدول العربية هو ان تسير هذه الدول على طريق الخضوع . ولقد كان مخططها منذ البدء الا تفصل موضوع النزاع العربي مع دولة الاحتلال الصهيوني عن موضوع السيطرة الامريكية على الوطن العربي . فالولايات المتحدة تريد سلاما في المنطقة ، ولكن السلام الذي تريد هو السلام الذي يضمن لها مواقعها ومصالحها . وما يهدد الولايات المتحدة ، وبالتالي دولة الاحتلال الصهيوني في المنطقة ، هو انتشار القتال وتوسع رقعته ، لان القتال يحرك الجماهير ويكشف العملاء والخونة ، ويضع الجماهير العربية امام اعدائها الحقيقيين . ولهذا فقد اصرت الولايات المتحدة منذ البدء على عدم الضغط على دولة الاحتلال . ثم شرطت الضغط فيما بعد بامرين : اولهما ايقاف القتال وكل الاعمال العدائية واثانيهما : الاستعداد لقبول حل استسلامي . ولقد بدا روجرز عمله باقتراح وقف القتال ، كل اشكال القتال ، في العام الماضي . وكان ان يوقف القتال النظامي على قناة السويس ، والتزمت الحكومة الاردنية التي كان جيشها حول عمان والمدن ، بموقف مماثل على طول نهر الاردن . ولكن المقاومة تحدثت القرار ، فكان قرار ان تسحق المقاومة . وضربت المقاومة ضربة ايلول وما تلاها . . . الجزء الاساسي من مشروع روجرز هو اذن في سبيله الى التحقق التام . ماذا بقي اذن ؟ ان تصفي المقاومة في الاردن ولبنان وكل مكان . وحتى يتم ذلك ويتم تحول المنطقة الى منطقة تابعة خاضعة ، تظل الولايات المتحدة تركز لا على قرار مجلس الامن وانسحاب قوات الاحتلال من الاراضي المحتلة بل على تحويل المنطقة لمصلحة الدولار . ومن هنا جاءت فكرة فتح قناة السويس . ان فتح القناة هو ليس الانسحاب ولا الحل ، ولكنه خطوة صغيرة يفتح بموجبها هذا الشريان الحيوي للملاحة الدولية ، ويصبح حاجزا بين القوتين المتحاربتين . وهكذا تبقى دولة الاحتلال حيث هي ، ويعزل جيش مصر عن الجيش

المحتل بقناة السويس ، الممر المائي المسالم ، المفتوح لكل اعلام العالم حتى علم اسرائيل ، وبسبعماية مليون دولار دخلا سنويا تحققة القناة بعد توسيعها (١) . ثم تواصل الولايات المتحدة لبعثها ، فتسقط من تسقط وترفع من ترفع ، وتبقى الامور كذلك حتى تجد الحل المناسب لمصالحها ومصالح الاحتلال الصهيوني . وكان النظام في الاردن يعرف ماذا يريد روجرز ، ولذلك حرص على ان يدخله عمان اولا ، وعلى ان يجعله يلمس ان عمان آمنة مطمئنة ، ثم على ان يدخله حتى الى مخيم الوحدات . لماذا فعل النظام في الاردن هذا كله ؟ لانه اراد ان يثبت لوزيـــــر الخارجية الامريكي ان النظام هو السيد الاوحد في البلاد ، وانه حقق ما طلب منه ، وانه قادر على التفاوض ، وهو المفاوض الوحيد .

اما القاهرة فقد حرصت ان تقابل روجرز بقلب مفتوح ، كما يقول الرئيس السادات ، لانها كانت تريد ان تعرف ماذا يريد روجرز ، وروجرز لم يكن يعوزه الذكاء ولذلك فقد عرض «عدة حلول بديلة تدور كلها حول التسوية المؤقتة وصلتها بالحل الشامل للأزمة ...» (٢) .

انه اذن يتحدث عن حل جزئي وحلول بديلة . وامام هذا كله كان لا بد من ان تصر القاهرة على اعتبار فتح قناة السويس والانسحاب الجزئي المقترح ليس «حلا منفصلا ، ولا هو حل جزئي ، انما هو تحريك اجرائي يرتبط ارتباطا عضويا بالحل الكامل على اساس تنفيذ قرار مجلس الامن بكل بنوده ، واولها الانسحاب من جميع الاراضي العربية التي احتلت بعد الخامس

١ - النهار ، ١٢-٥-١٩٧١ .

٢ - الامرام ، ٦-٥-١٩٧١ ، العدد ٣٠٨٢٧ ، السنة ٩٧ .

من حزيران» (١) . كما ان القاهرة أصرت على رفض «اي حل انتقالي مؤقت» (٢) .

ولعل هارتس اصابت كبد الحقيقة عندما قالت بأن الامريكيين لم يكونوا يريدون فتح القناة «ولكن ما دام نيكسون لا يعطي الضوء الاخضر لممارسة وسائل الضغط على اسرائيل ، فان الادارة الامريكية تتمسك بفكرة التسوية الجزئية ...» (٣)

والولايات المتحدة لن تضغط الا اذا حدث التطور المطلوب في السياسة العربية عموما وسياسة مصر خصوصا . وعليه فان «العودة الى معجزة ٥٧ دون تغيير اساسي ...» غير ممكنة . وهذا التطور المطلوب يتعلق بوضع المصالح الامريكية في المنطقة ، والمصالح الامريكية : «معروفة وهي العودة الى تجديد النفوذ الامريكي في العالم العربي ، وخصوصا مصر» (٤) .

وستبقى السياسة الامريكية في انتظار مثل هذه التحولات تنتظر وتناور وتطرح المشاريع والمشاريع البديلة مؤكدة انها سيده الموقف بلا منازع ، فاذا ما حصلت التحولات المطلوبة لم تكن الولايات المتحدة بحاجة الى ان تضغط لان التسوية ستم ، وستكون استسلاما كاملا .

١٩٧١ - ٦ - ٥

---

١ - الامرام ، ١-٥-١٩٧١ ، خطاب السادات ، العدد ٣٠٨٢٢ ، سنة ٩٧ .

٢ - الامرام ٧-٥-١٩٧١ ، العدد ٣٠٨٢٨ ، السنة ٩٧ .

٣ - هارتس ٥-٥-١٩٧١ ، نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، العدد ،

١٦-٥ ، ص ٥٣ .

٤ - دافار ٥-٥-١٩٧١ ، المرجع السابق .

## II

### ١ - المقاومة والواقع العربي

إذا كانت مشكلة الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية مع الانظمة العربية عموما والنظام الاردني خصوصا قديمة ومعقدة ، فانها اليوم تتجدد بكل تعقيداتها . ذلك ان الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية - وهما جزء لا يتجزأ من الامة العربية وقضية حريتها واستقلالها ووحدتها يقعان ضمن «مناطق نفوذ السياسة العربية ومناطق أمنها ومطامحها» . ولا يستطيع أي نظام عربي ، منذ كانت هذه الانظمة ، ان يتجاهل القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني ، لهذه الاسباب . ولهذا فقد كان الشعب الفلسطيني ، وكانت القضية الفلسطينية يجدان انهما اسيرا شبكات العنكبوت العربية ، وبالتالي شبكات العنكبوت الاجنبية التي تدور الدوائر العربية في فلكها .

وكانت الدول العربية منذ ما بعد الحرب العالمية الاولى، تعمل على ربط الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية بها عن طريق ما يلي :

اولا : خلق محاور سياسية في الحركة الوطنية الفلسطينية تابعة لهذه الدولة او تلك ، وكانت هذه المحاور تتنافس وتتعاذى، وتمزق الحركة الوطنية لمصلحة الرؤساء والملوك والامراء .  
ثانيا : عن طريق العون المادي والمساندة السياسية ، وكان الشعب الفلسطيني يحس دائما انه بحاجة الى هذا العون وهذه المساندة .

ثالثا : القدرة على التوسط مع الدول المستعمرة والدول الكبرى ، والضغط عليها لوقف الهجرة او السعي لديها لايلاء قضية شعب فلسطين بعض الاهتمام .  
ومع هذا كله ، فقد كانت الدول العربية ، ومنذ العشرينات حتى اليوم ، تلعب دور الكابح لجماح الشعب الفلسطيني ، المهديء لثورته ، النازع زمام المبادرة من يديه ، والمستوعب له بطريقة او بأخرى . وبالطبع كانت هذه السياسات تختلف من عهد الى عهد ، حتى في القطر الواحد ، ولكن هذه كانت النتيجة دائما : الشعب الفلسطيني واقع ضمن اطار السياسة العربية المجزأة ، وعليه ان يدور في مخططاتها .

وإذا كان هذا ينطبق على الانظمة العربية عموما ، مع اختلافات وفروقات عديدة ومتنوعة ومتغيرة ، فان للنظام الاردني وضعه الخاص بالنسبة للشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية . ذلك ان فلسطين كانت منذ حكمت العائلة الهاشمية شرق الاردن مطمح انظار هذه العائلة الطامحة الى السلطة . وكان الامير عبد الله يعلم منذ ذلك الحين (سنة ١٩٢٢) ان تحقيق هذه الغاية لا يتم الا بموافقة بريطانيا والحركة الصهيونية . ولهذا كان منع تهريب الاسلحة الى فلسطين من القضايا الاساسية التي بحثها المندوب السامي البريطاني في فلسطين مع الامير الجديد في شرق الاردن ، بعد الموافقة على تعيينه اميرا . ومنذ ذلك الحين والحكم فسي الاردن يعمل ضمن مخطط يستهدف :

١ - تخريب الحركة الوطنية في فلسطين بخلق محور عميل فيها يلعب دورا تخريبيا . وكان محور عمان هذا ضد الثورة دائما وضد كل اشكال العمل الوطني ، وقد لعب هذا المحور دورا تخريبيا في اضراب سنة ١٩٣٦ ، وفي الثورة ، كما ان هذا المحور هو الذي اخرج مسرحية ضم بقية فلسطين الى امانة شرق الاردن .

٢ - اقامة علاقات ودية مع بريطانيا ومع الحركة الصهيونية .

وقد قادت هذه العلاقات والاتصالات الى النتائج المعروفة لحرب سنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، والتي كان هم النظام الاردني ان يخرج منها بحصته من فلسطين مهما كانت .

٣ - محاصرة الحركة الوطنية الفلسطينية باقفال طريق الامدادات عليها وبمنع الثوار من التحرك عبر الحدود ، وباصدار الاوامر بقتلهم واسرهم وتسليمهم للسلطات البريطانية . وكان ان اصبحت قضية فلسطين اكثر تشابكا مع وجود النظام الاردني منذ سنة ١٩٥٠ ، اذ اصبحت الضفة الغربية جزءا من ممتلكات النظام الاردني . وبهذا اصبحت القضية الفلسطينية من خصوصيات النظام ، واصبح الشعب الفلسطيني من «رعاياه» .

وبما ان النظام حصل على البقية الباقية من فلسطين بالتفاهم مع الاوساط الامبريالية والصهيونية ، فقد كان يهمة ان ترضى هذه الاوساط ، وان تظل علاقاته حسنة بها . ولهذا فقد لجأ منذ البدء الى سياسة القمع ضد شعب فلسطين الذي رفض سياسة التشريد والايخضاع .

وحين انطلق العمل الفدائي سنة ١٩٦٥ كان النظام الاردني ، مثل انظمة عربية اخرى ، (تستثنى من ذلك سوريا تخصيصا لانها دعمت العمل الفدائي آنذاك) يرى في العمل الفدائي خطرا حقيقيا . وقد اتخذت القيادة العربية الموحدة آنذاك قراراتها المشهورة الهادفة الى تطويق العمل الفدائي في المهد وخنقه . وتولى النظام الاردني ، منذ ذلك الحين سياسة المطاردة والقمع . ولكن هزيمة حرب حزيران اتاحت الفرصة لنمو العمل الفدائي ، ومع ان الانظمة عامة ، والنظام الاردني خاصة كانت تسري في العمل الفدائي وسيلة للضغط على دولة الاحتلال الصهيوني من اجل تنفيذ قرار مجلس الامن ، الا ان هذه الانظمة ، والنظام الاردني خاصة ، كانت ترى في نموه واستقطابه للجماهير الفلسطينية والعربية خطرا على مخططاتها . ولهذا كانت محاولات التصفية



في الاردن ولبنان في السنوات ٦٨ ، و ٦٩ ، و ٧٠ ، و ٧١ .  
وقد اتضح المخطط العربي اخيرا : انه يستهدف وجود  
« مقاومة » ترضى عنها الانظمة كلها ، عن مخططاتها وعناصرها ،  
وقياداتها وتشرف على عملها اشرفا دقيقا ، « مقاومة » لا تزيد  
عن ان تكون قوات «كوماندوز» محدودة تابعة للقيادات العسكرية،  
ولا علاقة لها بالجماهير : وليس لها برنامج سياسي غير برنامج  
الانظمة بكل استسلاميته وعجزه وقصوره .

## ٢ - الاردن يواصل عملية التصفية :

واصل النظام الاردني عملية تصفية الوجود السياسي  
والعسكري لحركة المقاومة في الاردن ، خلال شهري حزيران  
وتموز من خلال :

١ - حملات الاعتقالات والقمع والارهاب في المدن التي كانت  
سلسلة احكام الاعدام وتنفيذها جزء لا يتجزأ منها .

٢ - الحملة العسكرية على احراش جرش وعجلون التي بدأت  
منذ اوائل حزيران وانتهت في منتصف تموز .

ولقد قامت السلطة بحملة الاعتقالات في المدن تمهيدا لضرب  
المواقع الاخيرة للمقاومة في الاردن ، وكانت تريد ان تكون جبهتها  
الخلفية آمنة ، وهي تقوم بهجومها الاخير على المواقع الاخيرة  
للمقاومة . وكان تنفيذ حكم الاعدام بغالب سعيد ابراهيم ، المتهم  
بمسف مصانع الفوسفات يوم ٧ - ٧ - ٧١ تطورا لسياسة  
القمع ، ومحاولة لفرض الرعب والخوف على المواطنين .

وسبق هذه الخطوات توزيع مذكرة اردنية على الدول العربية  
تتهم فيها حركة المقاومة باعداد مخطط نسف وتدمير ، كما كانت  
السلطة قد طلبت من ممثلي اللجنة المركزية لمنظمة التحرير ،  
فسي اول اجتماع تسم بعد اخلاء عمان ، اخلاء بعض المواقع  
في منطقة جرش .

ومع ان وصفي التل قد صرح بعد اخلاء عمان من قوات  
المقاومة بأن اسباب التشنج قد زالت ، وبانه « ليس هنالك من

حدود لرعاية العمل الفدائي وتأمين الحرية لدعمه وتوفير كل المجالات لتصرفه واتجاهه الاتجاه الصحيح « (1) ، فان مثل هذه التصريحات الخداعة لم تستطع ان تخفي مخططات السلطة لضرب المواقع الاخيرة .

وكانت السلطة الاردنية في هذا الوقت تعمل في الاتجاهات التالية :

١ - تطويق منطقة جرش وعجلون وتطويق قوات المقاومة في الاغوار .

٢ - محاولة انتزاع تراجع جديد من قيادة المقاومة بالتخلي عن بعض المواقع الهامة التي تؤمن للجيش السيطرة على مناطق جرش وعجلون دون قتال : مثل الجبل الاقرع والتينه وغيرها . وقد جرت مساومة قيادة المقاومة على هذه المواقع ، ولكن قيادة المقاومة ماطلت في الموافقة .

٣ - التحرك عربيا لانهاء عزلة الاردن ، ولانتزاع موافقة سرية من بعض الدول العربية تجعل توجيه الضربة الاخيرة سهلا ، وتخفف ردود الفعل العربية . ولهذا قامت السلطة الاردنية باتصالات واسعة .

ومنذ اوائل حزيران بدأ القصف لمناطق تمرکز قوات المقاومة في احراش جرش وعجلون . وكان واضحا ان هذه العمليات مقدمة لهجوم شامل . وكانت رسالة الملك الى رئيس وزرائه يوم ٦-٧١ اشارة بدء لهذا الهجوم . ولم يتورع الملك في رسالته هذه عن القول : « فلئن وجد في صفوفنا اليوم من عملاء اعدائنا من تسول له نفسه قتل الاطفال بالفام القدر او رصاص الخيانة ، او قامت فوق ارضنا حفنة من الناس ، تحتسرف المؤامرة ، وتمتهن الخديعة وتتسلى بأعمال الاجرام في حق المزارع والفلاح

والعامل والتلميذ، والتاجر والموظف، أو برزت في طريقنا فئس  
تريد أن تبيع المواطن وتصفى القضية، لتقيم حكومة وتنسى  
فلسطين، فاننا نحب ان تكون وقفنا في وجههم حازمة حاسمة  
باسلة، لا مكان للتردد ولا للتسامح والتسويات» .

وختم الملك رسالته بالتأكيد على ان المقاومة لا تمثل شعب  
فلسطين فهو لا يريد: « ان يقول زورا كلمة ذلك الشعب اليوم  
من اصبحت مهمته ارتكاب الاثام باسمه كل يوم » (١) .

واجاب وصفي التل برسالة مماثلة أكد فيها التزامه بسياسة  
سيده، وانه سيعمل لتطهير الصفوف: « من اولئك الذين  
يحترفون الاجرام تحت ستار الفداء، لننقل الفداء نفسه مما يراد  
به من شرور. وفي عملنا هذا سوف لا يكون هناك تردد ولا  
تسامح ولا تسويات، مع كل من اختار صف اعدائنا، وجند نفسه  
لهدم مسيرتنا - مسيرة العرب اجمعين » (٢) .

وبينما استمر الحصار العسكري والقصف اليومي كان الأردن  
الرسمي يناور على حركة المقاومة من جهة لاخلاء المواقع الهامة،  
ويعمل لاقتناع اجنحة فيها بضرر اجنحة اخرى. وبذلك تتولي  
المقاومة تصفية نفسها. ولما كان النظام الاردني يعرف ان لعبة  
« الايديولوجيات المستوردة » مقبولة لدى الكثير من الانظمة  
العربية، يادر الى ممارسة هذه اللعبة الخبيثة .

ومن هنا تجسست هذه اللعبة في مطالبة فتح بالذات بتطهير  
المقاومة من العناصر « المدسوسة » و « الايديولوجية » . ومع ان  
هذا الطلب ليس جديدا، فعليه الحاح عربي منذ سنة ١٩٧٠،  
الا انه اصبح الآن بندا في الاتصالات السرية وعرضا مباشرا تناور  
السلطة الاردنية عليه (٣) .

١ - النهار والجريدة يوم ٢-٦-١٩٧١ .

٢ - النهار يوم ٢-٦-١٩٧١ .

٣ - الصياد ٢٢-٢٧ تموز ١٩٧١، العدد ١٠٤١ .

ووجدت هذه اللعبة الخبيثة تأييدا في بعض الاوساط العربية المؤيدة لها من قبل ، كما ان الصحافة زكتها بوقاحة حيناً وبدكاء في احيان اخرى ، ذلك « ان الثورات الوطنية الاصلية » فيما ترى مجلة الحوادث، « تؤكد ذاتها برفض الايديولوجيات الاجنبية اولا ، والعمل على استنباط نظريتها من تفاعل تراثها القومي مع تجربتها النضالية . وكل النظريات والايديولوجيات التي استوردتها بعض المنظمات ، سواء من شيوعية كوبا او ماركسية لينين او صينية ماو ، او باطنية صلاح جديد ، او اجتهادات صدام التكريتي ، لم تستطع استقطاب اي جزء له قيمة من الجماهير » (١) .

واستهدفت هذه اللعبة من جملة ما استهدفت ١ - التنفير من الايديولوجيات والايديولوجيين تمهيدا لضرب المقاومة باسم ضربهم . ٢ - التفريق بين فتح والمنظمات الاخرى ، لتحديد اكبر قوة في المقاومة ولمحاولة استعدادها على المنظمات الاخرى . وهكذا تتم التصفية بأيد فلسطينية ، وبنادق مقاتلة .

وبدا ، بعد هذا التمهيد ، هجوم شامل ، على احرش جرش وعجلون صبيحة يوم ١٣ - ٧ - ١٩٧١ ، اشتركت ، بالهجوم ، كما تقول الاهرام (٢) : « الفرقة المدرعة الرابعة يتقدمها اللواء المدرع الاربعون رأس حربة للهجوم ، ثم لواء الحسين المشاة ، ثم كتبتان من لواء الامام علي ، ثم كتبية من اللواء الهاشمي ، ثم ثلاث كتائب مدفعية من عيار ١٥٥ ، ثم مجموعة بطاريات من

---

١ - الحوادث ، ٩-٧-١٩٧١ ، العدد ٧٦٥ ، حوادث عربية : الثورة الفلسطينية تبحث من الرجل التاريخي .

٢ - لسان الحال ، ٢٤-٧-١٩٧١ ، العدد ٢١٩٥٨ .

مدافع الهاوزر » . وبعد قصف كثيف وغزير بالمدافع الثقيلة ومدافع الدبابات على الاحراش التي شبت فيها الحرائق ، تقدمت الآليات والمشاة لتحتل آخر قواعد المقاومة .

وقبل ان ينتهي القتال ، جرت اتصالات بين حكومة ج.ع.س والاردن من جهة ، وحكومة ج.ع.س وقيادة المقاومة من جهة اخرى . وكان هنالك اتفاق على ان تتدخل سورية لانقاذ الاحياء والجرحى . وقد ارسل وفد عسكري سوري برئاسة اللواء الدردري مساعد رئيس الاركان يوم ١٦ - ٧ - ١٩٧١ . وانفق هذا الوفد مع الحكومة الأردنية على تجميع رجال المقاومة الذين كانوا ما زالوا منتشرين في الجبال والاحراش في اربع نقاط تجميع ، تكون اماكن تمركزهم الجديدة . واجتمع رجال المقاومة في هذه النقاط الاربعة ، تحت اشراف الضباط السوريين . الا ان السلطة الاردنية جردتهم من اسلحتهم بعد تمركزهم ، ونقلتهم الى معسكر خلفي على أنهم أسرى .

ولم تكن هذه هي الخدعة الاولى التي قامت بها السلطات الأردنية . ذلك انها منعت الوفد السوري في اليوم الاول والثاني بعد وصوله من التحرك الى مناطق القتال . وقد اضطر الوفد للعودة الى سورية يوم ١٨ - ٧ ، ثم عاد ثانية . وحين تحرك بعد ذلك الى مناطق القتال لم تتح له فرصة التجول ، كما اراد ، وقتل الجيش الاردني دليل الضباط السوريين في منطقة عجلون ومنعهم من التحرك . كما ان السلطات الأردنية منعت موفد حركة المقاومة من مرافقة الوفد السوري خلال تحركه في مناطق القتال .

وقد اشار ناظم رسمي سوري الى « ان الوفد السوري الذي عاد الى عمان كان استدعي الى دمشق لتعذر مهمته ، لانه لم يتمكن عقب وصوله الى عمان من الذهاب الى مناطق الاشتباكات . كما انه خلال وجوده في عمان كانت ترد انباء عن استمرار قصف مواقع الفدائيين ، وكانت الحكومة الأردنية تنفي وقوع اشتباكات » . وذكر الناظم ان الوفد قد عاد : « لتابعة البحث في سبيل وقف

اطلاق النار واعداد مشروع اتفاق لذلك ولجميع الاحتمالات المختلفة» (١) .

وقد حاولت السلطات الاردنية ان تستفيد من الوساطة السورية وان تحقق ما يلي :

١ - تخفيف ردود الفعل العربية ، عن طريق طماننة الانظمة والجماهير العربية بالتدخل السوري .

٢ - السيطرة الكاملة على الوضع بأسرع ما يمكن ، وذلك

باقناع رجال المقاومة المتفرقين بالتجمع تحت اشراف الجيش السوري ، وذلك لانهاء الاشتباكات بأسرع ما يمكن ، والحيلولة دون انعقاد مؤتمر قمة عربي او اي تدخل عربي ، لان مثل هذا التدخل قد يفرض على الاردن ما لا يرضاه او يقبله .

ونجحت السلطة الاردنية في هجومها السريع ، وفي انهاءها الاشتباكات باشتراك قوة عربية لها وزنها . ولقد اضطرت سورية، ازاء المآزق الذي قادها اليه النظام الاردني ان تسحب وفدها العسكري ، وان تصدر بيانا يكشف للعبة التي قام بها .

وعقد الملك حسين يوم ١٧ - ٧ ندوة صحفية ، بعد مناورة سلاح المدفعية الملكي ، هاجم فيها قادة العمل الفدائي الذين : «لم يدخلوا المعركة ، وهدفهم تحطيم الاردن ووحدته الوطنية واضعافه في وجه الاخطار التي تحيق بالقضية العربية باستمرار عن طريق التحريض والكذب » . وعندما سئل عما اذا كانت هذه هي النهاية اجاب : « اعتقد ذلك . واننا نحاول ايجاد الحل المناسب . ونحن لسنا ضد الذين يريدون مقاومة الاحتلال لكننا نريد هذه القاعدة ان تبقى قلعة صامدة » (٢) .

وحين انتهت معركة احراش جرش وعجلون فاجأ النظام

١ - النهار ، ١٨-٧-١٩٧١ ، العدد ١١١١١ .

٢ - النهار ، ١٨-٧-١٩٧١ ، العدد ١١١١١ .

الأردني الانظمة العربية بما يلي :

اولا : ان اتفاقات القاهرة وعمان قد انتهى مفعولها ، فلقد :

« انتهى الوقت الذي يتصرف فيه الفدائيون حسب امرجتهم واهوائهم . وجاء الوقت الذي تقوم فيه الدولة بتحديد الاماكن التي عليهم ان يتواجدوا فيها ، كما ان عليهم ان يستجيبوا لتعليمات الدولة » . وحين سئل ناطق رسمي اردني اذا كان هنالك اتفاق جديد بين السلطات الاردنية والفدائيين اجاب :

« ليس هنالك اتفاق جديد ، ولن تكون هنالك اتفاقات جديدة » .

ثانيا : اعلن ناطق رسمي باسم النظام : « ان الحكومة الاردنية لن تسمح بعد الآن لاي ايدولوجي بالتواجد بين الفدائيين في الأردن » وازاف : « ان هؤلاء الايدولوجيين الماركسيين كرجال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية الديمقراطية يقولون صراحة ان تحرير الضفة الشرقية من الاردن يأتي قبيل تحرير فلسطين . وهؤلاء يعتبرون في نظرنا تائرين على نظام الحكم وليسوا فدائيين يريدون تحرير الاراضي المحتلة ، اننا لن نسمح بالتواجد فوق اراضينا الا للفدائيين الذين يريدون العمل من اجل تحرير فلسطين فقط ، كفدائيي فتح والمنظمات الاخرى التي تسعى للهدف نفسه » ( ١ ) .

وتحدث بعد ذلك وصفي التل فأعلن « ان الحكومة لن تسمح ( لاية فئات ذات طابع سياسي ) بين الفدائيين كالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين واية فئات تنادي باسقاط النظام الاردني بالعمل في الاراضي الاردنية » . واعرب « عن تصلب الحكومة في موقفها من قضايا الامن والاستقرار في البلاد ، وعن عدم استعدادها للتراجع عن موقفها نتيجة لاية ضغوط سياسية مادية عربية مهما كانت » ( ٢ ) .

١ - النهار ، ١٩-٧-١٩٧١ ، العدد ١١١١٢ .

٢ - الجمهورية ٢١-٧-١٩٧١ .

وهكذا يكون الاردن قد جنى ثمار معركة ايلول والمعارك التي  
تلتها ، ذلك ان اتفاقية القاهرة فرضت على النظام الاردني فرضا ،  
لا بقوة القمة العربية ، بل بقوة الصمود الجماهيري ، وحين حاول  
النظام التخلص من اتفاق القاهرة واتفاقات عمان ، لم يعلن ذلك  
بل اخذ يعمل على اسقاط مراكز المقاومة واحدا وراء الآخر ، ولما  
كانت المشكلة الاولى هي مشكلة السلاح المنتشر بين ايدي الجماهير ،  
طرح النظام مسألة السيطرة على السلاح من خلال المقاومة .  
فوافقت قيادة المقاومة ( اللجنة المركزية ) واوجدت ، باتفاق مع  
السلطات الاردنية ، مراكز تجميع الاسلحة . وكانت السلطة  
تعرف ان ما جمع هو القليل ، ولكنها كانت تعلم ان ما بقي اصبح  
سلاحا غير مشروع . وهكذا كان . ثم اخذت السلطة الاردنية  
تهاجم مراكز المقاومة واحدا وراء الآخر ، فاحتلت الرصيفة التي  
لم تسقط في ايلول ، ثم جرش ، ثم اربد . وطرحت بعدئذ قضية  
اخلاء عمان ، ووافقت قيادة حركة المقاومة . الا ان «التنازلات»  
كلها قد جعلت معركة جرش وعجلون واحراشهما المعركة الاخيرة  
المحسومة سلفا . وحين اعد النظام عدته هاجمها واستولى عليها  
واعلن انتهاء اتفاقات القاهرة وعمان . وما كان ممكنا ان تنتهي  
اتفاقات القاهرة وعمان لو بقيت البنادق وبقيت الميليشيا ، وظلت  
قيادة المقاومة مضممة على الدفاع عن استقلاليتها ، معتمدة على  
جماهيرها .

## ٢ - الوساطة العربية والضغط العربي :

ما دامت هنالك قضية فلسطينية وانظمة عربية فلا بد من ان  
تكون هنالك خلافات ووساطات . ولكن الذي يحدد فعالية هذه  
الوساطات ومضمونها هو :

١ - مدى العون الذي تلقاه القضية الفلسطينية من الجماهير  
العربية .

٢ - قوة الجماهير الفلسطينية المنظمة وقدرتها على التحدي  
والمواجهة والقتال .



٢ - توفر مساندة جديده من نظام او مجموعة من الانظمة .  
فاذا لم يتوفر شيء من هذا اصبحت القضية الفلسطينية  
فريسة ينهبها العملاء دون رادع أو وازع .  
وعلى هذا فان ما اتاح للوساطة العربية ان تنجح مثلا ما بين  
لبنان والمقاومة سنة ١٩٦٩ ، ليس الا قدرة المقاومة على القتال  
والصمود أولا واستعداد مصر لمساندتها ثانيا ، لان مصر كانت  
تخوض معركة الاستنزاف ، وكانت بحاجة الى نشاط المقاومة  
وفعالياتها في ذلك الوقت .

وما حدث في ايلول كان غير ذلك . ذلك ان المقاومة كان  
مطلوبا سقوطها ، الا ان صمود الجماهير وقتالها وتحول المعركة  
الى مجزرة ، وتدخل الجيش السوري اخرج الموضوع عن كونه  
معركة داخلية صغيرة ، وفرض على الرؤساء والملوك العرب ان  
يلتقوا في قمة . وحين توقف القتال كان النظام قد فعل كل ما  
يستطيع لكسب الجولة ولكنه فشل . ولقد اعطي فرصة شهر  
كامل من ٢٨ - ٨ الى ٢٨ - ٩ . الا انه لم يستطع حتى ان يسيطر  
على عاصمته . ولو كان يستطيع ، او كان واثقا انه قادر على  
كسب المعركة خلال يومين او ثلاثة او خمسة ، لماطل وراوغ ،  
وجعل قمة القاهرة مثل كل المؤتمرات العربية . ولهذا جاءت  
اتفاقية القاهرة تعبيرا عن توازن القوى بين النظام والمقاومة .  
ولكن السلطة بدأت بعد ايلول عملية اخلال بهذا التوازن ، حتى  
رجحت كفتها . وكانت المقاومة تستصرخ الانظمة وتناشدها ،  
بدلا من ان تستخدم قواها استخداما جيدا ، وتعيء جماهيرها  
تعبئة ثورية ، وتقاتل دفاعا عن مواقعها ومراكزها . ولهذا كانت  
صرخاتها تذهب ادراج الرياح ، وكانت الاتصالات العربية لا تجدي  
فتيلا .

ولقد حدث منذ اوائل سنة ١٩٧٠ في الجو العربي ما يجعل  
الوساطة العربية والضغط العربي سيفا ذا حدين . ذلك ان كثيرا  
من الدول العربية ، وعلى رأسها مصر والمملكة العربية السعودية،

كانت تميل الى وقف القتال مع دولة الاحتلال الصهيوني من جهة، وكانت تخشى نمو الحركة الجماهيرية المسلحة من جهة اخرى . ولهذا عملت داخل المقاومة وخارجها « لضغط حركة المقاومة وضبطها » . ولم يكن النظام الاردني وحيدا فيما يريد ويخافه ، ذلك ان هنالك أنظمة اخرى تريد ما يريد وتخشى ما يخشى . وبدأ منذ نيسان سنة ١٩٧٠ نشاط مصري - سعودي استهدف وضع حد لنمو الحركة الجماهيرية المسلحة ذات الافق السياسي ، وتحويل حركة المقاومة الى قوة تقودها الانظمة ، ولا تتعدى ان تكون قوات « كوماندوز » تابعة للجيش النظامية . وكان النظام الاردني يعمل على الاستفادة من الموقف المصري - السعودي لتوجيه ضربة قاضية .

وهكذا كانت معركة ايلول ، ولكن النتائج العسكرية لم تكن لمصلحة التصفية ولا الاحتواء ، ولذلك نشطت دبلوماسية التصفية من جهة ودبلوماسية الاحتواء من جهة اخرى . وحاولت اللجنة العربية ، بعد ايلول ، ان تحقق الاحتواء من خلال تقنين وجود المقاومة والغاء طابعها الثوري في المدن وتركيز قواتها في مناطق تجعل توجهها نحو العدو الصهيوني الخ ، ولكن هذا المخطط اصطدم بمخطط النظام الاردني الذي يهدف الى التصفية . وكانت الدبلوماسية العربية النرية ، تضغط في اتجاه : توحيد حركة المقاومة بقيادة فتح المؤمنة بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد العربية ، الغاء الوجود الجماهيري المسلح للمقاومة ، تصفية المنظمات اليسارية والعناصر المسيئة في حركة المقاومة . وكان في حركة المقاومة وما زال من يؤيد هذا المخطط ويعمل له . وهذا هو الذي جعل عملية « التراجعات » المشينة التي حدثت في الاردن ، بعد ايلول ، ممكنة .

فاذا كانت الوساطة العربية ، وكان الضغط العربي يتجهان نحو الاردن لمنع التصفية بأشكال متفاوتة ، فقد كانا ايضا يتجهان نحو المقاومة من اجل الاحتواء : من اجل التصفية الحقيقية .

وحين التقى فيصل والسادات في اواخر حزيران اتفقا على ما يلي :

- ١ - وقف التصفية النهائية .
  - ٢ - مطالبة المقاومة بتصفية نفسها لتكون مقبولة اردنيا وعربيا ، ومطالبة النظام الاردني بقبول المقاومة «الطاهرة» .
- الا ان النظام الاردني الذي خاف هذا الاتفاق المصري - السعودي عاجل مراكز المقاومة الباقية بضربة قاضية ، ليكون سيد اي وضع جديد .
- وعندما فعل النظام الاردني ما فعل كان يقدر حقيقة رد فعل الانظمة العربية حق قدرها . وكان يعلم : « ان الامر لن يصل الى فصل الاردن من الجامعة العربية » (١) .

ومن الجدير بالذكر ان الهجوم الذي تم على احراش جرش وعجلون جاء بعد بدء الوساطة المصرية - السعودية بأيام . ومع ذلك فان الهجوم لم يتأخر او يسقط من الحساب .

وما حدث بعد ذلك ، وهو ما سنتعرض له بعد هذا المدخل ، جاء في غير اوانه ، اي بعد سقوط جرش وعجلون ، ولذلك فانه لن يكون حاسما ومفيدا مهما كان مستواه او وزنه او نوعه . وكانت المقاومة تستطيع ان تجعله حاسما ومفيدا لو صمدت في جرش وعجلون كما صمدت في عمان . واذا كان غير مفيد على صعيد الاردن ، فلربما كان مفيدا على صعيد لبنان .

وقد تمثل رد الفعل العربي شعبيا بعمليات الاستنكار المحدودة نسبيا ، والتي تجسدت في برقيات الاستنكار وبيانات التنديد ، ولقد كانت في لبنان اكبر منها في اي مكان آخر ، وان كانت عموما اقل مما هو مطلوب كثيرا . ذلك ان البرقيات والبيانات والتظاهرات المحدودة ، لا تتناسب مع خطورة المؤامرة .

---

١ - الجمهورية ٢١-٧-١٩٧١ ، حديث لوصفي التل .

كما أنه من الجدير بالذكر أن ما حدث في ايلول كان أكبر ،  
وما حدث في جنازة خليل عز الدين الجمل ، مثلا ، كان اعظم .  
ولهذا دلالاته . وإذا كانت الحركة الوطنية العربية مسؤولة عن  
هذا « التخلف » ، فإن حركة المقاومة ليست اقل مسؤولة .  
أما رد الفعل الرسمي فقد تراوح بين بلد وآخر ، وسوف  
تقدم صورة عنه عبر تسلسل الاحداث :

● صرح المتحدث الرسمي باسم الجمهورية العربية المتحدة  
يوم ١٤ - ٧ بأن الجمهورية العربية المتحدة تنظر بقلق شديد  
للتطورات التي حدثت في الاردن في الاربع وعشرين ساعة الاخيرة .  
وقال المتحدث : ان الجمهورية العربية المتحدة كانت ترجو أن  
تثمر الاتصالات الاخوية المصرية - السعودية بالنتائج المرجوة ،  
وأن تستجيب حكومة الاردن للمساعي التي تبذلها الحكومتان  
المصرية والسعودية ، ولكن مما يؤسف له اتخاذ حكومة الاردن  
هذا الموقف الذي يعقد من توتر الموقف ، ولا يساعد على ايجاد  
الجو المناسب للتسوية في هذه الظروف التي تمر بها الأمة  
العربية . وأضاف المتحدث الرسمي : أن ج.ع.م ترجو ،  
حفاظا على وحدة الكفاح العربي أن تستجيب حكومة الاردن لمساعي  
الدولتين ، وأن توقف تدهور الموقف الذي لا يخدم الا اصدقاء  
العرب » (١) .

وإذاعت وكالات الانباء أن ج.ع.م طلبت يوم ١٤ - ٧ من ملك  
الاردن تأجيل زيارته المقررة الى القاهرة .

● وصل العقيد معمر القذافي يوم ١٤ - ٧ الى مرسى  
مطروح ، حيث اجتمع بالسادات ، ثم انضم اليهما ممثل عن  
ج.ع.م وممثل عن السودان . وقد بحث المجتمعون الوضع في  
المغرب والوضع في الاردن وصدر عن الاجتماع يوم ١٧ - ٧ بيان

جاء فيه :

« وتناول المجتمعون بالبحث والدراسة الاحداث الديموية المؤسفة الاخيرة التي تجددت في الاردن ، والتي وصلت الى حد لم يعد الضمير العربي والانساني قادرا على تحمله ، وراوا في ما يجزي خرقا واضحا لاتفاقي القاهرة وعمان اللذين كانوا الملوك والرؤساء العرب التزموا بتنفيذهما » .

واضاف البيان :

ويعلن المجتمعون بعد كل هذا تأييدهم المطلق لتلبية سورية النداء بارسال لجنة منها الى الاردن لايجاد صيغة عمل مناسب ، وهم يترقبون بقلق شديد واهتمام بالغ نتيجة جهود الرئيس الاسد ، آملين ان تكفل بالنجاح وان تحقق الدماء العربية الواجب توفيرها لمعركة الامة العربية المقبلة » .

وذكر البيان ان المجتمعين قد قرروا « عقد اجتماع آخبر قريب لاتخاذ الموقف المناسب في ضوء ما تسفر عنه احداث الاردن الاخيرة (1) » .

اعلن في بغداد يوم ١٦ - ٧ ، ان وزير الخارجية العراقية عبد الكريم الشихلي استدعى السيد كمال حمود السفير الاردني في بغداد ، ونقل اليه قلق العراق لما يجسري في الاردن من « عمليات عسكرية واسعة لتصفية قواعد المقاومة في منطقتي جرش وعجلون » . واطاف الشихلي : « ان الحكومة العراقية انطلاقا من ايمانها بالثورة الفلسطينية قد تتخذ التدابير التي تراها ضرورية للاعراب عن موقفها المساند لحركة المقاومة واستنكارها لما يبدو ضد شعبنا الفلسطيني من تصفيات » .

وذكرت وكالة الانباء العراقية ان القيادة القومية لحزب البعث ومجلس قيادة الثورة قد اجتمعا للبحث في تطورات الاردن

الآخيرة ، كما ذكرت : ( « ان اتصالات سريعة تمت أمس بين بغداد والعواصم العربية الأخرى لاتخاذ موقف عربي حيال ما يواجهه حركة المقاومة من محاولات الإبادة والتصفية » ) .

● أصدرت اللجنة التحضيرية للمؤتمر القومي الحادي عشر لحزب البعث يوم ١٦ - ٧ بيانا نددت فيه « بالمحاولات الجديدة لتصفية المقاومة الفلسطينية في الأردن » . ثم أصدرت الحكومة السورية قرارا بإغلاق الحدود مع الأردن .

● أصدرت الحكومة الجزائرية يوم ١٨ - ٧ بيانا جاء فيه : « ان الجزائر تعبر عن استنكارها ازاء المحاولات الجديدة الرامية الى تصفية المقاومة الفلسطينية ، هذه المحاولات المتكررة التي تدخل في اطار السياسة الامبريالية والصهيونية في الشرق الاوسط . ان الجزائر التي تساند دوما ودائما المقاومة الفلسطينية عسكريا ومعنويا وسياسيا ودبلوماسيا عازمة على تحمل مسؤولياتها الى جانب الشعب الفلسطيني . وتوجه الحكومة الجزائرية نداء ملحا الى البلدان العربية والى البلدان المناهضة للامبريالية بان تساعد بصورة ايجابية المقاومة الفلسطينية . وتساعد في كفاحها المصري وتتخذ جميع التدابير التي تسقط نهائيا المحاولات الرامية الى تصفية القوى الحية للشعب الفلسطيني .. » ( ٢ ) .

وقد أرسل هواري بومدين رسالة شخصية الى الاخ ابو عمار ، كما ان سفير الجزائر في بيروت الذي نقل الرسالة قد أبلغ الاخ ابو عمار « ان الجزائر تعتبر نفسها طرفا الى جانب الثورة الفلسطينية في صراعها ضد القوى المتآمرة على الشعب الفلسطيني وارادته المثلة بالثورة المسلحة » . وقد التقى مدير

١ - النهار ١٧-٧-١٩٧١ .

٢ - فتح ١٩-٧-١٩٧١ .

عام وزارة الخارجية بالسفراء العرب وعرض معهم الوسائل الكفيلة بوضع حد : « لعملية ابادة الفلسطينيين هذه وضمان بقاء الشعب الفلسطيني » (١) .

● وقرر العراق في ساعة متأخرة من يوم ١٩ - ٧ « غلق حدوده واجوائه الجوية في وجه جميع وسائل النقل من وإلى الاردن عبر العراق ». كما قرر ايضا «مطالبة الاردن بسحب السفير الاردني من بغداد بسبب موقف الاردن من الفدائيين الفلسطينيين » (٢) .

● وطالبت السودان الدول العربية بمقاطعة الاردن وقطع علاقاتها به (٣) .

● وتعرض الرئيس السادات يوم ٢٣ - ٧ للوضع في الاردن وللملك حسين ولوصفي التل ، وبين تناقض الملك حسين وأشار الى انه اكتشف الى انه هناك « خطة ماشية بخطوات لتصفية العمل الفدائي ... بدل ما كان في سبتمبر أيام جمال - الله يرحمه - خطة واحدة ... لا ... وصفي التل يعملها حته بحته ، لكن خطة ماشية بخطوة بخطوة للقضاء على العمل الفدائي » (٤) . وكشف السادات انه كان اتفق مع الملك حسين «على اساس ان احنا بنتعاون سوه لاعطاء فرصة للعناصر الفدائية النظيفة اللي هيه زي فتح انها تأخذ وضعها وننصف العمل الفدائي ، ونجرم العناصر العميلة والعناصر المشبوهة في العمل الفدائي » (٥) .

١ - فتح ٢٢-٧-١٩٧١ ، العدد ٢٨٥ .

٢ - لسان الحال ، ٢٠-٧-١٩٧١ .

٣ - لسان الحال ، ٢٠-٧-١٩٧١ .

٤ - الامرام ٢٤-٧-١٩٧١ .

٥ - الامرام ٢٤-٧-١٩٧١ .

● اعلنت الجزائر يوم ٣٠ - ٧ تعليق علاقاتها مع الاردن وتمهدت بتقديم مساعدات عسكرية ومالية ودبلوماسية الى منظمة التحرير. وجاء في البيان الرسمي : « ان نظام الحكم الحالي في الاردن يتناقض تناقضا اساسيا مع استمرار نضال الشعب الفلسطيني واماني الامة العربية » (١) .

● وعقد يوم ٣٠ - ٧ مؤتمر قمة لم يحضره الا رؤساء الدول التالية : مصر ، ليبيا ، ج.ع.س ، ج.ي.د ، و.ج.ع.ي . وقد اكد البيان الذي صدر عن المؤتمر الحقائق التالية :

١ - «اعتبار اي مساس بالثورة الفلسطينية وكرامتها تشويها لكرامة الامة العربية وضميرها ، ودعم كل عمل من شأنه تنفيذ اتفاقات القاهرة وعمان نصا وروحا ، وتحقيق الضمانات العملية اللازمة لعدم تكرار الاخلال بهذه الاتفاقات من اجل توجيه كل الجهود نحو العدو الصهيوني » .

٢ - « تأييد كل الاجراءات التي اتخذتها الحكومات العربية لمواجهة تصرفات السلطة الاردنية حيال خرق اتفاقات القاهرة وعمان » .

٣ - « متابعة موقف الحكومة الاردنية ، فاذا تبين اصرارها على رفض تنفيذ اتفاقات القاهرة وعمان نصا وروحا يصبح من الواجب على كل الحكومات العربية اتخاذ ما تراه مناسبا من اجراءات عملية - فرديا وجماعيا - تكفل المحافظة على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره والاستمرار في نضاله المشروع وحرية عمل الثورة الفلسطينية على الارض العربية الاردنية حتى التحرير الكامل » .

٤ - « الالتزام بدعم الثورة الفلسطينية ماديا ومعنويا وعسكريا ، بما يمكنها من الاستمرار في نضالها ومن حمايتها



وجودها في الاردن باعتباره المنطلق الطبيعي للثورة الفلسطينية». واتهم البيان اجراءات السلطة « وكأنها تمهد لخلق تبريرات مرفوضة سلفا لاجراء تسوية ثنائية مع العدو الصهيوني » (١) . وقد بادر الاردن بدوره الى القيام بحملة دبلوماسية ، كان من مظاهرها رسالة الملك حسين الى الملوك والرؤساء يوم ٢٢ - ٧ ، وزيارته الملكة العربية السعودية ٢٤ - ٢٧ - ٧ ، ورسالته الثانية الى القذافي وقمة ليبيا يوم ٢٩ - ٧ .

وكان من الطبيعي ان يحاول الملك حسين ان يصور : « ان الحالة في الاردن الصامد طبيعية وعادية وهادئة ... والامن والنظام مستتبان ... » كما انه ادعى : « ان النتيجة الوحيدة والرئيسية لما وقع هي ازالة الشوائب التي يمثلها المندسون على المقاومة والذين اثبتت الوقائع تعاملهم مع العدو ... وبالتالي فان المستفيد الحقيقي من تلك العملية الامنية هو المقاومة الصحيحة بعد ان تخلصت من الشوائب التي كانت تؤدي الى احتكاكاتها الدامية مع المواطنين كل يوم » .

وما دام الامر كذلك في نظر النظام الاردني « فقد اصبحت الارضية مهياة في الاردن امام المقاومة لاعادة تنظيم نفسها على أسس صحيحة وسليمة تؤمن لها القوة والفاعلية والاستمرار » . ولم يفت الملك ان يؤكد في رسالته بأنه « لا يقبل من احد ان يتدخل في صميم شؤونه الداخلية كائنا من كان » (٢) .

وعاد الملك وأكد هذه « الادعاءات » في تصريح له بعد انتهاء زيارته الملكة العربية السعودية (٣) .  
اما في رسالته الى القذافي ، وبالتالي الى قمة ليبيا ، فقد

---

١ - النهار ١-٨-١٩٧١ .

٢ - نداء الوطن والنهار ٢٣-٧-١٩٧١ .

٣ - الحياة ٢٨-٧-١٩٧١ .

تحدث عن موقف الاردن العربي ، وعن مخالفة المقاومة لاتفاقات القاهرة وعمان ، وعن ايمانه بالعمل الفدائي الذي « يستهدف التحرير » ، ثم قال : « لقد آمن الاردن وسيظل يؤمن بأن هدف التحرير هو هدف مقدس . وانه بعد تحقيق هذا الهدف ينبغي ان يتاح للشعب الفلسطيني ان يقرر مصيره بنفسه » . ثم اضاف : « وكل خطوة تتم بتكريس اية جهة من الجهات كصاحبة الحق في تقرير ذلك المصير نيابة عن الشعب الفلسطيني هي خطوة خاطئة لا يرضى بها الشعب الفلسطيني نفسه » . وواصل الملك مؤكدا : « ان اكثرية الشعب تعيش في الاردن » ( ١ ) .

ولكن هذه « المغالطات » كلها لم تفده شيئا ، ولن يفيدته شيئا ، لان الكل يعرف ما هو « التحرير » الذي يتحدث عنه . انما الذي يفيدته هو تواطؤ أنظمة معينة معه تستتر عليه وتحميه ، وتؤمن نجاح مخططاته . فحين دعا القذافي لمؤتمر قمة ، وقف فيصل معارضا ، مع ان قمة ليبيا لم تكن مهياة في الوضع العربي الراهن لاقامة الدنيا واقعادها على النظام الاردني . ولكن الملكة العربية السعودية لم تكن تريد ان تمارس ضغطا على النظام الاردني ، وكانت تعمل لممارسة ضغط على المقاومة . فقد ذكرت اوساط دبلوماسية عربية « ان مؤتمر طرابلس خطة موجهة ضد الجهود السعودية - المصرية والجهود التونسية » وان « هذا بالضبط ما عناه الرئيس سليمان فرنجيه في برقيته الى العقيد القذافي » . ولكن ما الذي تريده الجهود المصرية - السعودية - التونسية ؟ انها تريد ان تتخذ فصائل المقاومة في حركة واحدة مثل جبهة التحرير الجزائرية . وتذهب هذه الاوساط « الى الاعتقاد الى ان كل وساطة بين الاردن والفدائيين لن تسفر عن نتائج ايجابية اذا لم يسبقها توحيد العمل الفدائي » . وعليه فقد

اعتبرت هذه الاوساط « أن منظمة فتح مسؤولة بالدرجة الاولى عن تحقيق هذا الهدف ، وان السيد ياسر عرفات مسؤول عنه بصفة شخصية . كما ان الدول العربية التي تعمل على تنقية الجو مسؤولة بالدرجة الثانية » . ولم يفت هذه الاوساط الدبلوماسية ان توجه لوما الى ياسر عرفات لحضوره قمة طرابلس .  
وليس في هذا المخطط بالطبع ما يختلف عن المخطط الاردني الذي يستهدف تحويل فتح الى اداة قمع ضد الشعب الفلسطيني لمصلحة الانظمة العميلة وتصفية المقاومة الفلسطينية بايد فلسطينية . وضمن هذا المخطط يتحرك الخولي والسقاف والمصودي .

### ٣ - هل ياتي دور لبنان بعد الاردن ؟

يروى فيما يروى ان الرئيس السابق شارل حلو قال عندما جرى الضغط عليه من اجل ضرب المقاومة بعد سنة ١٩٦٩ : رأس الاعمى في الاردن ، ومتى ما ضرب الرأس كان القضاء على الذيل سهلا . ولقد ضرب الرأس فعلا ، فهل يتحرك لبنان الرسمي ؟  
من المؤكد ان الدوائر الامبريالية - الصهيونية من جهة ودوائر عربية معينة تريد ان يحدث في لبنان ما حدث في الاردن . ولهذه الغاية ارسل الملك حسين سفيره اكرم زعيتر الى لبنان وارسل معه مجموعة من سبعة عشر عميلا ، على رأسهم امين فياض برجاق . وهناك اوساط لبنانية تعمل ضمن هذا المخطط ، وتعد العدة والعدد لتنفيذه .

ولسوف تستغل هذه الفئات الموقف الرسمي للقاهرة والرياض من المقاومة ، والفتور الذي اصاب الراي العام الوطني منها نتيجة عوامل مختلفة ، لتوجه الضربة التي تريدها قاضية . ولقد ظهرت بوادر تدل على ما ذهبنا اليه .  
فهناك محاولة لابراز المقاومة على انها تتنكر لاتفاقات القاهرة وان هنالك « في بعض الاحيان مقاومة من جانب الذين يصرون على خرق هذا الاتفاق ، والذين راحوا في الفترة الاخيرة يضاعفون

من اعمال الخرق هذه « . ويسمى منظرو هذه المحاولة لاجراج مسرحتهم من خلال التأكيد على ان هناك « مخططا تأمريا » ضد لبنان والمقاومة « . والمسؤولة عن هذا المخطط هي « جيوب دخيلة على العمل الفدائي » (١) .

وهناك بالاضافة الى حادثة الحدود التي ذهب ضحيتها ثلاثة من الفدائيين موجة من الاستفزاز والاستشارة تقوم بها صحف رجعية معينة . ولقد برر الشيخ بيار الجميل في تصريح له ما حدث في الاردن على انه « ليس مستغربا بعد ان دخلت الايديولوجيات العمل الفدائي لتخرجه عن قدسيته ونطاقه الصحيح » (٢) « والاردن الذي عانى الكثير من هذا الوضع الشاذ » على حد قول الشيخ بيار « لم يعد بإمكانه ان يبقى مكتوف اليدين » . واذا كان مثل هذا التبرير استفزازا متعمدا ، فانه يستهدف التهيئة لحملة مماثلة لما حدث في الاردن . ومثل هذا الاستفزاز كثير (٣) .

ولقد اشارت بعض الصحف الوطنية الى المضايقات التي يتعرض لها الفدائيون في جنوب لبنان (٤) ، كما اشارت الى اتصالات بعض الجهات الوطنية بالسلطة ، وعلى راسها كمال جنبلاط ، وتحذيرها من نقل « الاردنة » الى لبنان . ومن المتوقع ان ينتظر لبنان نتيجة الوساطة المصرية - السعودية - التونسية وانعكاساتها داخل حركة المقاومة قبل ان يقدم على شيء . فاذا تم الاحتواء المنشود سريعا ، او تمت التصفية المنشودة سريعا ، تجنب رسميو لبنان المعتدلون معركة لن

---

١ - الجديد ، العدد ٢٤١ ، ٢٣-٧-١٩٧١ - «لبنان والفدائيون بعد الاردن» .

٢ - العمل ٢٠-٧-١٩٧١ .

٣ - نداء الوطن ٢٠-٧-١٩٧١ و٢١-٧-١٩٧١ والعمل ٢١-٧-١٩٧١ .

٤ - الاحد ، ٢٤-٧-١٩٧١ .

يكون الانتصار فيها سهلاً ، ولن تكون نتائجها هينة . وإذا لم تحدث النتائج المرجوة فمن المتوقع ان تتحرك الاوساط المشبوهة ولسوف ينجلي هذا كله خلال الاشهر الثلاثة القادمة .

#### ٤ - الوساطة الامريكية والحملة الصليبية ضد الشيوعية :

بينما يستمر المسؤولون الاميركان في تجوالهم بالمنطقة وتستمر زيارتهم للمنطقة ( اغنيو ، مايكل تيرنر ، بيرغيس ، وسيكو ) تستمر الهجمة الشرسة على الشيوعية . واذا كان معروفا ان الولايات المتحدة حريصة على استمرار الاوضاع القائمة في المنطقة ( التجزئة السياسية ، الانظمة الرجعية ، اسرائيل ، النفط ، السيطرة الامبريالية سياسيا ) فان هذا يعني سحق الحركة الوطنية العربية وملاحقتها في المهد قبل ان تنمو وترعرع . وما دام تطور الحركة الوطنية الى حركة ماركسية العقيدة هو الخطر الاكبر على مصالح الامبريالية ، فان الدوائر الامبريالية تريد ان تمنع هذا التطور ، وان تضرب الحركة الوطنية قبل ان تتطور في هذا الاتجاه . ولما كانت الدوائر الامبريالية تعرف ان المارك الوطنية الطاخنة تقود الى مثل هذا التطور ، فانها تسعى لتمزيق الحركة الوطنية في وقت مبكر ، ودفع يمينها لضرب يسارها ، وتحريض الانظمة الرجعية والعميلة والبرجوازية الصغيرة المتخلفة الى خوض معركة التصفية هذه .

ولقد كانت حركة المقاومة ، وما زالت ، طليعة الحركة الوطنية العربية . وهي تحرك التطورات غير العادية في المنطقة . ولهذا اُرعب نمو حركة المقاومة الدوائر الامبريالية والرجعية ، وجعلها تفكر بالتصفية جدياً ، وتعمل لها .

وهذا ما يفسر حملات الابادة التي تعرضت لها المقاومة ، كما يفسر محاولات الربط المستمر ما بين المقاومة واليسار . وما الحديث المستمر عن « ثلوث » المقاومة بالايديولوجيات ، وعن ضرورة تنقية المقاومة و« تطهيرها » الا جزء من هذه الحملة على المقاومة والشيوعية معا .

وهناك من يعتقد بأن « الولايات المتحدة تحمل مفتاح « السلام » في الشرق الأوسط » (١) . وما دام هناك من يريد « السلام » بأي ثمن فلا مفر ، ما دام هذا الاعتقاد قائما ، من السير على طريق الولايات المتحدة : ضرب العمل الفدائي ثم ضرب الشيوعية وفساد العلاقات العربية - السوفياتية . وفي الوقت الذي يتحدث فيه رسل الامبريالية الامريكية عن « المصالح المتبادلة » (٢) اخذت اوساط الرجعية العربية تتحدث عن « انعطافات خطيرة وراء رفض العرب للانتداب الشيوعي » (٣) .

ولا تنسى الاوساط التي تشن حملة على الشيوعية من ان تذكر لنا ان الولايات المتحدة الامريكية ارسلت مدير مخابراتها الى دولة الاحتلال الصهيوني و«عهدت اليه بدراسة التسلسل الشيوعي الى الشرق الاوسط» (٤) . وما دام الامر كذلك فان هناك ما يجمعنا مع دولة الاحتلال الصهيوني : انه العداء للشيوعية .

وواضح ان الذين يدفعوننا في هذه الطريق يعلمون جيدا ان الولايات المتحدة الامريكية تسير في المخطط الصهيوني ، وانها رغم كل تنازلاتنا ورغم كل وعودها لنا بالضغط على دولة الاحتلال، ما زالت تدفع دولة الاحتلال الى مزيد من التعنت بمساندتها سياسيا وبتقديم العون المادي والعسكري لها . ولقد تمخضت كل تنازلاتنا عن محاولة واهية لاقتناع دولة الاحتلال بفتح قناة السويس ، مقابل مساعدات وصفقات من الاسلحة وضمائنات امن، هذا الحل المؤقت الذي يستهدف تحقيق السلام واقناع الطرفين «المتحاربين» بامكانية التعايش من خلال هذه التجربة الجزئية .

١ - النهار ١٧-٧-١٩٧١ ص ١٠ .

٢ - النهار ٩-٧-١٩٧١ من حدث اغنيو في المملكة العربية السعودية .

٣ - الحياة ٤-٨-١٩٧١ .

٤ - الجديد ٩-٧-١٩٧١ ، العدد رقم ٢٢٩ ، ص ١٥ .

وهكذا يظهر واضحا ان الحملة على الشيوعية لا تعني اكثر من الخضوع للامبريالية وتنفيذ مخططات التسوية والاستسلام .  
وانها اذ تصفي حركة المقاومة وتضرب الحركة الوطنية العربية تفسح المجال للسيطرة الامبريالية والصهيونية على المنطقة .

٨ - ١٠ / ٨ / ١٩٧١

### III

#### ١ - الوساطة العربية والمصالحة بين المقاومة والنظام الاردني

حظيت الوساطة العربية في موضوع المصالحة بين المقاومة والنظام الاردني باهتمام واسع في الاوساط السياسية الفلسطينية والعربية والعالمية . كما انها حظيت باهتمام شعبي كبير لدى الجماهير الفلسطينية والعربية . وكان يريد من الاهتمام بها العوامل التالية :

١ - حماسة بعض الانظمة ، ومنها النظامان السعودي والمصري لانجاح الوساطة بسرعة .

ب - الظروف العربية والدولية التي تحيط بالقضية الفلسطينية ، والتي تثبت كل يوم ان مشاريع التصفية والاستسلام «تطبخ» في «المطابخ» العربية والدولية .

ج - المحاولات التي تجري لتكليف المقاومة عربيا واستيعابها وتحويلها الى قوة صغيرة تابعة للانظمة ، تلعب دورا ذليلا في المشاريع التصفية .

د - مظاهر الرفض الشعبي للوساطة بين الجماهير الفلسطينية والعربية ، واجماع المنظمات الفدائية على ان الوساطة لا جدوى منها وان اختلفت هذه المنظمات في أسلوب التعامل مع الانظمة وفي أسلوب المناورة على الوساطة .

هـ - شعور اوساط فلسطينية وعربية واسعة بأن هناك من يريد انجاح الوساطة بين الفلسطينيين ، وفي صفوف المنظمات الفدائية بالذات .

وكان كل المعنيين : فلسطينيا وعربيا ودوليا يريدون ان يروا نتيجة الوساطة ، لان هذه النتيجة هي التي تقرر اتجاه السياسة العربية في السنوات القادمة . ذلك ان نجاح الوساطة سوف يعني القدرة على «ضبط» المنطقة العربية ، وجعل التوتر المتفاقم «توترا مضبوطا» . ان اي توتر تقتضي ازالته السيطرة عليه اولا . وهذا ما تسعى اليه الان بعض الانظمة العربية . انها تريد ان تضع المقاومة تحت جناحها ، كي تكون قادرة على ضبط المنطقة العربية من جهة ، وعلى تمهيد الطريق امام التسويات الاستلامية من جهة ثانية .

ويجب الا ننسى ان الوساطة لم تبدأ في آب . انها بدأت رسميا في مؤتمر طرابلس المنعقد في حزيران سنة ١٩٧٠ . وكان مشروع روجرز في هذه الايام يعيش ايام ولادته . وتكونت اللجنة الخماسية آنذاك ، وحاولت ان تضع أسس «ضبط المقاومة» ، ولكن صلابة المقاومة آنذاك وتعاون اعضاء اللجنة ورئيسها : سي سليمان رئيس حزب جبهة التحرير الجزائرية قاد الى اتفاقية في مصلحة المقاومة ، وان كانت لم تمنع الصدام الذي حدث في ايلول .

وتمخض مؤتمر القمة في ٢٨-٩-١٩٧٠ عن اتفاقية القاهرة وعن اللجنة العربية . ولقد جاءت اتفاقية القاهرة لتؤكد : «سلطة الدولة وحرية العمل الفدائي» ، ومن هنا نشأ تناقض لا حل له . فالدولة خائنة وعميلة وضد التحرير ، فكيف يمكن ان يتفق



تحقيق سيادتها مع حرية العمل الفدائي ؟ وحاولت اللجنة العربية برئاسة الباهي الإدغم ان تفعل ذلك ، وكانت اتفاقية وبروتوكول عمان ، وكان الهدف منهما تحقيق هذه الثنائية المتعادية . وقامت اللجنة في سبيل تحقيق مهمتها بمبادرات وأعمال ، ولكن كل مبادراتها وأعمالها كانت تقود الى نتيجة واحدة : سحق قواعد الثورة في الاردن وسيطرة النظام الاردني . ولم يكن هذا غريبا ، ذلك ان «تقنين» وجود الثورة في ظل سلطة معادية يقود الى إنهاء الثورة بالضرورة .

ولقد استغل النظام الاردني عملية «التقنين» التي قامت بها اللجنة العربية استفلا ذكيا ، وكان ان ضرب الثورة باسم هذا «التقنين» ، بعد ان كبّلها عربيا وداخليا ، وبعد ان دفعها الى اتخاذ موقف المسالم في غابة الوحوش .

وبعد ان قام النظام الاردني بعملية تصفية دامية دامت قرابة عام او يزيد (حزيران ١٩٧٠ تموز ١٩٧١) والوساطات العربية مستمرة ، جاءت الوساطة بشكلها الجديد . فماذا كانت تستهدف الوساطة الجديدة ؟

انها كانت تستهدف ما يلي :

اولا : تكييف «الثورة» مع متطلبات بعض الانظمة العربية .

ثانيا : انهاء وجودها الشعبي ومطامحها الشعبية وتحويلها

الى جزء من العمل الرسمي العربي .

ولقد استخدمت الانظمة الحريضة على الوساطة اساليب

مختلفة ، يمكن ايجازها بما يلي :

اولا : التركيز على ضرورة «التخلص» من المظاهر غير

الضرورية ، ومن الوجود في المدن والتجول بالسلاح . والدعوة

تبدو في المظاهر بريئة ، ولكنها تعني عمليا : تصفية مكتسبات

الثورة ، وقد استغلت الاخطاء لتبرير مثل هذه الدعوة .

ثانيا : العمل على شق الجبهة الفلسطينية بتقسيمها الى

فتح وغير فتح ، وبادعاء التحيز لفتح من اجل بعث القلق والخوف

في المنظمات الأخرى ، وأشعارها بأن فتح والانظمة في حلف ، ثم بإثارة عناصر في فتح ضد أخرى . ولهذا كانت تمتدح فتح وتهاجم الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية وتتهمهما بالانحراف . ثالثا : محاولة اقناع المقاومة والجماهير الفلسطينية والعربية ان مهمة المقاومة لا تتعدى العمل داخل الأرض المحتلة . وما ذلك الا لان الانظمة تريد ان تحصر الكفاح داخل الأرض المحتلة لتجعله محاصرا ومحدودا من جهة ، ولتمنع تحول الثورة الفلسطينية الى مواجهة عربية شاملة مع العدو الصهيوني .

وقطعت السياسة العربية اشواطا في هذا المضمار . واستطاعت مصر والمملكة العربية السعودية ان تستأثر «برعاية» الوساطة ، بعد ان فشلت الوساطة تحت الرعاية العربية الشاملة . وكان الهم الأول للوسيطين الجديدين ان يجمعا الطرفين المتعادين . وهنا بدأت محاولات الاقناع والضغط على الطرفين .

فمن ناحية النظام الاردني ، حدث الضغط السوري السعودي والضغط الدبلوماسي المصري والمقاطعة السورية والليبية .

ومن ناحية المقاومة : جرت محاولات لاقتاعها «ان الضغط

العربي المصري - السعودي - السوري» «هو عنصر قوتها الوحيد حاليا» ، وعليها ان تنجح في «توظيفه» (المحرر ٢٤-٩-٧١ ،

المقاومة ومفترق الطرق ص ٦) . كما ان الدول المعنية قامت

بممارسة ضغطها بأشكال مختلفة . ولم يتوان وزير الدولة

السعودي عمر السقاف عن التهديد بقطع العونة ، وعندما سئل :

«اذا لم تحضر المقاومة مؤتمر جدة او رفض الاردن ايفاد وفد جديد

ماذا سيحدث» ؟ قال : سيكون لنا مع مصر موقف محدد من

الطرف المتخلف . فاذا تخلف الاردن ، قفلنا حدودنا معه وقاطعناه

واوقفنا كل مساعدة له ، واذا تخلفت المقاومة ، واعني بالمقاومة

فتح تحديدا ، وليس منظمة التحرير او (الحمير) كالجبهتين

الشعبيتين ، اوقفنا عنها كل المساعدات التي تقدمها اليها» (الانوار،

طلال سلمان ١٣-٩) . وقد اضطر السقاف الى نفي تصريحه فيما

بعد . ولكن الصحف الموالية للسعودية ولخط الوساطة واصلت الضغط على الثورة . فالانظمة التي ارادت من فتح ان تكون «ضابط» الساحة الفلسطينية ، وامتدحتها املا منها في ان تلعب هذا الدور اخذت تطلب من فتح الحسم ، وتتهم الاح ابو عمار بعدم الحسم : فياسر عرفات «يعف في منتصف الطريق» انه «من جهة يتالم من هذا التصرف ، ومن جهة ثانية يحاول مهادنة متهميه والمتجنين عليه وعلى خالد الحسن وعلى منظمه (فتح) التي كرست نهائيا من قبل الاطراف الرافضة كممثلة لليمين الرجعي التأمري» . وتضيف المجلة : «لم يستطع عرفات ان يتخذ موقف الحسم من كل هذا ، فبعث برسله الى جدة وظل يترقب المضاعفات على صعيد المقاومة وفصائلها» (الجديد ، العدد ٢٥١ ، ١-١٠-١٧) . وتمضي حملات التحريض قداما : انها تطالب الثورة بالحسم ولكنها ترى ان «فتح بالذات مدعوة اكثر من غيرها لتحديد موقفها من كل ما يجري حولها» . وتنتقل المطالبة بالحسم من فتح الى ياسر عرفات «الذي ما زال يمسك بالعصا من منتصفها ، فهو من جهة يستنكر مواقف المنظمات الماركسية المثنجة ، ومن جهة اخرى يدافع عنها ويحاول تغطيتها بسلسلة اجراءات وتصريحات من شأنها ان تضاعف الاحراج الذي يواجهه» . وتزيد حملات التهديد وضوحا «فلا يخفي اصدقاء منظمة فتح قلقهم من استمرار تأرجح السيد عرفات» لان هذا التأرجح «من شأنه ان يدفع بالوطنيين من الفلسطينيين المناضلين النى احضان اليسار الماركسي القذائي» (الجديد ، العدد ٢٤٩ ، ١٧-٩-١٩٧١) .

وهكذا تعود قضية الوساطة الى حيث بدأت : انها تريد من (فتح) ان تصفى المقاومة الثورية باسم الحسم مع (الحمر) . وتكون النتيجة ان يحدث مثل ما حدث في الاردن : ان تصفى فتح اولاً ، وان تصفى القواعد الشعبية للثورة . ولقد كانت الجولة الاولى من محادثات الوساطة ، ولكنها

فشلت ، وليس من الصعب ان نعرف اسباب فشلها . هناك الاستهتار الاردني وهذا ما سنتحدث عنه فيما بعد . ولكن هناك اسباب اخرى . منها الوسيط السعودي بالذات الذي يريد الجسم داخل الحركة الوطنية الفلسطينية . وهو لا يعترف بأطراف في النزاع كالجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية ، وموقفه منهما مثل موقف الاردن . وهو يريد «مقاومة» كالتي يقبل بها الاردن ، خالية من رجس ماركس وانجلز وادران الماركسية والتجديفات الوطنية . وما دامت هذه المقاومة غير موجودة ، فمعنى ذلك ان التعقل غائب ، وان الوساطة لا جدوى منها ، كما ذكرنا في بحث سابق .

وكان متوقعا ان يحدث الجسم ، ولكنه لم يحدث ، وجاءت قضية الوساطة وحدث الصراع داخل الحركة الوطنية ، وتامل المتأملون ان يقود ذلك الى تصفية الاجنحة «المتردة» . وبهذا يتحقق الحلم المنشود ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ايضا . ولهذا فسوف تمطّ احاديث الوساطة ، وسوف لن يضغط الوسيط السعودي ببعض قوته ، وهو يملك ما يستطيع به ان يحطم التصلب الاردني ، لانه ينتظر تحولا في المقاومة يجعلها مقبولة سعوديا ، وبالتالي اردنيا . وفي هذا الوقت سينال النظام الاردني كل تأييد من السعودية ، وستعرض المقاومة لضغوط سياسية متواصلة .

## ٢ - النظام الاردني يكشف كل اوراقه

استمر النظام الاردني بعد ايلول بحملته الشرسة لتصفية المقاومة . وما ان سقطت احراش جرش وعجلون حتى اخذ النظام يقوم بتصفية شاملة ، تمثلت عمليات التصفية هذه بما يلي :

اولا : قامت القوات الاردنية بعرض عضلات على حدود

سورية ، وذلك من اجل دفع سورية لتصفية قواعد الثورة على اراضيها (الصحف يوم ١٣-٨) . ولكن الجمهورية العربية السورية ردت بعنف عسكريا ، وقامت بقطع العلاقات السياسية واغلاق الحدود بمدنذ . وادعى النظام الاردني ان «المخربين» هم السبب ، وبانه مستعد لتشكيل لجنة تحقيق . الا ان الهدف من ذلك كان واضحا : انه يريد ان يجر الجمهورية العربية السورية الى بحث موضوع وجود قواعد الثورة في اراضيها الجنوبية .

ولقد قاد شطط السلطات الاردنية الى الاجراءات السورية الهامة ، التي كانت طعنة نجلاء للنظام .

ثانيا : استمر النظام في عملية التصفية ، فاستمرت عمليات الاعتقال حتى اصبح هناك آلاف من المعتقلين ، واشتد القمع والارهاب . وقام النظام بعدد من عمليات الاعدام (فتح ٢٢-٩ صوت العروبة ١٥-٩) ، كما ان مجلس الوزراء ألغى امتياز ثلاث صحف اصحابها من الفلسطينيين (جريدة بيروت ٢٧-٨-١٩٧١) .

ثالثا : يقوم الملك ورئيس وزرائه بالقاء الخطب واعطاء التصريحات دائما ، وهما في هذه الخطب والتصريحات يشيدان بالامن والاستقرار ويهددان ويتوعدان (النهار ٢٢-٩ ، ٢٣-٩ صوت العروبة ٢١-٩ ، لسان الحال ١٨-٩ ، صوت العروبة ١٦-٩ ، بيروت ٢٢-٨) . كما ان الملك يقوم بزيارات متتالية للقطعات العسكرية ، ويقوم اخوه الحسن ولي العهد بزيارات للشعائر (الرأي الاردنية ١٢-٩) .

رابعا : وقامت السلطات من اجل تأكيد سيطرتها على الجماهير بانشاء الاتحاد الوطني الاردني . وقد اعلن الملك ميشاق الاتحاد في اجتماع بالديوان الملكي وعرف الاتحاد بأنه : «تنظيم لقوى الشعب الاردني بأجمعه في ميادين السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع وفق محركات فكرية ومؤشرات عقائدية عامة منفتحة وانسانية المضمون والهدف» . وأوضح الملك ان الاتحاد «ليس تنظيما حزبيا بالمعنى السياسي والاجتماعي المعروف ، ولكنه بوتقة تصهر طاقات

الاسرة الاردنية ، لتصنع المعجزة التي تشق لنا طريق النصر ،  
وتبني لابنائنا مستقبلا أفضل» .

وتؤكد المبادئ الاساسية للميثاق : ان «كل مؤامرة على كيان  
الاردن ووجوده مؤامرة على القضية العربية وبشكل خصوصي  
على القضية الفلسطينية» المادة ٣ . كما تنص المبادئ الاساسية  
على «وحدة الشعب في الضفتين» (المادة ٧) و«وحدة خط المواجهة  
مع العدو» و«هذا يستلزم بالضرورة حشد القوى العربية في  
المعركة وتنسيقها وتوحيدها قيادة وتخطيطا وتحركا لمنع العدو من  
ضرب كل منها على انفراد» (المادة ٨) (البريق ٨-٩) .

والهدف الاساسي من هذا الاتحاد اشراك قطاعات من الشعب  
في عمليات الارهاب والقمع .

واعاد النظام توطيد علاقاته مع الولايات المتحدة الاميركية ،  
بعد ان اثبت كفاءته في «عمليات» سحق المقاومة ، فاستحق على  
ذلك مزيدا من الاسلحة ، كما ذكرت المصادر الاسرائيلية . ووجد  
النظام الاردني «مصادر اخرى بديلة في الولايات المتحدة والى  
بعض الحد في بريطانيا لتمويل الخزينة الاردنية ...» بعد ان  
قطعت المساعدات العربية (العمل ٣٠-٩ - لياس نعواس) .

هذا هو السلوك العام للنظام الاردني فماذا كان موقفه من  
الوساطة ؟

لقد اتبع اسلوب القمع والسحق والارهاب في الداخل ،  
وحاول ان يبتز من الجماهير ، وخاصة جماهير المخيمات شهادة  
بالولاء . ولهذا لجأت السلطة الى حشد المخاتير والوجهاء وانتزاع  
بيانات منهم بالتأييد والولاء المطلق «لجلالة الحسين وحكومته  
وتمسكهم بوحدة ضفتي الاردن» (البريق ١٣-٩) .

وحاول النظام عربيا ان يبدو حريصا على الفداء والتحرير .  
ولكن اي فداء واي تحرير ؟ ان ما يريده النظام هنا واضح وصريح ،  
فهو يريد : مقاومة «اردنية المنشأ والهدف والولاء» (لسان الحال  
٢٢-٩-٧١) ، اي انه لا يريد مقاومة ، بل يريد كتيبة جديدة من

كتائب الجيش الاردني ، تعمل لمصلحة النظام وضمن خطه السياسي ، وهذا الخط ليس التحرير على كل حال .  
ولقد ملا الملك الدنيا ضجيجا ، خلال الاتصالات الاولية من اجل الوساطة ، وخلال وجود وفدي السلطة والمقاومة في جدة في «ان الذي انتهى في بلدنا لن يرجع ولن يعود ...» (صوت العرب ٢١-٩-٧١) .

ولم يتورع حسين عن ان يعلن في اليوم الاول لاجتماعات المؤتمر من انه «يريد ان تكون المقاومة تحت امرة جيشه ، وان كل قوة على أرضه يجب ان تكون تحت قيادته . وهذا يعني ان الملك افهم المؤتمر سلفا انه لا يقبل بوجود للفدائيين في الاردن » (لسان الحال ١٨-٩-٧١) .

وحين اختير وفد السلطة الى مؤتمر جدة جرى اختياره من اشخاص يوحى اختيارهم بأن مهمة الوفد الاولى هي احباط المفاوضات . فهم كلهم من اتباع السلطة الامناء ، المعروفين بعدائهم للمقاومة ، والذين لعبوا دورا معروفا بعد ايلول في عمليات النظام الاجرامية . وكان رياض المفلح ممثل السلطة لدى اللجنة العربية ، كما كان خليل عبد الدايم رئيس الاركان خلال ايلول وبعد ايلول ، وكان في الاجتماعات التي تعقدها اللجنة العربية والاجتماعات التي تعقد بين السلطة والمقاومة «يزايد» على ارباب السلطة .

وكان الوفد المؤهل جيدا ، مزودا بتعليمات واضحة . ولذلك لم يكن هنالك مجال واسع للمناورة . واخذ الوفد يحاول التنصل من التزامه بورقة العمل المصرية - السعودية التي وافقت عليها السلطة في الاردن ، فطلب اولاً ان تبحث قضية وقف الدمس المالي الليبي - الكويتي للاردن (الشعب ٦-١-٧١) . كما اثار قضية المنظمات التي ترفع شعار اسقاط الحكم (الاهرام ١-١٠) . ولم يلبث ان طلب الانتقال من جدة الى عمان للتفاهم مباشرة وعلى ارض الواقع . ولكن هذا كله لم يجد قتيلا . وعندما طلب وفد

الثورة الفلسطينية من الوفد الاردني ان يعلن التزامه باتفاق القاهرة وعمان ، كما جاء في ورقة العمل المصرية - السعودية رفض الوفد الاردني ، ثم عاد وسحب تحفظه ، ولكنه أكد هذا التحفظ في المذكرة الأخيرة التي قدمها للمؤتمر وجاء فيها : « ان العودة الى البحث في اتفاقية عمان مستحيلة عملياً وفعلياً » (الاهرام ١٠-١-٧١) .

وهكذا انتهت الجولة الأولى من المباحثات بتهرب وفد السلطة الأردنية وبعلان خروجه على اتفاقية القاهرة وعمان المتكاملتين . والآن يجري الحديث عن جولة أخرى . وتقول «مصادر مطلعة في عمان ان الوساطة لم تفشل . وانها ما زالت قائمة» ، و«اعربت هذه المصادر عن اعتقادها ان تجري جولة أخرى من المحادثات» (النهار - الحياة ٤-١) . كما ان وفدا اردنيا يقوم الآن بزيارة جدة ، يرئسه وصفي التل بنفسه ، ويشترك فيه حابس المجالي . وتشير النهار الى ان الوفد سيعمل الالتزام باتفاق القاهرة والموافقة مجددا على ورقة العمل المصرية - السعودية واعلان الالتزام المبدئي باتفاق عمان . لكن الوفد سيطلب بتوقيع اتفاق سري مع الفدائيين . وتضيف النهار ان هذه الزيارة تأتي بعد ان «علمت الحكومة الأردنية بأن موقف معظم الدول العربية بدأ يميل الى جانب عمان» (النهار ٦-١) .

ولكن مع الحديث عن استئناف محادثات الوساطة تقوم بعض الاوساط العربية السائرة في خط النظام الاردني بدعاية مدروسة لتلخص في ان هنالك محاولة لجعل «الاردن بمثابة الورقة الراحبة في لعبة السلام المصرية - الاسرائيلية» ولذلك فان الاردن يقع الآن «تحت ضغط محاولة جديدة لتلخص بالتضييق» عليه «شيئا فشيئا لاجباره على اتخاذ خطوة منفسردة مع اسرائيل ، وتنفرط من بعدها السبحة العربية وتتلوها خطوات مماثلة ، لكن بعد ان يكون الاردن قد لعب دور كبش الفداء مدفوعا من اخوته وأشقاؤه» (لسان الحال ٢٩-٩) .



ان الدلائل تشير الى أن النظام الاردني يسير في هذه الطريق، وهذه ما هي الا تبريرات مسبقة لتهيئة الجو ولخلق أعداء للصلح المنفرد المنوي الاقدام عليه .

ولهذا فان الاردنيين ، كما تقول الايكونومست ، «لن يسمحوا للفدائيين بالعمل ابعد من كونهم مجرد فرقة غير نظامية من الجيش الاردني تخضع لاشراف وثيق بالنسبة للعدد والتسليح وميدان العمليات» (نداء الوطن ٢٣-٩-٧١) .

ويقوم وصفي التل باعداد مشروع اردني للعمل الفدائي «الصحيح» (بيروت ١٥-٨-٧١) .

### ٣ - لبنان والحريصون على افتعال صدام فيه .

هناك فئات في لبنان حريصة على افتعال صدامات فيه . وهذه الفئات التي تدعي الحرص على لبنان واستقلاله وكرامته وازدهاره تسعى الى دفعه للخراب والهلاك ، كما فعل المللك الحسين وزمرته الحاكمة في عمان . ولا تعبر هذه الفئات عن مصالح لبنان بمقدار ما تعبر عن ارتباطاتها العربية والدولية في هذا المضمار . انها مستعدة لتنفيذ مقررات الرجعية العربية والامبريالية العالمية ، كما حدث سنة ١٩٥٨ ، ولو ادى ذلك الى خراب لبنان ودماره .

وتقوم هذه الفئات بالعمل المستمر لخلق البيئة الملائمة للتوتر والاستفزاز ، فهي منذ عقد اتفاق القاهرة بين المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية لا تني تجرح الاتفاق وتطالب بالفائه ولكنها وجدت مؤخرا أعدارا واهية لدعوتها هذه . ويمكن أن تلخص هذه الأعداء بما يلي :

١ - «طرا تطور خطير على مفهوم العمل الفدائي ، وعلى غاياته واهدافه ووسائله» .

٢ - «كان الاتفاق معقودا بين لبنان والمقاومة الفلسطينية ككل ، واليوم اصبحت المقاومة منقسمة الى عدة اقسام» .

٣ - «كان معروفا ان للفدائيين هدفا واحدا هو تحرير ارض فلسطين واعادتها الى اصحابها الشرعيين ، وعلى اساس هذا الهدف رضيت السلطة اللبنانية آنذاك ، بدافع من الشعور بروابط الاخوة مع الشعب الفلسطيني ، ومن الرغبة باعادة الحق الى اصحابه بدافع من الشعور الانساني ، ان تقدم للفدائيين التسهيلات الممكنة في حدود الطاقة اللبنانية دعما وارضا وحدودا . واليوم تبدل الوضع بشكل صريح لا لبس فيه ولا غموض . فلقد اعلن زعيم احدى جبهات التحرير الفلسطينية ان هدف تحرير الارض لم يعد هدفا له صفة الاولوية» .

لهذا «فانه لم يعد هناك ما يلزم لبنان بتنفيذ اتفاق القاهرة، لان احد طرفي الاتفاق قد اختلفت شخصيته المعنوية وتبدل وضعه القانوني» .

«وهذا يوجب على الحكومة اللبنانية ان تخدم مفعول الاتفاق فورا ، حتى يعود للمقاومة الفلسطينية وضعها السابق وشخصيتها التي كانت معتبرة في اثناء عقد اتفاق القاهرة» (نداء الوطن ٧١-٩-٨) .

وطالبت اوساط اخرى بوقف العمل الفدائي ، حتى يتكون جيش تحرير مؤهل لخوض الحرب (النهار - افتتاحية غسان التويني ٧١-٩-٢٠) . وهذه الدعوة لا تخرج عن اطار الدعسوة الاولى ، وان كانت اكثر مباشرة .

ويحاول بعض «المحرضين» استغلال كل حادثة لتجريب المواطنين واستشارة السلطة . ونضرب امثلة على ذلك ، فقد خطف احدهم ولم تجد الصحيفة بدا من ان تشير الى ان الخطوف كان قد مزق صورة ياسر عرفات (النهار ٧١-٩-٢٠) . وادعى احدهم ان مسلحين خطفوه ، وقامت القائمة ولم تقعد حتى اثبت تحقيق الامن الى ان الشاب افتعل الحادثة ليشتهر سياسيا وهكذا .

ثم هناك مسألة تسليح الجيش ، وهي مسألة داخلية فعلا . وهي هامة بالنسبة للقضية الفلسطينية اذا كان هدف التسليح مواجهة العدو على الحدود . الا ان المذكرة التفسيرية للقانون تجعل قضية الدفاع الوطني هي «تأمين امن وسلامة البلاد والحفاظ على المؤسسات وعلى حياة السكان في اي وقت كان وضد كل انواع الاعتداءات» . وتشير المذكرة ايضا الى ان هدف الخطة الخمسية «ان توفر للجيش القدرة على حماية الوطن ، على حماية بنيانه الاجتماعي والمدني والاقتصادي والسياسي ، وعلى دعم معنويات السكان ، وعلى المحافظة على الامن والنظام يوم يتعرض لبنان لاعتداءات هدامة تستهدف شل العمل الحكومي وقلب النظام وبدر الفوضى» (بيروت ، الافتتاحية ٢٨-٨-٧١) . ولقد انتقد جنبراط القانون على اساس «ان الاسباب الموجبة» فيه «تكشف صراحة عن التخطيط لمحاربة وضرب الخط الوطني ، وان الذي يمعن النظر في النقاط الواردة في الاسباب الموجبة يتأكد من ذلك» (بيروت ٢٨-٨) . كما ان شمعون نفسه اعلن انه سيستجوب الحكومة في قضية خطة التسليح ، على اعتبار ان الاسلحة المطلوبة من الانواع المفيدة في العمليات الداخلية ، وليس في عمليات الدفاع عن كرامة الوطن . ان هذا كله يقود الى مزيد من الانزلاق على الطريق الخطر ، ولا نعتقد انه من مصلحة لبنان ان ينساق الى ما انساق اليه الاردن .

#### ٤ - ما الذي تريده مصر :

مصر تريد حلا . ولقد تحدث الرئيس السادات مرارا هذا العام فأكد ان القضية يجب ان تحسم قبل نهاية هذا العام ان سلما وان حربا .

ولقد حاولت مصر ان تحل القضية سلما عن طريق الولايات المتحدة ، فوافقت على مشروع روجرز اولا ، ثم وافقت على وقف اطلاق النار ، واستعدت للدخول في محادثات سلام . ولكن الولايات المتحدة تخلت عن تعهداتها التي جاءت جزءا من مشروع روجرز ، واخذت تزيد من تأييدها ومساندتها لدولة الاحتلال . وكان طبيعيا بعد هذا ان يتحدث الرئيس السادات عن خداع الولايات المتحدة (النهار ١٧-٩) ، كما كان طبيعيا ان يتهم محمود رياض الولايات المتحدة بالتضليل وبممالاة دولة الاحتلال .

واذا كان اليأس من الولايات المتحدة قد دفع بريطانيا الى ان تجرب «حظها» ، فان بريطانيا لن تستطيع ان تخرج عن الخطة الاميركية من جهة ، ولن تستطيع ان «ترغم» دولة الاحتلال على التراجع ، كما تستطيع الولايات المتحدة . والولايات المتحدة مقررة الا تفعل ، وهي تحاول ان تتراجع عن طريق طرح مشروع التسوية الجزئية : اي فتح قناة السويس . والتسوية الجزئية باعتبارها بديلا للتسوية الشاملة وسيلة الولايات المتحدة لتجميد الاوضاع في المنطقة لمصلحتها ومصلحة الاحتلال الصهيوني ، كما انها وسيلة تجنب النزاع مؤقتا . ودولة الاحتلال توافق على التسوية الجزئية ، انما بشروطها هي .

ولقد بادرت مصر الى رفض التسوية الجزئية ، واصرت على ضرورة استمرار يارنغ ، وعلى ضرورة رد دولة الاحتلال على «مذكرة يارينغ بتاريخ ٨ شباط ١٩٧١ ، وتعهدتها بالانسحاب الى الحدود الدولية لمصر ، وذلك كأساس لحل المشكلة» ( الانوار ٣-١٠-٧١ ) .

وما دام الامر كذلك ، وما دامت مصر مصرة على الحسم ، وقبل نهاية هذا العام ، فلا بد مما يلي :

اولا : الاستعداد للقتال على الصعيد الداخلي ، وهو ما يتم بطريقة تقليدية : حشد قوات ، تطوير كفاءتها ، الحصول على اسلحة ، اشعار الجماهير بأن المرحلة المقبلة مرحلة حسم . الا ان

هذا كله لا تصحبه تعبئة حقيقية للجماهير .  
ثانيا : تعبئة بعض طاقات الامة العربية ، ان لم يكن ممكنا  
تعبئتها كلها . ولذلك ركز الرئيس السادات على موضوع وحدة  
مصر وسوريا وليبيا من جهة ، كما ركز على ضرورة بناء الجبهة  
الشرقية من جهة اخرى .

فلقد قربت ساعة الحسم ، وهذا يقتضي : « ان تتلبسور  
وتتوحد الإرادة العربية » (الاهرام ١٥-٩-٧١) .

وحين تحدث الرئيس السادات عن الاتحاد قال : « احنا  
نشكل الجبهة الجنوبية ، وسوريا بتشكل الجبهة الشمالية ..  
لبنيا بتشكل عمق لنا للمعركة ... السودان بشكل عمق ايضا »  
(الاهرام ٣١-٨) .

وأشار الفريق صادق « انه بعد المحاولات السلمية لم يبق الا  
القوة » (الاهرام ١٧-٨-٧١) .

ولهذا قامت القاهرة بحملة ضغط دبلوماسي واعلامي على  
الاردن ، مطالبة « ان يضع الاردن قوائمه واسلحته على خط  
المواجهة مع العدو ، وان يحل المشكلة القائمة بينه وبين المقاومة  
الفلسطينية واطلاق حرية العمل لها ، بما يحقق كل الطاقات  
للمعركة المصرية » (الاهرام ٢٠-٨-٧١) .

وقام محمود رياض بتأكيد هذا كله في اجتماعات وزراء  
خارجية الدول العربية التي تمت اخيرا في القاهرة تحت عنوان  
ما اسماء الضرورات الثلاث :

١ - ضرورة قيام الجبهة الشرقية في الاردن ...  
٢ - ضرورة ازالة الخلافات القائمة بين حكومة الاردن  
والمقاومة الفلسطينية .

٣ - ضرورة التعاون العربي المخلص والجاد لحشد الطاقات  
والجهود العربية في الضغط على حكومة واشنطن التي رفضت ان  
تتخذ موقفا محايدا في النزاع ، كما رفضت ان تتوقف عن تأييد  
اسرائيل ومساندتها وتعزيز قدرتها على العدوان وعلى الاحتفاظ

بشمار العدوان» (الصيد ، العدد ١٤٠٩ ، ١٦-٢٣/٩) .  
ومع ذلك ، فان مصر ستوظف هذا كله من اجل السلام ايضا ،  
ومن اجل الوصول الى تسوية . وهي لم تقطع الامل بعد ، وقد  
طلبت من بريطانيا القيام بمبادرات جديدة ، وطلبت ممارسة  
تأثير مباشر على كل من واشنطن وتل ابيب لتحقيق انسحاب من  
الاراضي المحتلة في حرب عام ١٩٦٧ .

الا ان القاهرة كانت تعلم ، وهي تطالب بريطانيا بالقيام بمثل  
هذه المبادرة انها لا تتوقع المعجزات ، وهذا هام .

ان استمرار تعنت دولة الاحتلال ، واستمرار انحياز الولايات  
المتحدة ، واستمرار رفض مصر للتسوية الجزئية ، واصرارها على  
الانسحاب حسب ما نص عليه قرار مجلس الامن ، سوف يقود الى  
تطورات ليست في مصلحة التصفية والتسوية . فهل تتمسك  
مصر برفض التسوية الجزئية وبالاصرار على الانسحاب الكامل ؟  
ان الولايات المتحدة ودولة الاحتلال يعملان من اجل اجبارها  
على التراجع . وقد يكون ذلك عن احدى طريقين :

الاولى : دفع الاردن لعقد صلح منفرد ، حسب الشروط  
الاميركية - الصهيونية .

الثانية : معركة قصيرة صاعقة ضد قوى مصر الضاربة  
ومطاراتها ومواقع صواريخها .

ولهذا على مصر ان تكون مستعدة لحرب طويلة ، وان تتلع  
عن فكرة «التفجير المحسوب» الهيكلية (الاهرام ٢٠-٨) .

## ١ - فشل الجولة الثانية من جولات المصالحة .

انتهت الجولة الثانية من مسلسل المصالحة بين المقاومة الفلسطينية والنظام الأردني الى الفشل . ولقد جاءت هذه النهاية عكس ما كان يشيخه الاردن وبعض الاوساط العربية ، وخاصة الملكة العربية السعودية من جهة ، وعكس ما كانت تؤكده صحف عربية وأوساط عربية تقدمية ووطنية من جهة اخرى .

فلقد جاء في الوكالات من عمان «ان مصادر مسؤولة في الوفد الاردني الى محادثات الوساطة في جدة» اعربت «عن املها بالتوصل الى اتفاق نهائي وشامل بين الحكومة الاردنية ومنظمات المقاومة خلال اليومين القادمين» . وازافت هذه المصادر ان «جوا من التفهم ساد المحادثات مع وفد المقاومة الذي ابدى تجاوبا حسنا ونية حسنة» (الكفاح ١٦-١١ ، ٢٧٣٦) . وكان مصدر رسمي اردني قد اعرب عن تفاؤله بالمحادثات التي ستجري في جدة ، يوم ٣١-١٠ (الحياة ١١-١٠ ، ٧٩٧٤) .

وكان مثل هذا التفاؤل الاردني-السعودي يجد صدى مخيفا في الاوساط التقدمية والوطنية . وقد عبّرت صحيفة (الحرية) عن ذلك بقولها : «ان الذين قبلوا بمنطق الوساطة العربية والمفاوضات مع النظام الاردني لن يستطيعوا ايقاف تيار التنازلات الجهورية المتتابة الآن ، ذلك هو من صلب المنطق نفسه» (الحرية ٥٩٢) . وعادت (الحرية) فاكدت في الاسبوع التالي ان وفد المقاومة يسير على طريق التسليم (٥٩٣) .

فلماذا فشلت مباحثات المصالحة اذن ؟ وما سر التفاؤل الاردني الرسمي وتخوف الاوساط التقدمية الفلسطينية والعربية؟

لقد فشلت المباحثات نتيجة الاسباب التالية :

أولاً : لان الوفد الاردني الذي كان يفاوض في جدة جاء الى جدة بأوامر صريحة وافكار محددة تدور حول ما يلي :

ا - ان السلطة الاردنية هي ممثلة الشعب الفلسطيني ، وسوف نبحت هذه القضية فيما بعد .

ب - ان السلطة الاردنية هي السلطة الوحيدة في الاردن ، وان اي عمل يتم في الاردن يتم من خلالها ، وتحت اشرافها .

ج - ان المقاومة الفلسطينية ليست الاعمال فداية لجماعات محدودة ، تعمل «ضد الاحتلال حيث يربض ويبسط ظله وطالما بقي» كما يقول حسين الى رئيس وفده الى المباحثات (الراي 11-5 ، 71 ، 135) . وهي بالتالي ليس من حقها ان تملك حريتها في العمل العسكري ، وليس من حقها ان تقوم بالعمل السياسي في اوساط جماهيرها .

ولهذا كان الوفد الاردني صريحا في مطالبه ومقترحاته : فالمنظمة لا تمثل الشعب الفلسطيني ، والدولة هي صاحبة السيادة الكاملة على اراضيها ، والعمل السياسي ممنوع على الثورة ، والعمل العسكري تحت اشراف السلطة الاردنية ، وعدد الفدائيين المسموح بوجودهم لا يجوز ان يزيد على الالف . وكان طبيعيا ان يرفض وفد المقاومة كل هذه الشروط ، خاصة وهناك رفض شعبي وفي اوساط قواعـد المنظمات للمصالحة اصلا .

ثانياً : ان المفاوضات الاردني ذهب الى جدة ، وهو يراهن على «توقعات» أخرى . وكان يجلس الى مائدة المباحثات مناوئاً ، وهو يتوقع احدائاً تقلب الامور راساً على عقب . فما هي هذه الاحداث التي كان المفاوضات الاردني يتوقعها ؟

انها تتلخص في امر واحد : انفجار حركة المقاومة من الداخل . وفي هذه الحالة تتمكن العناصر المؤمنة بضرورة حصر المقاومة في عدد محدود من الفدائيين ، وحصر مهمتها في العمل داخل



الأرض المحتلة فقط ، من تحقيق الاتفاق المنشود . ولقد كان هدف المحاولة الرامية الى اغتيال ياسر عرفات خدمة مخطط التفجير هذا . وكادت دوائر المخابرات الاردنية ودوائر أخرى تعتقد ان اغتياله سيجبر حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ، وسينهي مشكلة الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير !

ولكن مخطط الاغتيال لم ينجح ، ووفد حركة المقاومة لم يسر في مسلسل التنازل ، كما توقع (الحرية) ، والضغط السعودي لم يثمر . وهكذا فشلت الجولة الثانية من المباحثات .

ويعود سر التفاؤل الاردني في تقديرنا الى ثلاثة عوامل : اولها : ان الاردن ، الذي حقق انتصارات على حركة المقاومة ، خلال عام او يزيد ، ومنذ نهايات صدامات ايلول وحتى اليوم ، كان واثقا من قدرته على تحقيق المزيد من الانتصارات . وكان ما يراه من تراجع مستمر في حركة المقاومة ، يقنعه بأن التنازل سيستمر ، لاسيما ان هنالك من يرفعون شعارات مماثلة لشعارات السلطة الاردنية بأساليب مختلفة ، وهناك من يساومون ومن يتخاذلون ، ومن يهربون من المعارك، ومن يبحثون عن الراحة والوجهة داخل حركة المقاومة .

ثانيها : ان الاردن كان يعمل ، مع دوائر مخابرات عربية واجنبية لشق حركة المقاومة ، ما بين فتح وغير فتح ، ويسار ويمين و... و... وكان يبدو ان هذه المساعي الرامية الى تفجير حركة المقاومة تؤدي اكلها . وكان هنالك كثير من الظواهر التي تؤكد هذه الحقيقة . كما يبدو ان الخيل التي كانت تراهن عليها الانظمة كانت حريصة على ان تقنع الانظمة بقدرتها على تحقيق الاهداف المطلوبة .

ثالثها : ان الاردن كان يريد ان يحتال على بعض الانظمة العربية لانهاء العزلة والقطيعة ، وليبدء حوار مع هذه الانظمة يقود الى عزل المقاومة نهائيا . ثم ان النظام كان يحاول ان يخدع جماهير الشعب الاردني التي ضايقها الحصار بوعود سرابية .

اما سر تخوف بعض الاوساط العربية التقدمية فيعود الى عاملين :

اولهما : عدم ثقة هذه الاوساط بقيادات حركة المقاومة ، واعتقادها بانها قيادات «سقطت» و«انتهت» .

ثانيهما : اعتقاد هذه الاوساط بان القيادات التي رضيت بكل التنازلات السابقة ، مستعدة لكل تنازل يطلب منها .

وسنناقش موقف هذه الاوساط فيما بعد .

وهكذا كان ان انتهت جولة اخرى من المباحثات دون ان تتنازل المقاومة عن هدف من اهدافها الاساسية الثلاثة وهي :

١ - منظمة التحرير هي الممثل للشعب الفلسطيني .

٢ - حرية العمل الفدائي عسكريا .

٣ - حق الثورة الفلسطينية بتعبئة الجماهير في الاردن

سياسيا واعلاميا .

هذه هي «المطالب» التي ان تنازلت عنها المقاومة انتهت تماما، والتي تحاول جهات مختلفة ان «تسلبها» اياها ، كما ان هنالك

داخل المقاومة من يدعو الى التنازل عنها بأساليب مختلفة ، تبدأ بالدعوة الى العمل السري - ولنا ضد السرية بالطبع . وتنتهي

بالدعوة الى التوجه الى الداخل ، والى الداخل فقط ، من اجل انهاء وجود المقاومة ومكاسبها خارج نطاق الاحتلال الصهيوني ،

ولحرمانها من حقل استقطابها بين جماهيرها الفلسطينية والعربية، ولالغاء قواعدها الخارجية ومناطق تمحورها وانتشارها التي

تعطيها اسباب البقاء والقوة في الداخل والخارج .

ان هذا كله يحقق غاية الانظمة المترددة والخائفة ، لان هذا الالغاء يضع حدا لتنمو سلطة الشعب الفلسطيني وتبلور ارادته

المنظمة المسلحة ، كما يمنع التفاعل بين هذه البؤرة المتهبسة والجماهير العربية .

انتهت الجولة الثانية اذن بالفشل فهل ستبدأ جولة اخرى ؟ ان هذا يعتمد على مجموعة من الظروف الفلسطينية والعربية .

ذلك ان ياسر جمهورية مصر العربية من «الحل السلمي» الموحى به اميركا . يدفع الى الحديث عن ضرورة الحرب . والحديث عن ضرورة الحرب يجر الى الحديث عن الجبهة الشرقية ودور المقاومة . وفي هذا المجال يكتفي بعضهم بضرورة ان تضع المقاومة نفسها ضمن اطار «التنسيق العربي» ، كما يرى بعض آخر ان من الضروري ان تحدد المقاومة دورها في المسيره كلها «لان المسيره لن تنتهي بالاشتباكات المقبلة، بل ستدخل مع هذه الاشتباكات مرحلة جديدة ، طريقها طويل وشاق ومعقد» (المحرر ، الياس سحاب ، ٢٦-١١) والكلام واضح في معناه ومبناه . ذلك ان المطلوب عربيا ، هو التنسيق اولا ، وللتنسيق عربيا معناه ، والمطلوب ثانيا هو ان تصبح المقاومة جزء من استراتيجية الانظمة الحالية . وما دامت الرغبة في الضغط على دولة الاحتلال الصهيوني وارادة ، فيظل الحديث عن المصالحة واردا . وعلى الرغم من ان الملك حسين قد صرح بانه لن يصافح قتلة وصفي التل ، فان استمرار التوتر والحديث عن الحرب واستمرار «المساعي الحميدة» سوف يقود الى جولات اخرى ، الا اذا حدثت تطورات مفاجئة وجدرية في الموقف الاردني او العربي او الفلسطيني ، او فيها جميعا .

## ٢ - ياسر عرفات يطلب الوساطة ويأسر عرفات يحبطها :

بينما الاسباب التي نفتقد انها تكمن وراء فشل مباحثات المصالحة . ولكن هنالك من يعزو الفشل الى اسباب اخرى . وهذه الاسباب هي :

اولا : ان المفاوضات الاردني كان «مزودا بأوامر وتعليمات صريحة من حكومته بعدما قبلت هذه الحكومة ورقة عمل الوسطاء! في حين ان مفاوض المقاومة الذي قبل ورقة العمل كان يتعرض

لضغوط وتيارات تتجاذبه ، ولا قبل له على مواجهتها بحزم !  
ولعل ابرز هذه الضغوط هي التي واجهتها منظمة التحرير  
ال فلسطينية من بعض فصائلها المتمردة عليها اصلا ، والتي قبلت  
الوحدة داخل المنظمة كتكتيك وليس كاستراتيجية» (الجديد ،  
٢٥١ ، ١-١٠-٧٠) .

ثانيا : «كان بإمكان ياسر عرفات ان يقول بصراحة ان المقاومة  
هي التي طلبت الوساطة ، ولو فعل هذا لقطع الطريق على المنظمات  
التي تعرقل مسيرة المقاومة ، ولكن السيد عرفات فضل اللجوء  
الى السياسة المتعارف عليها بين الحكام العرب ، والتي تقول في  
الاجتماعات الرسمية شيئا وتجاهر امام الناس بشيء آخر»  
(الجديد ، ٢٥٤ ، ٢٢-١٠-٧١) .

وكانت المجلة ذاتها قد اتهمت ياسر عرفات بانه لم يستطع ان  
يتخذ موقف الحسم (الجديد ٢٥١ ، ١-١٠) ، كما اتهم من قبل  
بانه يصك بالعصا من منتصفها .

ثالثا : «ان القاعدة الشعبية الفلسطينية تصر على ان تكون  
المعركة مع العدو ، وداخل الاراضي التي يحتلها ، وتصر بالتالي  
على رفض جميع الوصايات ، مهما كان شكلها ونوعها وتبعيتها !  
وكان على السيد عرفات المؤمن بهذا الاتجاه ان لا يترك الامور تفلت  
من يده ، وكان بإمكانه ان يحرر المقاومة من عقدها باتخاذها موقفا  
صريحا يحصر عمل الكفاح المسلح في اطاره الذي انشئ من  
اجله ...» ، «ولان السيد عرفات قد امسك بالعصا من منتصفها  
تحت ضغط الاخوان المحيطين به ، بدأ يواجه المتاعب المتلاحقة ،  
ومنها مشكلة جيش التحرير الذي نمت فيه الماركسية بغفلة ...»  
(الجديد ٢٥٣ ، ١٥-١٠-٧١) .

رابعا : «... قيام بعض الدول العربية الرافضة للسياسة المصرية  
الخارجية بالتدخل في اوساط الفدائيين والعمل لتسف مبدا  
الوساطة» (الجديد ٢٥٤ ، ٢٢-١٠-٧١) .

القضية اذن هي قضية ياسر عرفات اولا . فياسر عرفات لا يريد ان يحسم مع الماركسيين ، او لنقل لا يريد لانه عاجز عن الحسم . وهي ايضا قضية المنظمات الماركسية المطلوب الحسم في امرها والتي «رات في هذا التحرك اول خطر حقيقي يواجه التغفل الماركسي في الساحة الفلسطينية بمخطط معاكس ... او على الاصح بتدابير معاكسة» (الجديد ٢٥٤ ، ٢٢-١٠) . وهي ثانيا قضية بعض الدول العربية المشاكسة للسياسة المصرية ، كما تزعم المجلة المذكورة ، والتي حركت العمل الفدائي ضد الوساطة .

ولكنها فوق هذا كله قضية الوسطاء انفسهم ، وماذا يريدون ، فهم لا يريدون وساطة تعيد المقاومة الفلسطينية الى الاردن ، وهم لا يريدون «من وساطتهم ان تكون بمثابة حبة مسكن توقف الى حين النزيف ، بل يريدونها عملية حسم تضع المقاومة في المكان الذي رسم لها في خط المواجهة» (الجديد ٢٥١ ، ١٠-٧١) . هذا اذن ما تريده الوساطة ، والمطلوب من ياسر عرفات ان يحسم . فماذا تعني انه يحسم ؟

انها تعني ان يبادر الى ما يلي :

اولا : قمع الحركة الوطنية الفلسطينية ، وضرب جذورها وظواهرها الشعبية ، واغراق البلاد في بحر من الدماء من اجل سحق روح التسييس لدى الجماهير ، ومنعها من ان تفكر وتناقش وتنتقد الخونة والعملاء وتكشف خيانتهم وزيفهم وعماليتهم .

ثانيا : ربط الشعب الفلسطيني بمجلة الانظمة ودوائر مخابراتها ، وتجنيد تنفيذ مخططات التصفية والاستسلام . ولان ياسر عرفات لم يقبل السير في هذا الطريق تشن عليه الحملات التشكيكية ، وتشن ضده حملات التحريض .

وهكذا نرى بوضوح ما الذي تريده بعض الاوساط العربية من الوساطة ، وهي اذ تعجز عن تحقيق ما تريد ، على الرغم من المجازر ، تلجأ الى محاولة التفجير من الداخل ، والى محاولة

التشكيك والدس والوقيعنة ، مستخدمة العناصر التي تريد  
«حسما» على هذه الطريقة .

وانه لفخر لياسر عرفات ان يرفض الحسم في مثل هذه  
الحالة، كما انه شرف له ان يحبط وساطة هذه الاهداف اهدافها.  
ولكن القضية في رأينا، ليست قضية ياسر عرفات ، بل  
قضية الشعب الفلسطيني كله . والشعب الفلسطيني لا يسمح  
بتصفية قضيته ، كما انه لا يرضى ان يتحول بناؤه الى اجهزة  
قمع في ايدي دعاة التصفية والاستسلام . وامام تسك الشعب  
الفلسطيني باستقلاليتته وحرصه على استمرار ثورته ، وعلى دحر  
مؤامرات التصفية والاستسلام ، لا بد من ان تفشل وساطة مثل  
الوساطة الاتفة الذكر .

فأنى لهؤلاء ان يفهموا ان ارادة الجماهير لا ترد ولا تهزم ،  
وانها ليست ملكا لفرد ، وان ما من احد يستطيع الاحتيال عليها  
او ايقافها او صرفها عن اهدافها .

### ٣ - من يمثل الشعب الفلسطيني ؟

منذ انطلقت المقاومة سنة ١٩٦٥ انطلق للشعب الفلسطيني  
صوت جديد ، كان ضائعا وتائها . ولقد احسن شعبنا مذ ذاك  
بالفرح العميق لانه وجد نفسه . ولكن بروز المقاومة ممثلا للشعب  
الفلسطيني كان لا بد من ان يصطدم بالوصايات المفروضة على  
شعبنا عموما ، وبالسلطة الاردنية خصوصا . فالوصايات كانت  
وما زالت تسعى لان تلغي شخصية شعبنا ، او لان تجعله في  
وضع القاصر دائما . اما السلطة الاردنية فانها لا تريد ان تلعب  
دور وصي ، انها تعتبر نفسها صاحب الحق ، الورث ، وشعبنا  
بالطبع يقاوم ، مذ اتحدت الضفتان ، هذه السياسة العدوانية .  
ولكن النظام الاردني يندفع ويزداد شراسة كلما ازدادت المقاومة .

وتبدأ قضية التمثيل عندما قام جماعة من شعبنا لا صفنة  
تمثيلية لهم ، باعلان وحدة الضفتين في مؤتمر اريحا . ولم  
يعترض شعبنا على وحدة الضفتين وفتها ، ولا هو معترض  
الآن . ان اعتراضه على السلطة الاردنية وعلى اهليتها لتمثيل  
التعب في الضفتين .

وتنوع المشكلة الاساسية في قضية التمثيل مما يلي :  
اولا . ان السلطة الاردنية لم تكن في يوم من الايام ممثلة ارادة  
التحرير والعودة ، وكانت علاقاتها وارتباطاتها الدولية وطبيعية  
تكوينها تجعلها ممثلة للوضع القائم : اي استمرار الاحتلال  
الصهيوني ، استمرار التشريد والقمع والجوع الخ . وكان شعبنا  
يريد من يمثل ارادة التحرير والعودة ، وليس صعبا ان يكتشف  
ان السلطة الاردنية لا تمثل هذا الاتجاه .

ثانيا : ان السلطة الاردنية لا تستطيع ان تدعي قانونيا ودوليا  
انها تمثل اكثر من الضفة الغربية ، ولكن فلسطين ليست الضفة  
الغربية فحسب .

فاذا ما اوكل تمثيل فلسطين الى السلطة الاردنية حوّلته اني  
موضوع اعادة الضفة الغربية فحسب ، اي تكريس الاحتلال في  
المناطق الاخرى ، وعدم القتال لاعادة الضفة الغربية ذاتها .  
هذا من جهة اما من الجهة الاخرى ، فان الاميركيين  
والاسرائيليين استخدموا قضية من يمثل الشعب الفلسطيني  
لتحريض السلطة الاردنية على ضرب المقاومة . وكان دهاء وزارة  
الخارجية الاميركية يهمسون في اذن السلطة الاردنية دائما : كيف  
تريدون ان نتفاهم معكم على حل سلمي ما دامت قضية تمثيل  
الشعب الفلسطيني لم تحسم . ان منظمات المقاومة تحظى بتأييد  
واسع في اوساط الجماهير الفلسطينية ، واليكم ان تثبتوا انكم  
انكم قادرون على وضع حد لهذا كله . وكانت مجزرة ابول وما  
تلاها ، ولكن القضية لم تحسم . فالسلطة الاردنية تريد من  
الشعب ان يوكلها بتمثيله لتكون قادرة على اجراء عملية التصفية .

ولهذا اخذت السلطة الاردنية ، وبعد سقوط جرش وعجلون خاصة ، في طرح قضية التمثيل محليا وعربيا ( انظر الفصول السابقة ) وازداد نشاط السلطة في هذا المجال بالذات ، خلال الشهرين الماضيين . وتمثل هذا النشاط فيما يلي :

اولا : محاولة سحق حركة المقاومة نهائيا ، حتى لا تظل القضية مطروحة . وكان ان لجأت السلطة الاردنية الى المجازر الدامية والقمع والبطش ، ثم اخذت تعمل لتفجير المقاومة من الداخل .

ثانيا : القيام باتصالات عربية لتصوير الامر على غير حقيقته ، ولمحاولة اقناع الدول العربية ، بأن المقاومة تطالب بحق التمثيل من اجل خلق دولة فلسطينية مسخ ، اذ ما « مقدار الفائدة او الضرر الذي يلحق بمسألة التحرير من جدوي البحث . والسؤال الآن في (من يمثل شعب فلسطين) قبل ان تتحرر فلسطين واهلنا في فلسطين» (الراي ، ١٤٩ ، ٢٤-١١) .

ثالثا : القيام بحملات اعلامية لتكريس القيادة الواحدة وفكرة الاسرة الواحدة ووحدة الضفتين ، بينما هم يعملون بمنطق السيطرة والاختضاع (الراي ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٤٥ تاريخ السيطرة ١٠-١٨ ، ١٠-٢٢ ، ١٠-٢٨ ، ١٠-١٧-١١) .

ولم يكتف عملاء السلطة بطرح هذه القضية في احاديثهم وفي ندواتهم من خلال الحديث عن القيادة الواحدة والاسرة الواحدة ، بل تجرأوا فطرحوها علانية ، ولكنهم استخدموا اكثر من أسلوب في طرحها . فهم يحاولون حيناً ان يقولوا ان قضية التحرير اهم من قضية التمثيل ، وهذه كلمة حق اريد بها باطل ، لان السلطة الاردنية تريد صرف النظر الآن عن قضية التمثيل ، وعن قضية التحرير .

ولقد قالت صحيفة الراي الرسمية ، في طرحها للموضوع : «اذا كان المطلوب ، عربيا وفدائيا ، تحرير فلسطين ، فنحن في طليعة من يجاهد ويناضل في هذا السبيل ، وسجل كفاح



الاردن في هذا المضمار يشرف كل المتشدقين وأدعياء التحرير .  
اما اذا كان المطلوب عربيا وفدائيا الحصول على اعتراف اردني  
بمنح هذه المنظمات حق تمثيل شعبنا في الضفة الغربية ، على  
اساس نسف وحدة ضفتي الاردن ارضا وشعبا ، فهذا المطلب  
مرفوض جملة وتفصيلا » (الرأي ، ١٤٧ ، ٢٢-١١) .

ويلاحظ هنا ان اوساط السلطة الاردنية معنية بمن يمثل  
الضفة الغربية ، وليست معنية في شيء بصدد قضية فلسطين  
كلها ، وشعب فلسطين كله .

ويبدو الارتباك الاردني الشديد ، من خلال طرح قضية  
التمثيل هذه ، التي يختلط في طرحها محاولة الاساءة للمنظمات  
الفدائية بمحاولة تضليل الرأي العام عن طريق ايهامه بان انتزاع  
التمثيل من السلطة الاردنية معناه : «فصل الضفة الغربية عن  
الضفة الشرقية ، على اساس ان الضفة الاردنية المحتلة هي التي  
وقع عليها الاختيار اسرائيليا وفدائيا ، لتمثيل الفصل الاخر من  
مسرحة خيانة القضية على ارضها الطهور» (الرأي ١٤٧ ،  
٢٢-١١-٧١) .

ولكن هذا الاسلوب ليس الاسلوب الوحيد الذي يستخدمه  
جهاذة السلطة الاردنية ، اذ انهم ما ان يكتشفوا عقم هذا الاسلوب  
حتى يطرحوا ما يريدون مباشرة . ولهذا حولوا قضية تمثيل  
الشعب الفلسطيني الى قضية قانونية تكتب فيها الابحاث  
القانونية .

وجرت المحاولة لاثبات ما يلي :

١ - «ان وحدة الضفتين وحدة قانونية وشرعية ، وانها كانت  
وليدة الإرادة الشعبية التي عبر عنها الشعب بشكل مباشر عن  
طريق المؤتمرات ، وأقرها ممثلو الشعب في مجلس الامة» المنتخب  
من الضفتين .

٢ - «ان عدم عرض قرار الوحدة على الاستفتاء الشعبي لا  
يؤثر في شرعية هذا القرار لسببين :

١ - لان الشعب اظهر رايه في اقرار هذه الوحدة عن طريق المؤتمرات الشعبية - عن طريق نوابه ... »  
ب - ان وحدة الضفتين تعتبر شرعية طالما اعترفت دول العالم بها ، سواء تمت عن طريق الاستفتاء او عن غيره .  
٣ - « ان كون الثورة الفلسطينية تسعى لتحرير الاراضي المحتلة بالقوة لا يجعل لمنظمة التحرير باعتبارها تضم فصائل المقاومة الحق في تمثيل الشعب الفلسطيني لعدة اسباب :  
١ - لانه ليس هناك رابطة بين الصيغة القانونية او الواقعية للسلطة وبين مضمون نشاطها او طبيعة الاهداف التي تسعى اليها ... »

ب - « ان السلطة التي تمثل شعبا معينا يجب ان تستند الى ارادة هذا الشعب التي يعبر عنها ممثلوه بطريقة حرة ... »  
ج - « ان الثورة عندما تستهدف التجزئة والانفصال وتفكيك عرى وحدة الشعب الواحد ، فانها لا تكون ارادة شعبية » .  
٤ - « ان تنازل الحكومة الاردنية في اتفاقية عمان لمنظمة التحرير عن حق تمثيل الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية باطل لان اتفاقية عمان تعتبر باطلة قانونا لعدم عرضها على مجلس الامة وموافقة مجلس الامة عليها » .  
وتصل الدراسة الى الاستنتاج التالي :

« يتبين مما سلف ان منظمة التحرير الفلسطينية لا يمكن ان تمثل كافة قوى الشعب الفلسطيني ، ولا يمكن ان تمثل سوى فصائل المقاومة طالما انها تفتقر الى الارادة الشعبية التي تعتبر وسيلة اسناد اية سلطة ، وان الحكومة الاردنية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية » (الراي ، ١٤٣ ، ١٥ - ١١) .

ويبدو واضحا من هذا كله ما يرمي اليه النظام الاردني . انه يريد ان يتمسك بشرعية تمثيل الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية ، ليستطيع اجراء تسوية فيما يتعلق بالضفة الغربية ،

وليمع طرح القضية الفلسطينية طرحا شاملا ، لان في ذلك ما يمسه .

ولكن تمثيل اي شعب ليس مرهونا بفرض سلطة الامر الواقع ، ولا مرهون بالاتفاقيات والقرارات . انه مرهون بظهور قوة تستطيع ان تستقطب ارادة الجماهير ، وان تجعلها قادرة على تغيير الامر الواقع .

فاذا ما استطاعت المقاومة الفلسطينية ان تستأنف مسيرتها ، وان تتخطى العقبات التي تقف في طريقها انتزعت حقها فسي تمثيل الشعب الفلسطيني واسقطت كل مؤامرات السلطة الاردنية وكل اسانيدها «القانونية» الشكلية .

وفي النهاية لن يمثل شعب فلسطين الا الذين يجسدون قضية التحرير والعودة ، وواضح ان النظام الاردني ليس واردا في هذا المجال .

١٠-١١/١٢/١٩٧١

## V

### لبنان والثورة الفلسطينية :

عندما انشئت القواعد في جنوب لبنان كان الهدف من انشائها : ضرب طوق مسلح حول الارض المحتلة يبدأ من العقبة في جنوب الاردن ، وينتهي في الناقورة في جنوب لبنان . ولقد انجز ذلك الطوق سنة ١٩٦٩ ، وجاء اتفاق القاهرة ليكرسه امرا واقعا . وكان هذا الطوق يلعب دورا مزدوجا :

١ - دور قواعد الارتكاز التي تقوم بامداد الداخل بالرجال

والسلاح والمال وكل ما تحتاجه .

٢ - دور القواعد الامامية التي تقوم بالاستطلاع وترسل الدوريات المفيرة ، وتساهم في صد هجمات العدو ، وتحمل في كثير من الأحيان زخم الهجمات كله .

وكانت اهمية هذا الطوق وقوته تنبع مما يلي :

اولا : طول الحدود مع الارض المحتلة .

ثانيا : ملاءمتها في كثير من المناطق للتسلل ونقل الامدادات .

ثالثا : وجود جيوش عربية (كما في الاردن وسوريا خاصة)

يشكل وجودها نوعا من القوة ، وتشكل قوة ردع امام هجمات العدو الصغيرة .

ولقد قاد اكمال هذا الطوق الى ان تكون الجبهة كلها مع

العدو مشتتة .

فاذا اضفنا الى ذلك ان جبهة مصر كانت مشتتة سنة ١٩٦٩

و ١٩٧٠ ، وان العدو كان مضطرا لمراقبة حدود طويلة جدا ،

مختلفة التضاريس جدا كهذه الحدود ، عرفنا ما معنى ان تقف

النار على الجبهة كلها .

وبدا العدو محاولاته لتفسيخ هذه الجبهة ، فكانت مناورة

روجرز اولاً . واستطاعت مناورة روجرز ان تنجز هدفين :

الاول : ايقاف القتال على جبهة السويس الهامة .

الثاني : احداث شرخ بين مصر والمقاومة .

وكان الشرخ حتميا ، لان وقف اطلاق النار المطلوب لم يكن

مطلوبا على قناة السويس فقط ، كان مطلوبا للجبهة كلها . والذين

جاءوا بمشروع روجرز ، أكدوا هذه الحقيقة في اتصالاتهم

الرسمية ، مع الدول العربية المعنية . واذا كانت مصر مستعدة

لقبول هدنة ، تطول او تقصر ، لانها تريد ان تزيد من استعداداتها

مثلا ، فما كانت المقاومة الفلسطينية مستعدة لقبول هدنة من

هذا القبيل ، لانها تفقد مبررات وجودها .

ولذلك كان محتما ان يحدث الشرخ .

ودفعت القوى المعادية ، في ظل هذا الشرح ، عملاء الاردن الى ضرب هذه الجبهة في حلقتها الوسطى القوية : الاردن . ونجحت المؤامرة . ولقد قاد نجاحها الى ما يلي :

١ - شلل شبه تام في اجهزة الثورة الفلسطينية لمدة عام ايلول ١٩٧٠ ، ايلول ١٩٧١ .

٢ - فتور في الحماسة الجماهيرية ، بسبب التراجع فسي الاردن ، وبسبب الشلل الذي خلقته هزيمة الاردن .

٣ - تراكم قوات الثورة الفلسطينية في سوريا ولبنان .

٤ - ازدياد حملات الدس والتشكيك بحركة المقاومة وتحرك

القوى المضادة علنا ، مستفيدة من جو التراجع والهزيمة .

وفي هذا الجو كانت المقاومة مضطرة ومرغمة على تقليص

حجم نشاطها من سوريا ولبنان ، لان زيادة نشاطها ستقود الى

ردود فعل اسرائيلية وداخلية خطيرة . وكان هذا « الكسل

القسري » غير مبرر جماهيريا ، كما ان العدو الصهيوني وكل القوى

المضادة ارادت ان تتبع ضربتها في الاردن بضربات قاضية ، واتجه

راس حربتها الى « الوجود الثوري الفلسطيني » في سوريا ولبنان .

استخدمت هذه القوى اساليب مختلفة . فعلى الصعيد

الاسرائيلي تابعت دولة الاحتلال خطتها المزدوجة : الهجمات

المدروسة والعمل على اشعار المواطنين بان وجود الفدائيين يجلب

لهم الموت والدمار . اما الاردن فهو يحاول في دعايته ان يركز

على امرين ، اولهما : ان المنظمات الفدائية ما هي الا منظمات

تخريب ، تعج بالمدسوسين واللصوص والمرتزة . وتمثل خروجها

على القانون والنظام . ثانيهما : انها اعجز من ان تحقق انتصارا

واحدا على طريق العودة ، وهي بالتالي مجرد مبرر لمزيد من

الاحتلال . وتدور الدعاية اللبنانية المضادة ضمن هذا الاطار .

ولقد حاولت « الانظمة العربية » ومنذ ايلول سنة ١٩٧٠ ان

تخضع « العمل الفدائي » وان تحتويه نهائيا ، فالسياسة الدموية

التي اتبعت في الاردن سياسة خطيرة باهظة التكاليف ماديا

ومعنويا ، وهي تكون ضرورية عندما تفشل سياسة الاحتواء . اما اذا كان الاحتواء ممكنا فهو الحل الافضل .

ومن اليلول والمحاولات جارية . ما تبغيه هذه السياسة هو تحويل «بقايا المقاومة» الى جزء من الانظمة عمليا ، ينفذ سياستها باسم الشعب الفلسطيني وباسم المقاومة والتحرير . وهذا يعني ان تتحول «بقايا المقاومة» الى اداة قمع ضد الشعب الفلسطيني واداة تصفية للقضية .

هذه صورة موجزة عن المخطط العام للتصفية . ويقع موضوع المقاومة ولبنان ضمن اطارها . وكما ارادت المقاومة لبنان جزءا من الحزام المسلح حول دولة الاحتلال ، فان القوى المضادة للثورة في المنطقة تريده حلقة من حلقات التصفية .

ومنذ بداية هذا العام اخذت الامور تتطور بسرعة . ذلك ان القوى المضادة ارادت ان تنتهي المعركة مع المقاومة في سوريا ولبنان ، لتتمكن الواجهات المترددة من السير قدما على طريق التسوية في الضفة الغربية وغزة ، وليستطيع الاردن من السير قدما على طريق الصلح المنفرد . ثم ان انتهاء المعركة في سوريا ولبنان مع المقاومة يؤثر في اتجاه السياسة المصرية ، ويدفعها شيئا فشيئا ، وبشكل حاسم على طريق الاستسلام .

وكانت حادثة مخفر النهر هي القشة التي قصمت ظهر البعير ، والحادثة ليست غريبة ، ولا منعزلة عن الجو العام . وعنصر الافتعال ثم التضخيم فيها واضح لا لبس فيه (1) . ولا نريد هنا ان نناقش كيف بدأت ، ولماذا بدأت ، لانها قصة معقدة ، ولانه ليس هنالك تحقيق محايد يعتمد عليه . المهم في الموضوع ان التحقيق اثبت ان العناصر المعتقلة من الفدائيين لم تطلق النار ،

---

١ - أصدرت المحاكم اللبنانية حكما ببراءة «الفدائيين» المعتقلين ولكن مدير المؤامرة لم يكشف بعد .

وان كثيرا من الرصاص الذي اطلق على المخفر كان من اسلحة لا يستخدمها الفدائيون . ومع ذلك فقد حاولت جهات معينة ان تضخم الامر ، وان تجعل منه اعتداء على القانون والنظام الخ . ذلك ان «التصريحات والبيانات الرسمية انطوت على تحريض ضمني للناس ضد المنظمات ، حتى خيل للكثيرين في اليوم الاول للحدث ان الحرب بين الدولة والمنظمات قد قامت وانها لن تنتهي ... الا بمجزرة» ، خصوصا وان بيان الرئيس سلام «الغوري» تحدث بغموض عن «مسؤول يجب ان يوضع عند مسؤوليته ايا كان ومهما كان» (الحوادث ، ٧-١-٧٢ ، العدد ٧٩١) . وقد اوحى هذه التصريحات والبيانات بان الحادث «مدبر» . ان لهجة التحريض وعدم الدقة في رواية التفاصيل واضحة في البيانات الرسمية الاولى (الانوار ٣-١-٧٢) .

وما هي الا ايام حتى حدث عدوان على الحدود . كان ذلك في ١٤-١-٧٢ . وكان دافيد اليغازار قد قام بتحريض الجيش اللبناني على القيام بمسؤولياته ، متهما النظام اللبناني بالضعف . كما ان اذاعة العدو بالعبرية حددت يوم ١٤-١-٧٢ اهداف العمليات العسكرية في جنوب لبنان بالتاثير في السياحة ونزوح الاهالي من الجنوب الى بيروت «مما يضعف معنويات الدولة ، ويؤدي الى قيام خلافات وضغوط على الصعيد السياسي» .

وهذا يعني ان العدو كان يستهدف :

١ - تقجير الوضع الداخلي في لبنان ، او وضع لبنان امام الخيار المسير ، فاما ان ينقسم ويقتتل او يضع حدا للوجود الفدائي .

٢ - اعطاء العناصر المعادية مبررا للمطالبة بالغاء اتفاق القاهرة ، وللمعمل من اجل الفائه .

وجاءت في هذا الوقت حوادث المتفجرات لتزيد القضية اشتعالا . وفي اليوم الذي اعلنت فيه الصحف عن الاعتداء على كفرا في الجنوب ، وعن تفاصيل الاعتداء على جريدة «لسان

«الحال» ، اعلنت عن اجتماع في القصر لدرس الوضع على الحدود . وعلى الرغم من «ان اجتماع القصر احيط بكتمان شديد ، فقد علم ان تدابير مهمة تقررت فيه لمواجهة مختلف الاحتمالات ليس اقلها شانا بعض التدابير الدبلوماسية، فضلا عن التوصيات التي اعطيت لقائد الجيش قبل اجتماعه بعرفات» (لسان الحال ١٥-١-٧٢) .

واشارت «لسان الحال» يوم ١٥-١-٧٢ الى ان «الحادث الذي وقع على صيدلية الجميل ، يحمل على الظن ان الاعتداء على «لسان الحال» هو حلقة في سلسلة تهدف الى اثاره الخواطر وتهيئة اللبنانيين لجوم معين يصار فيه الى تنفيذ مخطط معين» .

ومع ان الجريدة لم تعلن شيئا عن هذا المخطط ، فان صحفا اخرى اعلنت في اليوم ذاته ان هناك مشروعا لبنانيا لتعديل اتفاقية القاهرة (صدى لبنان ١٥-١-٧٢) . وتشير الجريدة المذكورة الى ان الحكومة اللبنانية قد وضعت التعديل على اتفاق القاهرة «انطلاقا من مبدأ سرية التحرك الفدائي» ، وان اسباب وضع هذه التعديلات تعود الى ان «الاحداث الراهنة قد تخطت الظروف التي وضعت فيها الاتفاقية المذكورة» .

ووجه دافيد يعازر في هذا الوقت انذاره الى لبنان قائلا : «ان الجيش الاسرائيلي لن يتردد في تصعيد عملياته اذا تبين له ان ذلك ضروري ، ولن يكتفي بعمليات دفاعية او انتقامية ضد الفدائيين المتواجدين في جنوب لبنان بل سيمارس حق الملاحقة» (صدى لبنان ١٥-١-٧٢) .

وتحرك لبنان الرسمي ، فقدم شكوى الى مجلس الامن ، وارسل الرئيس فرنجه رسالته الى الملوك والرؤساء العرب التي كان مما جاء فيها :

«ولبنان الذي ما انفك يوما يساند المقاومة ويؤيدها في كل مجال يتشاور حاليا مع كبار المسؤولين فيها من اجل معالجة الموقف والحد من الاعمال التي طالما اعترف هؤلاء المسؤولون انفسهم بعدم جدواها لكنها ما زالت تستمر حتى اليوم» (النهار



وبينما كان واضحا ما يرمي اليه الرئيس في رسالته الى الملوك والرؤساء خرجت بعض الصحف ، وهي تتحدث علنا عما تريده بعض الاوساط في لبنان . وقد تحدثت «النهار» في افتتاحيتها يوم ١٦-١-٧٢ المعنونة «ماذا نفعل ذلك اليوم» وقد جاء فيها :

«ما دام الفلسطينيون قد تحولوا عبر المنظمات الفدائية ، الى شبه جيوش منظمة ، بدل ان يظلوا فدائيين بالمعنى الاصيل، فماذا يمنع حشدهم كجيش فلسطيني ؟  
انهم للهجوم لا للدفاع ؟  
كلام . وكلام بات فارغا .

الهجوم ليس اطلاق الصواريخ من التلال وسطوح المنازل ولا من المخيمات . عندما يحين وقت الهجوم نهجم جميعا .  
«واذا كان من عمليات فدائية بالفعل ، الى داخل الارض المحتلة ، فتلك لن تعلن ، ولن تتم باللباس المرقط ، بل كما تتم عمليات الفيتكونغ ، فضلا عن الثورة الجزائرية، ناهيك عما يحدث في غزة الباسلة » .

«الفدائية» الآن مسألة معنويات ؟

نريد المحافظة على وحدة الشعب الفلسطيني ؟

على تصميمه على الحرب ؟ على عدم ذوبانه ؟

ماذا احسن من تحويله كله الى جيش ؟

وجيش نظامي ، ينسجم مع الجيش اللبناني ، خاضع مثله لقواعد الحرب واصولها ، فضلا عن قوانين السيادة وقواعد السلامة الوطنية ؟»

وطرحت الجريدة الموضوع ذاته في اليوم ذاته ولكن بأسلوب آخر . جاء في الافتتاحية :

«لبنان اليوم يجد نفسه اكثر من اي وقت آخر امام الاختيار ، وهذا الإلحاح ، او هذه الحاجة للقرار ليست رضوخا

للانذار المذكور ، بقدر ما هي محطة يتوقف عندها لبنان الرسمي والعمل الفدائي لاجراء جردة حساب لنتائج انطلاق العمل الفدائي من لبنان وردود اسرائيل العسكرية عليه . . . . . وحيث ان الامر قد استتب لاسرائيل من ناحية الامن على حدود سوريا ومصر والاردن، فهي تريد اليوم ان «تؤمن الاستقرار» لسكان مستعمراتها الشمالية باقتلاع اشواك العمل الفدائي الذي يزعجها .

وهنا يطرح السؤال الاساسي : ماذا ينفع لبنان والعمل الفدائي لو خسر لبنان حدوده الجنوبية أو احتل جزء من اراضيه؟ وهذا الطرح لا يعني المطالبة بالغاء اتفاق القاهرة ، بل ويعني ايضا الغاء العمل الفدائي وتحويل القوى الفلسطينية المقاتلة الى جزء من الجيوش العربية ، مثل جيش التحرير الفلسطيني .

ولعل ما نشرته جريدة العمل (لسان حال الكتائب) في اليوم التالي يلخص ما ذكرته الصحيفتان تلخيصا اوضح وأكثر تعبيراً . فالعمل ترى : «ان المقاومة امام واحد من امرين :

إما ان تتحول الى «مدرسة» لاعداد فدائيين ، بالمعنى الصحيح . . . . . بضع مئات فقط . تسربهم الى داخل اسرائيل «ليشلوا مرافقها ومنشآتها» كما جاء في اول بيان للعاصفة مثلاً، او ان تنقلب المقاومة ، وكل من فيها . . . . . بل ينقلب الفلسطينيون جميعاً الى جيش نظامي ، يزيد الجيوش العربية قدرة ومنعة ، استعداداً للمعركة الفاصلة .

أما ان تبقى المقاومة في هذه الحيرة بين «العمل الفدائي» والعمل العسكري فهي الكارثة بعينها» .

ويلاحظ في هذه المقالات ايضا محاولات اساءة متعمدة . فالعمل الفدائي ليس الا اطلاق صواريخ ، واطلاق صواريخ من فوق اسطحة المنازل ، وهو ليس عملاً فدائياً «اصيلاً» . والمقاومة مضطرة «الى القيام بعمل مسلح بأي شكل من الاشكال» .

ولم تكتف الصحف بذلك ، بل أعلنت احداها يوم ١٧-١ ان اتفاق القاهرة تعرض للخرق تدريجياً ، وان السلطة لم تفعل

شيئا ، وإن «الصحف الأجنبية والإذاعات» اخذت تبلغ لبنان «عن تهديدات اسرائيلية للبنان بسبب خرق ذلك الاتفاق» . وتضيف الجريدة المذكورة ما معناه ومع ذلك «فلم نعمل شيئا» (الجريدة ١٨-١-٧٢) .

وفجأة بدا كل شيء وكأنه انتهى ... واخذت الدولة مظهرا وديما ، وطمس موضوع مخفر النهر ، وموضوع المتفجرات ، مع انه من المفروض ان تكون الدولة قد وضعت يدها على مخطط التخريب وامسكت بالفاعلين .

وفي هذا الوقت بالذات خرجت الصحف السعودية تهاجم حركة المقاومة ، لأول مرة ، ولمدة عشرين يوما . اخذت على المقاومة انها تقع «في مفاطات مكشوفة في موضوع انتساب المنظمات الفدائية الى اليسار» وانها لا تفرق بين الصديق والعدو: «من امثال الدول الشيوعية كالصين التي يقول السيد الحسن انها تعطي الثورة الفلسطينية السلاح والغذاء دون قيد ولا شرط ، او كروسيا التي حجج بعض زعماء الثورة الفلسطينية الى قبر لينين فيها وقدموا له باقات الفل والاسمين» . اما الصدامات بين الاردن والمقاومة فقد حدثت «لاسباب تتعلق بالامن الداخلي لهذه الحكومة» ، وبسبب عقلية حركة المقاومة «كان الصدام بين المقاومة وبين بعض الدول العربية ، وحق له ان يكون» (الصيد ٣-١٠/٢/٧٢) .

كما ان جهات اخرى بادرت الى حملة تشهير مماثلة ، صاحبها حملة حصار وتضييق شاملة .

وكانت المقاومة تحاول في هذا الجو ان تخرج من الطوق المضروب عليها ، وكانت عملياتها في الارض المحتلة ، وفي الجليل بشائر الحركة بعد الشلل . ولكن هذه الحركة النشاز وسط الصمت العربي عسكريا والعودة الى الحديث عن التحرك - دبلوماسية واعادة الحوار مع الولايات المتحدة كانت تثير القوى مضادة في كل مكان ، فلسطينيا وعربيا ودوليا واسرائيليا .

وجاء رد الفعل الاسرائيلي يوم ٢٤ - ٢ - ٧٢ على شكل انداز ،  
كان المتحدث دافيد اليعازر نفسه ، قال اليعازر :

« ان اسرائيل قد تضطر الى القيام بعمليات على طول حدود  
مع لبنان ». و اضاف : « ان هذا الهجوم الذي وقع داخل اسرائيل  
ليس مجرد كمين ، وانه نذير بموجة جديدة من الهجمات الفدائية  
على طول الحدود اللبنانية » . و اشار اليعازر الى اتفاقية القاهرة  
قائلا : « ان اسرائيل لم توافق على الاتفاق المعقود بين الفدائيين  
ولبنان الذي يسمح لهم بشن عمليات داخل اسرائيل ، على الا  
يكون ذلك من اراض لبنانية » . ( الاخبار القاهرية ٢٥ - ٢ - ٧٢ ) .  
وخلال اقل من اربع وعشرين ساعة بدأ الهجوم الاسرائيلي  
الكبير على جنوب لبنان . حاول العدو في هذا الهجوم ان يحقق  
الاغراض التالية :

١ - سحق القواعد الفدائية الموجودة في الجنوب ، واجبار  
الفدائيين على التراجع بعيدا . واستخدم لذلك طائراته ومدفعيته  
استخداما كثيفا ، كما استخدم آلياته ومظلاته .

٢ - اجبار الدولة في لبنان على اتخاذ موقف في ظل احتلال  
اسرائيلي ، تلغي فيه اتفاقية القاهرة ، وتتولى هي مهمة تصفية  
الوجود الفلسطيني في لبنان ، بكل الطرق الممكنة .

٣ - وضع سكان الجنوب في موقف يجبرهم على معارضة  
الثورة الفلسطينية .

٤ - التأثير على اتجاه السياسة في لبنان ودفعها الى مواقع  
جديدة ، تجعلها اكثر انسياقا في مخطط التصفية والاستسلام .  
وكان العدو يتوقع ، كما تتوقع القوى المضادة كلها ان « يهرب »  
الفدائيون بسبب كثافة الهجوم وشدته ، لتساوم اسرائيل على  
مكاسبها .

وما ان بدأت الاعتداءات حتى بدأ التحرك الرسمي على  
المستويات المختلفة .

١ - داخليا : اجتمع الرئيس فرنجه بزعماء الكتل النيابية ،

وتباحث معهم في قضية الهجوم الاسرائيلي على الجنوب . ولم يعرف بالضبط ما دار في هذه الاجتماعات ، ولكن من المؤكد ان النقاش دار فيها حول الاجراءات المطلوبة للخروج من الازمة .

٢ - على الصعيد العلاقات مع المنظمات الفدائية : اجتمع الرئيس سلام مع الاخ ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير ، وحضر الاجتماع العماد غانم وبعض المسؤولين وجرى التشاور حول الوضع ، وكان واضحا من الحوار ان السلطة تطرح موضوع تعديل اتفاق القاهرة ، ان لم نقل انها تطرح الغاءه . وكان مما جاء على لسان احد المسؤولين انه طرح موضوع المخيمات ، بينما كان القتال ما زال مشتتلا .

٣ - على الصعيد الدولي : جرت اتصالات مع الدول الكبرى « الصديقة » ، وعلى رأسها الولايات المتحدة وفرنسا ، وكانت الاتصالات مستمرة .

٤ - وعلى الصعيد العربي : اتصل بعض الرؤساء بالرئيس فرنجيه هاتفيا ، وأرسل بعضهم رسائل وأرسل آخرون موفدين ، وأصدر بعضهم بيانات التأييد والتضامن .

وبينما حاولت بعض الصحف ، النهار مثلا ، ان تبرز القضية وكان كل شيء قد انتهى ، كان القتال ما زال مستمرا ، وكانت الجماهير تتفاعل وتتجاوب ، مع ما يجري هنالك على الجبهة .  
وحين انتهى القتال ، وانسحبت القوات المعتدية ، حاولت صحف القوى المضادة ان تركز على ما يلي :

١ - ان الجيش اللبناني عاد الى العرقوب ، وانه عاد ليدود عن تراب الوطن ، وليحافظ على الامن والسلام .

٢ - ان انسحاب القوات الاسرائيلية الغازية كان نتيجة تحرك لبنان الدبلوماسي ، وان «صداقات لبنان الدولية فعالة جدا»  
ممل ٢٩-٢-٧٢ .

٣ - ان العلاقات بين لبنان والمقاومة ليست علاقة مرهونة باتفاقية ، انها قضية « تفاهم وتلاحم » ( احاديث سلام الى الصحف ) .

٤ - محاولة اظهار انه لم يكن هنالك قتال ضد العدو .  
فالعمل تسمى المعركة « الويك اند » الاسرائيلي . وحين تصف  
العمل هذا « الويك اند » تقول :  
« الويك اند » كان ثقيلاً ومرأ ، وبدأ العرقوب بأرضه وأجوائه  
وتلاله ملعباً لدبابات وطائرات العدو ... هيليوكبتز تنزل وأخرى  
تطلع ... قنابل من هنا وصواريخ من هناك ... بيوت تتهدى  
وعيون اطفال يعيش فيها الخوف ودخان في كل مكان !  
كانوا قد دخلوا السبت ، دخلوا ومعهم مؤونة ثلاثة ايام ،  
فضربوا ، وقصفوا ونسفوا وأكلوا وشربوا وعادوا » .  
ويروي مندوب العمل سجعان القزي انه صادف لبنانيا في  
رأشيا الفخار فسأله : وانت الست لبنانيا ؟ نعم قال . انا من  
هذه الارض التي فيها غرباء اكثر من أهلها ، عائلتي رحلت اليوم  
الى حارة حريك وانا سألحق بها غدا .

- ولماذا لا تبقى ؟

- اين تريد ان ابقى . بيتي لم يعد لي . «الاخوان» يشاركوننا  
بيوتنا .

- كيف

- بالكلاشنيكوف . «والله العظيم» ( العمل ٢٩ - ٢ - ٧٢ ) .  
وعاد الحديث في الصحف اياها عن اتفاقية القاهرة التي  
تخطتها الحوادث بعيداً (الجمهورية ١-٣-٧٢) .  
ومع ذلك فان العدوان لم يحقق اهدافه حتى الآن للأسباب  
التالية :

اولاً : لان الصمود الذي ابداه مقاتلو الثورة الفلسطينية ،  
قطع الطريق على الانتهازيين والعملاء والمرتزقة .  
ثانياً : لان التجاوب والتفاعل الجماهيري في لبنان وخارج  
لبنان الجرم مخطط التصفية مؤقتاً .

ثالثاً : لان حرص لبنان الرسمي ، حتى الآن ، على اتباع  
سياسة الحوار ، وعدم اللجوء الى مناورات التحريض والتهميج

والتأزيم الى الحد الذي يقطع جبل الحوار ، جنب لبنان معركة  
كمعركة الاردن ، وربما كانت اكثر تعقيدا .

واليوم يقف المقاتل الفلسطيني واثقا شامخا معتزا ، كما  
وقف في عمان بعد ايلول . لقد قاتل ، كما لم يقاتل عربي غيره ،  
وهو لا يملك ما تملك الجيوش العربية عددا وعدة .

ولكن المقاتل الفلسطيني ما زال مهددا بالتصفية . لماذا ؟ لان  
هنالك قوى كثيرة تعترض على مجرد وجوده ، ليس مطالباً اليوم  
ان ينهي وجوده العلني ، ان يبعثر قواته او يضمها الى الجيوش ،  
ان يسحب اسلحته من المخيمات والاحياء ، وان يعود الى العمل  
السري ؟ اليست هذه هي نهايته ؟ ومع ذلك فهو مطالب بان يكتب  
نهايته . وخطورة هذا الاتجاه ان الكنائس تلتقي فيه مع بعض  
الانظمة العربية ، ومع الاتجاه المتخلف داخل حركة المقاومة ، ومع  
اليمنيين المزايدن يساريا . وهؤلاء بالطبع ، الذين يطرحون  
العودة الى العمل السري بديلا للعلنية ، هم اقل الناس قدرة على  
ممارسة العمل السري واكثرهم زلعا بالعلنية . وهم حين يطرحون  
العودة الى السرية يطرحون التصفية بأسلوب خداع . وهم لا  
يقاومون العلنية ، لانهم اكثر الناس ولما بالمكاتب التي ترفع الاعلام  
في الشوارع الرئيسية ، وانما يقاومون الشرعية التي اكتسبتها  
الثورة : شرعية الوجود والتسليح والتدريب والعمل والتحرك ،  
هذه الشرعية المسلحة التي اصبحت شوكة في حلق القسوى  
المضادة ، واصبحت قوة يحسب لها الف حساب .

ويذكرنا الحديث الذي نسمعه اليوم، بما كنا نسمعه قبل ايلول  
وخلاله وبعده في الاردن .

وهو يذكرنا بحقيقة هامة تلخص في ان المرونة غير التسليم ،  
واذا كان مطلوباً من المقاومة ان تكون مرنة في هذا الوقت الصعب  
العسير ، فانه ليس مطلوباً منها ان تتراجع سياسياً كما تراجعت  
في الاردن بعد ايلول .

ان العلاقة بين لبنان والمقاومة تعيش ضمن اطارها العربي .

وهناك اتجاه عربي رسمي يريد تصفية المقاومة بأي شكل من الأشكال : السحق ، الاحتواء الخ . فهل يستطيع لبنان ان يحافظ على لغة الحوار في مثل هذا الجو ؟

صحيح ان للبنان ظروفه الخاصة ، ولكن هذه الظروف سيف ذو حدين . فاذا كانت جماهير لبنان قد اثبتت انها أوعى واحرص على لبنان من ان تجره الى معارك داخلية دامية مدمرة ليست لمصلحته ، فليست الفئات الرجعية فيه يمثل هذا الحرص . ولا احد يعلم متى يخرجها الخوف من « الشيوعية » و « البنادق » والخروج على « النظام » وعدم « استقرار الامن » عن طورها . والمعركة الآن سياسية ، لبنان الرسمي والفئات الرجعية تريد ان تحصل بالحوار على مبتغاها ، ولكن هل سيفيد الحوار ؟ أم ان لبنان يراهن على حدث في داخل المقاومة يخررها من العلنية والجيش والمكاتب ومن اللباس المرقط ويعيدها الى السرية ؟

ان اتجاه بيار الجميل داخل المقاومة وحولها موجود ، وهو يعمل من اجل هذه الغاية . وهو يعمل بأساليب مختلفة لشق المنظمات وتفريقها واحتوائها . . . وعلى هذا الاتجاه ، الذي تدعمه انظمة ، يراهن رسميون في لبنان وغير لبنان .

٨ - ٣ - ٧٢



ملاحظة : اتيح لي بعد كتابة المقال ، ان اقرا صحيفة الندوة السعودية ( ٧٢ - ٣ - ٨ ) . وقد وجدت فيها تمليقا عنوانه :



« كيف تحل المعادلة اللبنانية - الفلسطينية » اثار انتباهي ، لانه لا يختلف عن خط بيار الجميل وعن خط ممثلي الانظمة العربية وابقاها الداعين الى توحيد قوات الثورة ، ضمن منظمة التحرير ، وتحويل منظمة التحرير الى جهاز رسمي ، يتعامل رسميا مع الانظمة . والحل ، بالنسبة لكاتب التعليق ، يتلخص من الناحية الفلسطينية بما يلي : « تبقى المقاومة الفلسطينية في الجنوب اللبناني على ان تكون حركتها ضمن تنسيق عسكري عربي واسع واستراتيجية واحدة مع دول الجبهات ، بحيث لا تعود هذه الحركة ذات طابع انفرادي قد يجر الضرر على المقاومة بقدر ما يجره على لبنان او اكثر » . وهذا يعني عمليا :

١ - ان تصبح قوات المقاومة جزء من القوات النظامية العربية ، وان تصبح تحت امرة هذه الجيوش .

٢ - ان تفقد اي قدرة على الفعالية والنشاط ، لانها مقيدة بالاوامر الرسمية ، ولان توجيهها وقيادتها منوطان بخط استسلامي تراجعي .

٣ - ان تفقد هذه القوات استقلاليتها ، كجيش التحرير الفلسطيني ، وتصبح معطلة الارادة .

وهكذا يبدو ان عقلية بيار الجميل هي التي تقود اتجاه كثير من الانظمة في المنطقة . ولذلك فبدلا من ان ينظر الى نشاط المقاومة على انه نشاط يحتذى ، يصور على انه عمل انفرادي يجر الضرر . ونتيجة لذلك فان المطلوب هو ان تصمت بنادق المقاومة ، وتنضم الى موكب البنادق المعطلة منذ سنة ١٩٤٧ ، لا ان تنطق البنادق الصامتة ، ليصبح « الانفراد » منطلق الجميع ، فتقاتل كل البنادق ، وتصبح البنادق الصامتة هي الانفراد الذي يجر الضرر .

## المشروع الهاشمي صيغة جديدة للتصفيه :

يبدأ تاريخ النظام الاردني في علاقته مع القضية الفلسطينية سنة ١٩٢٢ . ومنذ هذا التاريخ وخط النظام المذكور في هذا المجال واضح ومحدد : سحق الحركة الوطنية الفلسطينية وانتزاع ارادة التمثيل من الفلسطينيين .

ولقد انتظر النظام الاردني حرب سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٩ ليستغلها في مصادرة ارادة الفلسطينيين واحتلال اراضيهم . فخلال هذه الحرب دخل الجيش الاردني ليحارب دفاعا عن فلسطين ، واذا بالنظام يسلمها كي يحصل على حصة منها . ولكي تتم المصادرة قام النظام العميل بما يلي :

١ - نظم مؤتمر اريحا وعمان من اجل «انتزاع» شرعية فلسطينية ودولية .

٢ - قام باحتلال مقر قيادة «الجهاد المقدس» (١) .

ومنذ ذلك الحين وهناك المملكة الاردنية الهاشمية فقط . اما فلسطين فقضية حلال على كل الناس الا على الفلسطينيين الذين اصبحوا اردنيين . ومنذ ذلك الحين والنظام الاردني يعمل كل ما يستطيع ليسحق حتى مشاعر الحنين الى الوطن في صدور الفلسطينيين .

واليوم وبعد ان حاول النظام الاردني اسقاط قيادة المقاومة،

---

١ - المنظمة التي كانت تقاوم ضد الاحتلال الصهيوني ، وهي الجناح العسكري للهيئة العربية العليا .

كما فعل بقيادة الجهاد المقدس ، يحاول أن ينتزع التمثيل بكل الوسائل .

ولكن هناك فرقا بين الوضع اليوم والوضع سنة ١٩٤٩ . كان المطلوب سنة ١٩٤٩ أن يلغى وجود شعب فلسطين وان تلغى ارادته ، ولذلك ضمت بقية فلسطين الباقية - ما عدا غزة - الى المملكة الاردنية الهاشمية ، واسيغت الشرعية على الضم من خلال مؤتمرين عقدهما فلسطينيون . كما قام النظام باحتلال مقر قيادة الجهاد المقدس ، وبمحاربة حكومة عموم فلسطين ضمن خط امبريالي - صهيوني استهدف الفناء الشخصية الفلسطينية . اما اليوم فان المطلوب شيء آخر . انه مصادرة مقاومة شعب فلسطين . ذلك ان شعب فلسطين استطاع من خلال المقاومة ان يؤكد وجوده ، وان يجعل مقاتليه مثليه ، كما انه استطاع ان يحرر ارادته التي سلبه اياها النظام الاردني بالتعاون مع بعض الخونة من الفلسطينيين . المطلوب اذن مصادرة هذه الارادة . كيف ؟ بالالتفاف عليها مرة اخرى . قالوا في الماضي : وحدة الضفتين من اجل حماية البقية الباقية من فلسطين . وهم يقولون اليوم وحدة الضفتين من اجل عودة الاراضي المحتلة . ولكنهم يقرون اليوم ان هناك شعبا فلسطينيا . انه موجود لانه يقاتل . فكيف يقودونه الى الاستسلام مرة اخرى ؟ لا سبيل الى ذلك الا بمصادرة ارادته مرة اخرى ، واستبدال وجوده القتالي بوجود شكلي هزيل . ولهذا طرح النظام الاردني العميل مشروعه . لقد طرحه اذن وهو يستهدف :

١ - ايهام الفلسطينيين او قطاع منهم على الاقل بان هناك بديلا للتحرير ، وللطريق الشاق الطويل ، وهو الحكم الذاتي .

٢ - خلق تناحر في اوساط الفلسطينيين .

٣ - سلب شرعية التمثيل عن المقاومة وابراز « ممثل بديل » من النظام الاردني والمتعاونين معه من الفلسطينيين ، يدخل ميدان المساومات الدولية .

٤ - ممارسة ضغط على مصر من اجل الاندفاع على طريق التسويات .

اذا كانت هذه هي الاهداف ، فلماذا طرح المشروع الآن ، وليس قبل هذا التاريخ او بعده ؟ ان الاجابة على هذا السؤال هامة لانها تعطي المشروع ابعاده الحقيقية .  
و اول ما تجب الاشارة اليه هنا هو ان الولايات المتحدة الامريكية التي باتت تواجه هزيمة مؤكدة في فياتنام والهند الصينية تريد ان ترتب امورها في حوض البحر الابيض المتوسط ، لئلا تصبح الهزيمة هزائم ، ولئلا تنفجر الاوضاع في الوطن العربي فيقلت زمام الامور من يديها . ونقطة التفجير في المنطقة العربية وحوض البحر الابيض المتوسط هي المنطقة العربية . ولكن الولايات المتحدة تريد « سلاما » يكرس الانتصار الاسرائيلي ، ولكنه في الوقت عينه يطفىء الفتيل المشتعل في المنطقة . كيف يتم ذلك ؟ باطفاء شعلة المقاومة وبايجاد حلول خداعة لمشاكل المنطقة .

ولهذا لم يكن غريبا ان تتحمس الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة لمشروع الملك حسين . ولم يكنف روجرز بالاعلان يوم ١٥ - ٣ انه على علم بتطورات الموقف في الشرق الاوسط ، فيما يتعلق بالملك حسين ، بل اعلن سيسكو « انه يتوقع خطوة هامة للخروج من حالة الركود في العلاقات بين الاردن واسرائيل » . وقال سيسكو : « ان هذه الخطوة ستتم خلال الاسابيع القادمة » ( الاخبار القاهرية ١٥ - ٤ - ٧٢ ) . واعلنت رويتر بعد يومين « ان بعض المسؤولين الاميركيين وصفوا مشروع حسين بأنه « خطوة تجاه السلام » . وأشارت الوكالة الى ان الولايات المتحدة قد احيطت علما بالمشروع مقدما « الا انها كانت حريصة على الا تصدر اية احكام حتى لا تثير شك اية دولة عربية » ( الجمهورية ١٧ - ٣ - ٧٢ ) .

ويؤكد هذا الكلام دور الولايات المتحدة في صياغة المشروع

واعلانه ، ويكفي ان تقول الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة انها كانت على علم مسبق بالمشروع .

هذا على الصعيد الدولي . اما على الصعيد العربي فالموضوع لا يقل اهمية ، ذلك ان مسلسل التنازلات العربية قد توقف ، بعد ان تنبته مصر الى انها تتنازل « بسخاء » بينما يتشدد العدو ويتعنن . وهنا كان لا بد من وقفة . وانتظرت مصر ان تقدم اسرائيل تنازلات . او ان تضغط الولايات المتحدة من اجل تنازلات . الا ان هذا وذاك لم يقعا . ولذلك « احرنت » مصر .

ومارست الولايات المتحدة كل ضغوطها لادخال مصر ابعده فأبعده في سرداب التسويات المظلم . وعندما لم تنجح لجأت الى ورقة رابحة في يدها ، هي الورقة الاردنية . لقد ارادت الولايات المتحدة ودولة الاحتلال الصهيوني ان تؤخرا استخدام هذه الورقة حتى لا تسقط ، ولكن توقف مسلسل التسوية على قناة السويس ، وتأخر التسوية الجزئية هناك عن الجدول الزمني المقرر لها ، اجبر دولة الاحتلال الصهيوني والولايات المتحدة على كشف احد اوراقهما الهامة ، وهي الورقة الاردنية . وكان الهدف من ذلك اما ان تتقدم مصر خطوات اخرى في مسلسل التسوية ، او ان تبقى مكانها فيقدم النظام الاردني على « التقدم » . ويتحرك مسلسل التنازل والتسوية . ويكون من نتيجة ذلك ما يلي :

اولا : تنشق البلاد العربية الى مؤيد لمصر ومؤيد للنظام الاردني ، بعد ان كانت تبدو موحدة وراء قرارات مؤتمر الخرطوم . وهذا يقود الى استحالة عودة الجبهة الشرقية ، والى تراجع بعض الدول العربية ، واولها المملكة العربية السعودية عن مساندة مصر ماديا .

ثانيا : يستخدم الاتفاق الاردني الاسرائيلي من اجل عزل مصر دوليا ، ومن اجل اظهارها امام الرأي العام العالمي بمظهر المتعنن غير الحريص على السلام ، وذلك بمقارنة « التشنج » المصري بالروح الاردنية « الواقعية والعملية » .

ثالثا : يجري الضغط على مصر لاشعارها بأن جبهتها هي الجبهة الوحيدة ، وبأنها وحدها تقف في الميدان ، وبأنه لا أمل لها في هذا الصراع الذي لا يقف معها فيه أحد . كما ان اسرائيل تزيد من تعزيز قواتها على القناة وفي سيناء ، وتزيد من العمل لاشعار مصر انها تعمل على امتلاك سيناء الى الابد .

كان المفروض اذن ان يعلن هذا المشروع بعد ان يعلن عن اتفاق جزئي بين مصر ودولة الاحتلال (الاهرام ٢٤ - ٣ - ٧٢ - بصراحة - محمد حسنين هيكل ) ولكن الامور جرت بما لا تشتهي سفن الولايات المتحدة ودولة الاحتلال . وكان عليهم ان يتحركوا فحركوا عميلهم الاكبر : النظام الاردني .

وكانت العقدة على الصعيد الفلسطيني اكثر اشكالا من العقدة على الصعيد العربي ، اذ ان المقاومة التي ارادوا لها السوت في ايلول ظلت موجودة وفاعلة الى حد ، وظل ينظر اليها على انها ممثلة الشعب الفلسطيني .

وإذا كان متوقعا ان يوجه اليها العدوان على لبنان ضربة قاصمة واخيرة ، فان ما حدث في لبنان زادها قوة ورفسح مكائنها واعاد لها بعض الشعبية التي فقدتها .

وجاء الفتور الذي قابلت به الجماهير في الضفة الغربية موضوع الانتخابات البلدية صفقة للاحتلال وللنظام الاردني .

ولذلك كان لا بد من عمل ، ينزع صفة التمثيل عن المقاومة ، ويقود خطى المترددين على طريق الاستسلام . واذا كان انتزاع صفة التمثيل ليس سهلا ، فلا أقل من ابراز ممثلين جدد يتمتعون ببعض الشرعية كالنجاح في انتخابات بلدية . واذا لم يكن ممكنا تحميس الجماهير في الضفة الغربية لانتخابات بلدية ، فلماذا لا تربط هذه الانتخابات بمشروع « حكم ذاتي » ، لا يفصل عن الوطن العربي ، لانه تابع للعرش الهاشمي .

ثم ان النظام الاردني الذي حرق آخر سفنه الفلسطينية في ايلول وبمد ايلول كان يريد استقطاب بعض الفلسطينيين ، لعله

يصبح اكثر قدرة على التحدث باسم الفلسطينيين .  
لقد طلب من النظام الاردني ان يأتي برأس المقاومة ، اذا  
اراد ان يعتبر ممثلا للشعب الفلسطيني ، وحاول ذلك في ايلول  
وبعد ايلول ولكنه فشل . لقد اوقع بالمقاومة اصابات عميقة ،  
ونزف الكثير من دمائها ، وافقدها الكثير من فعاليتها ، ولكنه لم  
يستطع ان يأتي براسها : لا ان يجز هذا الراس ولا ان يستميله .  
وهو الآن يحاول بمخطط مزدوج : القمع والتصفية الدموية  
من جهة ومحاولات الاستمالة والايخضاع من جهة اخرى .

واذا كان في الماضي يوجه ضربات مباشرة الى المقاومة ، فانه  
الآن يحاول ان يجعل الصراع فلسطينيا . هكذا سحقت ثورة  
سنة ١٩٣٦ . عندما عجز الانجليز عن سحق الثورة ساعدوا على  
خلق طرف فلسطيني يحاربها . والآن يريد النظام الاردني ان  
يحارب الفلسطينيين بالفلسطينيين . وان يزيد من قوته والاعتراف  
بتمثيله عن طريق هذه « الحرب الداخلية » .

ومثل هذه الحرب ليست جديدة على أرض فلسطين ، اذ ان  
الامير عبدالله لعب دورا في شق الصفوف الفلسطينية منذ اصبح  
اميرا . وكان لعملاء عمان دور كبير في تخريب الحركة الوطنية  
الفلسطينية عموما وضرب ثورة ١٩٣٦ خصوصا .

واليوم يحاول الحفيد ان يلعب لعبة جده فهل يستطيع ؟ !  
تبقى حقيقتان :

الاولى : ان هذا المشروع ليس جديدا . انه يعود الى ما بعد  
ايلول . وليس صحيحا انه يعود الى ما قبل سنة ١٩٦٧ كما يقول  
الحسين (صلى لبنان ٢٤ - ٣ - ٧٢ - مؤتمر الحسين الصحفي)  
فالخط السياسي الاردني نحو فلسطين لم يكن حتى ما بعد ايلول  
يرى امكانية لبروز اي مظهر من مظاهر الحكم الذاتي الفلسطيني .  
ولكن معارك ايلول ونتائجها هي التي فرضت تغييرا . فالمقاومة لم  
تنته في ايلول ، بل خرجت قوية من تلك المعركة الطاحنة . ثم ان  
معركة ايلول خلقت هوية فلسطينية لا يستطيع احد ان يتجاهلها .

ومن هنا بدأ النظام الاردني بعد ايلول لعبته ، في محاولة منه ،  
ومن انظمة عربية اخرى لخلق تزاوج بين النظام الاردني  
« والمقاومة الشريفة » . قاد هذا الى التراجعات السياسية  
المعروفة التي قامت بها المقاومة والتي كانت تستهدف حسم  
قضية التمثيل بالتزاوج ما بين النظام الاردني « والمقاومة  
الشريفة » . وبدأ الحديث في هذا الوقت من جانب النظام عن  
حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بعد التحرير . كما بدأت  
بعض الاوساط في المقاومة تتحدث عن « فيدرالية » مع الاردن ،  
تحدد فيها مساهمة الفلسطينيين في السلطة والجيش . وكان  
هذا الخط المنحرف هو الذي عمل على سحب الاسلحة من المدن  
وإلقضاء على المواقع الشعبية للثورة لمصلحة هذا التزاوج . الا ان  
الخط المعارض ساهم في افشال تحقيق التزاوج ، وان كان قد  
عجز عن إيقاف موجة التراجع .

وحين قام النظام بهجومه الاخير على قواعد الثورة في جرش  
وعجلون ، بعد ان أجهز على كل مواقع الثورة في الاردن ، جاءت  
فكرة مفاوضات جدة ، وكان الهدف من هذه المفاوضات أيضا  
تحقيق التزاوج . وكان هنالك من يعمل من داخل المقاومة للعودة  
الى الاردن بأي ثمن . وكان الهدف من ذلك اتمام عملية التزاوج  
اي اخضاع المقاومة للنظام نهائيا واعلانها الاعتراف بقيادة صاحب  
الجلالة ، الممثل الشرعي لشعب فلسطين . ولكن هذه المؤامرة  
احبطت أيضا . تقول بعض المصادر ان المشروع كان جاهرا من  
سنة اشهر . واذا ما عدنا الى الوقائع اكتشفنا ان هذا يعني انها  
كانت معدة مع بداية محادثات جدة . وان الغرض من محادثات  
جدة كان الخروج باتفاق يعلن هذا المشروع الملكي .

الثانية : ان هذا المشروع العلني لا يستهدف اعلانه تنفيذه .  
انه مطروح ليكون طعما لا ليطبق .

ولسوف يصبح عند التطبيق شيئا آخر . ان المشروع المطروح  
سيكون اساسا للمناقشة في النهاية ، بعد ان يحدث آثاره



الفلسطينية والعربية والدولية ، وسوف يقود الى تنازلات  
 وتنازلات ، وسوف يكرس الاحتلال اخيرا ، ولكنسه سيعطي  
 للفلسطينيين في الضفة الغربية « بلدية كبيرة » في ظل الاحتلال  
 الاسرائيلي والادارة المدنية الاردنية . وبالمقابل سيكرس تحويل  
 القدس ومناطق اخرى الى دولة الاحتلال الصهيوني ، وستصبح  
 الضفة الغربية جسرا ما بين دولة الاحتلال والوطن العربي. تمر  
 عليه السلع والافكار والاشخاص والمؤامرات والاموال الخ .  
 ان مشروع الملك حسين هو الصيغة العملية للتصفية في  
 المرحلة الحالية . وخطورة هذه الصيغة تكمن فيما يلي :  
 اولا : انها تأتي بعد هذه الضربات المتلاحقة لحركة المقاومة ،  
 وبعد ان اوجدت الهجمات الشرسة على المقاومة حالة من اليأس  
 والحيرة والضياع لدى قطاعات من الجماهير الفلسطينية .  
 ثانيا : انها تأتي وسط اجماع رسمي عربي ، معلى وغير معلى ،  
 على ضرورة قبول قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وعلى قبول  
 التسوية .  
 ثالثا : انها تأتي مدعومة من الامبريالية الاميركية ودولة  
 الاحتلال الصهيوني وقوى الامبريالية العالمية .  
 ولذلك فهي اخطر المؤامرات واشدها ضررا ، وعلى هذا  
 الاساس يجب ان ينظر اليها ، ومن هذا المنطلق يجب ان تحارب .

## VII

بدأت العلاقات العربية - السوفياتية سنة ١٩٥٥ ، ومن  
 خلال صفقة الاسلحة لمصر . وكانت هذه الصفقة خروجاً على  
 سياسة احتكار السلاح التي ينتهجها الغرب ، وضربة للسيطرة  
 الغربية على بلادنا ، وبداية عهد جديد في حياتنا . وكانت هذه  
 الصفقة مدخلنا الى المعسكر الاشتراكي كله . وهكذا يكون لقاءنا

الاول مع الاتحاد السوفياتي ومع المسكر الاشتراكي كله من خلال خروجنا على السياسة الاستعمارية التي ظلت متحكمة بنا ستين طويلا .

واستمرت هذه العلاقة تتوطد وتوسع وتعمق وقد مرت بامتحانات عسيرة اهمها : معركة عام ١٩٥٦ حين تصدى الاتحاد السوفياتي للمعتدين بانذاراته « الصاروخية » ، وسنة ١٩٥٧ حين تصدى لقضية بناء السد العالي ، ثم حين قدم بعد حرب جزيران بديلا للأسلحة التي ضاعت في حرب جزيران سنة ١٩٦٧ . « ... وحتى اواسط عام ١٩٦٨ بنى الاتحاد السوفياتي ، وقدم مساعدة اقتصادية وفنية في بناء ٢٢٠ مؤسسة صناعية وغيرها من المشاريع في البلدان العربية ، بما فيها ١٢٨ مشروعا في الجمهورية العربية المتحدة ، و ٦٩ مشروعا في الجزائر ، و ٤٨ مشروعا في العراق ، و ١٧ مشروعا في سورية و ١٤ مشروعا في السودان و ٧ مشاريع في تونس . وينبغي أن نشير الى أن حصة البلدان العربية شكلت في اواسط عام ١٩٦٩ حوالي ٥٠ ٪ من مجمل المساعدة التي قدمتها بلدان مجلس التعاون الاقتصادي (الاتحاد السوفياتي وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وجمهورية ألمانيا الديمقراطية وهنغاريا ومنغوليا ورومانيا ) لبناء المشاريع الصناعية التي انجزت ، او هي في طريق الانجاز في البلدان النامية الآسيوية الافريقية . وعمل في البلدان العربية حوالي ٤٠ ٪ مسين مهندسي وتكنيكيي بلدان مجلس التعاون الاقتصادي الموفدين الى الخارج » (١) .

وتكتسي المساعدات السوفياتية اهمية خاصة في مجالين :  
الاول : ميدان التسليح ، حيث يعتمد عدد من الدول العربية

---

١ - عطا الله ، مولود ، نضال العرب من اجل الاستقلال الاقتصادي ، دار  
التقدم ، موسكو ١٩٧١ ، ص ٢٤٢ .

اعتمادا كلياً او شبه كلي او جزئي على الاسلحة السوفياتية .  
ويجب ان نلاحظ في هذا المجال . أ - ان الدول العربية ، المعتمدة  
على التسليح من المعسكر الاشتراكي هي التي تمتلك السلاح الاكثر  
والاوفر ، من بين الدول العربية . ب - ان الدول العربية ،  
المعتمدة في تسليحها على الغرب ، هي الدول الخاضعة للمخططات  
الامبريالية ، ابتداء من التنمية الاقتصادية وانتهاء بقضية  
فلسطين .

الثاني : ميدان : « تأمين ظروف تطور صناعة استخراج  
المعادن والصناعة البترولية ... » وقد اكتشف خلال السنوات  
الاخيرة ، « وبفضل التعاون السوفياتي - المصري ... في عدة  
مناطق بالجمهورية العربية المتحدة حقول كبيرة جدا ، للبترول  
والغاز ومكامن خامات الحديد والفحم الحجري وخامات الرصاص  
والزنك والفوسفات والكلس وهلم جرا » . وفي الجزائر تم  
اكتشاف الزئبق ، وسوف تحتل الجزائر « مكانها بين اكبر البلدان  
المنتجة للزئبق في العالم » . « كما يجري بمساعدة الاتحاد  
السوفياتي ايضا بناء معمل لتركيز خامات الرصاص والزنك .  
وذلك في مكنم كبير للمعادن المتنوعة اكتشف في الجزائر » .  
وقد ساعد السوفيات على اكتشاف البترول في سورية . كما  
انهم يساعدون على تطوير صناعة النفط في العراق ، وعلى  
اكتشاف معادن اخرى مثل الفوسفات والكبريت (1) . وبفضل  
مساعدة الاتحاد السوفياتي كان ممكنا تأمين النفط العراقي اخيراً .  
ذلك ان الدولة التي يتاح لها ان تبني صناعة مستقلة عن السيطرة  
الاستعمارية ، ويتاح لها ان تمتلك السلاح ، تمتلك ناصية التقدم  
اذا احسنت استخدام هذه الامكانيات . فمن اي منطلق تأتي هذه  
المساعدات ؟ ان هذه المساعدات تأتي من منطلق مساعدة الدول

---

١ - عطا الله ، مولود ، المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

النامية على التخلص من السيطرة الامبريالية ومن ألتخلف . وهي مساعدات تقع ضمن خط المعسكر الاشتراكي، المعادي للامبريالية، ولكنها تقع ايضا ضمن خط الاتحاد السوفياتي في المباراة السلمية والتعايش السلمي ، وليست منفصلة عن المخططات الاستراتيجية السوفياتية . الا ان هناك فروقا بين هذه المساعدات ، المادية والمعنوية ، وبين مساعدات الغرب . واهم هذه الفروق :

اولا : ان المساعدات الاشتراكية تتجه نحو تطوير امكانيات الاستقلال السياسي والاقتصادي ، ولذلك فهي تتجه نحو بناء الصناعات الاساسية ونحو توفير الاسلحة اللازمة: بينما تستهدف المساعدات الامبريالية اخضاع السوق المحلية للسوق الامبريالية وابقاء البلدان المتخلفة تابعة للمعسكر الامبريالي .

ثانيا : ان المساعدات الامبريالية هي بعض فئات استغلال البلدان المتخلفة ، اما « القروض التي يمنحها الاتحاد السوفياتي ( وكذلك الدول الاشتراكية ن.ع ) والتجهيزات الجموعية والمواد التي يقدمها للبلدان العربية النامية » ... « فليست فائضة عن حاجته ابدا ، ويمكن استخدامها كليا وبجاح تام في متابعة تعزيز الاقتصاد السوفياتي » ( ١ ) .

ونحن هنا لا نناقش هذه المساعدات مناقشة شاملة لتتحدث عن عيوبها وثمراتها ، لان هذا خارج موضوعنا الآن . لقد كانت هذه المقدمة ضرورية جدا ، لانها مدخل لا بد منه لمناقشة الحملة التي تشن اليوم على الاتحاد السوفياتي ، وعلى العلاقات العربية - السوفياتية . وما كنا لنناقش الموضوع هنا لولا انه مطروح من حيث تأثير هذه العلاقات على المعركة . وكثير في هذه الايام اولئك الذين يعتبرون ان مسؤولية الوضع الراهن : « الالاحرب والالاسلام » تقع على الاتحاد السوفياتي .. وهم

---

١ - عطا الله ، مولود ، المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

ينطلقون من هذا المنطلق ليشنوا هجمات مقدمة وافتراءات لثيمة على العلاقات العربية - السوفياتية :

وتقوم هذه الهجمات والافتراءات على ما يلي :

اولا : « ... ان الذي اوصل القضية الى مرحلة « الاحرب والالاسلم » والطريق المسدود هو تواجد الاتحاد السوفياتي وامريكا في الشرق الاوسط » . ولذلك فان « قضيتنا ستحل سياسيا في اللحظة التي تتحقق فيها مصالح الدولتين » (الاهرام، ١٩ - ٥ - ٧٢ ، ندوة ) .

ثانيا : « ... ان سياسة الاتحاد السوفياتي في العالم كله سواء نشطوا الموقف في منطقة او خمدوه ، فان هدفها في النهاية هو التوصل الى نوع من التفاهم المعين في العالم . وليظل للعالم الى مدة طويلة قادمة - وحتى تتطور الصين - محوران اساسيان هما موسكو وواشنطن » ( الاهرام ١٩ - ٥ - ٧٢ ) .

ثالثا : « ... هناك علاقة خاصة بين امريكا واسرائيل ، وهي علاقة لم تكن موجودة بهذا المفهوم على الاطلاق من قبل ، وهناك علاقة خاصة بين الاتحاد السوفياتي وبين مصر لم تكن موجودة من قبل، ولا اعتقد ابدا ان امريكا تمنع في ذلك والقول بانهم يخشون الوجود السوفياتي في المنطقة غير صحيح ... » ( الاهرام ١٩ - ٥ - ٧٢ ) .

رابعا : ان زيارة مثير لرومانيا « حصلت على تأييد السوفيات الضمني » وان المعسكر الاشتراكي يعمل على « ان يقيم علاقات متوازنة مع الطرفين » ، اي العرب ودولة الاحتلال الصهيوني ( الجديد ، ٢٨٧ ، ٩ - ٦ - ٧٢ ) . والاتحاد السوفياتي الذي « يمارس سياسة تأييد للعرب،فانه عمليا لا يظهر عداءه لاسرائيل، بل على العكس يزاول سياسة تأييدية بالسماح للمهاجرين اليهود في الاتحاد السوفياتي بالسفر الى اسرائيل بنسب كبيرة ... » ( الجديد ، المرجع السابق ) .

خامسا : ان « دول المعسكر الاشتراكي بدأت تعيد النظر في

مواقفها السياسية الدولية منذ ان تلقت الضوء الاخضر من قمة موسكو». ولهذا فتيقنوا مثلا لم يسمح بمرور الاسلحة السوفياتية عبر يوغسلافيا الى مصر بعد قمة موسكو (الجديد ، المرجع السابق) .

سادسا : ان تجربة صداقتنا مع الاتحاد السوفياتي هي « تجربة صداقة مع دولة كبرى كان كل منهما ان تبيننا السلاح بالنقد النادر ، وان ترهن اقتصادنا مقابله ... وان تظمننا في الظهر في اللحظة الحرجة » (الجديد ، ٢٨٧ ، فوق الجراح وفوق الالم في ٩ - ٦ - ٧٢) .

سابعا : ان الدول العربية لا تحارب لان الاتحاد السوفياتي لا يزودنا بالاسلحة التي نحتاجها ، وبالاسلحة الهجومية خاصة . وانطلقت في هذا الوقت اوساط متخلفة ، ومعادية للاشتراكية والماركسية والشعب تزايد على العلاقات العربية - السوفياتية بالعلاقات العربية الصينية . (الحوادث ٢ - ٦ - ٧٢ ، العدد ٨١٢) . حدث هذا داخل حركة المقاومة الفلسطينية ، كما حدث خارجها . فلماذا قامت هذه الحملة المعادية للاتحاد السوفياتي ، وما هي اهدافها ؟ قبل ان نجيب على هذا السؤال لا بد لنا من ان نشير الى الظروف التي رافقت هذه الحملة . وهذه الظروف هي :

أ - هجمة امبريالية شرسة تقودها الولايات المتحدة من اجل فطم العلاقات العربية السوفياتية ، وذلك لتسهيل السيطرة الامبريالية الصهيونية على المنطقة . ولقد تحدث نيكسون علنا عن قلقه من الوجود السوفياتي في مصر والمتوسط . كما ان الاوساط الصهيونية العالمية ، وفي الارض المحتلة ، ركزت كثيرا على قضية الوجود السوفياتي في مصر وبقية البلاد العربية .

ب - زيادة نشاط الاتحاد السوفياتي من اجل تمتين علاقاته مع الدول العربية وانتهاج سياسة اكثر حيوية واكثر تشددا ، وهو ما عبرت عنه إحدى المحلات بالتالي : « تثبيت المواقع المعادية

لاميركا في الواقع العربي ، عبر المعاهدات العربية - السوفياتية من جهة . وعبر خطوات التقارب العربي ، والحملة ضد التيارات الاميركية في الواقع العربي ، وزيادة حجم التسليح للبلدان العربية ، وكذلك مشاركة حركة التحرر العربي اقتناعها « بأن هناك وسيلة اخرى » لتحرير الاراضي العربية المحتلة « ( البلاغ ، العدد ٢٢٠ ٢٢ - ٥ - ١٧٢ ) .

ج - تحرك الفئات العميلة والمرتبطة بسياسة الولايات المتحدة في الوطن العربي تحركا واسعا من اجل محاصرة المقاومة الفلسطينية وضربها ، ومن اجل ضرب الحركة الوطنية العربية ، وذلك بهدف تصفية القضية الفلسطينية وفرض الهيمنة الامبريالية على المنطقة .

بعد هذا نستطيع الاجابة على السؤال: لماذا قامت هذه الحملة وما هي اهدافها ؟ اما لماذا قامت الحملة ، فيبدو واضحا من الوقائع البارزة . اهمها ان الولايات المتحدة اخذت تقتنع يوما بعد يوم ان حركة التحرر العربي ، تحقق انتصارات جديدة ، رغم التكتات والهزائم والتراجعات . فالخط العام لحركة التحرر العربي هو في صعود ، منذ سنة ١٩٥٥ ، على الرغم من الانحدارات الهائلة والذبذبات الكبيرة . والذي يقارن وضع البلدان العربية اليوم ، بوضعها سنة ١٩٥٥ ، او ١٩٦٥ ، يلمس هذه الحقيقة . ويكفي ان نشير الى مجموعة من الظواهر :

اولها : ان كل البلدان العربية مستقلة اليوم ، استقلالا تاما او شبه تام او سوريا ، ولقد كان عدد منها غير مستقل سنة ١٩٥٥ . لقد استقلت تونس والمغرب ، ثم الجزائر ، واستقلت اليمن الديمقراطية وبلدان الخليج بعد هذا التاريخ .

ثانيها : ان كثيرا من الانظمة الرجعية قد سقطت خلال هذه المرحلة ( ليبيا ، اليمن ، العراق ) ، وان الاستقلال الوطني قد تعزز في اكثر من بلد ( مصر ، سورية ، العراق ، الجزائر ) .  
ثالثها : ان هذه المرحلة شهدت تطورا اقتصاديا كبيرا :

الاصلاح الزراعي في مصر وسورية والعراق والجزائر ، انشاء القطاع العام في البلدان المذكورة آنفا ، السيطرة على صناعة النفط في مصر وسورية والجزائر والعراق وليبيا .

ولقد كان كل هذا التقدم على حساب المواقع الامبريالية في المنطقة . وهو تقدم يهدد بقايا المواقع الامبريالية تهديدا مباشرا ، وي طرح قضية وجودها في المنطقة من الاساس ، على الرغم من بطئه وعلى الرغم من الذبذبات التي يعيشها ، وعلى الرغم من قوة مواقع الامبريالية ونفوذها ، وعلى الرغم من ان وجود دولة الاحتلال يمثل خطرا على كل منجزات الاستقلال ، بالاضافة الى كونه احتلالا .

ثم ، وازضافة الى ما سبق ، فان الولايات المتحدة اخذت تشعر ، بعد تصاعد المقاومة الفلسطينية ، ان استمرار نمو المقاومة سيهدد كل الوجود الامبريالي في المنطقة . ولهذا قررت ان تعمل على اعادة ترتيب الاوضاع في المنطقة بحيث تصبح منطقة هدوء وسلام . وهذا لن يكون الا بالقضاء على المقاومة الفلسطينية وسحق قوى حركة التحرر الوطني العربية وتكريس « انظمة معتدلة » تضمن « الاستقرار والامن » .

وتشارك الولايات المتحدة خوفها وقلقها اوساط عربية ، خصصت لمحاربة الشيوعية اموالا لم تخصصها لتحرير فلسطين ، وصرفت في هذا المجال آلاف الملايين خلال السنوات العشر الماضية . كما ان هذه الاوساط لا ترى ان معركتنا مع الصهيونية والامبريالية اولا ، بل تراها مع الشيوعية ، وقبل كل شيء .

ولذلك فان هذه الاوساط تشن حملاتها على الاتحاد السوفياتي والشيوعية ، محاولة ان تخدع الجماهير بوجود علاقات بين الشيوعية والصهيونية وبين الاتحاد السوفياتي واسرائيل . كما انها تحاول ان تقنع الجماهير بأن العرب لا يحاربون لان الاتحاد السوفياتي لا يريد الحرب .

وتعمل هذه الاوساط لتضع المقاومة الفلسطينية ضمن



مخططاتها . ولذلك فهي تخوف من الاتجاهات الماركسية داخل المقاومة . ومن علاقتها بالاتحاد السوفياتي ، وتطالبها بأن تكون « مقاومة مشروعة » من اولى مسؤولياتها : « الوحدة فيما بينها وتوثيق الصلة مع الاهل في الضفة الغربية المحتلة وتحقيق الانسجام الاكبر مع العمل العربي الموحد » ( الجديد ، ٢٧٩ ، ١٤ - ٤ - ٧٢ ) .

وتضيف هذه الاوساط : « ان وحدة المقاومة التي تطالب بها القيادات العربية الحاكمة تختلف جذريا عن وحدة المقاومة التي يجري بحثها الان في القاهرة والتي جند لها العديد من الاحزاب الماركسية في انحاء العالم للمشاركة . . . » ( المصدر السابق ) . ان هذه الاوساط لا تريد المقاومة ان تكون عملا شعبيا ثوريا ، يعتمد على الجماهير ويقاوم من خلال توعيتها وتنظيمها ، بل تريدها جهازا تابعا للانظمة ، تحدد له الانظمة واجباته ومهامه وأولها : سحق ارادة الشعب الفلسطيني . وهذا الاتجاه في السياسة العربية ، هو المسؤول عن عمليات تصفية المقاومة وعمليات محاصرتها التي عرفتها خلال مسيرتها منذ ١٩٦٥ وحتى الآن . وهو يعمل الآن ، وبكل ما اوتي من قوة لتوجيه الضربة القاضية للمقاومة ، ضمن المخطط الامبريالي - الصهيوني المرسوم . تبدو ، بعد هذا كله ، اهداف هذه الحملة واضحة جلية ، انها : ١ - عزل حركة التحرر الوطني العربية ، ومنها المقاومة الفلسطينية ، عن حليفها الميسر الاشتراكي ، وعلى راسه الصين والاتحاد السوفياتي . ٢ - قيادة الامة العربية على طريق الاستسلام بضرب منجزاتها ومكتسباتها وبتمكين مواقع القوى المضادة للثورة وزيادة فعاليتها ونشاطها وقدراتها ، والعمل على توسيع رقعة سيطرتها باعادة مواقعها التي خسرتها اليها . وتغطي هذه الاوساط الامبريالية ، العميلة ، المضادة للثورة عملياتها باظهارها الحرص على قوة الامة العربية وكرامتها ، وتبناكها على الوطن السليب . ولكنها تفضح نفسها حين يزداد

ارتباطها يوما بعد يوم بالولايات المتحدة الاميركية ، وحين يزعجها ، مثلا ، هجوم الشقيري على واشنطن في المؤتمر الشعبي الفلسطيني ( الجديد ، ٢٧٩ ، ١٤ - ٤ - ٧٢ ) ، كما انها تفسر زيارة احد سلاطين هذا الاتجاه الى واشنطن بانها ذات « علاقة مباشرة بموضوع التسليح العربي وضرورة تطويره ليستطيع مواجهة العريضة العسكرية الاسرائيلية ... » ( الجديد ، ٢٨٧ ، ٩ - ٦ - ٧٢ ) . وهكذا تنكشف الحقائق عارية . ذلك ان هؤلاء الحريصين على فلسطين والتحرير والكرامة العربية المهدورة يشنون اشد الحملات ضد العلاقات العربية السوفياتية ، ولكن يصمتون عن العلاقات العربية - الاميركية وعن العلاقات الاسرائيلية - الاميركية ، يهاجمون الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية التي تقدم للدول العربية ، وخاصة مصر وسورية والعراق والجزائر اسلحتها ، والمساعدات اللازمة لبنائها الاقتصادي ، ويصمتون عن الولايات المتحدة الاميركية التي تقدم لاسرائيل اسباب البقاء والقوة والسيطرة ، ولا تعطي العرب الا ما يضمن لها سحق ارادتهم وابقاءهم ضعفاء امام العنجهية الاسرائيلية .

ثم ترتفع الاصوات بعد ذلك معلنة ان الاتحاد السوفياتي مسؤول عن حالة الاحرب والاسلم . لماذا لانه لا يقدم للعرب الاسلحة اللازمة .

ولكن هل الاسلحة وحدها هي التي تجعل الناس يقاتلون ؟  
 سنجيب عن هذا السؤال بمجموعة من الارقام :

١ - مقارنة بين فياتنام والولايات المتحدة الاميركية :

فياتنام الشمالية سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ : ١٧٤٥٠٠٠٠٠٠ عدد السكان ، ٤١٨٤٠٠٠ القوات المسلحة ، ٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار اميركسي ميزانية الدفاع ، ٤١٠٠٠٠٠ الجيش ، ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ الميليشيا ، ١٠٠ سيارة مدرعة مختلفة ، بما في ذلك ت - ٣٤ و ب - ت ( دبابات استطلاع ) ، ٦٤٠٠٠٠ مدفع مضاد للطائرات ، ١١٨ طائرة مقاتلة ، منها ٢٠ ميغ ٢١ فقط . ومع ذلك

فقد كانت فياتنام تقاتل سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ الولايات المتحدة الاميركية وحلفاءها وجيش فياتنام العميل .

ب - مصر ١٩٦٧ - ١٩٦٨ : ٢١٤.٠٠٠.٠٠٠ عدد السكان ، ١٨.٠٠٠ القوات المسلحة ، ١٤.٠٠٠ الجيش ، ٦٥٥٠.٠٠٠.٠٠٠ ج.م ميزانية الدفاع ، ٢٥٠ دبابة ت ٥٤ و ٥٥ ، ٧٠ دبابة ت ٣٤ ، ٢٠ ج.س - ٣ ، ٣٠ ستوريون ( مارك ٣ ) ، ٢٢٥ طائرة مقاتلة ، منها ١٠٠ ميج ٢١ .

ج - دولة الاحتلال اسرايل ١٩٦٧ - ١٩٦٨ : ٤٦٠.٠٠٠.٠٠٠ السكان ( خطأ على ما يبدو ) ، ٧١٤.٠٠٠ القوات المسلحة ( النظاميون ) : ٢٧٥٠.٠٠٠ مع الاحتياط ، ٢٢٥ م - ٤٨ باتون ، ٢٥٠ ستوريون ، ٢٠٠ ت - ٥٤ ( يبدو ان هذا الرقم ليس صحيحا ) ، ١٧٥ سوبر شيرمن ، ١٤٠ ا.م.اكس ، ٢٣٠ طائرة مقاتلة . ومع ذلك فان مصر لم تستطع ان تقاتل سنة ١٩٦٧ (١) .

د - الولايات المتحدة الاميركية ( ١٩٧٠ - ١٩٧١ ) : ٢٦١٦١٤.٠٠٠ القوات المسلحة ، ٧١٤٧٩١ مليون دولار نفقات الدفاع .

هـ - فياتنام الديمقراطية ١٩٧٠ - ١٩٧١ : ٢١٤٩٠.٠٠٠ السكان ، ٤٣٢٤٧٥٠ القوات المسلحة ، ٥٠٠ مليون دولار ميزانية الدفاع ، ٤٢٥٠.٠٠٠ الجيش ، ٤٠٠ آلية مصفحة بما في ذلك دبابات ت - ٣٤ و ت ٥٤ ، ٧٦ ب.ت دبابة برمائية خفيفة ، ١٣٣ طائرة مقاتلة ، منها ٣٠ ميج ٢١ ، ومع ذلك فان فياتنام الديمقراطية تقاتل الولايات المتحدة منذ سنوات .

و - مصر ١٩٧٠ - ١٩٧١ : ٢٣٠.٠٠٠.٠٠٠ السكان ، ٢٨٨٤.٠٠٠ القوات المسلحة ، ٥٥٣ مليون جنيه مصري (١٤٢٧٢) .

مليون دولار) ميزانية الدفاع، ٢٥٠.٠٠٠ الجيش، ٩٥٠ دبابة - ٥٤  
٥٥٥، ٢٥٠ دبابة ٣٤، ١٠ سنتوريون م-٣، ١٥ شيرمان، ١٥٠  
ب.ت - ٧٦ برمائية ، ٢٠.١ م.اكس ، ١٣ دبابة خفيفة ، ٩٠٠  
حاملات جنود مختلفة .

ز - دولة الاحتلال - اسرائيل ١٩٧٠ - ١٩٧١ : ٢٦٠.٠٠٠.٠٠٠  
عدد السكان ، ٧٥٠.٠٠٠ القوات المسلحة ، ٣٦٦٢٤٥ مليون ليرة  
ميزانية الدفاع ، ٢٧٥٠.٠٠٠ الجيش النظامي والاحتياط ، ٣٠٠  
دبابة م-٤٨ باتون ، ٤٥٠ سنتوريون ، ١٠٠ ت-٥٤ و ٥٥٥ ،  
٢٠٠ سوبر شيرمن ، ١٥٠٠ (حوالي) ناقلات جنود (٢) . ومع  
ذلك، وعلى الرغم من ان هذا هو سلاح مصر وحدها فاننا ما زلنا لا  
نستطيع ان نقاتل دولة الاحتلال .

لماذا ؟ لاننا لا نملك ارادة القتال اولا ، ولاننا ثانيا لم نقرر  
اسلوب القتال المناسب ، وهو حرب الشعب ، ولاننا ثالثا ، لا  
نجمع امكانياتنا بعضها الى بعضها الآخر . والقضية ليست في  
اننا نملك او لا نملك القدر الكافي من السلاح ، فنحن نملك العدد  
الكافي والنوع المناسب للحرب الحديثة ، وحتى النظامية منها .  
ثم ان القتال هو الذي يأتي بالسلاح . فحرب الاستنزاف جاءت  
بصواريخ سام ، وبمزيد من الاسلحة (طائرات ودبابات الخ) .  
وليس من المنتظر ان يجيء «الهدوء» بسلاح فعال . وليس من  
المتوقع ان يدفعنا الاتحاد السوفياتي الى المعركة دفعا ، ولن  
نستطيع الانتصار اذا دفعنا الى المعركة دفعا ، ولكن اندفاعنا الى  
القتال : بمختلف اشكاله سيدفع الاتحاد السوفياتي والسدول  
الاشتراكية حتما الى زيادة مساعداتها لنا . وفياتنام خير شاهد  
على ذلك .

وهناك حقيقتان لا بد من ذكرهما هنا . الاولى : ان ربط بدء القتال بالمباراة التكنولوجية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، من خلال انعكاسها علينا وعلى دولة الاحتلال ، سيجعل بدء القتال مستحيلا ، لان المباراة قائمة ، وهي لن تنتهي . الثانية : ان مطالبة الاتحاد السوفياتي بالحسم ، اي ان يدخل الحرب عنا ، والتمثل بموقفه في اماكن اخرى ، تتجاهل مجموعة حقائق موضوعية ، كما انها تبدا من منطلق منحرف . فما نريده هو ان يساعدنا لا ان يحارب عنا .

ان الذين يحاربون العلاقات العربية - السوفياتية هم ليسوا الوطنيين الحريصين على القتال ، وعلى تطوير العلاقات لمصلحة تطور بلادنا وقوتها ، بل هم الاستسلاميون الهيابون ، الذين يريدون دفعنا الى اليأس ، والى السقوط في شرك السيطرة الاميركية . ومثل هؤلاء لا يخدمون الا الاحتلال الصهيوني والولايات المتحدة الاميركية .

ونحن نطالب هؤلاء ، الذين يزايدون بطرح العلاقات العربية - الصينية بدلا للعلاقات العربية - السوفياتية ، بان يرفعوا صوتهم من اجل الاعتراف بجمهورية الصين الشعبية ، ومن اجل توطيد العلاقات معها ، كما نناشدهم ان يتبنوا حرب الشعب . وعندها لن يتحدثوا عن عدد الطائرات والدبابات .

ولكن هذا كله هل يعني انه ليس هنالك من خلافات بيننا وبين الاتحاد السوفياتي ؟ بالطبع هنالك خلافات ، وأهم هذه الخلافات :

١ - ان الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ، ما عدا الصين والبايما وفياتنام الديمقراطية وكوريا الديمقراطية ، تعترف بدولة الاحتلال .

٢ - ان الاتحاد السوفياتي يدعو الان الى تسوية سلمية ، تزول بموجبها آثار عدوان حزيران فقط .

٣ - ان الاتحاد السوفياتي ، قد يجد في اية لحظة ، من

المناسب ضمن استراتيجيته العالمية ان يتفق مع الولايات المتحدة على حلول لمشاكل العالم الرئيسية، ومنها قضيتنا. ونحن ننبه الى خطورة مثل هذا الاتفاق السوفياتي - الاميركي ، مما يتطلب شحذ الهمم والاستعداد الدائم لمقاومة كل الحلول التصفية بما في ذلك قرار نوفمبر ١٩٦٧ .

٤ - ان الاتحاد السوفياتي يسمح الآن بهجرة اليهود السوفيات الى الارض المحتلة ، تحت ضغط الصهيونية العالمية والدول الامبريالية ، وهذه الهجرة ليست في مصلحتنا . هذا على الصعيد الفلسطيني والعربي ، اما على الصعيد العالمي ، وصعيد العلاقات الدولية وقضايا التحرر الوطني والماركسية فهناك الكثير من الخلافات ، التي لا نرى ان هذا المجال هو مجال بحثها .

وعلى هذا ، فاننا ونحن نحارب الهجمات الشرسة ضد العلاقات العربية - السوفياتية ، لانها تريد السير بنا نحو الاستسلام ، نعتقد بان خروجنا من دائرة الحلول الاستسلامية لا يكون الا بتنمية قوانا الذاتية وبالاعتماد على جماهيرنا ، بثعبنة هذه الجماهير وتنظيمها واعدادها للقتال . وبذلك فقط نضمن عدم تصفية القضية ، وبذلك فقط نضمن الخروج من دائرة الحلول الاستسلامية والتسويات الدولية . وبذلك ، لا بغيره ، نضمن تطوير علاقاتنا مع حلفائنا واصدقائنا، وزيادة مساندهم ومساعدتهم لنا ، مادياً ومعنوياً .



لقد اكدت الاحداث في الشهرين الماضيين مجموعة من الحقائق ، دار النقاش حولها وما زال يدور . ولا بد لنا من ان نبرز بعض هذه الحقائق ، لان ابرازها يساعدنا على استجلاء آفاق المستقبل من جهة ، ويكشف لنا زيف كثير من الدعايات التي

كانت تسد وجه الافق ، وأهم هذه الحقائق ثلاثة ، نطرحها  
قيما يلي :

اولا : ان السياسة المصرية التي قادت الى اتخاذ قرار انهاء  
مهمات الخبراء والمدربين السوفيات باسم الخروج من مأزق  
اللاسلم واللاحرب بات واضحا ما ترمي اليه . لقد انتهت حالة  
اللاحرب ، وابقت حالة اللاسلم وحدها . انها هنا ، ومن الطرف  
العربي فقط ، ابقت الباب نحو «السلام» مفتوحا، وسدت الطريق  
على الحرب . ذلك ان القرار المصري اعطى ميزات إستراتيجية  
لدولة الاحتلال الصهيوني، بسحب الخبراء والمدربين والطيارين  
وبعض الاسلحة المتقدمة ، وبتعقيد أمر التعاون العسكري والسياسي  
مع الاتحاد السوفياتي . كما انه قدّم خدمات إستراتيجية جلي  
للولايات المتحدة عن طريق انهاء التسهيلات المصرية للبحرية  
السوفياتية في المتوسط .

وظهر الاتجاه نحو السلام واضحا في التوجه نحو اوروبا ،  
ومناشدها المساعدة على اقرار «السلام» في المنطقة .

وبدأت مصر توجهها الفعلي نحو «السلام» ، من خلال التحرك  
السياسي الذي أعلنت عنه ، وهذا التحرك السياسي اشار اليه  
الرئيس السادات مرارا ، وذكرت وكالة انباء الشرق الاوسط  
ان الرئيس السادات تحدث عن هذا التحرك في اجتماع مجلس  
الشعب يوم ١٧-٨ قائلا : «ان ما نحتاج اليه الآن هو التحرك مع  
الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وأوروبا الغربية والدول غير  
المنحازة والدول العربية» .

ولكن الذي يحدث عمليا هو ان العلاقات مع الاتحاد السوفياتي  
تسير نحو التدهور في الوقت الذي يتم التحرك فيه باتجاه  
الولايات المتحدة وأوروبا الغربية والدول العربية الرجعية (١) .

١ - جرى تغير جزئي في الموقف المصري بعد هذا التاريخ ، نتيجة استمرار  
التعننات الاميريكي-الاسرائيلي ، زافقه تغير، في داخل النظام، جزئي ايضا ،  
ولكن الخط العام المثار اليه ازداد وضوحا فجيما بعد .

وكان هذا طبيعيا ، لان قرار انهاء خدمات السوفيات مطلب اميركي اولا . لقد قال كينجر قبل سنتين : «لنتحدث بصراحة . . . تريدون مبادأة امركية فعالة لتسوية النزاع العربي - الاسرائيلي؟ اذن انهوا الوجود العسكري السوفياتي ثم تعالوا نتباحث . . . هذا هو الشرط . . . واكرر هذا هو الشرط الوحيد» (الاسبوع العربي، العدد ٦٩٢ ، ١١-٩-٧٢) .

وظلت الولايات المتحدة ، خلال السنتين الماضيتين تضغط في هذا الاتجاه حتى جاء القرار .

ولقد رافق التحرك السياسي المصري نحو اميركا واوروبا تحرك تونسي - سعودي في اتجاه اميركا والغرب من جهة وفي اتجاه القاهرة من جهة اخرى .

ومن هنا تتضح ابعاد التحرك السياسي المصري . انه تحرك ضمن دائرة معينة ، هي دائرة البحث عن حل «سلمي» .

وهو تحرك نحو الخارج ، جزء من الخارج ، لا نحو الخارج كله . لقد اسقط الاتحاد السوفياتي من الحساب ، ولم تعسط الصين ما تستحقه من اهمية واهتمام (طبعاً خوف ان يحل التنين محل الدب) .

ولقد بادرت الولايات المتحدة الى التقدم خطوة اخرى على طريق لعبة «الشد والارخاء» التي تمارسها منذ حرب حزيران ، فأعلنت بعد القرار المصري مباشرة ضرورة اجراء مفاوضات مباشرة، او مفاوضات عن كيب في جزيرة رودوس، على ان تكون مفاوضات سرية ، وعلى ان يشارك فيها مفاوضون يتمتعون بصلاحيه اتخاذ القرار (الاسبوع العربي ، المرجع السابق) .

وسارت الدبلوماسية «الاسرائيلية» على الطريق ذاتها ، فتقدمت خطوة الى الامام ، وطرحت قضية المفاوضات المباشرة ، واصلت دايان ولاول مرة استعداد دولة الاحتلال للتراجع جزئيا في سيناء ، اذ قال يوم ١٧-٨ في حفل لتخريج دفعة من ضباط الاركان : «ان مفتاح الحدود الآمنة كامن في صحراء سيناء . . .



ففي صحراء سيناء يمكننا ان نعين حدا فاصلا مؤقتا او دائما ضمن اتفاق متبادل بين مصر واسرائيل ، يعطي للمناطق الاهلة بالسكان في الجانبين عمقا أمنيا» .

ولقد باتت الدبلوماسية الاميركية و«الاسرائيلية» تلعب الآن، ومنذ قرار انهاء خدمة الخبراء والمدربين السوفيات ورقعة المفاوضات المباشرة. المفاوضات المباشرة الآن هي المطلب الاساسي: ولهذا فان ابا ايان قد اعلن (٧-٨-٧٢) : «ان الجهد الرئيسي لاسرائيل خلال العام الثالث من وقف اطلاق النار سيركز اساسا على تحقيق المفاوضات المباشرة» .

وصدرت تصريحات مماثلة عن ساسة كبار من ساسة الولايات المتحدة ، مثل ملفين ليرد وزير الدفاع وويليام روجرز وزير الخارجية ، وفي التواريخ عينها ٧-٨ ، ١١-٨ مثلا . واستخلصت سياسة تل ابيب وسياسة واشنطن درسنا جديدا ، مما حدث . لقد استطاعت ان تتأكد بان مزيدا من التشدد ازاء العرب يقود الى مزيد من التراجع .

وهذا ما عبّر عنه ييجال آلون نائب رئيسة الوزراء بقوله يوم ٧-٨ : «ان واشنطن تعلمت في السنتين الماضيتين ان التشدد يؤدي الى نتائج حسنة في هذه المنطقة ، فقد كانت الولايات المتحدة تسمى منذ سنتين لحمل اسرائيل على دفع اي ثمن مقابل وعد من الرئيس السادات باخراج السوفيات ، ولكن اسرائيل لم تتجاوب ، وتبين بعد ذلك انها على حق ، حيث خرج السوفيات بدون ثمن» .

وهذا الدرس يعزز سياسة العصا الفليضة التي تنتهجها تل ابيب وواشنطن .

ومن الجدير بالذكر ان الولايات المتحدة واصلت تقديم الاسلحة للدولة الاحتلال الصهيوني، حتى بعد اقرار انهاء مهمة الخبراء السوفيات . وهذا يكشف التضليل الذي كانت تمارسه الولايات المتحدة في السابق ، لتبرير امداد دولة الاحتلال الصهيوني

بالأسلحة ، كما يكشف الخطة الاستراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة ، هذه الخطة القائمة على أساس استمرار التفوق العسكري «الاسرائيلي» في كل الظروف .

ولا بد من الإشارة هنا الى ظاهرتين من ظواهر سياسة التوجه نحو «السلم» . الظاهرة الاولى ، وتتعلق بالقرار الذي اتخذته دولة الاحتلال الصهيوني بتخفيض مدة التدريب ثلاثة اشهر . «وقد اوضحت السلطات العسكرية والسياسية الاسرائيلية ان الاسباب الواقعية لهذا الاجراء - وهو الاول من نوعه منذ العام ١٩٦٧ - هي «التحولات الايجابية» التي طرأت على الجبهات العربية مع اسرائيل» (الدستور ، العدد ١٠٠ ، ١١-٩-٧٢) .

الظاهرة الثانية هي زيارة الرئيس السادات للولايات المتحدة وبعض العواصم الاوروبية ، وزيارة من هذا النوع لا يمكن ان يشك بأن لها اهدافا غير «السلم» .

ولذلك يجري الحديث في هذه الايام عن «حل» يشمل الجبهة المصرية والاردنية ، ويستثني الجبهة السورية. وهذا الحل يسمى حلا جزئيا ، بينما هو في الواقع خطوة نحو الاستسلام الكامل .

وبات واضحا ان قادة دولة الاحتلال قد غيروا من لهجتهم ، بعد القرار المصري ، وانهم بدأوا لعبة «الشند والارخاء» من جديد . الهدف الآن هو المفاوضات المباشرة ، والهدف من المفاوضات المباشرة هو التسليم الكامل .

ان الحقيقة الاولى التي تؤكدتها الاحداث في الشهرين الاخيرين هي ان كل تراجع سياسي امام اسرائيل والولايات المتحدة يقود الى تراجعات ، وان استمرار هذه السياسة لن يقود الا الى الاستسلام ، وعلينا ان نوقف مهزلة التراجعات هذه .

ثانيا : ان عملية مونيخ التي قامت بها منظمة ابول الاسود قد اثبتت بما لا يدع مجالا للشك بطلان حملة التضليل التي استعملت خلال الشهرين الماضيين ، والتي انطلقت من ان الوجود العلني

للعمل الفدائي يعطي كل المبررات لعمليات الانتقام من العدو ، قالوا لنا : ان العودة الى السرية هي التي تحرم العدو من مبرراته ، ومع اننا كنا نعلم ان هذا وهم ، وهو ما اشرنا اليه في حينه (شؤون فلسطينية ، العدد ١٢) الا اننا اضطررنا للدخول في مناقشة حول الموضوع . لقد كنا نعلم ان الدعوة الى العودة للسرية ليست الا مبررا لانهاء وجود الثورة ، وان العودة الى السرية لا تمنع العدو من الانتقام .

ولقد جاءت عملية مونيخ ، فاكدت ما ذكرناه سابقا ، اكدت ان دولة الاحتلال الصهيوني تريد امرا واحدا ، هو ان يصمت الشعب الفلسطيني الى الابد ، وفي سبيل ذلك هي مستعدة لعمل كل شيء دون رادع او وازع . ودولة الاحتلال عندما تعجز عن مواجهة العمل الفلسطيني المسلح ، تلجأ الى دفع الدول العربية على طريق تصفية المقاومة الفلسطينية . هذا ما فعلته في الاردن ، وهذا ما تحاول فعله الآن في سوريا ولبنان . لقد اعلن قادة دولة الاحتلال الحرب على العمل الفدائي اينما كان . وقالت جولدا مئير : «ستستمر اسرائيل في حربها ضد منظمات «الارهاب» ولن تعفي من يساعد هذه المنظمات من تبعية عمليات الفدائيين» (البلاغ ، العدد ٣٦ ، ١١-٩-٧٢) ، وشنت دولة الاحتلال هجماتها ، بعد التهديد ، على سوريا ولبنان ، وما زالت تهدد بشن هجمات اخرى ، وتعيش المنطقة في هذه الايام جوا من القلق والفرع . ان دولة الاحتلال تطالب بسحق وجود المقاومة ، فاذا لم تقم الدول العربية المعنية بهذه المهمة قامت بها دولة الاحتلال .

وهكذا لا تكون المقاومة وحدها مهددة ، ان استقلال الدول العربية بات مهددا . وعلى الدول العربية ان تختار بين ان تكون اداة في يد دولة الاحتلال او تكون دولا مستقلة لها كرامتها ، وهذا يعني ان تختار بين الاستسلام والحرب .

وهنا تبدو الامور واضحة : ان دولة الاحتلال تحمّل الدول

العربية مسؤولية كل عمل مضاد لها ، حتى لو كان فاعله مجهولين .

وعليه فان العودة الى السرية لن تنقذ احدا ، الا اذا عنت انهاء وجود المقاومة العلني والفعلي . كما ان دولة الاحتلال لن ترضى بديلا عن ان تكون القوة المتحكمة بالمنطقة ، المسيطرة عليها ، وعلى الدول العربية ان تخضع او تقاوم . وبما ان طريق الخضوع معروف ، وقد اصبحت لنا فيه «تقاليد» وممارسات ، فان طريق المقاومة هو طريق الخلاص . وطريق المقاومة ليس سرا مجهولا ، ولا هو بالخافي على احد ولكن ممارسته هي القضية .

ولقد بدأت طلائع الشعب الفلسطيني انتهاز هذا الطريق ابتداء من سنة ١٩٦٥ ، وما تزال سائرة على الرغم من الاخطاء والانحرافات والعقبات . وما يعمل له العسكر المعادي الامبريالي الصهيوني لا يتعدى اطفاء جذوة هذه المقاومة . هذه هي المهمة الاساسية الآن للتحالف الامبريالي الصهيوني . ويعرف هذا التحالف ان انجاز هذه المهمة لن يتم بدون المعونة الفعالة من العملاء العرب والقوى المضادة للثورة في الوطن العربي .

والرد بالطبع على هذا كله ليس السرية فحسب ، انه القتال ، التصميم على القتال ، تعبئة الجماهير للقتال ، المحافظة على انجازات المقاومة وامكانياتها ، اشراك الجماهير العربية مشاركة فعالة الخ . . واذا كانت هنالك حاجة للسرية ، فضمن هذا الخط ، وليس دونه .

ثالثا : ان مشكلتنا الاساسية تنبع من اعتماد انظمتنا على القوى الخارجية ، واهمالها طاقاتها وامكانياتها . نحن نفكر بالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، بالشرق والغرب ، ونلوم هذه الجهة او تلك . نطلب من الاتحاد السوفياتي ان يؤهلنا للحرب ، او نناشد الولايات المتحدة ان تأتي لنا «بالسلم» . وطبيعي الا يستطيع الاتحاد السوفياتي ان يقدم لنا الاهلية للحرب ، كما انه طبيعي الا

تقدم لنا الولايات المتحدة «السلم» على طبق من ذهب .  
وهذا لا يعني اننا لسنا بحاجة الى اصدقاء وحلفاء . نحن  
بحاجة الى اصدقاء وحلفاء ، وعلينا ان نحدد اصدقاءنا وأعداءنا،  
علينا ان نفرق بينهم وبين نوع صداقاتهم وعداوتهم ومستوى  
هذه الصداقات والعداوات في كل مرحلة .

ولكن هذا ليس الاساس . انه جزء من الخط السياسي  
الصحيح الذي علينا ان نضعه وان ننتهجه . ولكن اساس هذا  
الخط هو جماهيرنا وقوانا وازادة القتال لدينا .

اعتقد ان التجارب علمتنا ان النصر لن يأتي من الخارج ، ولا  
من الاسلحة الخارجية ، ولا من المساندة السياسية الخارجية ،  
وان كان ذلك كله من العوامل المساندة . ان النصر يأتي من العامل  
الذاتي ، من ارادتنا ومن جماهيرنا .

ان اصدقاءنا الصينيين ، وهم حلفاء لا يماري احد في  
صداقتهم ، وان بدأت الاوساط المشككة بالصداقة مع الاتحاد  
السوفياتي تبث الذعر في نفوسنا من التنين الذي سيحل محل  
الدب ، يقولون لنا دائما : الاعتماد على الذات هو الطريق الى  
النصر .

اما نحن فنهرب دائما من الذات الى الخارج ، نبدد قواننا  
الحقيقية لنمني النفس بمساندة قوى لا تنفعنا ان لم ننفذ انفسنا .  
ان سر قوتنا في جماهيرنا ، ومع ذلك نبحت عن هذا السر  
في التكنولوجيا التي لا نملكها ولا نبذل الجهود لامتلاكها . وسر  
قوتنا في معنويات جماهيرنا ، ومع هذا فنحن نعمل على تدمير  
هذه المعنويات ، وسر قوتنا في وحدة جماهيرنا ونحن نفرقها  
ونقسمها . وسر قوتنا في تعبئة جماهيرنا ، ونحن «ننفضها»  
اعلاميا ونحن «نفرغها» دائما حتى لا تصبح قوة .

وفي الوقت الذي تصمد فيه الجماهير الفياتنامية في الشمال  
والجنوب لغارات الطيران الاميركي الايام والاشهر والسنين ،

نخسى نحن غارات الطيران «الاسرائيلي» . وفي الوقت السذي نخسى فيه تفوق الطيران «الاسرائيلي» ، ونؤجل الحرب فزعا ورعبا من هذا «الشيطان الرجيم» تزحف قوات الثوار الفياتناميين، المشاة في الاغلب ، بلا حماية من طيران ، وبلا سلاح مدرع يستحق الذكر ، على مواقع الاميركيين والفياتياميين الجنوبيين ، ويحققون النصر تلو النصر .

هذا هو درسنا الاول والاخير .

ان النصر مرهون بارادة الانسان ووعيه وحكمته وقدرته على استخدام قواه وطاقاته .  
وعلينا ان نعي هذا الدرس جيدا ، لانه الدرس الذي يقودنا الى النصر .



القسم الخامس

نحو ثورة فلسطينية جديدة





نحن نعيش اذن ، وبعد هذا كله مرحلة جديدة . وعلينا ان نحدد خصائص هذه المرحلة بايجاز وبدقة ، لنستطيع ان نرسم على اساس ذلك تصوراتنا عن المستقبل . ويمكن ايجاز هذه الخصائص بما يلي :

اولا : على الصعيد الفلسطيني . برزت على الصعيد الفلسطيني ، منذ ايلول وحتى الان الحقائق الآتية :

أ - خسارة الاردن باعتباره قاعدة اساسية ، واحكام طوق الحصار حول الثورة في لبنان خاصة ، وفي البلاد العربية عموما .  
ب - عجز منظمة التحرير عن بلورة جبهة وطنية حقيقية واستمرار مؤسساتها على حالها ، على الرغم من مرور اكثر من ثلاث سنوات على دخول حركتنا الى المنظمة .

ج - عجز الحركة الوطنية الفلسطينية عن تحقيق تفاعل حقيقي مع الحركة الوطنية العربية والجماهير العربية ، يقود الى توسيع قاعدة الثورة ، والى التحامها بالجماهير العربية .

د - زيادة التخلخل في قواعد المنظمات وبروز تناقضات داخلها ، وانتشار اشكال من التسيب والتكتل والارتباك التنظيمي فيها .

هـ - خسارة الثورة ثقة قسم من جماهيرها ، وانتشار انواع من الشك في اوساط الجماهير واشكال من خيبة الامل .

و - بروز بعض فقايع الاتجاهات الاستسلامية على سطح

الحياة السياسية الفلسطينية ، سطرة نفسها بادعاء «الواقعية»  
أو «مرحلة» النضال ، أو مبررة ذاتها بتعب الجماهير الفلسطينية  
وبانفضاض الجماهير العربية من حول القضية وخيانة الانظمة  
العربية وتخاذلها .

ولقد اخذ هذا كله يطفو بعد ايلول ، وبعد ان عجزت الثورة ،  
عن ان تبدأ معركتها في الاردن لانهاء النظام العميل .

كانت الثورة مطالبة ان تتجدد ، فلم تتجدد . وكانت مطالبة  
ان تدرك ملامح المرحلة الجديدة ، وان تعيد صياغة نفسها على  
اساسها فلم تفعل . وكان ان بدأت الفقايع تبرز ، وان بدأت  
المشاكل تتداخل وتتفاعل

والتنظيم الثوري عندما يفقد الريادة يبدأ بالتصدع والتخلخل،  
وتبدأ حالته التي اكتسبها خلال سنوات الريادة بالتبعثر والتشوه .

ولقد قادت العوامل هذه كلها الى ان يعجز العمل الوطني  
الفلسطيني ، السياسي والعسكري ، عن ان يحافظ على مكتسباته  
في الداخل (غزة مثلا) ، وعلى ان يطور اساليبه ويجدد نفسه ليكون  
قادرا على التوسع والانتشار وتطوير لعمليات واستقطاب جماهير  
اوسع واوسع . وما حدث في الداخل حدث في الخارج ايضا .

ثانيا : على صعيد الاحتلال : استطاع الاحتلال منذ حزيران  
حتى الآن ان يحقق ما يلي :

أ - وجه ضربات للحركة الشعبية في الداخل ، التي نشطت  
سنة ٦٨ و٦٩ ، واستطاع ان يحد من نموها اولا ، ثم استطاع ان  
يشتتها .

ب - وجه ضربات الى الحركة المسلحة ، وقد تمكن بعد سنة  
١٩٧٠ ان يتفرغ لاقوى مواضعنا هناك ، غزة والقطاع ، وان يضعف  
من قدرة حركتنا المسلحة وان يحد من نفوذها . كما استطاع ، بعد  
ايلول ، ان يضعف نشاط خلايانا في الداخل الى حد كبير .

ج - وجه العدو ضرباته الى قواعد ارتكازنا في الاردن وسوريا  
ولبنان ، كما وجه ضرباته الى الاردن وسوريا ولبنان . واذا كانت

ضربات لقواعدنا لم تؤت ثمارها . فان ضرباته الى الاردن وسوريا  
ولبنان قادت . من بين اسباب اخرى ، الى تصفية مواقعنا في  
الاردن . وتجميد مواقعنا في لبنان ، والحد من نشاط قواعدنا في  
سوريا . والعدو مستمر في هذه السياسة التي تستهدف تصفية  
قواعد ارتكازنا او شلها نهائيا .

د - أوجد العدو في الداخل امكانيات لامتناسص النقمسة  
الشعبية من خلال امتصاص اليد العاملة بأجور عالية ومن خلال  
سياسة الجسور المفتوحة والسماح بالزيارات الخ ...

هـ - عمل على خلق «حقائق واقعية» : مثل بناء المستوطنات  
الجديدة ، وهدم قرى كاملة او احياء ، وانشاء مشاريع فسي  
الاراضي المحتلة .

و - عمل على زرع القناعة في نفوس ابناء شعبنا الخاضعين  
للاحتلال بأن دولة الاحتلال دولة لا يمكن تحديها ، وان الدول  
العربية عاجزة ومتفرقة ، وان المقاومة محاصرة عربيا ، وان بين  
المناضلين خونة وعملاء الخ ...

ز - زاد العدو من قوته العسكرية . اذ انه تمكن من الحصول  
على مزيد من الطائرات بعد حزيران سنة ١٩٦٧ ، وعلى مزيد من  
الطائرات المتقدمة خلال الثلاث سنوات الماضية . كما انه عزز  
سلاح المدرعات والبحرية تعزيزات كبيرة ، وزاد من تحصين  
المستعمرات الحدودية ، وحسّن وسائلها الدفاعية ، وجهز  
الحدود بشبكات دفاعية ووقائية .

وتعمل دولة الاحتلال الآن على استمرار الوضع القائم والمناورة  
على كل القرارات الدولية ، من اجل خلق حقائق راهنة ، وفرض  
الامر الواقع على الامة العربية . وما تهدف اليه دولة الاحتلال  
الآن هو : انتزاع موافقة على المفاوضات المباشرة وتصفية المقاومة  
ال فلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية واخضاع المنطقسة  
للسيطرة الامبريالية - الصهيونية .

ومع ذلك فالمقاومة ما زالت مسعمرة .

ثالثا : على الصعيد العربي : شهدت هذه المرحلة على الصعيد العربي تطورات هامة ، اهمها :

أ - التحول باتجاه الحرب الاهلية ، وتجلي هذا في الاردن . وهناك نذر به في لبنان . ويمثل هذا التحول ازدياد حدة التناقض بين خط الجماهير القتالي وخط الانظمة الاستسلامي .

ب - الاتجاه الحثيث نحو الحلول الاستسلامية . ذلك ان الانظمة العربية بدأت منذ الموافقة على مشروع روجرز ، مساعيها الجادة من اجل «السلام» . ولما كانت المقاومة عقبة على هذه الطريق ، كان لا بد من ان تصبح اداة من ادوات فرض «السلام» او تزول . ولهذا كانت مجزرة بطول وما بعدها . ولهذا يزداد الحصار على المقاومة قوة وشددة .

ج - التوجه نحو اعداد قوى نظامية ، غير معدة عسكريا ، وغير معبأة معنويا .

د - المراهنة على التفوق التكنولوجي والاسلحة المتقدمة ، بدلا من المراهنة على الوعي والتنظيم والتعبئة الجماهيرية اساسا .

هـ - انحسار الحركة الوطنية العربية ، وعجزها عن القيام بدورها في تعبئة الجماهير لمقاومة الحلول الاستسلامية ولدفع الجيوش باتجاه القتال ، وللمشاركة في محاربة الامبريالية والصهيونية مشاركة فعالة .

و - استثناء التناقضات في صفوف الانظمة الى درجة تجعل التنسيق السياسي او العسكري غير ممكن .

ان هذا العجز الهائل جعل الامة العربية ، بملايينها المائتة والاربعين تبدو مستسلمة امام السيطرة الامبريالية الصهيونية .

رابعا : على الصعيد الدولي : وشهدت القضية الفلسطينية على الصعيد الدولي تطورات ايضا . تمثلت هذه التطورات في الآتي :

أ - فرضت المقاومة تحويل القضية ، المدرجة في ادراج الامم المتحدة ، من قضية ثانوية الى قضية متفجرة . ولقد اصبحت الآن من

مشاغل العالم . وبعد ان جعل قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ القضية قضية لاجئين ، اصبحت القضية الآن وفي الامم المتحدة قضية شعب فلسطين .

ب - باتت الدوائر الامبريالية تتحسس الخطر من جراء استمرار الثورة الفلسطينية ، ومن توفر المناخ لانشارها . ولقد عبر نيكسون في رسالته للكونجرس عن هذه الحقيقة . ولذلك فان اتجاه الامبريالية نحو التصفية بات اكثر اندفاعا . الامبريالية تريد ضمان مصالحها الخيالية في المنطقة ، وهي لذلك ستضرب بيد من حديد ، وسنسمى لايجاد حل تضمن فيه استمرار الانتصار الصهيوني - الامبريالي . ولكنه يستوعب طاقات الفلسطينيين ، ان لم يستطع سحقهم .

ج - توجه القوتان العظيمتان نحو تسوية المشاكل المعقدة في العالم ، وبينما تدفع الولايات المتحدة الاميركية باتجاه تصفية القضية والشعب ، يدفع الاتحاد السوفياتي باتجاه «حل واقعي» . وعلى الرغم من وجود مثل هذا التناقض فان اي «حل واقعي» بعيد عن مطامح شعبنا ، وسيكون اذا ما تحقق طعنة نجلاء في صميم حقوقه وآماله ، لانه مرهون بقيام دولة فلسطينية وبالاعتراف بدولة الاحتلال ، وبفرض جو من الاستسلام على المنطقة .

د - نمت خلال السنوات الماضية قوى شعبية مؤيدة للثورة الفلسطينية ، وللقضية الفلسطينية . وهذه القوى تشكل احتياطا هاما للثورة الفلسطينية .

هناك اذن ثلاثة اتجاهات بارزة على الصعيد العالمي :

الاول : يستهدف تصفية القضية والشعب ، وهو الاتجاه الامبريالي - الصهيوني واتجاه القوى العربية السائرة في مخططاتهما .

الثاني : يستهدف تحقيق «حل واقعي» مرحليا ، وهو اتجاه يطرحه الاتحاد السوفياتي وتسانده قوى عربية وغير عربية ،

رسمية وشعبية .

الثالث : يستهدف الاستمرار بالقتال حتى النصر، وهو اتجاه ثورتنا و جماهيرنا ومناصرينا في كل انحاء العالم .

- ٢ -

هذه الصورة العامة للوضع ، فلسطينيا وعربيا ، اجتلابيا وامبرياليا . وهي صورة تبدو قائمة . ولذلك فقد بدأت فقاعات الاستسلام تطفو في الساحة الفلسطينية . هناك من يقول بان وضعنا يبعث على اليأس ، والمقاومة لا تستطيع ان تتجاوز ازمتهاء . وهناك من يقول : نحن نعمل ضمن المعادلة الدولية ، بها ننهزم وبها نتنصر ، والمعادلة الدولية تميل الى الحلول الوسط فلنكن واقعيين . وهناك من يقول : لن نستطيع ان نحمّل الشعب الفلسطيني مزيدا من الخسائر والتضحيات ومزيدا من الضحايا والالام . هذا اتجاه . ويلتقي هذا الاتجاه مع الدعوة السوفياتية الى الحلول الواقعية ، شاء او ابى . انه يريد ان يحقق شيئا للشعب الفلسطيني ، ولكنه يحس بالمعجز عن ان يحقق التحرير ، فيرضى بديلا مؤقتا .

وهناك ، بالمقابل ، اتجاه آخر ، يسير نحو التصفية . انه يؤمن بالحلول الواقعية ايضا ، ولكن هذه الحلول الواقعية تظل ضمن الواقع العربي القائم لا تتجاوزه . هذا الاتجاه لا يؤمن بالثورة والجماهير ، بل يؤمن بالعمل الدبلوماسي الدولي . ويعتقد ان في المنطقة من الامكانيات ما يجعلها قادرة على ان تضغط على الامبريالية ، وتجبرها ان تؤيد العرب ضد الاحتلال الصهيوني ، او تضغط من اجل حل وسط على الاقل .

وهذان الاتجاهان يلتقيان في انهما يملكان الآمال على المعادلة الدولية ، ولا يبذلان كبير اهتمام بالعامل الذاتي . وهما يريدان من العامل الذاتي ان يكون عاملا ضاعطا لا عاملا حاسما . ولهذا

لا تطرح قضية الوعي والتنظيم والجمهير والحرب الشعبية البعيدة المدى . بمقدار ما يطرح موضوع اللعب على المعادلة .  
وتلعب مجموعة من العوامل دورها في تقوية هذين الاتجاهين وزيادة نفوذهما ، وهذه العوامل هي :

١ - نوع من الشعور بالعجز امام المرحلة الجديدة . فالمرحلة الجديدة اكثر صعوبة وتمقيدا . وهي مرحلة تختلف عن المرحلة السابقة اختلافا جذريا . وامام مثل هذا الشعور بالعجز يجري البحث عن البديل ، والبديل السهل طبعا ، وليس البديل الا التعلق بقشة الامل الهشة التي ستقود الى الهاوية .

٢ - دفع اكثر الانظمة العربية بهذا الاتجاه . لان اكثر الانظمة يريد ان يهرب من القتال . والهزيمة من القتال تستدعي تكييف ارادة المقاومة وتحويلها الى قوة «متعقلة» .

٣ - وجود جو التسويات الدولية ، واتجاه قوة كبرى مثل الاتحاد السوفياتي في مثل هذا الاتجاه .

٤ - عدم ظهور قوة جديدة ، تتجاوز المازق القائم ، كما تجاوزه حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) سنة ١٩٦٧ في آب ، او قبل ذلك في كانون الثاني سنة ١٩٦٥ .

وهناك ايضا اتجاهان خطيران داخل القوى الراضة للاتجاهين التصفيين السابقين . واذا كان الاتجاهان السابقان يمكن ان نسميها اتجاه الانحراف والتصفية فان هذين الاتجاهين يمكن ان نسميها اتجاه الانحراف والتصفية ولكن من زاوية اخرى ومن منظور آخر . لماذا ؟ لان هذين الاتجاهين يقودان ايضا الى الانحراف عن طريق النضال والى التصفية عمليا . وسنوضح هذا في مناقشتنا لكل من الاتجاهين :

الاول : يفسر المازق كله على انه مازق ايدولوجي . ذلك ان المقاومة تعيش ما تعيشه ، لا لسبب ، الا لانها لم تتبن الماركسية . الماركسية هي الترياق الابني من العراق ، وبدونها لا شفاء ولا دواء . ولقد شهدت المرحلة التالية لحزيران اندفاعا في هذا الاتجاه



ما زال يتسع ، ولكن منذ حزيران ، وحتى الآن ، قامت حركات  
ماركسية ، وانشقت فئات باسم الماركسية ، وتبنت حركات قائمة  
الماركسية اللينينية . الا ان هذا كله لم يحمل لنا تباشير مخرج .  
وها هي الفئات التي حاولت ان تقنعنا سنوات بان الماركسية هي  
الحل ، تعاني اليوم مازقا كالذي يعانيه غير الماركسيين . وكان  
هنالك ، بالمقابل ، اتجاه آخر يرى ان المازق قائم لانا لا نعود الى  
الاسلام ، ولا نرفع رايات الجهاد ، ولانا انحرفنا نحو الماركسية .!  
ولقد اخطا هؤلاء واولئك عندما توهموا ان القضية قضية  
ايدولوجية ، بمعنى تبني هذه الفكرة او تلك واتخاذها لبوسا دون  
غيرها .

وإذا كان موضوع الايدولوجية الموجهة للنضال من اهم قضايا  
النضال ، فان من اهم قضايا النضال :

- ١- معرفة الوضع الموس معرفة حقيقية واستيعاب تناقضاته  
وتياراته وطبيعة القوى المتصارعة وامكانياتها .
- ٢- تحديد نظرية النضال واساليبه .
- ٣- تجسيد الوعي بالممارسة ، والنظرية بالعمل .

ولقد اخطأ الذين ظنوا ان القضية هي قضية ايدولوجية  
فحسب ، لان ايدولوجية الكتب والشعارات لا تقود بالضرورة الى  
القضايا الثلاث التي ذكرناها اعلاه ، وقد لا تقود اليها اطلاقا .  
وهناك احزاب شيوعية تحمل لواء الماركسية من اول القرن ،  
ولكنها ما زالت احزاب قلة ، دورها ثانوي في مجتمعاتها ،  
واحتمالات نجاحها في المستقبل ، لا تبدو احسن من النجاحات  
التي حققتها في الماضي .

ولا نرى حاجة لاضافة ملاحظات اخرى هنا حول النزعات  
الطفولية التي كانت تريد ان تكون الماركسية ديننا لكل الشعب ،  
كالاسلام الذي يريد دعائه ان يعيدوا فرضه على كل الناس ، لانا  
ناقشنا هذه القضية في مرات سابقة .

الثاني : يفسر المازق على انه ازمة قيادات . القيادات هي

المسؤولة ، وإذا سقطت وجاءت قيادات أخرى حل الاشكال .  
ولكن هل القضية كلها هي قضية هذه المجموعة او تلك ؟ هذا  
القائد او ذلك ؟ انها ليست كذلك وان كانت القيادات تلعب دورا  
كبيرا في نشوء الازمة واستمرارها .  
فما هي المشكلة اذن اذا لم تكن قضية قيادات ؟  
انها :

١ - قضية البنية القائمة لحركة المقاومة ، لمنظمة التحرير ،  
ولكل فصيلة من الفصائل ، ولكل تنظيم من التنظيمات وقيادة من  
القيادات .

٢ - قضية التصور العام: النظرية الخاصة بالثورة: اهدافها ،  
اساليبها ، ادواتها .

٣ - قضية الممارسات عموما .  
وإذا لم ننظر الى المآزق من هذا المنظور الشامل ، نكون كمن  
يلفت النظر عن المرض الكامن الى البثور الظاهرة .

ان القيادات ليست المشكلة الاساسية في المآزق الراهن ،  
انها بعض هذه المشكلة المتداخلة المتكاملة .

ان هذه القضايا : الايديولوجية ، معرفة الوضع الملموس ،  
تحديد نظرية النضال واساليبه ، تجسيد الوعي بالممارسة ،  
وقضية البنية القائمة لحركة المقاومة والحركة الوطنية العربية ،  
تتفاعل لتخلق هذه الازمة .

- ٣ -

وهناك ايضا التوجه نحو الحل الثوري . وهو توجه واسع  
فضفاض يضم انماطا مختلفة من الناس والافكار . ولكن هذا  
التوجه العام ما زال مضطربا ومشوشا ومختلطا وما زال عفويا  
وبدائيا . انه يطرح قضية تجاوز المآزق ولكن طرحه ما زال يعاني  
مما يلي :

أ - الاكتفاء بالعموميات وعدم الخوض في الخصوصيات .

الحديث دائما عام وشامل ، او جزئي عام . القضايا هي اطروحات عامة والقوانين حقائق شاملة والوقائع وقائع غائمة او مفصلة عن اطرها ، او مرئية من جانب واحد .

ب - هزال التحليل وتخلفه وذاتيته وعدم ترابطه . انه مشوب دائما باوهامنا وتصوراتنا عن الواقع والقيادات والقوى وصراعاها . وهو انعكاس لما قراناه في الكتب اكثر منه انعكاس لواقع محسوس . ولذلك فليس هناك التحليل الشامل المتماك .

ج - تجنب الواقع الملموس والتحليل العلمي لهذا الواقع والخوض في نقاشات نظرية عامة او حول بديهيات سياسية واجتماعية واقتصادية .

د - الاكتفاء بالنقد الجزافي . النقد ليس محددًا ، ولا دقيقًا . انه يتناول الظواهر والقيادات بلا تركيز ولا تعمق . ولهذا تحول النقد الى «ثرثرة» .

هـ - الامعان في «المهارات» والاكتفاء بالحد الأدنى من العمل ، حتى اصبح التنظير مرتبطًا بالمهارة ، واصبح العمل السياسي قرينا للسفسطة .

و - العجز عن تقديم البديل في الممارسة . فالممارسة ذاتية وعشوائية وكسول ايضا ، ولا تتصف بصفات الممارسة الثورية .  
ز - تعميم عقلية الثرثرة والتسيب والتشردم .

ح - الابتعاد عن الجماهير واحتقار بساطة الجماهير وخبراتها وامكانياتها .

ط - الانبهار بالشعارات الرنانة والجميل الطنانة والاستعاضة بها عن التحليل العلمي والعمل الثوري .

ي - تمجيد العقلية الاستعراضية والممارسة الاستعراضية واعتبار العمل الثوري مجرد مواقف صادقة معلنة .

ان هذا كله يعني ان هذا التوجه العقوي والعام ما زال يفقد ايسر مقومات العمل الثوري . انه ، عموما ، لم يتقن بعد الفناء العمل الثوري . فهو ما زال عاجزا عن الممارسة الثورية ، وما زال

لا يبحث جدياً عن اول الطريق اليها .

وهو ان لم يملك نظريته ، وان لم يتجاوز ما هو قائم بالوعي والممارسة ، فلن يستطيع ان يكون اكثر من تيار عام يتبدد على صخور الواقع الصلدة .

واذا كان النقد ضروريا وهاما في تغيير ما هو قائم وبنساء الجديد ، فان النقد الذي يتحول الى ثرثرة ، نقد يهدم ولا يبني ، يسقط مؤسسات قائمة معنويا ، ولكنه لا يسقطها فعليا وعمليا . وهذا يقود الى زعزعة الحركة الوطنية القائمة واجهاض محاولات بناء حركة وطنية جديدة .

ويجب ان يكون واضحا ان الاسقاط الفعلي والعملي للمؤسسات والقيادات لا يكون الا بظهور مؤسسات وقيادات اكثر قدرة على تمثيل مرحلة جديدة ، واكثر تعبيرا عن مصالح معينة ومطامح معينة ، واكثر كفاية من الناحية التنظيمية والسياسية . وقد تسقط القيادات معنويا ، او تفشل عمليا ، او تهزم مرارا وتكرارا ، ولكنها تبقى حتى يخرج البديل ، وتظل احيانا حتى يحسم الصراع القضية . لقد انتهت جبهة التحرير الوطنية الجزائرية ، بانتفاضة سنة ١٩٥٤ ، القيادات السياسية الجزائرية ، وتجاوزت حركة كاسترو الاحزاب السياسية القائمة كلها . وهناك العديد من الامثلة على هذه الحقيقة . وما من قيادة سياسية تسقط بالحوار والتسفيه والتسخيف فقط ، وما من منظمة سياسية تسقط لانها فشلت في معركة ، او تراجعت ، حتى لو حدث هذا مرارا وتكرارا .

فاذا كان بعضنا يعتقد بان عملية سقوط القيادات سهلة الى هذا الحد ، فليفهم سلفا انها اكثر صعوبة وتعقيدا . وانها عملية تاريخية اولا . اي انها تتم عبر عملية تاريخية ، مثل نشوء القيادات . وان هذه العملية مرهونة بظهور البديل الفعال القادر على استقطاب الجماهير ثانيا . وان اي توجه لا يأخذ هذه الحقائق بعين الاعتبار لا يفعل

أكثر من استشارة زوبعة ، قد تذر الرماد في العيون ، ولكنها لا تغير من الواقع شيئاً .

## - ٤ -

ما هو المطلوب بعد هذا كله أذن ؟  
ان المطلوب لا يتعلق بوجهة نظر محدودة . ان ما اطرحه الان يتعلق بالحركة الوطنية عموماً ، باستمرار النضال الوطني ، وبحل اشكالاته ، من خلال المهمات الآجلة والمهمات العاجلة . لن اتحدث الآن باسم حركة ، او مجموعة من الحركات ، ولن اتحدث باسم ما هو قائم ، ولا باسم القادم الآتي . ان حديثي لذلك سينطلق من الحقائق التالية :

أولاً : ضرورة المحافظة على وجود الحركة الوطنية الفلسطينية عموماً وحماية منجزاتها وانتصاراتها .  
ثانياً : ضرورة تصعيد الكفاح الوطني ، السياسي والمسلح ، لمجابهة مؤامرات التصفية التي يقوم بها الاحتلال الصهيوني والقوى المضادة للثورة .

ثالثاً : ضرورة بدء ثورة فلسطينية جديدة .  
وانا هنا اعتبر مهمتي ثلاثية : المحافظة على ما هو قائم ، تصعيد الكفاح السياسي والمسلح ، بدء ثورة فلسطينية جديدة . واعتبر ان هذه الثلاثية هي الاساس . ذلك ان اي بعثرة لهذه الثلاثية تقضي على الوجود لمصلحة حلم قد يصدق وقد لا يصدق . كما ان اي تمسك بالقائم دون تفحص اسباب ضعفه وعوامل قصوره ، ودون استشراف المستقبل والاستعداد له ، سيقود الى التحجر والموت .

ومشكلة كثيرين من العاملين في الحقل الوطني الفلسطيني ،

والعربي ايضا ، انهم يفصلون بين عناصر هذه الثلاثية . وهم يعتبرون ان مهمتهم تنحصر في واحد من هذه العناصر الثلاث . ولهذا فان المحافظة على ما هو قائم لا تعني تطويره وتصعيده ، وعملية التطوير والتصعيد لا تعنى بما هو قائم . اما قيام ثورة جديدة ، فلا علاقة له بهذا كله . فالمستقبل لا ينطلق من الواقع ، بل من الاحلام .

فاذا ما سقط القائم ، لانه لم يستطع الصمود امام الرياح والعواصف ، كان لا بد من الانطلاق من خبراته ودروسه ، لان تجاهل هذه الخبرات والدروس يبعدنا عن نقطة تجربتنا ، وعن الدروس المستفادة ، ويجعلنا نتعلم نظرية الطيران بطريقة عباس بن فرناس .

ولكن المحافظة على ما هو قائم ، ان لم ترافقها عملية نقد ، تجعلها توجهنا نحو التحجر . فالنقد اذن ضروري واسباسي ، ولكنه النقد الذي يعرف ما يريد ، ويعرف كيف يصل الى ما يريد . وعملية التصعيد والتطوير بحاجة الى المراجعة المستمرة ، والى الاستفادة من المعارك الرابحة والخاسرة . وهذه العملية ايضا بحاجة الى عقلية متفتحة وشجاعة ، فعالة ومبدعة .

ان مشكلة الحركات السياسية ، في البلدان المتخلفة ، انها تخاف النقد . لانها تخشى ان تجر عليها حملات الاعداء وان تفقد بعضها بعض تأييد كسبته . كما ان القيادات تخاف النقد ، حتى لو كان بناء ، لانها تحسبه انتقاصا من نضالها ، وتعتبره تهجما شخصيا عليها . ان مثل هذه القيادات تخاف من التطوير والتصعيد لانهما ايضا يتطلبان المراجعة والتقييم دائما، ويحتاجان الى اتخاذ القرارات الحاسمة التي تنهي القيادات العاجزة والفاشلة . اما عملية بدء ثورة جديدة ، ضمن الثورة او خارجها ، فهي عملية تتجاوز في اكثر الاحيان كل ما هو قائم . وهي عملية تحتاج الى اعادة نظر شاملة بما هو موجود ، والى قدرة فائقة على اكتشاف المنظورات الجديدة والاضطلاع بالمسؤوليات الجديدة .

ولا بد هنا من مناقشة موضوع قيام الثورة الجديدة . وهنا يطرح اول سؤال نفسه : هل تقوم الثورة داخل الثورة أم خارجها؟ ان الاجابة ليست سهلة ، بسبب تداخل المسائل وتفاعلها في الحياة الاجتماعية ، وفي العمل الوطني ، ولان هناك مجموعة من العوامل التي تقرر اتجاه نمو الثورة الجديدة . ولعل اهم هذه العوامل :

١ - قدرة التنظيم في حركة معينة ان يحدث مثل هذا التطوير . لقد استطاع ماوتسي تونغ ان يحدث ثورة داخل الحزب الشيوعي الصيني ، عبر صراع دام سنوات طويلة (٢١-٣٤) . كما استطاع فيدل كاسترو ان يحدث ثورة داخل حركته ايضا ، بتحويلها من حركة برجوازية صغيرة الى حزب شيوعي . ولكن الحالات التي نجحت فيها مثل هذه التجارب قليلة .

٢ - قدرة الآلية الديمقراطية داخل تنظيم معين على استيعاب التجدد باستمرار ، واسقاط عناصر التخلف .

٣ - توافر الظروف الداخلية المساعدة : استمداد الكوادر والعناصر في التنظيم للمساهمة في حركة التجديد الخ .

٤ - توافر الظروف الخارجية المساعدة : شعور الجماهير بضرورة حركة التجديد ومساندتها لها .

ولكن عملية التجديد : الثورة داخل الثورة تزداد تعقيدا في الحالات التالية :

١ - اذا كانت القوى الداعية الى الثورة ضمن الثورة هزيلة ومفككة ، وغير مبلورة الوعي ، او متقدمة في ممارساتها .

٢ - اذا كانت الاطر الديمقراطية عاجزة عن استيعاب اية حركة «تصحيحية» .

٣ - اذا لم تكن الكوادر والعناصر تحس بضرورة الثورة ضمن الثورة .

٤ - اذا توافرت قوى خارجية ذات شأن تساند القوى المتخلفة او تحارب القوى المتقدمة .

وفي الحالات التي لا تتوافر فيها امكانيات لثورة ضمن الثورة تحدث تساقطات وانشقاقات وتشرذمات ، ما تلبث ان تموت او تعيش مشلولة ، ونادرا ما تستطيع ان تصبح ثورة جديدة . ولكن الثورات الجديدة تخرج دائما من مثل هذا المخاض العسير .  
وإذا كانت التساقطات والتشرذمات والانشقاقات منهكة في العمل السياسي عموما ، فانها قاتلة في العمل السياسي المسلح .  
ان علينا ان ندرك هذه الحقيقة جيدا .

- ٥ -

حددنا في بداية هذه الدراسة خصائص المرحلة الجديدة .  
وعلينا الآن ان نحدد مهماتها . الخصائص واضحة وجلية ، ونستطيع ان نطلق على هذه المرحلة ، وانطلاقا من الخصائص المذكورة ، بانها مرحلة تصفية ، فما الذي نفعله ؟  
ان هنالك ثلاثة خطوط :

- ١ - الاستسلام : القاء السلاح والتسليم بما هو واقع .
- ٢ - التكيف : قبول اشكال التسويات الدولية والتعلق بأحاييل هذه التسويات .
- ٣ - القتال : الاستمرار في القتال وتصعيده واحداث ثورة جديدة .

وهناك الآن في المجتمع الفلسطيني والعربي ثلاث قوى :  
الاولى لا ترى للاستسلام بيديلا ، والثانية لا ترى عن التكيف مع الواقع العربي والدولي مناصا ، والثالثة لا ترى غير القتال منقذا ومعيدا .

ونحن في هذا الخضم خيارنا واضح : القتال ، كل اشكال القتال ، ولا شيء غير القتال ، لان القتال وحده هو الذي يحقق لنا أهدافنا .  
ولكن هل يمكن استمرار القتال ؟ وهل تستطيع الثورة



اللسطينية بوضعها الراهن ان تواصل المسيرة ؟  
 ان استمرار القتال مرهون بعدد من الشروط :  
 اولها : محافظة الثورة الفلسطينية على وجودها : العنسي  
 والسري ، وحماية مكتسباتها ومنجزاتها .  
 ثانياً : استمرار توافر الاستعداد للقتال في صفوف المناضلين .  
 ثالثاً : احباط مؤامرات التصفية ومحاولات استخدام  
 الفلسطينيين ادوات لقمع الشعب الفلسطيني .  
 ولهذا يجب ان يعمل المناضلون جميعاً ، وفي هذه الظروف  
 الصعبة ، من اجل هذه الاهداف . ان عليهم ان يعينوا الجماهير  
 والقواعد تعبئة ثورية لمصلحة استمرار الكفاح المسلح ، ومن اجل  
 احباط مؤامرات التصفية ومحاولات استخدام الفلسطينيين ادوات  
 لقمع ارادة الشعب الفلسطيني ، وان التخلي عن النضال في  
 سبيل هذه الاهداف بشجاعة وبطولة ، يحسم المعركة لمصلحة  
 الاستسلام والسقوط .  
 فليكن نضالنا الآن اذن من اجل البقاء ، ومن اجل احباط كل  
 مؤامرات التصفية .

- ٦ -

ولكن النضال من اجل البقاء واحباط مؤامرات التصفية  
 يحتاج الى اعادة نظر بما هو قائم . فما هو قائم غير قادر على  
 الثبات والصمود ومواجهة المهمات المطروحة في المرحلة الجديدة .  
 والمهمتان الاساسيتان المطروحتان بالحاح الآن هما : المحافظة على  
 البقاء واحباط مؤامرات التصفية . ومواجهة هاتين المهمتين  
 تستلزم :

اولاً : ان تعمل كل منظمة على تعبئة قواها من اجل المارك  
 المقبلة تعبئة ثورية شاملة . القوى موجودة ، وليس هنالك نقص  
 في العدة أو العدد ، ولكن هنالك اهمال كامل للقوى : المسلحة وغير

المسلحة ، الجماهيرية والمنظمة . كما ان هنالك عجزا فاضحا في استخدام القوى المتوافرة . واذا كانت قضية العجز هذه مرهونة بالبنية الكلية لهذه المنظمات ، فان هذا لا يمنع العمل من اجل التطوير الكمي والتحسين الكمي .

ثانيا : ان تعمل المنظمات جميعا والقوى الوطنية كلها من اجل تطوير مؤسسات الوحدة الوطنية . ان منظمة التحرير ، بوضعها الحالي ، اصبحت عاجزة ، وهي لا تستطيع ان تواجه مهمات المرحلة المقبلة ، ولا بد من العمل على تطويرها لتستطيع اداء مهماتها .

ان البرنامج السياسي الذي اقره المؤتمر الشعبي الفلسطيني ، يصلح لان يكون منطلقا سياسيا . الا ان تنظيم منظمته التحرير يجب ان يعاد فيه النظر . ولا بد من ان تقوم العلاقات داخل المنظمة على اساس انها جبهة وطنية ، وان تطبق هذه العلاقات من القمة الى القاعدة .

ثالثا : ان يجري العمل من اجل تصعيد العمل العسكري داخل الارض المحتلة . وهذا يقتضي اعادة النظر في بناء القوات وتعبئتها ، واعادة النظر في اسلوب عمل الخلايا في الداخل . ان تصعيد العمل العسكري داخل الارض المحتلة يرفع معنويات الجماهير في الداخل والخارج ، ويفت فسي ايدي العملاء والمستسلمين داخل الارض المحتلة وخارجها .

رابعا : ان يجري الاهتمام بتصعيد العمل السياسي الجماهيري داخل الاراضي المحتلة وخارجها ، ذلك ان العمل السياسي الجماهيري آخذ في التضاؤل . واستمرار تضاؤله سيؤدي الى عزلة المقاتلين والمناضلين عن الجماهير ، والى خلق المناخ المناسب لرواج الدعاوات الاستسلامية .

خامسا : ان يبدأ نضال جدي لاسقاط نظام الحكم العميل في الاردن ، لان بقاء هذا النظام ، لا يعني الاستمرار في سحق جماهيرنا فحسب ، بل يعني ايضا الاستمرار في العمل من اجل

خلق مناخ لتصفية المقاومة والقضية . ان النظام الاردني عدو رئيسي ، منذ معركة ايلول . واستمرار التهادن معه يخدم خطته وخطة الامبريالية والاحتلال الصهيوني .

سادسا : ان يوضع مخطط للعمل في اوساط الجماهير العربية من اجل : احباط مؤامرات التصفية اساسا ، ومن اجل المشاركة في النضال والقتال ضد العدو الصهيوني . ويجب ان يكون واضحا لقوى الثورة الفلسطينية ان احباط مؤامرات التصفية لا يمكن ان تتم بمعزل عن الجماهير العربية .

ان هذا كله يستوجب منا ان نناضل للمحافظة على استقلالية العمل الفلسطيني . واستقلاليته هنا تعني : قدرته على انتهاج خط سياسي مستقل ، قدرته على الصمود امام ضغوط الانظمة ، قدرته على تفتيت المحاور التي يحاول هذا النظام او ذاك ان يكرسها داخل حركة المقاومة ، وداخل منظماتها .

ان الاستقلالية تتعرض الآن لخطر اكيد . وعلينا ان نناضل لحمايتها ، فان لم نفعل سقطنا في احابيل السياسة العربية الرسمية ، وبتنا ممثلي الانظمة لدى الشعب الفلسطيني . وهذا دور يلعبه بعض منا الآن .

هل هذا ممكن ؟

ان الذي يجعله ممكنا هو نضالنا من اجله ، على الرغم من كل العقبات القائمة داخل حركة المقاومة وخارجها . وعلينا ان نبحث عن الوسائل الكفيلة بتحقيقه بفعالية وداب ، ولا نمل المحاولة ، لان هذه هي طريق من طرق الخلاص .

- V -

فما الذي يعنيه ، بعد هذا كله ، التوجه نحو ثورة فلسطينية جديدة ؟ انه يعني الانتقال النوعي بالعمل الثوري ، من صيغته الحالية الى الصيغة القادرة على مجابهة مهمات المرحلة الجديدة .

والمرحلة الجديدة تحديدا هي مرحلة التصدي للحلف الامبريالي - الصهيوني وقوى الرجعية المرتبطة به، بما يمثله من تفوق تكنولوجي وتفوق في الاسلحة الحديثة ، ومرحلة مواجهة مهمات الحروب الاهلية .

ومثل هذا التصدي وهذه المواجهة ، يحتاجان ولا شك ، ثورة فلسطينية جديدة ، تتجاوز ما هو قائم في المجالات التالية :

اولا : الثورة الجديدة تحتاج الى مقاتل من نوع جديد . صحيح ان مقاتلنا قدموا تضحيات كبارا ، وسطروا بطولات نموذجية ، ولكن الثورة الجديدة تحتاج الى تطوير كفاءات هذا المقاتل في ميادين ثلاثة :

أ - ميدان الالتزام : حيث يجب ان يجري العمل على الارتقاء بوعيه السياسي وتصلب روحه المعنوية ، من خلال التربية والتثقيف ، ليستطيع مواجهة صعوبات الحرب الطويلة المدى بثقة لا تنزعزع . فاذا ما تطورت الحرب هنا الى مستوى الحرب الفياتنامية ، وتجاوزتها ، ظل على ثقة بالنصر ، وظل مواظبا مثابرا لا يكل ولا يمل .

ب - ميدان الكفاءة القتالية : حيث يجري تدريبه واعداده على القتال ، ليكون قادرا على القتال ضد التكنولوجيا المتقدمة والاسلحة الحديثة ، وضد فرق الصدام الامبريالية ، المعدة جيدا والمزودة جيدا . ولكي يكون ايضا قادرا على تحمل المشاق الكبيرة ومواجهة المشاكل المعقدة الصعبة الناتجة عن التفاوت الكبير بين الثورة وعدوها في الامكانيات والعدد والعتاد .

ج - ميدان العمل السياسي مع الجماهير : ان المقاتل ضد الامبريالية ، في ظروف التفوق التكنولوجي والحرب الاهلية هو مقاتل اولاً ، ولكنه محرض ومنظم وقدوة للجماهير في وقت معاً . ولهذا فان المقاتل الذي لا يثق بالجماهير وبقوتها ، ولا يحترم امكانياتها وطاقاتها ، ولا يعمل لاستقطابها وتفجير هذه الطاقات لا يستطيع ان يمثل المرحلة الجديدة ، الثورة الجديدة . وهو لكي

يفعل هذا كله لا بد من ان يكون قدوة في النضال والعمل ، في الشجاعة والتضحية ، في التقشف والاخلاص ، وفي الانضباط والالتزام .

ثانيا : والثورة الجديدة تحتاج الى تنظيم من نوع جديد . التنظيم الهش المفكك المتجرح ، المتسيب الليبرالي، المتعالي المعزول عن الجماهير لا يستطيع ان يتحمل مسؤوليات المرحلة الجديدة . ان المرحلة الجديدة تحتاج تنظيميا طبيعيا ، وهذا التنظيم الطبيعي لا بد من ان يتحلى بالواصفات التالية :

أ - تنظيم يضم النخبة من ابناء الشعب ، الشربة بأرقى انواع الالتزام والانضباط ، المؤمنة بالقضية والجماهير ايمانا راسخا لا يتزعزع . وهذه النخبة هي ليست النخبة المثقفة ، ولا النخبة الاجتماعية ، انها نخبة المناضلين والمقاتلين ، المثلة الاشد صلابة لمصالح اوسع الجماهير ومطامحها .

ب - تنظيم متماسك ، تحكمه المركزية الديمقراطية، وتتواصل حلقاته وتتفاعل من القمة الى القاعدة ومن القاعدة الى القمة ، وهو تنظيم حديدي صارم ، ولكنه فعال قادر على المبادرة وقادر على الابداع . ويتصف هذا التنظيم بصفتين اساسيتين : الاولى انه تنظيم مناضل مقاتل ، والثانية : انه تنظيم شعبي جماهيري . ويعني كونه تنظيميا مناضلا مقاتلا ، انه هيئة اركان النضال والقتال ، وانه مستعد باعتباره التنظيم الطبيعي ان ينظم القوات والجماهير ويقودها في المعارك الطاحنة ، السياسية والعسكرية ، مع الاحتلال الصهيوني والامبريالية وكل القوى المضادة للثورة . ويعني كونه تنظيميا-جماهيريا شعبيا انه تنظيم منبثق من الجماهير، معبر عن مصالحها ومطامحها ، قادر على الالتحام بها وتفجير قواها ، وعلى تعبئتها وقيادتها .

ج - تنظيم يتحلى بالوعي النفاذ الذي يجعله قادرا على فهم طبيعة المرحلة وتناقضاتها ودور كل قوة من القوى فيها . كما يجعله قادرا على خوض المعارك ، السياسية والعسكرية ، واحراز

الانتصارات . ولكي يستطيع هذا التنظيم أداء هذه المهمات لا بد من ان يتحلى بالقدرة على التحليل ، وعلى اتخاذ المواقف الصحيحة في الوقت المناسب .

د - تنظيم يتبنى برنامجا سياسيا واضحا ومحددا ، يحدد طبيعة المرحلة ومهماتها ودور كل القوى المشاركة فيها ، كما يحدد الأعداء وتناقضاتهم وأوضاعهم .

ثالثا : والثورة الجديدة تحتاج الى نوع جديد من الجبهة الوطنية . ذلك ان المعركة ضد الاحتلال الاجنبي ، وضد الامبريالية ، وضد القوى المضادة للثورة ، تستوجب قيام جبهة وطنية واسعة عريضة ، تضم كل الوطنيين الشرفاء المعادين للاحتلال ، والمعادين للامبريالية . ولكن هذه الجبهة الواسعة العريضة لا بد من ان يتوافر فيها :

أ - اتفاق على برنامج مرحلي واضح ومحدد ، تلتزم به الفئات المشاركة ، ويجري النضال من اجله .

ب - اتفاق على تعاون الاحزاب والمنظمات والشخصيات الوطنية تعاونا ايجابيا داخل الجبهة ، دون ان يكون لفئة حق الغاء فئة اخرى او لايدولوجية حق الغاء ايدولوجية اخرى . كل الايدولوجيات والافكار ، وكل القوى المعادية للاحتلال والامبريالية والقوى المساندة للثورة تتعامل بصدق وتتفاعل بانفتاح من اجل انتصار الثورة القومية الديمقراطية الشعبية . وتقوم الجبهة على اساس التحالف والصراع ، لترتقي باستمرار ، ولتزداد باستمرار توثقا واتجاها نحو الجذرية .

ج - التزام كامل بمقررات القيادات والمجالس القيادية ، وخاصة فيما يتعلق بقضايا القتال والنضال . ولا يجوز ان يسمح بالتسيب داخل الجبهة ، او ان يقر مبدأ حق الفيتو داخلها .

د - قيادة القوى الطبيعية في النضال والقتال للجبهة ، على ان تثبت ذلك في ميدان العمل اليومي ، وفي الممارسة العملية ، شريطة الا يلغى هذا دور المنظمات الاخرى والشخصيات الاخرى،

وشريطة الا يصبح امتيازاً .

رابعاً : والثورة الجديدة تحتاج الى علاقة جديدة بالجماهير . ان العلاقات السطحية والعشوائية السائدة اليوم علاقات لا تصلح اساساً للثورة الجديدة . فالثورة الجديدة هي ثورة الجماهير . وهي على هذا الاساس التعبير الحي عن طاقاتها الهائلة وقدراتها الخلاقة . وعلى الطليعة ان تعي هذه الحقيقة لتستطيع ان تبني علاقات صحيحة مع الجماهير ، ولكي تستطيع ان تجعل من الجماهير ، قوة قهارة لا تهزم . وهذه العلاقة يجب ان تقوم على ما يلي :

أ - التعرف على المطامح الحقيقية للجماهير والالتزام بهذه المطامح . ان المطامح الاساسية والحقيقية للجماهير التي تتعلق بقضايا حياتها وحريتها هي المحور الاساسي من محاور النضال والقتال ، وهي المحور الذي يستطيع المناضلون عن طريقه التفاعل الحقيقي مع الجماهير .

ب - التعرف على المصالح الحقيقية للجماهير والالتزام بهذه المصالح . ولا يستطيع المناضلون ان يلتحموا بالجماهير دون التزام مطلق بقضاياها . وكلما كان المناضلون اكثر التصاقاً بالجماهير واكثر تعبيراً عن مصالحها كلما كانوا اكثر قدرة على تمثيلها وتعبئتها وقيادتها .

ولما كانت هنالك اولويات في اهمية المصالح ، حسب المراحل التاريخية ، فيجب اخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار ، كما يجب ان تؤخذ المطامح والمصالح التي تمثل اكثرية الجماهير في كل مرحلة تاريخية بعين الاعتبار ايضا .

ج - التحلي بالتواضع الجم ، وضرب مثل في الاخلاص والتفاني وخدمة الجماهير . ذلك ان الجماهير التي استغلت كثيراً وخذعت كثيراً ، والتي عانت كثيراً من الاستغلال والانتهازية ، والتي تطمح الى حياة صادقة ، خالية من الفس والاثرة ، لا يحظى

بتأييدها إلا المناضلون الشجعان البواسل . المتفانون الباذلون .  
الذين يعطون القضية كل ما ملكته أنفسهم .

- ٨ -

إلا أن هذا كله لا بد من أن يأخذ القضايا التالية بعين الاعتبار:  
**القضية الأولى :** قضية الثورة الفلسطينية وعلاقتها بالثورة العربية . أن ادراك مسألة العلاقة بينهما مسألة حاسمة . ذلك أن عدم ادراك طبيعة العلاقة ستقود إما إلى انكفاء فلسطيني يعزل القضية الفلسطينية عن ينابيعها السياسية والاقتصادية والتاريخية والجغرافية . أو سيقود إلى «هوسة عربية» تضع فيها المعالم والأولويات . وعلى الرغم من أننا تعرضنا لهذه القضية في مكان سابق ، فإن علينا هنا أن نعود إلى تأكيد مجموعة من الحقائق .  
وأول هذه الحقائق اثنان ، لا بد من الإشارة إليهما : الأولى : أن القضية الفلسطينية ، وبالتالي الثورة الفلسطينية ، هي القضية الأساسية في الحركة القومية العربية ، وثورتها القومية الديمقراطية الشعبية .

الثانية : أن كون القضية الفلسطينية القضية الأولى فسي الحركة القومية العربية وثورتها القومية الديمقراطية لا يعزلها عن مجموع قضايا الثورة القومية الديمقراطية ، وهي : إنهاء السيطرة الإمبريالية ، مباشرة وغير مباشرة على الوطن العربي ، الوحدة العربية ، إنهاء مخلفات القرون الوسطى ، إصلاح زراعي جذري ، وضع أساس لاقتصاد مستقل مزدهر ، بل يجعلها في الصميم من هذه القضايا . ذلك أن وجود دولة الاحتلال لا يستهدف بقاء الوضع العربي على حاله فحسب ، بل زيادة تدهوره أيضاً .  
ولكن هاتين الحقيقتين تصطدمان بموقفين متناقضين :



الاول : فلسطيني . ويرى ان القضية الفلسطينية يجب ان تبقى معزولة عن قضايا الثورة العربية . لان ارتباطها بعدد من المشاكل لا يجعلها القضية الاولى والوحيدة ، ولا يتيح المجال لاسب كل الجهود في قناة تحرير فلسطين .

الثاني : عربي . ويخشى ان يكون اعتبار قضية فلسطين القضية الاولى في الحركة القومية العربية وفي ثورتها القومية الديمقراطية الشعبية على حساب مجموع قضايا الثورة القومية الديمقراطية .

والموقفان ضيقا الاقرب ، وعاجزان عن ان يدركا طبيعة العلاقة . ومن واجبنا ان نناضل لنقنع اصحاب الموقفين بالتداخل والتكامل بين الثورتين الفلسطينية والعربية ، اولا ، وباقتناعهما ثانيا ان التناقض الرئيسي الذي تواجهه الامة العربية كلها ، لا الشعب الفلسطيني وحده ، هو التناقض مع الاحتلال الصهيوني . ولنقتنعهما ، ثالثا ، ان كون هذا التناقض رئيسيا لا يعزله عن مجموع قضايا الثورة القومية الديمقراطية العربية .

وهذا يعني ان نجعل القتال على الجبهة الفلسطينية مهمتنا الرئيسية ، ولكن ان نعرف في الوقت ذاته اهمية النضال لانهاء مواقع السيطرة الاجنبية في بلادنا والسير في طريق الوحدة العربية ، واهمية النضال لانهاء مخلفات القرون الوسطى وتحقيق اصلاح زراعي جذري الخ . . .

بهذا يصبح النضال لتحرير فلسطين ، وهو المهمة الرئيسية لجماهير الامة العربية ، مرتبطا بمجمل نضال هذه الجماهير من اجل وحدتها وتحررها وتقدمها ، وحصيلة لهذا النضال كله . ان علينا ان نعي هذه الحقيقة جيدا ، وان نقرن وعيها بممارسة سليمة .

**القضية الثانية :** قضية حرب الشعب . ويجب ان ندرك هنا جيدا ماذا نعني بحرب الشعب . ان هناك التباسا في هذا المجال لا يجوز ان يبقى ، لانه يساعد على خلق ملاسبات جديدة ، ولانه

اما ان يجمد نضالنا ضمن أفق حرب العصابات أو ان يعزله عن القوات النظامية .

وإذا كان هناك من يعتقد أن حرب العصابات بديل للحروب النظامية ، فهناك من يعتقد أن الحرب النظامية هي البديل . ولا بد لنا هنا من ان نوضح هذه القضية حتى لا تفقد هذه الملامسات الى زيادة تناقضاتنا وبعثرة جبهتنا . ويمكن أيجاز القضية بما يلي :

أ - حرب الشعب : هي الحرب التي توحد كل قوى الشعب عمالا وفلاحين وبرجوازيين وطنيين ضد عدو محتل ، في جبهة واحدة مترابطة تقودها القوى الطبيعية في النضال وفي المجتمع .  
ب - وحرب الشعب : هي الحرب التي تضم العصابات والمليشيا والقوات النظامية ، تحت قيادة واحدة ، وضمن خط واحد لمقاتلة العدو .

ج - وحرب الشعب : قد تبدأ بحرب عصابات ، لعدم توافر المليشيا والقوات النظامية ، ولكنها ما تلبث ان تخلق مليشياها وقواتها شبه النظامية ثم النظامية .

د - وحرب الشعب : تقوم اساسا على التنظيم الطبيعي ، والثقة بالجماهير وطاقاتها وامكانياتها ، وعلى اساس تعبئتها واشراكها في القتال .

هـ - وحرب الشعب : تقوم على اساس ان الوعي يهزم التكنولوجيا والتفوق العنوي يهزم التفوق المادي .

و - وحرب الشعب : تقوم على استراتيجية وتكتيك خاصين بها مقابل الاستراتيجية والتكتيك الخاصين بالحروب البرجوازية التقليدية .

فاذا ما اتضحت لنا هذه الحقائق ظهر لنا ان حرب الشعب هي ليست حرب الفوار ، حرب المجموعات الصغيرة فقط ، انها حرب شاملة تضم كل قوى الشعب ، تعبئها ، تنظمها ، وتدفعها الى ميدان القتال والعمل المرتبط به . كما انها حرب تركز على

الوعي السياسي وعلى التنظيم الطليعي والمنظمات الجماهيرية وتضع هذه القضايا في الاعتبار الاول مقابل التكنولوجيا والتفوق المادي . وهي حرب ، فوق هذا ، تقوم على اساس المبادأة ، الروح الهجومية دائما وعلى اساس المرونة والابداع ، وهي حرب متجددة دائما ، متطورة دائما ، ولكنها الحرب الوحيدة التي تجمل الشعوب المتخلفة قادرة على هزيمة اعدائها الامبرياليين .

**القضية الثالثة :** قضية انعكاسات الوضع الدولي علسي وضعنا . هنالك تناقضات عالمية عديدة ، وهناك ، وفي ظل الردع النووي ، اتجاه من اجل تخفيف حدة التوتر في العالم ، بتنفيس بؤر الصدام المتوترة ، وهناك ايضا الاتجاه الجديد في السياسة الامريكية القائم على اساس السيطرة على الحروب الصغيرة (1) . ولكن وعلى الرغم من هذا كله فهناك بؤر صدام متوترة وهناك حروب صغيرة ، وستندلع حروب أخرى في المستقبل . ويعود ذلك الى الاسباب التالية :

- 1 - هنالك تناقضات عالمية عديدة لا تحلها التسويات المؤقتة، ولا جلسات الرؤساء ومشاورات الخبراء .
  - ب - هنالك بؤر صدام متوترة في اماكن متعددة من العالم ، بسبب اللاحق القومي ، او الاحتلال والاضطهاد والاستغلال .
  - ج - هنالك انهيار في النظام الامبريالي العالمي وبسبب للتناقضات في داخله .
- وضمن هذا الوضع كله يبقى العامل الذاتي هو الحاسم .

---

1 — Lincoln P. Bloom Field & Amelia C. Leiss : Controlling Small Wars, A Strategy for the 1970 s, ALLEN, LANE, The Penguin Press.

فالحرب الشاملة لن تقسوم بسبب ميزان الاسلحة النووية الاستراتيجية (1) . وهذا يعني ان الحروب الوطنية قادرة ، اذا لم تسيطر عليها الدوائر الامبريالية والرجعية وتخدمها، على ان تحقق مطامح الشعوب .

ومن هنا فان التسليم بان المعادلة الدولية هي التي تقود الى النصر والهزيمة يقود الى المساومة ثم الى الاستسلام . لان مثل هذا الاتجاه لا ينبع من ادراك حقيقة المعادلات الدولية ، ومن الامكانيات الوافرة لاختراقها او حتى تغييرها ، بل ينبع من البحث عن الحلول السهلة .

ان المعادلات الدولية معرضة دائما للهزات ، لانها تحمل دائما بذور تناقضاتها ، فلا يمكن ما دام الصراع قائما بين الاشتراكية والامبريالية ، بين حركات التحرر الوطني والامبريالية ، بين المستغلين والمستغلين ، بين الطبقات العاملة والاحتكارات ، بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة الخ ان تثبت معادلة دولية ، وان يسود وضع مستقر في العالم . ولهذا فان اختراق المعادلات الدولية او حتى تغييرها مرهون بالعوامل التالية :

ا - النضال بحزم ، وبإشراك اوسع الجماهير واستلهاهم خط سياسي صحيح ، ضد احتلال خارجي او وضع قائم معترف به دوليا .

ب - استنهاض القوى الوطنية والتقدمية في العالم من اجل تغيير ميزان القوى لمصلحة الشعب المناضل .

وهناك كثير من الاحيان التي تسقط فيها المعادلات الدولية بسبب زيادة التناقضات بين اطراف المعادلة ، او بسبب توتر العلاقات نتيجة تغيرات داخلية او دولية .

ان الإمة العربية مطالبة ان تغير بنضالها حقائق الوضع الراهن  
والمعادلات الدولية ، وهي ان لم تفعل ذلك لن تستطيع ان تتحرر  
وتتحد وتبني اقتصادها التحرر المزدهر المستقل .

- ٩ -

ان معركتنا لتحرير فلسطين هي معركتنا ضد دولة الاحتلال  
والصهيونية العالمية والإمبريالية العالمية . وهي معركة شرسة  
وطويلة ، لان دولة الاحتلال مهياة للقتال جيدا ، ولان الصهيونية  
العالمية لن تتخلى عن دولتها بسهولة ، ولان الولايات المتحدة تريد  
ان تحافظ على مصالحها في هذه المنطقة . ولسوف تنتهي الحرب  
الفياتنامية-الاميركية في القريب العاجل بهزيمة للولايات المتحدة،  
وان سميت الهزيمة اتفاقا . ولكن هزيمة الولايات المتحدة هناك  
سيجعلها ترمي بكل ثقلها هنا، لانها تريد ان تحافظ على اهم مواقعها  
الخارجية في العالم ، ولانها تريد ان تحسم من البدء حتى لا تتطور  
الامور وتتعمد ، كما حدث في فياتنام .  
وعلينا ان نعدّ انفسنا لنكون فياتنام الاخرى ، وليس هناك  
طريق غير هذه الطريق .

# المفردات

٥	مقدمة الطبعة الاولى
٦	مقدمة الطبعة الثانية
٧	القسم الاول : المقاومة وضعها الذاتي ومهامها
٩	المقاومة طريق التحرير الوحيد
١٥	وقفه بعد معركة ايلول مباشرة
٢٦	الثورة الفلسطينية امام التحديات الكبرى
٣٥	لنكن اوفياء لعهد قطعناه
٤٠	نحو استراتيجية جديدة للثورة الفلسطينية
	الحل واحد : تصعيد معركة التحرير والاطاحة
٨٤	بالسلطة العميلة في الاردن
٨٨	مناقشة نقدية للجبهة الشعبية الديمقراطية
١٠٦	خطوط اساسية لمشروع برنامج سياسي
١٠٦	للجبهة الوطنية الفلسطينية
١١٥	نحو وحدة وطنية فلسطينية
١٢٣	معركة ايلول والحقائق التي اكدتها
١٤٠	ثلاثة خطوط : انتهازي واستسلامي وثوري
١٤٠	داخل المقاومة الفلسطينية
١٥٢	الوضع الراهن ... ومهامنا

القسم الثاني: القضية الفلسطينية وبعض الاتجاهات «الماركسية» ١٦٣

يسار لا يعرف اليمين من اليسار ١٦٥

الماركسية والمسألة الصهيونية ١٨٠

القسم الثالث: المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربي ٢٠٣

المقاومة : مواقع نقدها والهجوم عليها ٢٠٥

نقد المقاومة عربيا ٢٢٨

الثورة الفلسطينية ومهمات حركة التحرر

الوطني العربية ٢٥٣

القسم الرابع : المقاومة الفلسطينية والواقع العربي ٢٧١

الايوضاع العربية ومستقبل المقاومة الفلسطينية ٢٧٣

## - ١ -

١ - الاردن وحركة المقاومة ٢٨٣

٢ - زيارة روجرز الى عمان ٢٨٩

## - ٢ -

١ - المقاومة والواقع العربي ٢٩٣

٢ - الاردن يواصل عملية التصفية ٢٩٦

٣ - الوساطة العربية والضغط العربي ٣٠٣

٤ - هل يأتي دور لبنان بعد الاردن ٣١٤

٥ - الوساطة الاميركية والحملة الصليبية ضد

الشيوعية ٣١٦

## - ٣ -

١ - الوساطة العربية والمصالحة بين المقاومة

والنظام الاردني ٣١٨

- ٢ - النظام الاردني يكشف اوراقه ٣٢٣  
 ٣ - لبنان والحريصون على افتعال الصدام فيه ٣٢٨  
 ٤ - ما الذي تريده مصر ؟ ٣٣٠

- ٤ -

- ١ - فشل الجولة الثانية من جولات المصالحة ٣٣٤  
 ٢ - ياسر عرفات يطلب الوساطة ويأسر عرفات  
 يحبطها ٣٢٨  
 ٣ - من يمثل الشعب الفلسطيني ؟ ٣٤١

- ٥ -

- لبنان والثورة الفلسطينية ٣٤٦

- ٦ -

- المشروع الهاشمي صيغة جديدة للتصفية ٣٦١

- ٧ -

- العلاقات العربية-السوفياتية وهجوم الدوائر  
 الامبريالية والرجعية المرتبطة بها عليها ٣٦٨

- القسم الخامس : نحو ثورة فلسطينية جديدة ٣٩١



